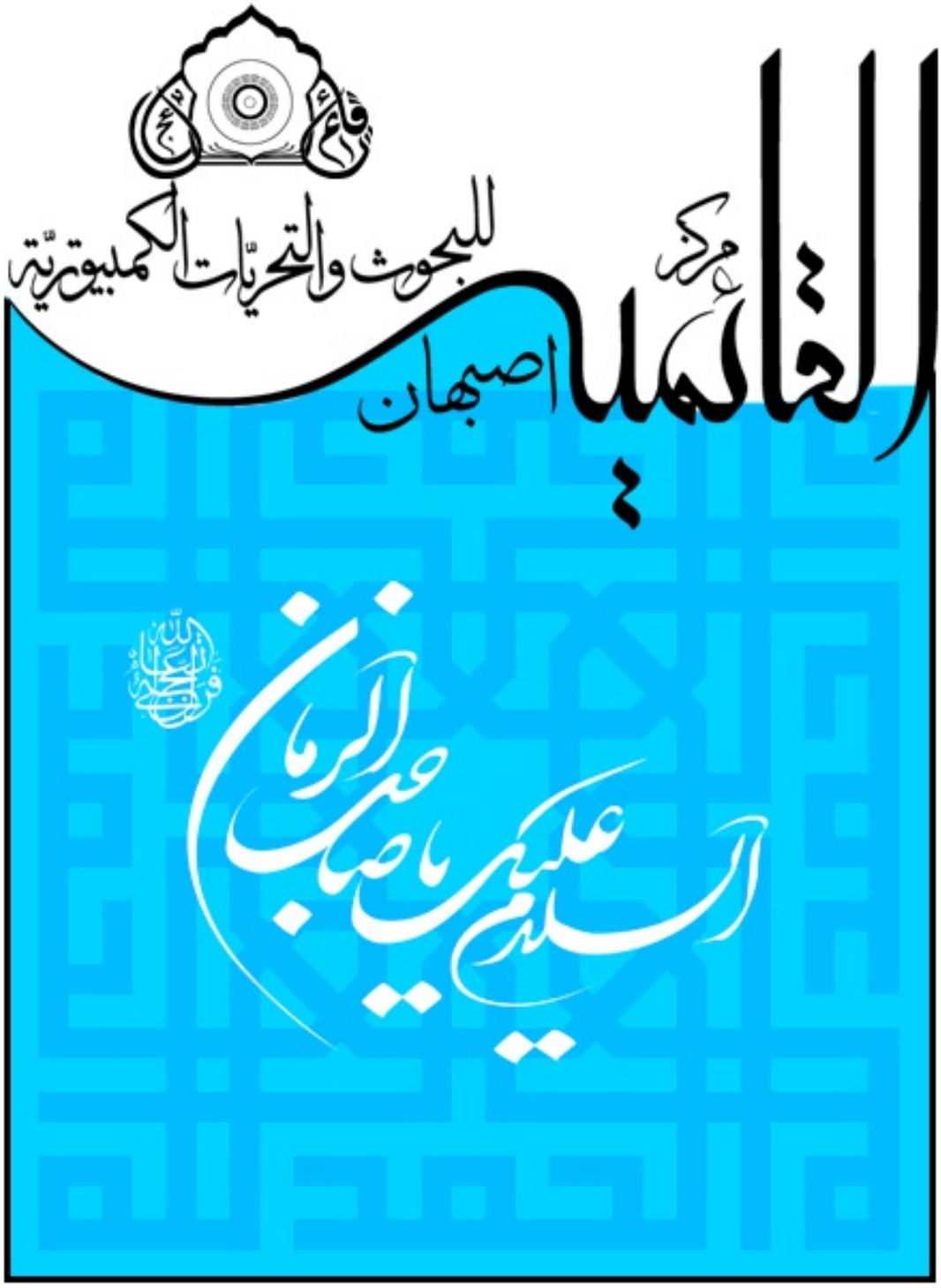

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

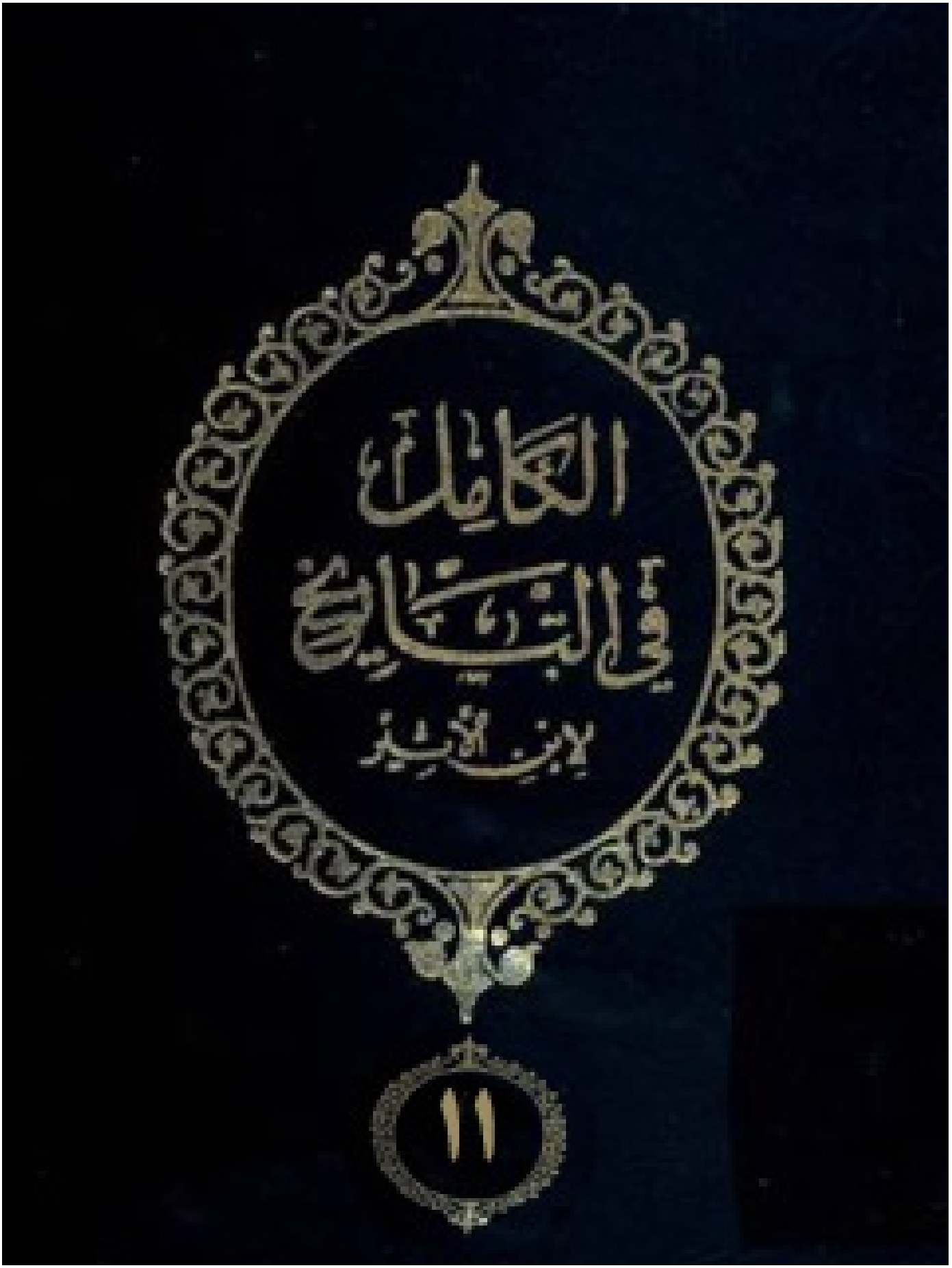
الكامل
في التاريخ
لابن الأثير
١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الكامل فى التاريخ

كاتب:

ابن اثير جزرى

نشرت فى الطباعة:

دارصادر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الکامل فی التاریخ المجلد ۱۱ ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
[تتمة من سنة سبع و عشرین و خمسمائة] ----- ۲۵
ذکر حصر المسترشد باللّه الموصل «۱» ----- ۲۵
ذکر ملک شمس الملوک مدینة حماة ----- ۲۶
ذکر هزیمة صاحب طرابلس الفرنجی ----- ۲۶
ذکر عدة حوادث ----- ۲۷
۵۲۸ ثم دخلت سنة ثمان و عشرین و خمسمائة ----- ۲۸
ذکر ملک شمس الملوک شقیف تیرون «۱» و نهبه بلد الفرنج ----- ۲۸
ذکر عود الملک طغرل «۲» إلی الجبل و انهزام الملک مسعود ----- ۲۸
ذکر حصر أتابک زنکی آمد و الحرب بینه و بین داود و ملک زنکی قلعة الصور ----- ۲۹
ذکر ملک زنکی قلاع الأکراد الحمیدیة ----- ۲۹
ذکر ملک قلاع الهکاریة و کواشی ----- ۲۹
ذکر عدّة حوادث ----- ۳۱
۵۲۹ ثم دخلت سنة تسع و عشرین و خمسمائة ----- ۳۲
ذکر وفاة الملک طغرل و ملک مسعود بلد الجبل ----- ۳۲
ذکر قتل شمس الملوک و ملک أخیه ----- ۳۲
ذکر حصر أتابک زنکی دمشق ----- ۳۳
ذکر قتل حسن بن الحافظ ----- ۳۴
ذکر مسیر المسترشد إلی حرب السلطان مسعود و انهزامه ----- ۳۴
ذکر قتل المسترشد باللّه و خلافة الراشد باللّه ----- ۳۶
ذکر مسیر السلطان سنجر إلی غزنة و عوده عنها ----- ۳۷

ذکر قتل دبیس بن صدقة بالتأریخ ----- ۳۷
ذکر حصر عسکر یحیی المهدیة ----- ۳۸
ذکر استیلاء الفرنج علی جزیة جربة ----- ۳۹
ذکر ملک الفرنج حصن روطة من بلاد الأندلس ----- ۳۹
ذکر حصن ابن ردمیر مدینة أفراغة و هزیمته و موته ----- ۳۹
ذکر عدة حوادث ----- ۴۰
۵۳۰ ثم دخلت سنة ثلاثین و خمسمائة ----- ۴۰
ذکر الحرب بین عسکر الراشد و عسکر السلطان مسعود ----- ۴۰
ذکر اجتماع أصحاب الأطراف علی حرب مسعود ببغداد و خروجهم عن طاعته ----- ۴۰
ذکر ملک شهاب الدین حمص ----- ۴۱
ذکر الفتنة بدمشق ----- ۴۲
ذکر غزاة العسکر الأتابکی لبلاد الفرنج ----- ۴۲
ذکر وصول السلطان مسعود إلی العراق و تفرق أصحاب الأطراف و مسیر الراشد باللّه إلی الموصل و خلعه ----- ۴۳
ذکر خلافة المقتفی لأمر اللّه ----- ۴۴
ذکر عدة حوادث ----- ۴۵
۵۳۱ ثم دخلت سنة إحدی و ثلاثین و خمسمائة ----- ۴۶
ذکر تفرق العساکر عن السلطان مسعود ----- ۴۶
ذکر عزل بهرام عن وزارة الحافظ و وزارة رضوان ----- ۴۶
ذکر فتح المسلمین حصن وادی ابن الأحمر من الفرنج ----- ۴۷
ذکر حصار زنکی مدینة حمص ----- ۴۷
ذکر ملک زنکی قلعة بعرین و هزیمة الفرنج ----- ۴۸
ذکر خروج ملک الروم من بلاده إلی الشام ----- ۴۹
ذکر عدّة حوادث ----- ۴۹
۵۳۲ ثم دخلت سنة اثنتین و ثلاثین و خمسمائة ----- ۵۰

ذکر ملک أتابک زنکی حمص و غیرها من أعمال دمشق ----- ۵۰
ذکر وصول ملک الروم إلی الشام و ملکه بزاعة و ما فعله بالمسلمین ----- ۵۰
ذکر الحرب بین السلطان مسعود و الملک داود و من معه من الأمراء ----- ۵۲
ذکر قتل الراشد باللّه ----- ۵۳
ذکر حال ابن بکران العیار ----- ۵۴
ذکر قتل الوزیر الدرکزینی و وزارة الخازن ----- ۵۴
ذکر عدة حوادث ----- ۵۵
۵۳۳ ثم دخلت سنة ثلاث و ثلاثین و خمسمائة ----- ۵۶
ذکر الحرب بین السلطان سنجر و خوارزم شاه ----- ۵۶
ذکر قتل محمود صاحب دمشق و ملک أخیه محمد ----- ۵۶
ذکر ملک زنکی بعلبکّ ----- ۵۷
ذکر استیلاء قراسنقر علی بلاد فارس و عوده عنها ----- ۵۷
ذکر عدة حوادث ----- ۵۸
۵۳۴ ثم دخلت سنة أربع و ثلاثین و خمسمائة ----- ۵۸
ذکر حصار أتابک زنکی دمشق ----- ۵۸
ذکر ملک زنکی شهرزور و أعمالها ----- ۶۰
ذکر عدة حوادث ----- ۶۰
۵۳۵ ثم دخلت سنة خمس و ثلاثین و خمسمائة ----- ۶۱
ذکر مسیر جهار دانکی إلی العراق و ما کان منه ----- ۶۱
ذکر عدّة حوادث ----- ۶۱
۵۳۶ ثم دخلت سنة ست و ثلاثین و خمسمائة ----- ۶۳
ذکر انهزام السلطان سنجر من الأتراک الخطا و ملکهم ما وراء النهر ----- ۶۳
ذکر ما فعله خوارزم شاه بخراسان ----- ۶۵
ذکر عدة حوادث ----- ۶۶

۵۳۷ ثم دخلت سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة ---- ۶۸
ذكر ملك أتابک زنكی قلعة أشب «۱» و غيرها من الهكارية ---- ۶۸
ذكر حصر الفرنج طرابلس الغرب ---- ۶۸
ذكر عدة حوادث ---- ۶۸
۵۳۸ ثم دخلت سنة ثمان و ثلاثين و خمسمائة ---- ۶۹
ذكر صلح الشهيد و السلطان مسعود ---- ۶۹
ذكر ملك أتابک بعض ديار بكر ---- ۶۹
ذكر أمر العيّارين ببغداد ---- ۷۰
ذكر حصر سنجر خوارزم و صلحه مع خوارزم شاه ---- ۷۰
ذكر عدّة حوادث ---- ۷۰
۵۳۹ ثم دخلت سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة ---- ۷۱
ذكر فتح الرها و غيرها من بلاد الجزيرة مما كان بيد الفرنج ---- ۷۱
ذكر قتل نصير الدين جقر و ولاية زين الدين على كوجک قلعة الموصل ---- ۷۲
. ذكر عدّة حوادث ---- ۷۳
۵۴۰ ثم دخلت سنة أربعين و خمسمائة ---- ۷۴
ذكر اتّفاق بوزابة و عبّاس على منازعة السلطان ---- ۷۴
ذكر استيلاء علىّ بن دبيس بن على الحلّة ---- ۷۴
ذكر عدّة حوادث ---- ۷۵
۵۴۱ ثم دخلت سنة إحدى و أربعين و خمسمائة ---- ۷۶
ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب ---- ۷۶
ذكر حصر زنكی حصنی جعبر و فنک ---- ۷۶
ذكر قتل أتابک عماد الدين زنكی و شیء من سيرته ---- ۷۷
ذكر ملك ولديه سيف الدين غازی و نور الدين محمود ---- ۷۸
ذكر عصيان الرّها لما قتل أتابک «۱» ---- ۷۹

ذكر استيلاء عبد المؤمن على جزيرة الأندلس ---- ۷۹
ذكر قتل عبد الرحمن طغايرک و عباس صاحب الرّيّ ---- ۸۰
ذكر عدّة حوادث ---- ۸۱
۵۴۲ ثم دخلت سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة ---- ۸۱
ذكر قتل بوزابة ---- ۸۱
ذكر طاعة أهل قابس للفرنج و غلبة المسلمين عليها ---- ۸۲
ذكر حادثة ينبغى أن يحتاط العاقل من مثلها ---- ۸۲
ذكر ملک الفرنج المريّة و غيرها من الأندلس ---- ۸۲
ذكر ملک نور الدين محمود بن زنكى عدّة مواضع من بلد الفرنج ---- ۸۳
ذكر أخذ الحلّة من علىّ بن دبيس و عوده إليها ---- ۸۳
ذكر عدّة حوادث ---- ۸۳
۵۴۳ ثم دخلت سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة ---- ۸۴
ذكر ملک الفرنج مدينة المهديّة بإفريقية ---- ۸۴
ذكر حصر الفرنج دمشق و ما فعل سيف الدين غازى بن زنكى ---- ۸۶
ذكر ملک نور الدين محمود بن زنكى حصن العريمة ---- ۸۷
ذكر الخلف بين السلطان مسعود و جماعة من الأمراء و وصولهم إلى بغداد و ما كان منهم بالعراق ---- ۸۸
ذكر انهزام الفرنج بيغرى ---- ۸۸
ذكر ملک الغوريّة غزنة و عودهم عنها ---- ۸۹
ذكر ملک الفرنج مدنا من الأندلس ---- ۸۹
ذكر عدّة حوادث ---- ۹۰
۵۴۴ ثم دخلت سنة أربع و أربعين و خمسمائة ---- ۹۰
ذكر وفاة سيف الدين غازى بن أتابک زنكى و بعض سيرته و ملک أخيه قطب الدين ---- ۹۰
ذكر استيلاء نور الدين على سنجار ---- ۹۱
ذكر وفاة الحافظ و ولاية الظافر [و وزارة] «۱» ابن السلار ---- ۹۲

ذکر عود جماعة من الأمراء إلی العراق ---- ۹۳
ذکر قتل البرنس صاحب أنطاکیة و هزیمة الفرنج ---- ۹۳
ذکر الخلف بین صاحب صقلّیة و ملک الروم ---- ۹۴
ذکر عدّة حوادث ---- ۹۴
۵۴۵ ثم دخلت سنة خمس و أربعین و خمسمائة ---- ۹۵
ذکر أخذ العرب الحجّاج ---- ۹۵
ذکر فتح حصن فامیا ---- ۹۶
ذکر حصر الفرنج قرطبة و رحیلهم عنها ---- ۹۶
ذکر ملک الغوریّة هراة ---- ۹۷
ذکر عدّة حوادث ---- ۹۷
۵۴۶ ثم دخلت سنة ست و أربعین و خمسمائة ---- ۹۸
ذکر انهزام نور الدین من جوسلین و أسر جوسلین بعد ذلک ---- ۹۸
ذکر حصر غرناطة و المریّة من بلاد الأندلس ---- ۹۹
ذکر عدّة حوادث ---- ۱۰۰
۵۴۷ ثم دخلت سنة سبع و أربعین و خمسمائة ---- ۱۰۰
ذکر ملک عبد المؤمن بجایة و ملک بنی حمّاد ---- ۱۰۰
ذکر ظفر عبد المؤمن بصنهاجة ---- ۱۰۱
ذکر وفاة السلطان مسعود و ملک ملک شاه محمّد بن محمود ---- ۱۰۱
ذکر الحرب بین نور الدین محمود و بین الفرنج ---- ۱۰۳
ذکر الحرب بین سنجر و الغوریّة ---- ۱۰۳
ذکر ملک غیاث الدین و شهاب الدین الغوریّین ---- ۱۰۵
ذکر ملک غیاث الدّین غزنة و ما جاورها من البلاد ---- ۱۰۵
ذکر ملک شهاب الدین لهاوور ---- ۱۰۶
ذکر انقراض دولة سبکتکین ---- ۱۰۶

ذکر الخطبة لغیاث الدین بالسلطنة ----- ۱۰۷
ذکر ملک غیاث الدین هراة و غیرها من خراسان ----- ۱۰۷
ذکر ملک شهاب الدین مدینة آجرة «۵» من بلد الهند ----- ۱۰۷
ذکر ظفر الهند علی المسلمین ----- ۱۰۸
ذکر ظفر المسلمین بالهند ----- ۱۰۸
ذکر عدّة حوادث ----- ۱۰۹
۵۴۸ ثمّ دخلت سنة ثمان و أربعین و خمسمائة ----- ۱۱۰
ذکر انهزام سنجر من الغزّ و نهبهم خراسان و ما کان منهم ----- ۱۱۰
ذکر ملک المؤیّد نیسابور و غیرها ----- ۱۱۳
ذکر ملک إینانج الرّیّ ----- ۱۱۴
ذکر قتل ابن السلّار وزیر الظافر و وزارة عبّاس ----- ۱۱۴
ذکر الحرب بین العرب و عساکر عبد المؤمن ----- ۱۱۴
ذکر ملک الفرنج مدینة بونة و موت رجّار و ملک ابنه غلیالم ----- ۱۱۵
ذکر وفاة بهرام شاه صاحب غزنة ----- ۱۱۶
ذکر ملک الفرنج مدینة عسقلان ----- ۱۱۶
ذکر حصر عسکر الخلیفة تکریت و عودهم عنها ----- ۱۱۶
ذکر عدّة حوادث ----- ۱۱۷
۵۴۹ ثم دخلت سنة تسع و أربعین و خمسمائة ----- ۱۱۷
ذکر قتل الظافر و خلافة ابنه الفائز ----- ۱۱۷
ذکر وزارة الصالح طلائع بن رزّیک ----- ۱۱۸
ذکر حصر تکریت و وقعة بکمزا «۱» ----- ۱۱۹
ذکر ملک نور الدین محمود مدینة دمشق ----- ۱۲۰
ذکر قصد الإسماعیلیّة خراسان و الظفر بهم ----- ۱۲۱
ذکر ملک نور الدین تلّ باشر ----- ۱۲۱

ذکر عدّة حوادث ----- ۱۲۱
۵۵۰ ثم دخلت سنة خمسین و خمسمائة ----- ۱۲۲
۵۵۱ ثم دخلت سنة إحدی و خمسین و خمسمائة ----- ۱۲۳
اشارة ----- ۱۲۳
ملک الفرنج بصقلّیة و ما کان منهم ----- ۱۲۳
ذکر القبض علی سلیمان شاه و حبسه بالموصل ----- ۱۲۴
ذکر حصر نور الدین قلعة حارم ----- ۱۲۵
ذکر وفاة خوارزم شاه أتسز و غیره من الملوک ----- ۱۲۶
ذکر هرب السلطان سنجر من الغزّ ----- ۱۲۶
ذکر البیعة لمحمّد بن عبد المؤمن بولایة عهد أبیه ----- ۱۲۷
ذکر استعمال عبد المؤمن أولاده علی البلاد ----- ۱۲۷
ذکر حصر السلطان محمّد بغداد ----- ۱۲۸
ذکر عدّة حوادث ----- ۱۲۹
۵۵۲ ثم دخلت سنة اثنتین و خمسین و خمسمائة ----- ۱۳۰
ذکر الزلازل بالشام ----- ۱۳۰
ذکر ملک نور الدین حصن شیزر ----- ۱۳۱
ذکر وفاة الدّبیسیّ صاحب جزیرة ابن عمر و استیلاء قطب الدین مودود علی الجزیرة ----- ۱۳۲
ذکر وفاة السلطان سنجر ----- ۱۳۲
ذکر ملک المسلمین مدینة المریّة و انقراض دولة الملثّمین بالأندلس ----- ۱۳۳
ذکر غزو صاحب طبرستان الإسماعیلیّة ----- ۱۳۴
ذکر أخذ حجّاج خراسان ----- ۱۳۴
ذکر الحرب بین المؤیّد و الأمیر إیناق ----- ۱۳۴
ذکر الحرب بین المؤیّد و سنقر العزیزیّ ----- ۱۳۵
ذکر ملک نور الدین بعلبکّ ----- ۱۳۵

ذكر عدّة حوادث ----- ۱۳۶
۵۵۳ ثمّ دخلت سنة ثلاث و خمسين و خمسمائة ----- ۱۳۶
ذكر الحرب بين سنقر و أرغش ----- ۱۳۶
ذكر الحرب بين شملة و قايماز السلطانيّ ----- ۱۳۶
ذكر معاودة الغزّ الفتنة بخراسان ----- ۱۳۷
ذكر أسر المؤيّد و خلاصه ----- ۱۳۸
ذكر اجتماع السلطان محمود مع الغزّ و عودهم إلى نيسابور ----- ۱۳۹
ذكر حصر صاحب ختلان ترمذ و عوده و موته ----- ۱۳۹
ذكر عود المؤيّد إلى نيسابور و تخريب ما بقى منها ----- ۱۴۰
ذكر ملك ملك شاه خوزستان ----- ۱۴۰
ذكر الحرب بين التركمان و الإسماعيليّة بخراسان ----- ۱۴۱
ذكر عدّة حوادث ----- ۱۴۱
۵۵۴ ثمّ دخلت سنة أربع و خمسين و خمسمائة ----- ۱۴۲
ذكر ملك عبد المؤمن مدينة المهديّة من الفرنج و ملكه جميع إفريقية ----- ۱۴۲
ذكر إيقاع عبد المؤمن بالعرب ----- ۱۴۴
ذكر غرق بغداد ----- ۱۴۵
ذكر عود سنقر الهمذانيّ إلى اللّحف و انهزامه ----- ۱۴۶
ذكر الفتنة بين عامّة أستراباذ ----- ۱۴۶
ذكر وفاة الملك محمّد بن محمود بن محمّد بن ملك شاه «۱» ----- ۱۴۶
ذكر أخذ حرّان من نور الدين و عودها إليه ----- ۱۴۷
ذكر عدّة حوادث ----- ۱۴۸
۵۵۵ ثمّ دخلت سنة خمس و خمسين و خمسمائة ----- ۱۴۸
ذكر مسير سليمان شاه إلى همذان ----- ۱۴۸
ذكر وفاة الفائز و ولاية العاضد العلويّين ----- ۱۴۹

ذكر وفاة الخليفة المقتفى لأمر اللّه و شيء من سيرته ----- ۱۴۹
ذكر خلافة المستنجد باللّه ----- ۱۴۹
ذكر الحرب بين عسكر خوارزم و الأتراك البرزيّة ----- ۱۵۰
ذكر أحوال المؤيّد بخراسان هذه السنة ----- ۱۵۱
ذكر الحرب بين شاه مازندران و يغمر خان ----- ۱۵۲
ذكر وفاة خسرو شاه صاحب غزنة و ملك ابنه بعده ----- ۱۵۲
ذكر الحرب بين إيثاق و بغراتكين ----- ۱۵۲
ذكر وفاة ملك شاه بن محمود ----- ۱۵۳
ذكر عدّة حوادث ----- ۱۵۳
۵۵۶ ثم دخلت سنة ست و خمسين و خمسمائة ----- ۱۵۳
ذكر الفتنة ببغداد ----- ۱۵۳
ذكر قتل ترشک ----- ۱۵۴
ذكر قتل سليمان شاه و الخطبة لأرسلان ----- ۱۵۴
ذكر الحرب بن ابن آقسنقر و عسكر إيلدكز ----- ۱۵۵
ذكر الحرب بين إيلدكز و إينانج ----- ۱۵۶
ذكر وفاة ملك الغور و ملك ابنه محمّد ----- ۱۵۷
ذكر الفتنة بنيسابور و تخريبها ----- ۱۵۷
ذكر خلع السلطان محمود و نهب طوس و غيرها من خراسان ----- ۱۵۷
ذكر عمارة شاذياخ نيسابور ----- ۱۵۸
ذكر قتل الصالح بن رزّيک و وزارة ابنه رزّيک ----- ۱۵۸
ذكر الحرب بين العرب و عسكر بغداد ----- ۱۵۹
ذكر حصر المؤيّد شارستان ----- ۱۶۰
ذكر ملک الكرج مدينة آنى ----- ۱۶۰
ذكر ولاية عيسى مكّة حرسها اللّه تعالى ----- ۱۶۰

ذكر عدّة حوادث ----- ۱۶۱
۵۵۷ ثم دخلت سنة سبع و خمسين و خمسمائة ----- ۱۶۲
ذكر فتح المؤيّد طوس و غيرها ----- ۱۶۲
ذكر أخذ ابن مردنيش غرناطة من عبد المؤمن و عودها إليه ----- ۱۶۲
ذكر حصر نور الدين حارم ----- ۱۶۳
ذكر ملك الخليفة قلعة الماهكى ----- ۱۶۴
ذكر الحرب بين المسلمين و الكرج ----- ۱۶۴
ذكر عدّة حوادث ----- ۱۶۴
۵۵۸ ثمّ دخلت سنة ثمان و خمسين و خمسمائة ----- ۱۶۶
ذكر وزارة شاور للعاضد بمصر ثمّ وزارة الضّرغام بعده ----- ۱۶۶
ذكر وفاة عبد المؤمن و ولاية ابنه يوسف ----- ۱۶۶
ذكر ملك المؤيّد أعمال قومس و الخطبة للسلطان أرسلان بخراسان ----- ۱۶۷
ذكر قتل الغزّ ملك الغور ----- ۱۶۷
ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج ----- ۱۶۸
ذكر إجلاء بنى أسد من العراق ----- ۱۶۹
ذكر عدّة حوادث ----- ۱۶۹
۵۵۹ ثمّ دخلت سنة تسع و خمسين و خمسمائة ----- ۱۷۰
ذكر مسير شيركوه و عساكر نور الدين إلى ديار مصر و عودهم عنها ----- ۱۷۰
ذكر هزيمة الفرنج و فتح حارم ----- ۱۷۱
ذكر ملك نور الدين قلعة بانياس من الفرنج أيضا ----- ۱۷۳
ذكر أخذ الأتراك غزنة من ملك شاه و عوده إليها ----- ۱۷۳
ذكر وفاة جمال الدين الوزير و شىء من سيرته ----- ۱۷۴
ذكر إجلاء القارغليّة «۱» من وراء النهر ----- ۱۷۶
ذكر استيلاء سنقر على الطالقان و غرشستان ----- ۱۷۶

ذکر قتل صاحب هراة ----- ۱۷۶
ذکر ملک شاه مازندران قومس و بسطام ----- ۱۷۷
ذکر عصیان غمارة «۳» بالمغرب ----- ۱۷۷
ذکر عدّة حوادث ----- ۱۷۷
۵۶۰ ثمّ دخلت سنة ستین و خمسمائة ----- ۱۷۸
ذکر وفاة شاه مازندران و ملک ابنه بعده ----- ۱۷۸
ذکر حصر عسکر المؤیّد نسا و رحیلهم عنها ----- ۱۷۸
ذکر استیلاء المؤیّد علی هراة ----- ۱۷۹
ذکر الحرب بین قلج أرسلان و بین ابن دانشمند ----- ۱۷۹
ذکر الفتنة بین نور الدین و قلج أرسلان ----- ۱۸۰
ذکر عدّة حوادث ----- ۱۸۰
۵۶۱ ثم دخلت سنة إحدی و ستین و خمسمائة ----- ۱۸۲
ذکر فتح المنیطرة من بلد الفرنج ----- ۱۸۲
ذکر قتل خطلبرس مقطع واسط ----- ۱۸۲
ذکر عدّة حوادث ----- ۱۸۲
۵۶۲ ثم دخلت سنة اثنتین و ستین و خمسمائة ----- ۱۸۲
ذکر عود أسد الدین شیرکوه إلی مصر ----- ۱۸۲
ذکر ملک أسد الدین الإسکندریّة و عوده إلی الشام ----- ۱۸۳
ذکر ملک نور الدین صافیثا و عریمة ----- ۱۸۴
ذکر قصد ابن سنکا البصرة ----- ۱۸۴
ذکر قصد شملة العراق ----- ۱۸۵
ذکر عدّة حوادث ----- ۱۸۵
۵۶۳ ثم دخلت سنة ثلاث و ستین و خمسمائة ----- ۱۸۵
ذکر فراق زین الدین الموصل و تحکّم قطب الدین فی البلاد ----- ۱۸۵

ذكر الحرب بين البهلوان و صاحب مراغة ----- ۱۸۶
ذكر عدّة حوادث ----- ۱۸۶
۵۶۴ ثم دخلت سنة أربع و ستين و خمسمائة ----- ۱۸۷
ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر ----- ۱۸۷
ذكر ملك أسد الدين مصر و قتل شاور ----- ۱۸۷
ذكر وفاة أسد الدين شيركوه ----- ۱۹۱
ذكر ملك صلاح الدين مصر ----- ۱۹۱
ذكر وقعة السودان بمصر ----- ۱۹۳
ذكر ملك شملة فارس و إخراجه [۱] عنها ----- ۱۹۴
ذكر ملك إيلدكز الرّيّ ----- ۱۹۴
ذكر عدّة حوادث ----- ۱۹۵
۵۶۵ ثم دخلت سنة خمس و ستين و خمسمائة ----- ۱۹۵
ذكر حصر الفرنج دمياط ----- ۱۹۵
ذكر حصر نور الدين الكرك ----- ۱۹۶
ذكر غزوة لسرية نوريّة ----- ۱۹۶
ذكر الزلزلة و ما فعلته بالشام ----- ۱۹۷
ذكر وفاة قطب الدين مودود بن زنكى و ملك ابنه سيف الدين غازى ----- ۱۹۷
ذكر حالة ينبغى للملوك أن يحترزوا من مثلها ----- ۱۹۸
ذكر الحرب بين عساكر ابن عبد المؤمن و ابن مردنيش ----- ۱۹۹
ذكر وفاة صاحب كرمان و الخلف بين أولاده ----- ۱۹۹
ذكر عدّة حوادث ----- ۱۹۹
۵۶۶ ثم دخلت سنة ست و ستين و خمسمائة ----- ۲۰۰
ذكر وفاة المستنجد باللّه ----- ۲۰۰
ذكر ملك نور الدين الموصل و إقرار سيف الدين عليها ----- ۲۰۱

ذكر غزو صلاح الدين بلاد الفرنج و فتح أيلة ----- ۲۰۲
ذكر ما أعتمده صلاح الدين بمصر هذه السنة ----- ۲۰۳
ذكر عدّة حوادث ----- ۲۰۳
۵۶۷ ثمّ دخلت سنة سبع و ستين و خمسمائة ----- ۲۰۳
ذكر إقامة الخطبة العباسيّة بمصر و انقراض الدولة العلويّة ----- ۲۰۳
ذكر الوحشة بين نور الدين و صلاح الدين باطنا ----- ۲۰۵
ذكر غزوة إلى الفرنج بالشام ----- ۲۰۶
ذكر وفاة ابن مردنيش و ملك يعقوب بن عبد المؤمن بلاده ----- ۲۰۶
ذكر عبور الخطا جيحون و الحرب بينهم و بين خوارزم شاه ----- ۲۰۷
ذكر عدّة حوادث ----- ۲۰۷
۵۶۸ ثمّ دخلت سنة ثمان و ستين و خمسمائة ----- ۲۰۷
ذكر وفاة خوارزم شاه أرسلان و ملك ولده سلطان شاه و بعده ولده الآخر تكش و قتل المؤيّد و ملك ابنه ----- ۲۰۷
ذكر غارة الفرنج على بلد حوران و غارة المسلمين على بلد الفرنج ----- ۲۱۲
ذكر مسير شمس الدولة إلى بلد النّوبة ----- ۲۱۲
ذكر ظفر لمليح بن ليون بالروم ----- ۲۱۲
ذكر وفاة إيلدكز ----- ۲۱۳
ذكر وصول الترك إلى إفريقية و ملكهم طرابلس و غيرها ----- ۲۱۳
ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالأندلس ----- ۲۱۴
ذكر نهب نهاوند ----- ۲۱۴
ذكر قصد نور الدين بلاد قلج أرسلان ----- ۲۱۴
ذكر رحيل صلاح الدين من مصر إلى الكرك و عوده عنها ----- ۲۱۵
ذكر عدّة حوادث ----- ۲۱۶
۵۶۹ ثمّ دخلت سنة تسع و ستين و خمسمائة ----- ۲۱۷
ذكر ملك شمس الدولة زبيد و عدن و غيرهما من بلاد اليمن ----- ۲۱۷

ذكر قتل جماعة من المصريّين أرادوا الوثوب بصلاح الدين ---- ۲۱۸
ذكر وفاة نور الدين محمود بن زنكى، رحمه اللّه ---- ۲۲۰
ذكر ملك ولده الملك الصالح ---- ۲۲۱
ذكر ملك سيف الدين البلاد الجزريّة ---- ۲۲۲
ذكر حصر الفرنج بانياس و عودهم عنها ---- ۲۲۲
ذكر عدّة حوادث ---- ۲۲۳
۵۷۰ ثم دخلت سنة سبعين و خمسمائة ---- ۲۲۴
ذكر وصول أسطول صقلّيّة إلى مدينة الإسكندريّة و انهزامه عنها ---- ۲۲۴
ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر ---- ۲۲۵
ذكر ملك صلاح الدين دمشق ---- ۲۲۶
ذكر ملك صلاح الدين مدينتى حمص و حماة ---- ۲۲۷
ذكر حصر صلاح الدين حلب و عوده عنها و ملكه قلعة حمص و بعلبكّ ---- ۲۲۷
ذكر حصر سيف الدين أخاه عماد الدين بسنجار ---- ۲۲۸
ذكر انهزام عسكر سيف الدين من صلاح الدين و حصره مدينة حلب ---- ۲۲۹
ذكر ملك صلاح الدين قلعة بعرين ---- ۲۲۹
ذكر ملك البهلوان مدينة تبريز ---- ۲۳۰
ذكر وفاة شملة ---- ۲۳۰
ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد ---- ۲۳۰
ذكر عدّة حوادث ---- ۲۳۱
۵۷۱ ثم دخلت سنة إحدى و سبعين و خمسمائة ---- ۲۳۲
ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين ---- ۲۳۲
ذكر ما ملكه صلاح الدين بعد الكسرة من بلاد الصالح بن نور الدين ---- ۲۳۳
ذكر حصر صلاح الدين مدينة حلب و الصلح عليها ---- ۲۳۳
ذكر الفتنة بمكّة و عزل أميرها و إقامة غيره ---- ۲۳۴

ذكر عدّة حوادث ----- ۲۳۴
۵۷۲ ثم دخلت سنة اثنتين و سبعين و خمسمائة ----- ۲۳۶
ذكر نهب صلاح الدين بلد الإسماعيليّة ----- ۲۳۶
ذكر ظفر للمسلمين بالفرنج و للفرنج بالمسلمين ----- ۲۳۷
ذكر عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين و عوده إلى طاعته ----- ۲۳۷
ذكر فرج بعد شدّة يتعلّق بالتأريخ ----- ۲۳۷
ذكر نهب البندنيجين ----- ۲۳۸
ذكر عدّة حوادث ----- ۲۳۸
۵۷۳ ثم دخلت سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة ----- ۲۳۹
ذكر انهزام صلاح الدين بالرملة ----- ۲۳۹
ذكر حصر الفرنج مدينة حماة ----- ۲۴۰
ذكر قتل كمشتكين و حصر الفرنج حارم ----- ۲۴۰
ذكر عدّة حوادث ----- ۲۴۱
۵۷۴ ثم دخلت سنة أربع و سبعين و خمسمائة ----- ۲۴۲
ذكر قصد الفرنج مدينة حماة أيضا ----- ۲۴۲
ذكر عصيان ابن المقدّم على صلاح الدين و حصر بعلبكّ و أخذ البلد منه ----- ۲۴۳
ذكر الغلاء و الوباء العامّ ----- ۲۴۳
ذكر غارات الفرنج على بلاد المسلمين ----- ۲۴۴
ذكر عدّة حوادث ----- ۲۴۴
۵۷۵ ثم دخلت سنة خمس و سبعين و خمسمائة ----- ۲۴۵
ذكر تخريب الحصن الّذى بناه الفرنج عند مخاضة الأحزان ----- ۲۴۵
ذكر الحرب بين عسكر صلاح الدين و عسكر قلج أرسلان ----- ۲۴۶
ذكر وفاة المستضىء بأمر اللّه و خلافة الناصر لدين اللّه ----- ۲۴۷
ذكر عدّة حوادث ----- ۲۴۷

۵۷۶ ثم دخلت سنة ست و سبعين و خمسمائة ---- ۲۴۸
ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل و ولاية أخيه عزّ الدين بعده ---- ۲۴۸
ذكر مسير صلاح الدين لحرب قلج أرسلان ---- ۲۴۹
ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن ليون «۱» الأرمنيّ ---- ۲۵۰
ذكر ملك يوسف بن عبد المؤمن مدينة قفصة بعد خلاف صاحبها عليه ---- ۲۵۱
ذكر عدّة حوادث ---- ۲۵۱
۵۷۷ ثم دخلت سنة سبع و سبعين و خمسمائة ---- ۲۵۲
ذكر غزاة إلى بلد الكرك من الشام ---- ۲۵۲
ذكر تلبيس ينبغى أن يحتاط من مثله ---- ۲۵۲
ذكر إرسال صلاح الدين العساكر إلى اليمن ---- ۲۵۳
ذكر وفاة الملك الصالح و ملك ابن عمّه عزّ الدين مسعود مدينة حلب «۳» ---- ۲۵۳
ذكر تسليم حلب إلى عماد الدين و أخذ سنجار عوضا عنها ---- ۲۵۴
ذكر حصر صاحب ماردين قلعة البيرة و مصير صاحبها مع صلاح الدين ---- ۲۵۴
ذكر عدّة حوادث ---- ۲۵۵
۵۷۸ ثم دخلت سنة ثمان و سبعين و خمسمائة ---- ۲۵۶
ذكر مسير صلاح الدين إلى الشام و إغارته على الفرنج ---- ۲۵۶
ذكر ملك المسلمين شقيفا من الفرنج ---- ۲۵۶
ذكر إرسال سيف الإسلام إلى اليمن و تغلّبه عليه ---- ۲۵۷
ذكر إغارة صلاح الدين على الغور و غيره من بلاد الفرنج ---- ۲۵۷
ذكر حصر بيروت ---- ۲۵۷
ذكر عبور صلاح الدين الفرات [۲] و ملكه ديار الجزيرة ---- ۲۵۸
ذكر حصر صلاح الدين الموصل ---- ۲۵۹
ذكر ملكه مدينة سنجار ---- ۲۶۰
ذكر عود صلاح الدين إلى حرّان ---- ۲۶۱

ذکر اجتماع عزّ الدین و شاه أرمن ---- ۲۶۱
ذکر الظفر بالفرنج فی بحر عیذاب ---- ۲۶۱
ذکر عدّة حوادث ---- ۲۶۲
۵۷۹ ثم دخلت سنة تسع و سبعین و خمسمائة ---- ۲۶۳
ذکر ملک صلاح الدین آمد و تسلیمها إلی صاحب الحصن ---- ۲۶۳
ذکر ملک صلاح الدین تلّ خالد و عین تاب من أعمال الشام ---- ۲۶۴
ذکر وقعتین مع الفرنج فی البحر و الشام ---- ۲۶۴
ذکر ملک صلاح الدین حلب ---- ۲۶۴
ذکر فتح صلاح الدین حارم ---- ۲۶۵
ذکر القبض علی مجاهد الدین و ما حصل من الضرر بذلک ---- ۲۶۶
ذکر غزو بیسان ---- ۲۶۷
ذکر غزو الکرک و ملک العادل حلب ---- ۲۶۷
ذکر عدّة حوادث ---- ۲۶۸
۵۸۰ ثم دخلت سنة ثمانین و خمسمائة ---- ۲۶۸
ذکر إطلاق مجاهد الدین من الحبس و انهزام العجم ---- ۲۶۸
ذکر وفاة یوسف بن عبد المؤمن و ولایة ابنه یعقوب ---- ۲۶۹
ذکر غزو صلاح الدین الکرک ---- ۲۶۹
ذکر ملک الملثّمین بجایة و عودها إلی أولاد عبد المؤمن ---- ۲۷۰
ذکر وفاة صاحب ماردین و ملک ولده ---- ۲۷۰
ذکر عدّة حوادث ---- ۲۷۱
۵۸۱ ثم دخلت سنة إحدی و ثمانین و خمسمائة ---- ۲۷۱
ذکر حصر صلاح الدین الموصل و رحیله عنها لوفاة شاه أرمن ---- ۲۷۱
ذکر وفاة نور الدین صاحب الحصن ---- ۲۷۳
ذکر ملک صلاح الدین میّافارقین ---- ۲۷۴

ذکر عود صلاح الدین إلی بلد الموصل و الصلح بینه و بین أتابک عزّ الدّین ---- ۲۷۴
ذکر الفتنة بین الترکمان و الأکراد بدیار الجزیرة و الموصل ---- ۲۷۵
ذکر ملک الملثّمین و العرب إفریقیة و عودها إلی الموحّدین ---- ۲۷۶
ذکر عدّة حوادث ---- ۲۷۷
۵۸۲ ثم دخلت سنة اثنتین و ثمانین و خمسمائة ---- ۲۷۷
ذکر نقل العادل من حلب و الملک العزیز إلی مصر و إخراج الأفضل من مصر إلی دمشق و إقطاعه إیّاها ---- ۲۷۷
ذکر وفاة البهلوان و ملک أخیه قزل ---- ۲۷۹
ذکر اختلاف الفرنج بالشام و انحیاز القمّص صاحب طرابلس إلی صلاح الدین «۱» ---- ۲۷۹
ذکر غدر البرنس أرناط ---- ۲۸۰
ذکر عدّة حوادث ---- ۲۸۰
۵۸۳ ثم دخلت سنة ثلاث و ثمانین و خمسمائة ---- ۲۸۰
اشارة ---- ۲۸۰
ذکر حصر صلاح الدین الکرک ---- ۲۸۱
ذکر الغارة علی بلد عکّا ---- ۲۸۱
ذکر عود صلاح الدین إلی عسکره و دخوله إلی الفرنج ---- ۲۸۲
ذکر فتح صلاح الدین طبریّة ---- ۲۸۲
ذکر انهزام الفرنج بحطّین ---- ۲۸۳
ذکر عود صلاح الدین إلی طبریّة و ملک قلعتها مع المدینة ---- ۲۸۵
ذکر فتح مدینة عکّا ---- ۲۸۵
ذکر فتح مجدلیابة ---- ۲۸۶
ذکر فتح عدّة حصون ---- ۲۸۶
ذکر فتح یافا ---- ۲۸۶
ذکر فتح تبنین و صیدا و جبیل و بیروت ---- ۲۸۷
ذکر خروج المرکیش «۱» إلی صور ---- ۲۸۸

ذکر فتح عسقلان و ما یجاورها ---- ۲۸۸
ذکر فتح البلاد و الحصون المجاورة لعسقلان ---- ۲۸۹
ذکر فتح البیت المقدّس ---- ۲۸۹
ذکر رحیل صلاح الدین إلی صور و محاصرتها ---- ۲۹۲
ذکر الرحیل عن صور إلی عکّا و تفریق العساکر ---- ۲۹۴
ذکر فتح هونین ---- ۲۹۴
ذکر حصر صفد و کوکب و الکرک ---- ۲۹۵
ذکر الفتنة بعرفات و قتل ابن المقدّم ---- ۲۹۵
ذکر قوّة السلطان طغرل علی قزل ---- ۲۹۶
ذکر ملک شرستی «۱» من الهند و غیرها و انهزام المسلمین بعدها ---- ۲۹۶
ذکر عدّة حوادث ---- ۲۹۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۲۹۸

الكامل فى التاريخ المجلد ۱۱

اشارة

نام كتاب: الكامل فى التاريخ

نويسنده: ابن اثير جزرى

تاريخ وفات مؤلف: ۶۳۰ ق

موضوع: تاريخ عمومى

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱۳

ناشر: دار الصادر

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۱۳۸۵ ق / ۱۹۶۵ م

[تتمة من سنة سبع و عشرين و خمسمائة]

ذكر حصر المسترشد باللّه الموصل «۱»

فى هذه السنة (۵۲۷) حصر المسترشد باللّه مدينة الموصل فى العشرين من شهر رمضان، و سبب ذلك ما تقدم من قصد الشهيد زنكى بغداد على ما ذكرناه قبل. فلمّا كان الآن قصد جماعة من الأمراء السلجوقية باب المسترشد باللّه و صاروا معه فقوى بهم.

و اشتغل السلاطين السلجوقية بالخلف الواقع بينهم، فأرسل الخليفة الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الأسفراييني الواعظ إلى عماد الدين زنكى برسالة فيها خشونة و زادها أبو الفتوح زيادة ثقة بقوة الخليفة و ناموس الخلافة، فقبض عليه عماد الدين زنكى و أهانه و لقيه بما يكره، فأرسل المسترشد باللّه إلى السلطان مسعود يعرفه الحال الّذى جرى من زنكى و يعلمه أنه على قصد الموصل و حصرها، و تمادت الأيام إلى شعبان فسار عن بغداد فى النصف منه فى ثلاثين ألف مقاتل.

فلما قارب الموصل فارقها أتابك زنكى فى بعض عسكره و ترك الباقى بها

---

(۱).

V. loV bu. B atonrutiddaieall unoitceltirrucco medaeecidaeeuqor tunii

۷۴۰onatil oponitnatnocssib teA۰۴۷

subicidoCesernoi tceIsetnairavIIX teIXanimuIoVnI sinisiraP الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۶

مع نائبة نصير الدين جقر دزدارها و الحاكم فى دولته و أمرهم بحفظها، و نازلها الخليفة «۱» و قاتلها و ضيق على من بها، و أما عماد الدين فإنه سار إلى سنجار و كان يركب كل ليلة و يقطع الميرة عن العسكر و متى ظفر بأحد من العسكر أخذه و نكل به.

و ضاقت الأمور بالعسكر أيضا و تواطأ جماعة من الجصاصين بالموصل على تسليم البلد فسعى بهم فأخذوا و صلبوا.

و بقى الحصار على الموصل نحو ثلاثة أشهر و لم يظفر منها بشىء و لا بلغه عمن بها وهن و لا قلة ميرة و قوت، فرحل عنها عائدا إلى بغداد، فقيل إن نظر الخادم وصل إليه من عسكر السلطان و أبلغه عن السلطان مسعود ما أوجب مسيره و عوده إلى بغداد، و قيل بل

بلغه أن السلطان مسعودا عزم على قصد العراق فعاد بالجملة و أنه رحل عنها منحدرا فى شبارة فى دجلة فوصل إلى بغداد يوم عرفة.

ذكر ملك شمس الملوك مدينة حماة

و فى هذه السنة أيضا، فى شوال، ملك شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك صاحب دمشق مدينة حماة و قلعتها، و هى لأتابك زنكى بن آقسنقر أخذها من تاج الملوك كما ذكرناه. و لما ملك شمس الملوك قلعة بانيس أقام بدمشق إلى شهر رمضان من هذه السنة و سار منها إلى حماة فى العشر الأخير منه.

و سبب طمعه أنه بلغه أن المسترشد باللّه يريد [أن] يحصر الموصل «۲» فطمع، و كان الوالى بحماة قد سمع الخبر فتحصن و استكثر من الرجال و الذخائر، و لم

---

(۱) فى رمضانtsoPالخليفةA. dda

(۲). يتجهز ليحصر الموصل.

يبق أحد من أصحاب شمس الملوك إلا و أشار عليه بترك قصدها لقوة صاحبها، فلم يسمع منهم، و سار إليها و حصر المدينة و قاتل من بها يوم العيد، و زحف إليها من وقته، فتحصنوا منه و قاتلوه فعاد عنهم ذلك اليوم.

فلما كان الغد بكّر إليهم و زحف إلى البلد من جوانبه فملكه قهرا و عنوة، و طلب من به الأمان فأمنهم و حصر القلعة، و لم تكن فى الحصانة و العلو على ما هى عليه اليوم، فإن تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين قطع جبلها و عملها هكذا فى سنين كثيرة، فلما حصرها عجز «۱» الوالى بها عن حفظها فسلمها إليه، فاستولى عليها و على ما بها من ذخائر و سلاح و غير ذلك «۲»، و سار منها إلى قلعة شيزر و بها صاحبها من بنى منقذ فحصرها و نهب بلدها، فراسله صاحبها و صانعه بمال حمله إليه فعاد عنه إلى دمشق فوصل إليها فى ذى القعدة من السنة المذكورة

ذكر هزيمة صاحب طرابلس الفرنجى

و فى هذه السنة «۳» عبر إلى الشام جمع كثير من التركمان من بلاد الجزيرة، و أغاروا على بلاد طرابلس و غنموا و قتلوا كثيرا، فخرج القمص صاحب طرابلس فى جموعه فانزاح التركمان من بين يديه، فتبعهم فعادوا إليه و قاتلوه فهزموه و أكثروا القتل فى عسكره، و مضى هو و من سلم معه إلى قلعة بعرين فتحصنوا فيها و امتنعوا على التركمان، فحصرهم التركمان فيها. فلما طال الحصار عليهم نزل صاحب طرابلس و معه عشرون فارسا من أعيان أصحابه سرا فنجوا و ساروا إلى طرابلس و ترك الباقين «۴» فى بعرين يحفظونها، فلما وصل

---

(۱). فعجز.A

(۲). فى شوال.A

(۳). فى ذى الحجة.A

(۴). و جعل الباقين.A

إلى طرابلس كاتب جميع الفرنج فاجتمع عنده منهم خلق كثير و توجه بهم نحو التركمان ليرحلهم عن بعرين، فلما سمع التركمان

بذلک قصدوهم و التقوهم و قتل بینهم خلق کثیر و أشرف الفرنج علی الهزیمة، فحملوا نفوسهم و رجعوا علی حامیة إلی رفنیة فتعذر علی الترکمان اللحاق بهم إلی وسط بلادهم فعادوا عنهم

ذکر عدة حوادث

فی هذه السنة اشتری الإسماعیلیة «۱» بالشام حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون، و صعدوا إلیه و قاموا بحرب من یجاورهم «۲» من المسلمین و الفرنج و کانوا کلهم یکرهون مجاورتهم.

و فیها وقع الخلف بین الفرنج بالشام فقاتل بعضهم بعضا و لم تجر لهم بذلک عادة قبل هذه السنة و قتل بینهم جماعة.

و فیها، فی جمادی الآخرة، أغار الأمیر أسوار مقدم عسکر زنکی بحلب علی ولایة تل باشر فغنم الکثیر، فخرج إلیه الفرنج فی جمع کثیر فقاتلوه، فظفر بهم و أکثر القتل فیهم، و کان عدة القتلی نحو ألف قتیل، و عاد سالما.

و فیها، تاسع ربیع الآخر، وثب علی شمس الملوک صاحب دمشق بعض مماليک جدّه طغدکین، فضربه بسیف فلم یعمل فیه شیئا، و تکاثر علیه مماليک شمس الملوک فأخذوه و قرر ما الّذی حمله علی ما فعل فقال: أردت إراحة المسلمین من شرک و ظلمک، و لم یزل یضرب حتی أقر علی جماعة أنهم وضعوه

---

(۱) اشتری الباطنیة.A

(۲) من یحاربهمB

علی ذلک، فقتلهم شمس الملوک من غیر تحقیق، و قتل معهم أخاه سونج، فعظم ذلک علی الناس «۱» و نفروا عنه.

و فیها توفی الشیخ أبو الوفاء الفارسیّ، و کان له جنازة مشهودة حضرها أعیان بغداد.

و فیها، فی رجب، توفی القاضی أبو العباس أحمد بن سلامة بن عبد اللَّه ابن مخلد المعروف بابن الرطبی «۲» الفقیه الشافعیّ قاضی الکرخ، و تفقه علی أبی إسحاق و أبی نصر بن الصباغ، و سمع الحدیث و رواه، و کان قریبا من الخلیفة یؤدب أولاده.

و توفی أبو الحسین علی «۳» بن عبد اللَّه بن نصر المعروف بابن الزاغونی الفقیه الحنبلی الواعظ، و کان ذا فنون، توفی فی المحرم.

و توفی علی بن یعلی بن عوض بن القاسم الهروی العلویّ، کان واعظا، و له بخراسان قبول کثیر، و سمع الحدیث الکثیر، و محمد بن أحمد بن علی أبو عبد اللَّه العثمانی الدیباجی، و هو من أولاد محمد بن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان بن عفان. و کان محمد یلقب بالدیباج لحسنه، و أصله من مکة، و هو من أهل نابلس، و کان مغالیا فی مذهب الأشعری، و کان یعظ «۴». توفی فی صفر.

و فیها توفی أبو فلیتة أمیر مکة، و ولی الإمارة بعده ابنه القاسم.

و فیها «۵» توفی العزیز بن هبة اللَّه بن علی الشریف العلویّ الحسینی فجأة بنیسابور. و کان جده نقیب النقباء بخراسان. و عرض علی العزیز هذا نقابة

---

(۱) الناس عامةA

(۲) باین الفرسیA

(۳) أبو الحسن علیA

(۴). و کان یعظ.a .B mo

(۵). و فیها فی شعبان.B

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ١٠

العلويين بنيسابور فامتنع، و عرض عليه وزارة السلطان «١» فامتنع، و لزم الانقطاع و الاشتغال بأمر آخرته.

و فيها توفى قاضى قضاة خراسان أبو سعيد محمد بن أحمد بن صاعد، و كان خيّرا صالحا.

---

(١) السلطان سنجر.A

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ١١

٥٢٨ ثم دخلت سنة ثمان و عشرين و خمسمائة

ذكر ملك شمس الملوك شقيف تيرون «١» و نهبه بلد الفرنج

فى هذه السنة، فى المحرم، سار شمس الملوك إسماعيل من دمشق إلى شقيف تيرون «٢» و هو فى الجبل المطل على بيروت و صيدا، و كان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادى التيم، قد تغلب عليه و امتنع به، فتحاماه المسلمون و الفرنج، يحتمى «٣» على كل طائفة بالأخرى، فسار شمس الملوك إليه فى هذه السنة، و أخذه منه فى المحرم، و عظم أخذه على الفرنج لأن الضحاك كان لا يتعرض لشىء من بلادهم المجاورة له، فخافوا شمس الملوك، فشرعوا فى جمع عساكرهم، فلما اجتمعت ساروا إلى بلد حوران، فخربوا أمهات البلد، و نهبوا ما أمكنهم نبه نهبة [١] عظيمة.

و كان شمس الملوك، لما رآهم يجمعون، جمع هو أيضا و حشد [٢] و حضر عنده جمع كثير من التركمان و غيرهم، فنزل بإزاء الفرنج، و جرت بينهم مناوشة عدة أيام، ثم إن شمس الملوك نهض ببعض عسكره، و جعل الباقى قبالة الفرنج، و هم لا يشعرون، و قصد بلادهم طبرية و الناصرة و عكا و ما يجاورها من

---

[١] و نهبوا أماكنهم نهبة.

[٢] و حشدوا.

(١- ٢). شقيف بيروت.A

(٣). تحتمى.A

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ١٢

البلاد، فنهب و خرب و أحرق و أهلك أكثر البلاد و سبى النساء و الذرية، و امتلأت أيدى من معه من الغنائم، و اتصل الخبر بالفرنج، فانزعجوا، و رحلوا فى الحال لا يلوى أخ على أخيه و طلبوا بلادهم.

و أما شمس الملوك فإنه عاد إلى عسكره على غير الطريق الّذى سلكه الفرنج، فوصل سالما «١» و وصل الفرنج إلى بلادهم و رأوها خرابا ففت فى أعضادهم و تفرقوا، و راسلوا فى تجديد الهدنة فتم ذلك فى ذى القعدة للسنة.

ذكر عود الملك طغرل «٢» إلى الجبل و انهزام الملك مسعود

فى هذه السنة عاد الملك طغرل بن محمد بن ملك شاه ملك بلاد الجبل جميعها و أجلى عنها أخاه السلطان مسعودا.

و سبب ذلك أن مسعودا لما عاد من حرب أخيه بلغه عصيان داود ابن أخيه السلطان محمود بأذربيجان، فسار إليه و حصره بقلعة

رویین‌دز و کان قد تحصن بها و اشتغل بحصره، فجمع الملک طغرل العساکر و مال إلیه بعض الأمراء الذین مع السلطان مسعود و لم یزل یفتح البلاد، فکثرت عساکره و قصد مسعودا، فلما قارب قزوین سار مسعود نحوه، فلما تراءی العسکران فارق مسعودا من أمرائه من کان قد استماله طغرل فبقی فی قلة من العسکر، فولی منهزما أواخر رمضان.

و أرسل إلی المسترشد باللّه فی القدوم [إلی] بغداد، فأذن له، و کان نائبة بأصفهان البقش السلاحی، و معه الملک سلجوق شاه، فلما سمع بانهزام مسعود قصد بغداد أیضا، فنزل سلجوق شاه بدار السلطان، فأکرمه

---

(۱). فعاد سالما.B

(۲). طغرکeqibU

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۱۳

الخلیفة، و أنفذ إلیه عشرة آلاف دینار، ثم قصد مسعود بغداد و أکثر أصحابه رکاب جمال لعدم ما یرکبونه، و لقی فی طریقه شدة، فأرسل إلیه الخلیفة الدواب و الخیام و الآلات و غیرها من الأموال و الثیاب، فدخل «۱» الدار السلطانیة ببغداد منتصف شوال و أقام طغرل بهمذان.

ذکر حصر أتابک زنکی آمد و الحرب بینه و بین داود و ملک زنکی قلعة الصور

فی هذه السنة اجتمع أتابک زنکی صاحب الموصل و تمرتاش صاحب ماردین و قصدا مدینة آمد فحصراها، فأرسل صاحبها إلی داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن کیفا بسنجده، فجمع من أمکنه جمعه و سار نحو آمد لیرحلهما عنها، فالتقوا علی باب آمد «۲»، و تصافوا فی جمادی الآخرة، فانهزم داود، و عاد مفلولا، و قتل جماعة من عسکره.

و أقام زنکی و تمرتاش علی آمد محاصرین لها، و قطعا الشجر، و شعثا البلد و عادا عنها من غیر بلوغ غرض، فقصد زنکی قلعة الصور من دیار بکر و حصرها و ضایقها، فملکها فی رجب من هذه السنة، و اتصل به ضیاء الدین أبو سعید بن الکفرتوثی فاستوزره زنکی، و کان حسن الطریقة، عظیم الرئاسة و الکفایة، محبا للخیر و أهله.

---

(۱). و الآلات و الفرش و المال فدخل.A

(۲). آمد و تحاربوا.A

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۱۴

ذکر ملک زنکی قلاع الأکراد الحمیدیة

فی هذه السنة استولی عماد الدین زنکی علی جمیع قلاع الأکراد الحمیدیّة منها قلعة العقر و قلعة شوش و غیرهما «۱».

و کان لما ملک الموصل أقر صاحبها الأمیر عیسی الحمیدی علی ولایتها و أعمالها، و لم یعترضه علی شیء مما هو بیده، فلما حصر المسترشد الموصل حضر عیسی هذا عنده و جمع الأکراد عنده فأکثر، فلما رحل المسترشد عن الموصل أمر زنکی أن تحصر قلاعهم فحصرت مدة طویلة و قوتلت قتالا شدیدا إلی أن ملکت هذه السنة، فاطمأن إذا أهل سواد الموصل المجاورون لهؤلاء القوم فإنّهم کانوا معهم فی ضائقة کبیرة من نهب أموالهم و خراب البلاد.

ذکر ملک قلاع الهکاریة و کواشی

و حكى عن بعض العلماء من الأـكراد ممن له معرفة بأحوالهم أن أتابك زنكى لما ملك قلاع الحميدية و أجلاهم عنها خاف أبو الهيجاء بن عبد اللَّه صاحب قلعة أشب و الجزيرة و نوشى، فأرسل إلى أتابك زنكى من استحلفه له و حمل إليه مالا: و حضر عند زنكى بالموصل فبقى مدة ثم مات فدفن بتل توبة [١]. و لما سار عن أشب إلى الموصل أخرج ولده أحمد بن أبى الهيجاء

---

[١] توقة.

---

(١) و غيرهما و سبب ذلك أنه لما.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٥

منها خوفا أن يتغلب عليها، و أعطاه قلعة نوشى، و أحمد هذا هو والد على ابن أحمد المعروف بالمشطوب من أكابر أمراء صلاح الدين بن أيوب بالشام.

و لما أخرجه أبوه من أشب استناب بها كرديا يقال له بأو الأرجى. فلما مات أبو الهيجاء سار ولده أحمد بن نوشى إلى أشب ليملكها، فمنعه بأو، و أراد حفظها لولد صغير لأبى الهيجاء اسمه على، فسار زنكى بعسكره فنزل على أشب و ملكها.

و سبب ملكها أن أهلها نزلوا كلهم إلى القتال، فتركهم زنكى حتى قاربوه و استجرهم حتى أبعدوا عن القلعة ثم عطف عليهم فانهزموا، فوضع السيف فيهم، فأكثر القتل و الأسر، و ملك زنكى القلعة فى الحال و أحضر جماعة من مقدمى الأكراد فيهم بأو فقتلهم و عاد عنها إلى الموصل، ثم سار عنها، ففى غيبته أرسل نصير الدين جقر نائب زنكى و خرب أشب و خلى كهيجة و نوشى و قلعة الجلاب، و هى قلعة العماديّة، و أرسل إلى قلعة الشعبانىّ و فرح و كوشر و الزعفران و ألقى و نيروة، و هى حصون المهرانية، فحصرها فملك الجميع، و استقام أمر الجبل و الزوزان، و أمنت الرعايا من الأكراد.

و أما باقى قلاع الهكارية جل صورا، و هرور، و الملاسى، و مابرما و بابوخا و باكزا و نسباس، فإنّ قراجة صاحب العماديّة فتحها من مدّة طويلة بعد قتل زنكى، و قراجة هذا كان أميرا قد أقطعه زين الدين علىّ بلد الهكّاريّة بعد قتل زنكى، و لم أعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرته هاهنا.

و حكى غير هذا بعض فضلاء الأـكراد و خالف فيه فقال: إنّ زنكى لما فتح قلعة أشب و خرّبها و بنى قلعة العماديّة و لم يبق فى الهكّاريّة إلّا صاحب جلّ صورا و صاحب هرور، و لم يكن لهما [١] شوكة يخاف منها، عاد إلى الموصل،

- [١] لها.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٦

فخافه أصحاب القلاع الجبليّة، فاتّفق أنّ عبد اللَّه بن عيسى بن إبراهيم صاحب الربيّة و ألقى و فرح و غيرها توفّى و ملكها بعده ولده علىّ، و كانت والدته خديجة بنت الحسن أخت إبراهيم و عيسى، و هما من الأمراء، مع زنكى، و كانا بالموصل، فأرسلها ولدها علىّ إلى أخويها و طلبا له الأمان من زنكى و حلّفاه له ففعل، و نزل إلى خدمة زنكى و أقرّه على قلاعه و اشتغل زنكى بفتح قلاع الهكّاريّة، و كان الشعبانىّ بيد أمير من المهرانيّة اسمه الحسن بن عمر، فأخذه منه و قرّبه منه لكبره و قلّة أعماله.

و كان نصير الدين جقر يكره عليّا صاحب الربيّة و غيرها، فحسّن لزنكى القبض عليه، فأذن له فى ذلك، فقبض عليه ثمّ ندم زنكى على قبضه فأرسل إلى نصير الدين أن يطلقه فرآه قد مات، قيل إنّ نصير الدين قتله. ثمّ أرسل العسكر إلى قلعة الربيّة فنازلوها بغتة، فملكوها فى ساعة، و أسروا كلّ من بها من ولد علىّ و إخوته و أخواته، و كانت والدة علىّ خديجة غائبة فلم توجد، فلمّا سمع زنكى الخبر بفتح الربيّة سرّه، و أمر أن تسير العساكر إلى باقى القلاع التى لعلىّ، فسارت العساكر، فحصروها، فرأوها منيعة، فراسلهم زنكى و

وعدهم الإحسان، فأجابوه إلى التسليم على شرط أن يطلق كلّ من فى السجن منهم، فلم يجبهم إلى ذلك، إلّا أن يسلّموا أيضا قلعة كواشى، فمضت خديجة والدة علىّ إلى صاحب كواشى و اسمه خول و هارون و هو من المهرانيّة، فسألته النزول عن كواشى، فأجابها إلى ذلك، و تسلّم زنكى القلاع و أطلق الأسرى، فلم يسمع بمثل هذا، فقال ينزل من مثل كواشى لقول امرأة فإمّا أن يكون أعظم النّاس مروءة لا يرد من دخل بيته، و إمّا أن يكون أقلّ النّاس عقلا، و استقامت ولاية الجبال.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۷

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة أوقع الدانشمند صاحب ملطية بالفرنج الذين بالشام، فقتل كثيرا منهم و أسر كثيرا، و فيها اصطلح الخليفة و أتابك زنكى، و فيها، فى ربيع الأوّل، عزل شرف الدين أنوشروان بن خالد عن وزارة الخليفة، و فيها توفّيت أمّ المسترشد باللَّه، و فيها سيّر المسترشد عسكراً إلى تكريت فحصروا مجاهد الدين بهروز فصانع عنها بمال فعادوا عنه.

و فيها اجتمع جمع من العساكر السنجريّة مع الأمير أرغش و حصروا قلعة كردكوه بخراسان، و هى للإسماعيليّة، و ضيّقوا على أهلها و طال حصرها، و عدمت عندهم الأقوات، فأصاب أهلها تشنّج و كزاز، و عجز كثير منهم عن القيام فضلا عن القتال، فلمّا ظهرت أمارات الفتح رحل الأمير أرغش «۱» فقيل إنّهم حملوا إليه مالا كثيرا و أعلاقا نفيسة، فرحل عنهم.

و فيها توفّى الأمير سليمان بن مهارش العقيلىّ أمير بنى عقيل و ولى الإمارة بعده أولاده مع صغر سنّهم، و طيف بهم فى بغداد رعاية لحقّ جدّهم مهارش، فإنّه هو الّذى كان الخليفة القائم بأمر اللَّه عنده فى الحديثة لما فعل به البساسيرىّ ما ذكرنا.

و فيها، فى المحرّم، توفّى الفقيه أبو علىّ الحسن بن إبراهيم بن فرهون «۲» الشافعىّ الفارقىّ، و مولده بميافارقين سنة ثلاث و ثلاثين و أربعمائة، و تفقّه بها على أبى عبد اللَّه الكازرونى، فلمّا توفّى الكازرونى انحدر إلى بغداد و تفقّه على أبى إسحاق الشيرازى و أبى نصر الصبّاغ، و ولى القضاء بواسط، و كان خيّرا فاضلا لا يوارى و لا يجابى أحدا فى الحكم.

---

(۱). أرغش عنهم.A

(۲). بن برهون الفارقىّ قاضى واسط.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۸

و فيها توفّى عبد [اللَّه] بن محمّد بن أحمد بن الحسن أبو محمّد بن أبى بكر الفقيه الشافعىّ، تفقّه على أبيه و أفتى و ناظر، و كان يعظ و يكثر فى كلامه من التجانس، فمن ذلك قوله: أين القدود العالية، و الخدود الورديّة، ملئت بها و اللَّه العالية و الورديّة، و هما مقبرتان بنهر المعلّى، و من شعره:

الدمع دما يسيل من أجفانىإن عشت مع البكا فما أجفانى

سجنى شجنى و همّنى سمّانىالعاذل بالملام قد سمّانى «۱»

و الذّكر لهم يزيد فى أشجانىو النّوح مع «۲»الحمام قد أشجانى

ضاقت ببعاد منيتى أعطانىو البين يد «۳»الهموم قد أعطانى و فيها توفى ابن أبى الصّلت الشاعر، و من شعره يذمّ ثقيلا:

لى صديق «۴»عجبت كيف استطاعتهذه الأرض و الجبال تقلّه

أنا أرعاه مكرما و بقلبىمنه ما ينسف الجبال أقلّه

هو مثل المشيب أكره رؤياهو لكن أصونه و أجلّه و له أيضا:

ساد صغار الناس فى عصرنالا دام من عصر و لا كانا

كالـدّست مهما همّ أن ينقضـى‌صار به البيـذق فرزانا و فيها توفّى محمّد بن علىّ بن عبد الوهّاب «۵» أبو رشـيد الفقيه الشافعىّ من أهل طبرسـتان، و سـمع الحـديث أيضا و رواه، و كان زاهدا عابدا أقام بجزيرة فى البحر سـنين منفردا يعبد اللّه، سـبحانه و تعالى، و عاد إلى آمل فتوفّى فيها و قبره يزار.

---

(۱). شجانى.B، و همتى سجانى.A

(۲). و النوم مع.B

(۳). و البين مد.B

(۴). لى ثقيل.B، لى جليس.A

(۵). عبد الواحد.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۹

۵۲۹ ثم دخلت سنة تسع و عشرين و خمسمائة

ذكر وفاة الملك طغرل و ملك مسعود بلد الجبل

قد ذكرنا قدوم السلطان مسعود إلى بغداد منهزما من أخيه الملك طغرل بن محمد، فلما وصل إلى بغداد أكرمه الخليفة و حمل إليه ما يحتاج إليه مثله، و أمره بالمسير إلى همذان و جمع العساكر و منازعة أخيه طغرل فى السلطنة و البلاد، و مسعود يعد و يدافع الأيام، و الخليفة يحثه على ذلك، و وعده أن يسير معه بنفسه، و أمر أن تبرز خيامه إلى باب الخليفة و كان قد اتصل الأمير البقش السلاحى و غيره من الأمراء بالخليفة، و طلبوا خدمته، فاستخدمهم و اتفق معهم. و اتفق أن إنسانا أخذ فوجد معه ملطفات من طغرل إلى هؤلاء الأمراء و خاتمه بالإقطاع لهم، فلما رأى الخليفة ذلك قبض على أمير منهم اسمه أغلبك و نهب ماله، فاستشعر غيره من الأمراء الذين مع الخليفة، فهربوا إلى عسكر السلطان مسعود، فأرسل الخليفة إلى مسعود فى أعادتم إليه، فلم يفعل و احتج بأشياء، فعظم ذلك على الخليفة و حدث بينهما وحشة أوجبت تأخره عن المسير معه، و أرسل إليه يلزمه بالمسير معه أمرا جزما، فبينما الأمر على هذا إذ جاءه الخبر بوفاة أخيه طغرل، و كانت وفاته فى المحرم من هذه السنة، و كان مولده سنة ثلاث و خمسمائة فى المحرم، و كان خيرا عاقلا عادلا قريبا إلى الرعية محسنا إليها، و كان قبل موته قد خرج من داره يريد السفر إلى أخيه السلطان مسعود، فدعا له الناس، فقال:

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۰

ادعوا بخيرنا للمسلمين و لما توفى و وصل الخبر إلى مسعود سار من ساعته نحو همذان، و أقبلت العساكر جميعها إليه، و استوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد، و كان قد خرج فى صحبته هو و أهله، و وصل مسعود إلى همذان و استولى عليها و أطاعته البلاد جميعها و أهلها.

ذكر قتل شمس الملوك و ملك أخيه

فى هذه السنة، رابع عشر ربيع الآخر، قتل شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بورى بن طغد كين صاحب دمشق، و سبب قتله أنه ركب طريقا شنيعا من الظلم و مصادرات العمال و غيرهم من أعمال البلد، و بالغ فى العقوبات لاستخراج الأموال، و ظهر منه بخل زائد و دناءة نفس بحيث أنه لا يأنف من أخذ الشىء الحقير بالعدوان، إلى غير ذلك من الأخلاق الذميمة و كرهه أهله و أصحابه و رعيته.

ثم ظهر عنه أنه كاتب عماد الدين زنكى يسلم إليه دمشق و يحثه على سرعة الوصول، و أخلى المدينة من الذخائر و الأموال، و نقل الجميع إلى صرخد، و تابع الرسل إلى زنكى يحثه على الوصول إليه و يقول له: إن أهملت المجيء سلمتها إلى الفرنج، فسار زنكى، فظهر الخبر بذلك فى دمشق فامتعض أصحاب أبيه و جده لذلك و أقلقهم، و أنهوا الحال لوالدته فساءها و أشفقت منه، و وعدتهم بالراحة من هذا الأمر.

ثم إنها ارتقبت الفرصة فى الخلوة من غلمانه، فلما رأته على ذلك أمرت غلمانها بقتله فقتل، و أمرت بإلقائه فى موضع من الدار ليشاهده غلمانه

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢١

و أصحابه، فلمّا رأوه قتيلا سرّوا لمصرعه و بالراحة من شرّه.

و كان مولده ليلة الخميس سابع جمادى الآخرة سنة ست و خمسمائة، و قيل كان سبب قتله أنّ والده كان له حاجب اسمه يوسف بن فيروز و كان متمكنا منه حاكما فى دولته، ثم فى دولة شمس الملوك بعده، فاتّهم بأم شمس الملوك، و وصل الخبر إليه بذلك فهمّ بقتل يوسف فهرب منه إلى تدمر، و تحصّن بها، و أظهر الطاعة لشمس الملوك، فأراد قتل أمّه، فبلغها الخبر فقتلته خوفا منه، و اللّه أعلم.

و لما قتل ملك بعده أخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى و جلس فى منصبه و حلف له النّاس كلّهم و استقر فى الملك، و اللّه أعلم.

ذكر حصر أتابك زنكى دمشق

فى هذه السنة حصر أتابك زنكى دمشق، و كان نزوله عليها أول جمادى الأولى، و سببه ما ذكرنا من إرسال شمس الملوك صاحبها إليه و استدعائه ليسلمها إليه، فلما [وصلت] كتبه و رسله بذلك سار إليها، فقتل شمس الملوك قبل وصوله، و لما عبر الفرات [١] أرسل إليه رسلا فى تقرير قواعد التسليم، فرأوا الأمر قد فات إلا أنهم أكرموا و أحسن إليهم و أعيدوا «١» بأجمل جواب، و عرف زنكى قتل شمس الملوك، و أن القواعد عندهم مستقرة لشهاب الدين، و الكلمة متفقة على طاعته، فلم يحفل زنكى بهذا الجواب،

---

[١] الفراة.

---

(١). و أعيد.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٢

و سار إلى دمشق فنازلها، و أجفل أهل السواد إلى دمشق، و اجتمعوا فيها على محاربته.

و نزل أولا- شماليها ثم انتقل إلى ميدان الحصار، و زحف و قاتل، فرأى قوة ظاهرة و شجاعة عظيمة و اتفاقا تاما على محاربته، و قام معين الدين أنز مملوك جده طغدكين فى هذه الحادثة بدمشق قياما مشهودا، و ظهر من معرفته بأمور الحصار و القتال و كفايته ما لم ير و ما كان سبب تقدمه و استيلائه على الأمور بأسرها، على ما نذكر إن شاء اللّه تعالى.

فبينما هو يحاصرها وصل رسول الخليفة المسترشد باللّه و هو أبو بكر بن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر بخلع لأتابك زنكى، و يأمره بمصالحة صاحب دمشق الملك ألب أرسلان محمود الّذى مع أتابك زنكى، فرحل عنها لليلتين بقيتا من جمادى الأولى من السنة المذكورة.

ذكر قتل حسن بن الحافظ

قد ذكرنا سنة ست و عشرين و خمسمائة أن الحافظ لدين اللّه صاحب مصر استوزر ابنه حسنا، و خطب له بولاية العهد، فبقى إلى هذه السنة و مات مسموما، و سبب ذلك أن أباه الحافظ استوزره و كان جريئا على سفك الدماء، و كان فى نفس الحافظ على الأمراء الذين أعانوا أبا على بن الأفضل «۱» حقد، و يريد الانتقام منهم من غير أن يباشر ذلك بنفسه، فأمر ابنه حسنا بذلك، فتغلب على الأمر جميعه، و استبد به، و لم يبق لأبيه معه حكم، و قتل من الأمراء المصريين و من أعيان البلاد أيضا حتى إنه قتل فى ليلة واحدة أربعين أميرا.

---

(۱). أعانوا على ابن الأفضل.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۳

فلما رأى أبوه تغلبه عليه أخرج له خادما من خدم القصر الأكابر، فجمع الجموع و حشد من الرجالة خلقا كثيرا، و تقدم إلى البلد، فأخرج إليهم حسن جماعة من خواصه و أصحابه، فقاتلوهم، فانهزم الخادم و قتل من الرجالة الذين معه خلق كثير، و عبر الباقون إلى بر الجزيرة، فاستكان الحافظ، فصبر تحت الحجر. ثم إن الباقين من الأمراء المصريين اجتمعوا و اتفقوا على قتل حسن، و أرسلوا إلى أبيه الحافظ و قالوا له: إما أنك تسلم ابنك إلينا لنقتله أو نقتلكما جميعا، فاستدعى ولده إليه و احتاط عليه، و أرسل إلى الأمراء بذلك، فقالوا، لا نرضى إلا بقتله. فرأى أنه إن سلمه إليهم طمعوا فيه و ليس إلى إبقائه سبيل، فأحضر طبيبين كانا له أحدهما مسلم و الآخر يهودى، فقال لليهودى: نريد سما نسقيه لهذا الولد ليموت و نخلص من هذه الحادثة. فقال: أنا لا أعرف غير النقوع و ماء الشعير و ما شاكل هذا من الأدوية. فقال: أنا أريد ما أخلص به من هذه المصيبة. فقال له: لا أعرف شيئا. فأحضر الطبيب المسلم و سأله عن ذلك، فصنع له شيئا فسقاه الولد فمات لوقته، فأرسل الحافظ إلى الجند يقول لهم: إنه قد مات. فقالوا: نريد [أن] ننظر إليه، فأحضر بعضهم عنده فرأوه و ظنوه قد عمل حيلة، فجرحوا أسافل رجليه فلم يجر منها دم، فعلموا موته و خرجوا.

و دفن حسن و أحضر الحافظ الطبيب المسلم و قال له: ينبغى أن تخرج من عندنا من القصر، و جميع ما لك من الإنعام و الجامكية باق عليك، و أحضر اليهودى و زاده و قال له: أعلم أنك تعرف ما طلبته منك و لكنك عاقل فتقيم فى القصر عندنا.

و كان حسن سيّئ السيرة ظالما جريئا على سفك الدماء و أخذ الأموال، فهجاه الشعراء، فمن ذلك ما قال المعتمد بن الأنصارى صاحب الترسل المشهور:

لم تأت يا حسن بين الورى حسناو لم تر الحق فى دنيا و لا دين

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۴ قتل النفوس بلا جرم و لا سببو الجور فى أخذ أموال المساكين

لقد جمعت بلا- علم و لا- أدب‌تيه الملوك و أخلاق المجانين و قيل إن الحافظ لما رأى ابنه تغلب على الملك وضع عليه من سقاه السم فمات، و اللّه أعلم.

و لما مات حسن استوزر الحافظ الأمير تاج الدولة بهرام، و كان نصرانيا، فتحكم و استعمل الأرمن على الناس، فاستذلوا المسلمين، و سيأتى ذكر ذلك سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة إن شاء اللّه تعالى.

ذكر مسير المسترشد إلى حرب السلطان مسعود و انهزامه

فى هذه السنة كانت الحرب بين الخليفة المسترشد باللّه و بين السلطان مسعود فى شهر رمضان، و سبب ذلك أن السلطان مسعودا لما سافر من بغداد إلى همذان، بعد موت أخيه طغرل، و ملكها، فارقه جماعة من أعيان الأمراء منهم يرنقش بازدار و قزل آخر «۱» و سنقر

الخمارتكين و الى همذان، و عبد الرحمن بن طغايرك، و غيرهم، خائفين منه، مستوحشين، و معهم عدد كثير و انضاف إليهم دبيس بن صدقة. و أرسلوا إلى الخليفة يطلبون منه الأمان ليحضروا خدمته، فقيل له: إنها مكيدة لأن دبيسا معهم، و ساروا نحو خوزستان، و اتفقوا مع برسق بن برسق، فأرسل الخليفة إليهم سديد الدولة ابن الأنبارى بتوقيعات إلى الأمراء المذكورين بتطييب نفوسهم و الأمر بحضورهم.

---

(۱). آخر.A mo

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۵

و كان الأمراء المذكورون قد عزموا على قبض دبيس و التقرب إلى الخليفة بحمله إليه، فبلغه ذلك فهرب إلى السلطان مسعود. و سار الأمراء إلى بغداد فى رجب، فأكرمهم الخليفة و حمل إليهم الإقامات و الخلع، و قطعت خطب «۱» السلطان مسعود من بغداد، و برز الخليفة فى العشرين من رجب على عزم المسير إلى قتال مسعود و أقام فى الشفيعى «۲»، فعصى عليه بكبه «۳» صاحب البصرة فهرب إليها، فراسله و بذل له الأمان فلم يعد إليه.

و تريث الخليفة عن المسير و هؤلاء الأمراء يحسنون له الرحيل، و يسهلون عليه الأمر، و يضعفون عنده أمر السلطان مسعود، فسير مقدمته إلى حلوان فنهبوا البلاد، و أفسدوا و لم ينكر عليهم أحد شيئا، ثم سار الخليفة ثامن شعبان و لحق به فى الطريق الأمير برسق بن برسق «۴» فبلغت عدتهم سبعة آلاف فارس، و تخلف بالعراق مع إقبال خادم المسترشد باللَّه ثلاثة آلاف فارس.

و كان السلطان مسعود بهمذان فى نحو ألف و خمس مائة فارس، و كان أكثر أصحاب الأطراف يكاتبون الخليفة و يبذلون له الطاعة، فتريث فى طريقه، فاستصلح السلطان مسعود أكثرهم حتى صاروا فى نحو خمسة عشر ألف فارس، و تسلل جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتى بقى فى خمسة آلاف، و أرسل أتابك زنكى نجدة فلم تلحق.

و أرسل الملك داود ابن السلطان محمود و هو بأذربيجان إلى الخليفة يشير بالميل إلى الدينور ليحضر بنفسه و عسكره، فلم يفعل المسترشد ذلك و سار حتى بلغ دايمرج، و عبأ أصحابه، فجعل فى الميمنة يرنقش بازدار و نور الدولة سنقر و قزل آخر و برسق بن برسق، و جعل فى الميسرة جاولى

---

(۱). خطبة.A

(۲). السفيعى: P .C.۷۴۰

(۳) بلبه:spU، بكته. P .C.۷۴۰

coH.(۴)

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۶

و برسق شراب سلار و أغلبك الّذى كان الخليفة قد قبض عليه و أخرجه من محبسه.

و لما بلغ السلطان مسعودا خبرهم سار إليهم مجدا، فواقعهم بدايمرج «۱» عاشر رمضان، و انحازت ميسرة الخليفة مخامرة عليه إلى السلطان مسعود فصارت معه، و اقتتلت ميمنته و ميسرة السلطان قتالا ضعيفا، و دار به عسكر السلطان و هو ثابت لم يتحرك من مكانه، و انهزم عسكره و أخذ هو أسيرا و معه جمع كثير من أصحابه منهم الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبى و قاضى القضاة و صاحب المخزن ابن طلحة، و ابن الأنبارى و الخطباء و الفقهاء و الشهود و غيرهم، و أنزل الخليفة فى خيمة و غنموا ما فى معسكره و كان كثيرا فحمل الوزير و قاضى القضاة و ابن الأنبارى و صاحب المخزن و غيرهم من الأكابر إلى قلعة سرجهان، و باعوا الباقين بالثمن الطفيف، و لم يقتل فى هذه المعركة أحد و هذا من أعجب ما يحكى.

و عاد السلطان إلى همذان و أمر فنودى: من تبعنا إلى همذان من البغداديين قتلناه، فرجع الناس كلهم على أقبح حالة لا يعرفون طريقا و ليس معهم ما يحملهم، و سير السلطان الأمير بك أبه «٢» المحمودى إلى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان و معه عبيد، فقبضوا جميع أملاك الخليفة و أخذوا غلاتها.

و ثار جماعة من عامة بغداد، فكسروا المنبر و الشباك، و منعوا من الخطبة، و خرجوا إلى الأسواق يحشون التراب على رءوسهم و يبكون و يصيحون، و خرج النساء حاسرات فى الأسواق يلطمن، و اقتتل أصحاب الشحنة و عامة بغداد فقتل من العامة ما يزيد على مائة و خمسين قتيلا، و هرب الوالى و حاجب الباب.

---

(١). بدايمرج.A .mo

(٢) بك ايه:C. P .spU٠۴vte

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٧

و أما السلطان فإنه سار فى شوال من همذان إلى مراغة لقتال الملك داود ابن أخيه محمود، و كان قد عصى عليه، فنزل على فرسخين من مراغة، و المسترشد معه، فترددت الرسل بين الخليفة و بين السلطان فى الصلح، فاستقرت القاعدة على «١» ما نذكره إن شاء اللَّه، و اللَّه الموفق.

ذكر قتل المسترشد باللَّه و خلافة الراشد باللَّه

لما قبض المسترشد باللَّه أبو «٢» منصور بن الفضل بن المستظهر باللَّه أبى العباس أحمد، على ما ذكرناه، أنزله السلطان مسعود فى خيمة، و وكل به من يحفظه، و قام بما يجب من الخدمة، و ترددت الرسل بينهما فى الصلح و تقرير القواعد على مال يؤديه الخليفة، و أن لا يعود يجمع العساكر و أن لا يخرج من داره. فأجاب السلطان إلى ذلك، و أركب الخليفة و حمل الغاشية بين يديه و لم يبق إلا أن يعود إلى بغداد. فوصل الخبر أن الأمير قرآن خوان قد قدم رسولا من السلطان سنجر، فتأخر مسير المسترشد لذلك، و خرج الناس و السلطان مسعود إلى لقائه، و فارق الخليفة بعض من كان موكلا به، و كانت خيمته منفردة عن العسكر، فقصده أربعة و عشرون رجلا من الباطنية و دخلوا عليه فقتلوه، و جرحوه ما يزيد على عشرين جراحة، و مثلوا به فجدعوا أنفه و أذنيه و تركوه عريانا، و قتل معه نفر من أصحابه منهم أبو عبد اللَّه بن سكينة، و كان قتله يوم الخميس سابع عشر ذى القعدة على باب مراغة، و بقى حتى دفنه أهل مراغة.

و أما الباطنية فقتل منهم عشرة، و قيل: بل قتلوا جميعهم، و اللَّه أعلم.

---

(١). عليه على.A

(٢).uqessosrevأحمدdaeuqsuأبوbaedni .mO

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٨

و كان عمره لما قتل ثلاثا و أربعين سنة و ثلاثة أشهر، و كانت خلافته سبع عشرة سنة و ستة أشهر و عشرين يوما. و أمه أم ولد، و كان شهما شجاعا، كثير الإقدام، بعيد الهمة، و أخباره المذكورة تدل [١] على ما ذكرناه. و كان فصيحا بليغا حسن الخط، و لقد رأيت خطه فى غاية الجودة و رأيت أجوبته على الرقاع من أحسن ما يكتب و أفصحه.

و لما قتل المسترشد باللَّه بويع ولده أبو جعفر المنصور، و لقب الراشد باللَّه، و كان المسترشد قد بايع له بولاية العهد فى حياته، و جددت له البيعة بعد قتله يوم الاثنين السابع و العشرين من ذى القعدة، و كتب السلطان مسعود إلى بك أبه «١» الشحنة ببغداد فبايع له،

و حضر الناس البيعة، و حضر بيعته أحد و عشرون رجلا من أولاد الخلفاء، و بايع له الشيخ أبو النجيب، و وعظه، و بالغ فى الموعظة. و أما جمال الدولة إقبال فإنه كان ببغداد فى طائفة من العسكر، فلما جرت هذه الحادثة عبر إلى الجانب الغربى، و أصعد إلى تكريت و راسل مجاهد الدين بهروز، و حلفه و صعد إليه بالقلعة.

ذكر مسير السلطان سنجر إلى غزنة و عوده عنها

فى هذه السنة، فى ذى القعدة، سار السلطان سنجر من خراسان إلى غزنة، و سبب ذلك أنه نقل إليه عن صاحبها بهرام شاه أنه تغير عن طاعته، و أنه قد مد يده إلى ظلم الرعايا و اغتصاب أموالهم.

---

[١] ترى.

---

(١) بدابة:spU٠۴vte .P .C

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٩

و كان السلطان سنجر هو الّذى ملك غزنة، و قد ذكرناه سنة تسع و خمسمائة، فلما سمع هذا الأخبار المزعجة سار إلى غزنة ليأخذها أو يصلحه، فلما سلك الطريق و أبعد أدركهم شتاء شديد البرد، كثير الثلج، و تعذرت عليهم الأقوات و العلوفات، فشكا العسكر إلى السلطان ذلك و ذكروا له ما هم فيه من الضيق و تعذر ما يحتاجون إليه، فلم يجدوا عنده غير التقدم أمامه، فلما قارب غزنة أرسل بهرام شاه رسلا يضرع إلى سنجر و يسأل الصفح عن جرمه، و العفو عن ذنبه، فأرسل إليه سنجر المقرب جوهرا الخادم، و هو أكبر أمير عنده، و من جملة أقطاعه مدينة الرى، فى جواب رسالته يجيبه عن العفو عنه إن حضر عنده و عاد إلى طاعته، فلما وصل إلى بهرام شاه أجابه إلى ما طلب منه من الطاعة و حمل المال و الحضور بنفسه فى خدمته، و أظهر من الطاعة و الانقياد لما يحكم به السلطان سنجر شيئا كثيرا.

و عاد المقرب جوهر و معه بهرام شاه إلى سنجر، فسبقه المقرب إلى السلطان سنجر و أعلمه بوصول بهرام شاه، و أنه بكرة غد يكون عنده، و عاد المقرب إلى بهرام شاه ليجىء بين يديه، و ركب سنجر من الغد فى موكبه لتلقيه، و تقدم بهرام شاه و معه المقرب إلى سنجر، فلما عاين موكب سنجر و الجتر على رأسه نكص على عقبيه عائدا، فأمسك المقرب عنانه و قبح فعله، و خوفه عاقبة ذلك، فلم يرجع و ولى هاربا و لم [١] يصدق بنجاته ظنا منه أن سنجر يأخذه و يملك بلده، و تبعه طائفة من أصحابه و خواصه، و لم يعرج على غزنة، و سار سنجر إلى غزنة فدخلها و ملكها و احتوى على ما فيها و جبى أموالها، و كتب إلى بهرام شاه كتابا يلومه على ما فعله و يحلف له أنه ما أراد به سوءا، و لا له فى بلده مطمع، و لا هو ممن يكدر صنيعته و تعقب حسنته معه بسيئة، و إنما قصده لإصلاحه، فأعاد بهرام شاه الجواب يعتذر و يتنصل و يقول إن الخوف

- [١] و لا.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٠

منعه من الحضور، و لا لوم على من خاف مثل السلطان، و يضرع فى عوده إلى الإحسان، فأجابه سنجر إلى إعادة بلده إليه و فارق غزنة عائدا إلى بلاده فوصل إلى بلخ فى شوال سنة ثلاثين و خمسمائة و استقر ملك غزنة لبهرامشاه و رجع إليها مالكا لها و مستوليا عليها.

ذكر قتل دبيس بن صدقة بالتأريخ

فى هذه السنة قتل السلطان مسعود دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر خونج، أمر غلاما أرمنيا بقتله، فوقف على رأسه و هو ينكت الأرض بإصبعه، فضرب رقبته و هو لا يشعر، و كان ابنه صدقة بالحلة، فاجتمع إليه عسكر أبيه و مماليكه، و كثر جمعه و استأمن إليه الأمير قتلغ تكين، و أمر السلطان مسعود بك أبه «۱» أن يأخذ الحلة، فسار بعض عسكره إلى المدائن، و أقاموا مدة ينتظرون لحاق بك أبه «۲» بهم فلم يسر إليهم جبنا و عجزا عن قصد الحلة لكثرة العسكر بها مع صدقة. و بقى صدقة بالحلة إلى أن قدم السلطان مسعود إلى بغداد سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة فقصده و أصلح حاله معه و لزم خدمته.

و مثل هذه الحادثة تقع كثيرا و هى قرب موت المتعاديين، فإن دبيسا كان يعادى المسترشد باللَّه و يكره خلافته، و لم يكن يعلم أن السلاطين إنما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقاومة المسترشد، فلما زال السبب زال المسبب، و اللَّه أعلم بذلك.

(۱- ۲). بدابة:spU۰۴vte .P .C

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۱

ذكر حصر عسكر يحيى المهدية

فى هذه السنة سير يحيى بن العزيز بن حماد صاحب بجاية عسكرا ليحصروا المهدية، و بها صاحبها الحسن بن على بن تميم بن المعز بن باديس، و كان سبب ذلك أن الحسن أحب ميمون بن زياد أمير طائفة كبيرة من العرب، و زاده على سائر العرب، فحسده العرب فسار أمراؤها إلى يحيى بن العزيز بأولادهم، و جعلوهم رهائن عنده، و طلبوا منه أن يرسل معهم عسكرا ليملكوا له المهدية، فأجابهم إلى ذلك و هو متباطئ. فاتفق أنه وصله كتب من بعض مشايخ المهدية بمثل ذلك، فوثق بما [۱] أتاه و سير عسكرا كثيفا و استعمل عليهم قائدا كبيرا من فقهاء أصحابه يقال له مطرف بن حمدون.

و كان يحيى هذا هو و آباؤه يحسدون أولاد المنصور أبى الحسن هذا، فسارت العساكر الفارس و الراجل و معهم من العرب جمع كثير حتى نزلوا على المهدية و حصروها برا و بحرا. و كان مطرف يظهر التقشف و التورع عن الدماء، و قال: إنما أتيت الآن لأتسلم البلد بغير قتال، فخاب ظنه، فبقى أياما لا يقاتل، ثم إنهم باشروا القتال فظهر أهل المهدية عليهم و أثروا فيهم، و توالى القتال و فى كل ذلك الظفر لأهل البلد، و قتل من الخارجين جم غفير.

و جمع مطرف عسكره و زحف برا و بحرا لما يئس من التسليم، و قاتل أشد قتال، فملكت شوانيه شاطئ البحر، و قربوا من السور، فاشتد الأمر، فأمر الحسن بفتح الباب من الشاطئ و خرج أول الناس، و حمل هو و من معه عليهم و قال: أنا الحسن! فلما سمع من يقاتله دعواه سلموا عليه،

---

[۱] إلى ما.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۲

و انهزموا عنه إجلالا له، ثم أخرج الحسن شوانيه تلك الساعة من الميناء، فأخذ من تلك الشوانى أربع قطع، و هزم الباقى.

ثم وصلته نجدة من رجار الفرنجى، صاحب صقلّية، فى البحر، فى عشرين قطعة، فحصرت شوانى صاحب بجاية، فأمرهم الحسن بإطلاقها فأطلقوها، ثم وصل ميمون بن زياد فى جمع كثير من العرب لنصرة الحسن، فلما رأى ذلك مطرف و أن النجدات تأتى الحسن فى البر و البحر، علم أنه لا طاقة له بهم، فرحل عن المهدية خائبا، و أقام رجار الفرنجى مظهرا للحسن أنه مهادنه و موافقة و هو مع ذلك يعمر الشوانى و يكثر عددها.

ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة جربة

كانت جزيرة جربة من بلاد إفريقية قد استوت فى كثرة عمارتها و خيراتها، غير أن أهلها طغوا فلا يدخلون تحت طاعة سلطان، و يعرفون بالفساد و قطع الطريق، فخرج إليها جمع من الفرنج، أهل صقلّيّة، فى أسطول كثير و جم غفير، فيه من مشهورى فرسان الفرنج جماعة، فنزلوا بساحتها و أداروا المراكب بجهاتها.

و اجتمع أهلها و قاتلوا قتالا شديدا، فوقع بين الفريقين حرب شديدة، فثبت أهل جربة، فقتل منهم بشر كثير، فانهزموا و ملك الفرنج الجزيرة، و غنموا أموالها و سبوا نساءها و أطفالها، و هلك أكثر رجالها، و من بقى منهم أخذوا لأنفسهم أمانا من رجار ملك صقلّيّة، و افتكوا أسراهم و سبيهم و حريمهم، و اللَّه أعلم بذلك.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۳

ذكر ملك الفرنج حصن روطة من بلاد الأندلس

فى هذه السنة اصطلح المستنصر باللَّه بن هود و السليطين الفرنجى صاحب طليطلة من بلاد الأندلس مدّة عشر سنين. و كان السليطين قد أدمن غزو بلاد المستنصر و قتاله، حتى ضعف المستنصر عن مقاومته لقلّة جنوده و كثرة الفرنج، فرأى أن يصالحه مدّة يستريح فيها هو و جنوده، و يعتدون للمعاودة، فترددت الرسل بينهم، فاستقر الصلح على أن يسلم المستنصر إلى السليطين حصن روطة من الأندلس، و هو من أمنع الحصون و أعظمها، فاستقرت القاعدة و اصطلحوا و تسلم منه الفرنج الحصن، و فعل المستنصر فعلة لم يفعلها قبله أحد.

ذكر حصن ابن ردمير مدينة أفراغة و هزيمته و موته

و فى هذه السنة حصر ابن ردمير الفرنجى مدينة أفراغة من شرق الأندلس.

و كان الأمير يوسف بن تاشفين بن على بن يوسف بمدينة قرطبة، فجهز الزبير بن عمرو اللمتونى والى قرطبة و معه ألفا فارس و سير معه ميرة كثيرة الى أفراغة.

و كان يحيى بن غانية، الأمير المشهور، أمير مرسية و بلنسية من شرق الأندلس و والى أمرها لأمير المسلمين على بن يوسف، فتجهز فى خمس مائة فارس، و كان عبد اللَّه بن عياض صاحب مدينة لاردة، فتجهز فى مائتى فارس، فاجتمعوا و حملوا الميرة و ساروا حتى أشرفوا على مدينة أفراغة، و جعل الزبير الميرة أمامة و ابن غانية أمام الميرة، و ابن عياض أمام ابن غانية، و كان شجاعا بطلا و كذلك جميع من معه.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۴

و كان ابن ردمير فى اثنى عشر ألف فارس، فاحتقر جميع الواصلين من المسلمين، فقال لأصحابه: اخرجوا و خذوا هذه الهدية التى أرسلها المسلمون إليكم، و أدركه العجب، و نفذ قطعة كبيرة من جيشه. فلما قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض و كسرهم، و ردّ بعضهم على بعض، و قتل فيهم، و التحم القتال، و جاء ابن ردمير بنفسه و عساكره جميعها مدلّين بكثرتهم و شجاعتهم، فحمل ابن غانية و ابن عياض فى صدورهم و استحر الأمر بينهم و عظم القتال فكثر القتل فى الفرنج، و خرج فى الحال أهل أفراغة ذكرهم و أنثاهم، صغيرهم و كبيرهم، إلى خيام الفرنج، فاشتغل الرجال بقتل من وجدوا فى الملخم، و اشتغل النساء بالنهب، و فحمل جميع ما فى المخيم إلى المدينة من قوت و عدد و آلات و سلاح و غير ذلك.

و بينما المسلمون و الفرنج فى القتال إذ وصل إليهم الزبير فى عسكره فانهزم ابن ردمير و ولى هاربا و استولى القتل على جميع عسكره

فلم يسلم منهم إلا القليل، و لحق ابن ردمير بمدينة سرقسطة، فلما رأى ما قتل من أصحابه مات مفجوعا بعد عشرين يوما من الهزيمة، و كان أشد ملوك الفرنج بأسا، و أكثرهم تجردا لحرب المسلمين، و أعظمهم صبرا، كان ينام على طارقته بغير وطاء، و قيل له: هلّا تسرّيت من بنات أكابر المسلمين اللاتى سبيت؟

فقال: الرجل المحارب ينبغى أن يعاشر الرجال لا النساء، و أراح اللَّه منه و كفى المسلمين شره.

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة، فى شوال، زلزلت الأرض بالعراق و الموصل و بلاد الجبل و غيرها، و كانت الزلزلة شديدة، و هلك فيها كثير من الناس، و اللَّه أعلم.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۵

۵۳۰ ثم دخلت سنة ثلاثين و خمسمائة

ذكر الحرب بين عسكر الراشد و عسكر السلطان مسعود

فى المحرم من هذه السنة وصل يرنقش الزكوى من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقر على المسترشد من المال، و هو أربعمائة ألف دينار، فذكر أنه لا شىء عنده، و أن المال جميعه كان مع المسترشد باللَّه، فنهب فى الهزيمة المذكورة. ثم بلغ الراشد باللَّه أن يرنقش يريد الهجوم على دار الخلافة و تفتيشها لأخذ المال، فجمع العساكر لمنع داره، و أمر عليهم كج أبه، و أعاد عمارة السور.

فلما علم يرنقش بذلك اتفق هو و بك أبه شحنة بغداد، و هو من أمراء السلطان، على أن يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة، فبلغ ذلك الراشد باللَّه فاستعد لمنعهم، و ركب يرنقش و معه العسكر السلطانى و الأمراء البكجية، و محمد بن عكر «۱»، فى نحو خمسة آلاف فارس، و لقيهم عسكر الخليفة و متقدمهم كج أبه و اقتتلوا قتالا شديدا، و ساعد العامة عسكر الخليفة على قتال العسكر السلطانى حتى أخرجهم إلى دار السلطان، فلما جنهم الليل ساروا إلى طريق خراسان، ثم انحدر بك أبه إلى واسط، و سار يرنقش إلى البندنيجين، و نهب أهل بغداد دار السلطان.

---

(۱). بن عسكر.B. بن عكة.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۶

ذكر اجتماع أصحاب الأطراف على حرب مسعود ببغداد و خروجهم عن طاعته

فى هذه السنة اجتمع كثير من الأمراء و أصحاب الأطراف على الخروج عن طاعة السلطان مسعود، فسار الملك داود ابن السلطان محمود فى عسكر أذربيجان إلى بغداد، فوصلها رابع صفر، و نزل بدار السلطان، و وصل أتابك عماد الدين زنكى بعده من الموصل، و وصل يرنقش «۱» بازدار صاحب قزوين و غيرها، و البقش الكبير صاحب أصفهان، و صدقة بن دبيس صاحب الحلة، و معه عنتر بن أبى العسكر الجاوانى يدبره، و يتمم نقص صباه، و ابن برسق، و ابن الأحمديلى، و خرج إليهم من عسكر بغداد كج أبه و الطرنطاى «۲» و غيرهما، و جعل الملك داود فى شحنكية بغداد يرنقش بازدار، و قبض الخليفة الراشد باللَّه على ناصح الدولة أبى عبد اللَّه الحسن بن جهير أستاذ الدار، و هو كان السبب فى ولايته، و على جمال الدولة إقبال المسترشدى، و كان قد قدم إليه من تكريت، و

على غيرهما من أعيان دولته فتغيرت نيات «۳» أصحابه عليه و خافوه.

فأما جمال الدولة فإن أتابك زنكى شفع فيه شفاعة تحتها إلزام، فأطلق و صار إليه و نزل عنده و خرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين أبى الرضى بن صدقة إلى عماد الدين لتهنئته «۴» بالقدوم، فأقام الوزير عنده و سأله أن يمنعه من الخليفة، فأجابه إلى ذلك، و عاد الموكب بغير وزير، و أرسل زنكى من حرس دار

---

(۱). برنقش.A

(۲). الطرنطارى.B. و طرنمطاى.A

(۳). فنفرت نيات.A

(۴). ليهنيه.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۷

الوزير من النهب، ثم أصلح حاله مع الخليفة، و أعاده إلى وزارته.

و كذلك أيضا عبر عليه قاضى القضاة الزينى، و سار معه إلى الموصل، ثم إن الخليفة جد فى عمارة السور، فأرسل الملك داود من قلع أبوابه و أخرب قطعة منه، فانزعج الناس ببغداد، و نقلوا أموالهم إلى دار الخلافة، و قطعت خطبة السلطان مسعود، و خطب للملك داود و جرت الأيمان بين الخليفة و الملك داود و عماد الدين زنكى، و أرسل الخليفة إلى أتابك زنكى ثلاثين ألف دينار لينفقها.

و وصل الملك سلجوق شاه إلى واسط فدخلها و قبض على الأمير بك أبه و نهب ماله و انحدر أتابك زنكى إليه لدفعه عنها و اصطلحا و عاد زنكى إلى بغداد و عبر إلى طريق خراسان، و حث على جمع العساكر للقاء السلطان مسعود.

و سار الملك داود نحو طريق خراسان أيضا، فنهب العسكر البلاد و أفسدوا، و وصلت الأخبار بمسير السلطان مسعود إلى بغداد لقتال الملك، و فارق الملك داود و أتابك زنكى: فعاد أتابك زنكى إلى بغداد، و فارق الملك داود، و أظهر له أن يمضى إلى مراغة إذا فارق السلطان مسعود همذان، فبرز الراشد باللّه إلى ظاهر بغداد أول رمضان، و سار إلى طريق خراسان، ثم عاد بعد ثلاثة أيام و نزل عند جامع السلطان ثم دخل إلى بغداد خامس رمضان و أرسل إلى داود و سائر الأمراء يأمرهم بالعود إلى بغداد، فعادوا، و نزلوا فى الخيام، و عزموا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد.

و وصلت رسل السلطان مسعود يبذل من نفسه الطاعة و الموافقة للخليفة و التهديد لمن اجتمع عنده، فعرض الخليفة الرسالة عليهم، فكلهم رأى قتاله، فقال الخليفة: و أنا أيضا معكم على ذلك «۱».

---

(۱). على ذلك.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۸

ذكر ملك شهاب الدين حمص

فى هذه السنة، فى الثانى و العشرين من ربيع الأول، تسلم شهاب الدين محمود، صاحب دمشق، مدينة حمص و قلعتها. و سبب ذلك أن أصحابها أولاد الأمير خيرخان بن قراجا «۱»، و الوالى بها من قبلهم، ضجروا من كثرة تعرض عسكر عماد الدين زنكى إليها و إلى أعمالها، و تضييقهم على من بها من جندى و عامى، فراسلوا شهاب الدين فى أن يسلموها إليه، و يعطيهم عوضا عنها تدمر، فأجابهم إلى ذلك، و سار إليها و تسلمها منهم فى التاريخ المذكور، و سلم إليهم تدمر، و أقطع حمص مملوك جده معين الدين أنز، و جعل فيها نائبا عنه «۲» ممن يثق به من أعيان أصحابه و عاد منها إلى دمشق.

فلما رأى عسكر زنكى الذين بحلب و حماة خروج حمص عن أيديهم تابعوا الغارات إلى بلدها و النهب له، و الاستيلاء على كثير منه، فجرى بينهم عدة وقائع، و أرسل شهاب الدين إلى زنكى فى المعنى و استقر الصلح بينهم، و كف كل منهم عن صاحبه.

ذكر الفتنة بدمشق

فى هذه السنة وقعت الفتنة بدمشق بين صاحبها و الجند. و سبب ذلك أن الحاجب يوسف بن فيروز كان أكبر حاجب عند أبيه و جده، ثم إنه خاف أخاه شمس الملوك، و هرب منه إلى تدمر، فلما كانت هذه السنة سأل)

---

(۱). قراجه.A

(۲). عنه يوسف بن فيروز حاجب أبيه و جده و عاد عنها.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۹

أن يحضر إلى دمشق، و كان يخاف جماعة المماليك لأنه كان أساء إليهم و عاملهم أقبح معاملة، فكلهم عليه حنق، لا سيما فى الحادثة التى خرج فيها شمس الملوك، و قد تقدمت، فإنه أشار بقتل جماعة أبرياء و بقتل سونج بن تاج الملوك، فصاروا كلهم أعداء مبغضين.

فلما طلب الآن الحضور إلى دمشق أجيب إلى ذلك، فأنكر جماعة الأمراء و المماليك قربه، و خافوه أن يفعل بهم مثل فعله الأول، فلم يزل يتوصل معهم حتى حلف لهم و استحلفهم، و شرط على نفسه أنه لا يتولى من الأمور شيئا.

ثم إنه جعل يدخل نفسه فى كثير من الأمور، فاتفق أعداؤه على قتله، فبينما هو يسير مع شمس الملوك فى الميدان و إلى جانبه أمير اسمه بزاوش يحادثه، إذ ضربه بزاوش بالسيف فقتله، فحمل و دفن عند تربة والده بالعقيبة.

ثم إن بزاوش و المماليك خافوا شمس الملوك، فلم يدخلوا البلد، و نزلوا بظاهره، و أرسلوا يطلبون قواعد استطالوا فيها، فأجابهم إلى البعض، فلم يقبلوا منه، ثم ساروا إلى بعلبكّ، و بها شمس الدولة محمد بن تاج الملوك صاحبها، فصاروا معه، فالتحق بهم كثير من التركمان و غيرهم، و شرعوا فى العيث و الفساد، و اقتضت الحال مراسلتهم و ملاطفتهم و إجابتهم إلى ما طلبوا، و استقرت الحال على ذلك، و حلف كل منهم لصاحبه، فعادوا إلى ظاهر دمشق و لم يدخلوا البلد.

و خرج شهاب الدين، صاحب دمشق، إليهم و اجتمع بهم و تجددت الأيمان، و صار بزاوش مقدم العسكر و إليه الحل و العقد، و ذلك فى شعبان، و زال الخلف، و دخلوا البلد، و اللَّه أعلم.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۰

ذكر غزاة العسكر الأتابكى لبلاد الفرنج

فى هذه السنة، فى شعبان، اجتمعت عساكر أتابك زنكى، صاحب حلب و حماة، مع الأمير أسوار «۱» نائبة بحلب، و قصدوا بلد الفرنج على حين غفلة منهم، و قصدوا أعمال اللاذقية بغتة، و لم يتمكن أهلها من الانتقال عنها و الاحتراز، فنهبوا منها ما يزيد عن «۲» الوصف، و قتلوا و أسروا، و فعلوا فى بلد الفرنج ما لم يفعله بهم غيرهم.

و كان الأسرى سبعة آلاف أسير ما بين رجل و امرأة و صبى، و مائة ألف رأس من الدواب ما بين فرس و بغل و حمار و بقر و غنم، و أما ما سوى ذلك من الأقمشة و العين و الحلى فيخرج عن الحد، و أخربوا بلد اللاذقية و ما جاورها و لم يسلم منها إلا القليل، و خرجوا إلى شيزر بما معهم من الغنائم سالمين، منتصف رجب، فامتلأ الشام من الأسارى و الدواب، و فرح المسلمون بذلك فرحا عظيما «۳»، و لم يقدر الفرنج على شىء يفعلونه مقابل هذه الحادثة، عجزا و وهنا.

ذكر وصول السلطان مسعود إلى العراق و تفرق أصحاب الأطراف و مسير الراشد باللَّه إلى الموصل و خلعه

لما بلغ السلطان مسعودا [۱] اجتماع الملوك و الأمراء، ببغداد، على خلافه،

---

[۱] مسعود.

---

(۱). مع الأسوار.A

(۲). يزيد على.A

(۳). و فرح ... عظيما.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۱

و الخطبة للملك داود ابن أخيه السلطان محمود، جمع العساكر و سار إلى بغداد، فنزل بالمالكية [۱]، فسار بعض العسكر حتى شارفوا عسكره و طاردوهم، و كان فى الجماعة زين الدين على أمير من أمراء أتابك زنكى، ثم عادوا، و وصل السلطان فنزل على بغداد و حصرها و جميع العساكر فيها.

و ثار العيارون ببغداد و سائر محالها، و أفسدوا و نهبوا، و قتلوا حتى إنه وصل صاحب لأتابك زنكى و معه كتب، فخرجوا عليه و أخذوها منه و قتلوه، فحضر جماعة من أهل المحالّ عند الأتابك زنكى، و أشاروا عليه بنهب المحالّ الغربية، فليس فيها غير عيار و مفسد، فامتنع من ذلك، ثم أرسل بنهب الحريم الطاهرى فأخذ منه [۲] من الأموال الشىء الكثير، و سبب ذلك أن العيارين [كثروا] فيه و أخذوا أموال الناس. و نهبت العساكر غير الحريم من المحال، و حصرهم السلطان نيفا و خمسين يوما فلم يظفر بهم. فعاد إلى النهروان عازما على العود إلى همذان، فوصله طرنطاى صاحب واسط و معه سفن كثيرة، فعاد إليها و عبر فيها إلى غربى دجلة، و أراد العسكر البغدادى منعه، فسبقهم إلى العبور، و اختلفت كلمتهم، فعاد الملك داود إلى بلاده فى ذى القعدة و تفرق الأمراء.

و كان عماد الدين زنكى بالجانب الغربى فعبر إليه الخليفة الراشد باللَّه و سار معه إلى الموصل فى نفر يسير من أصحابه، فلما سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة و زنكى بغداد سار إليها، و استقر بها، و منع أصحابه من الأذى و النهب.

و كان وصوله منتصف ذى القعدة، فسكن الناس و اطمأنوا بعد الخوف الشديد، و أمر فجمع القضاة و الشهود و الفقهاء و عرض [۳] عليهم اليمين التى حلف بها الراشد

---

[۱] بالملكية.

[۲] منها.

[۳] و عرضوا.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۲

المسعود و فيها بخط يده: إلى متى جندت أو خرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان بالسيف، فقد خلعت نفسى من الأمر، فأفتوا بخروجه من الخلافة، و قيل غير ذلك و سنذكره فى خلافة المقتفى لأمر اللَّه «۱».

و كان الوزير شرف الدين على بن طراد و صاحب المخزن كمال الدين بن البقشلامى و ابن الأنبارى قد حضروا مع السلطان لأنهم كانوا عنده مذ أسرهم مع المسترشد باللَّه، فقدحوا فى الراشد و وافقهم على ذلك جميع أصحاب المناصب ببغداد، إلا اليسير، لأنهم كانوا يخافونه، و كان قد قبض بعضهم و صادر بعضا، و اتفقوا على ذمه، فتقدم السلطان بخلعه و إقامة من يصلح للخلافة، فخلع و

قطعت خطبته فى بغداد فى ذى القعدة و سائر البلاد.

و كانت خلافته أحد عشر شهرا و أحد عشر يوما، و قتله الباطنية على ما نذكره إن شاء اللَّه تعالى.

ذكر خلافة المقتفى لأمر اللَّه

لما قطعت خطبة الراشد باللَّه استشار السلطان جماعة من أعيان بغداد منهم الوزير على بن طراد، و صاحب المخزن، و غيرهما، فيمن يصلح أن يلى الخلافة. فقال الوزير: أحد عمومه الراشد، و هو رجل صالح. قال: من هو قال: من لا أقدر أن أفصح باسمه لئلا يقتل، فتقدم إليهم بعمل محضر فى خلع الراشد، فعملوا محضرا ذكروا فيه ما ارتكبه من أخذ الأموال و أشياء تقدح فى الإمامة ثم كتبوا فتوى: ما يقول العلماء فيمن هذه صفته، هل يصلح للإمامة أم لا؟ فأفتوا أن من هذه صفته لا يصلح أن يكون إماما. فلما فرغوا

---

(۱). و سنذكره ... اللَّه.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۳

من ذلك أحضروا القاضى أبا طاهر بن الكرخى، فشهدوا عنده بذلك، فحكم بفسقه و خلعه، و حكم بعده غيره، و لم يكن قاضى القضاة حاضرا ليحكم فإنه كان عند أتابك زنكى بالموصل ثم إن شرف الدين الوزير ذكر للسلطان أبا عبد اللَّه الحسين، و قيل محمد ابن المستظهر باللَّه، و دينه، و عقله، و عفته، و لين جانبه، فحضر السلطان دار الخلافة و معه الوزير شرف الدين الزينبى، و صاحب المخزن ابن البقشلامى و غيرهما، و أمر بإحضار الأمير أبى عبد اللَّه بن المستظهر من المكان الّذى يسكن فيه، فأحضر و أجلس فى المثمنة، و دخل السلطان إليه و الوزير شرف الدين و تحالفا، و قرر الوزير القواعد بينهما، و خرج السلطان من عنده و حضر الأمراء و أرباب المناصب و القضاة و الفقهاء و بايعوا ثامن عشر ذى الحجة و لقب المقتفى لأمر اللَّه قيل سبب اللقب أنه رأى النبى، صلى اللَّه عليه و سلم، قبل أن يلى الخلافة بستة أيام، و هو يقول له: إن هذا الأمر يصير إليك، فاقتف بى، فلقب بذلك. و لما استخلف سيرت الكتب الحكمية بخلافته إلى سائر الأمصار و استوزر شرف الدين على بن طراد الزينبى فأرسل إلى الموصل، و أحضر قاضى القضاة أبا القاسم على بن الحسين الزينبى عم الوزير، و أعاده إلى منصبه، و قرر كمال الدين حمزة بن طلحة على منصبه صاحب المخزن، و جرت الأمور على أحسن نظام.

و بلغنى أن السلطان مسعودا أرسل إلى الخليفة المقتفى لأمر اللَّه فى تقرير إقطاع يكون لخاصته [۱]، فكان جوابه: إن فى الدار ثمانين بغلا تنقل الماء من دجلة، فلينظر السلطان ما يحتاج إليه من يشرب هذا الماء و يقوم به، فتقررت القاعدة

---

[۱] لخاصة.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۴

على ان يجعل له ما كان للمستظهر باللَّه، فأجاب إلى ذلك.

و قال السلطان لما بلغه قوله: لقد جعلنا فى الخلافة رجلا عظيما نسأل.

و المقتفى عم الراشد هو و المسترشد ابنا المستظهر، وليا الخلافة، و كذلك السفاح و المنصور أخوان، و كذلك المهدى و الرشيد أخوان، و كذلك الواثق و المتوكل أخوان، و أما ثلاثة إخوة ولوا الخلافة فالأمين و المأمون و المعتصم أولاد الرشيد، و المكتفى و المقتدر و القاهر بنو المعتضد، و الراضى و المتقى و المطيع بنو المقتدر، و أما أربعة إخوة ولوها فالوليد و سليمان و يزيد و هشام بنو عبد الملك بن مروان لا يعرف غيرهم.

و حين استقرت الخلافة للمقتفى أرسل إليه الراشد باللَّه رسولا من الموصل مع رسول أتابك زنكى، فأما رسول الراشد فلم تسمع

رسالته، و أما رسول أتابك زنكى فكان كمال الدين محمد بن عبد اللّه الشهرزورىّ، فأحضر فى الديوان و سمعت رسالته، و حكى لى والدى عنه قال: لما حضرت الديوان قيل لى: تبايع أمير المؤمنين؟ فقلت: أمير المؤمنين عندنا فى الموصل و له فى أعناق الخلق بيعة متقدمة. و طال الكلام و عدت إلى منزلى.

فلما كان الليل جاءتنى امرأة عجوز سرا، و اجتمعت بى و أبلغتنى رسالة عن المقتفى لأمر اللّه مضمونها عتابى على ما قلته و استنزالى عنه. فقلت: غدا أخدم خدمة يظهر أثرها.

فلما كان [الغد] أحضرت الديوان و قيل لى فى معنى البيعة، فقلت: أنا رجل فقيه قاض [۱]، و لا يجوز لى أن أبايع إلا بعد أن يثبت عندى خلع المتقدم.

فأحضروا الشهود و شهدوا عندى فى الديوان بما أوجب خلعه، فقلت: هذا ثابت لا كلام فيه، و لكن لا بد لنا فى هذه الدعوة من نصيب لأن أمير

---

[۱] قاضى.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۵

المؤمنين قد حصل له خلافة اللّه فى أرضه، و السلطان، فقد استراح ممن كان يقصده، و نحن بأى شىء نعود؟ فرفع الأمر إلى الخليفة، فأمر أن يعطى أتابك زنكى صريفين و درب هارون و حربى ملكا، و هى من خاص الخليفة، و يزداد فى ألقابه، و قال: هذه قاعدة لم يسمح بها لأحد من زعماء الأطراف أن يكون لهم نصيب فى خاص الخليفة.

فبايعت و عدت مقضى الحوائج قد حصل لى جملة صالحة من المال و التحف. و كانت بيعة و خطب للمقتفى فى الموصل فى رجب سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة، و لما عاد كمال الدين بن الشهرزورىّ سيّر على يده المحضر الّذى عمل بخلع الراشد، فحكم به قاضى القضاة الزينبى بالموصل، و كان عند أتابك زنكى «۱».

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة عزل السلطان مسعود وزيره شرف الدين أنوشروان بن خالد و عاد إلى بغداد، و أقام بداره معزولا، و وزر بعده كمال الدين أبو البركات ابن سلمة الدركزينى و هو من خراسان.

و فيها ثار العيارون ببغداد عند اجتماع العساكر بها، و قتلوا فى البلد و نهبوا الأموال ظاهرا و كثر الشر، فقصد الشحنة شارع دار الرقيق، و طلب العيارين، فثار عليه أهل المحال الغربية، فقاتلهم، و أحرق الشارع، فاحترق فيه خلق كثير، و نقل الناس أموالهم إلى الحريم الطاهرى، فدخله الشحنة، و نهب منه مالا كثيرا.

---

(۱). و كان ... زنكى.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۶

ثم وقعت فتنة ببغداد بين أهل باب الأزج و بين أهل المأمونية، و قتل بينهم جماعة ثم اصطلحوا.

و فيها سار قراسنقر فى عساكر كثيرة فى طلب الملك داود ابن السلطان محمود، فأقام السلطان مسعود ببغداد، و لم يزال قراسنقر يطلب داود حتى أدركه عند مراغة، فالتقيا و تصافا، و اقتتل العسكران قتالا عظيما، فانهزم داود و أقام قراسنقر بأذربيجان، و أما داود فإنه قصد خوزستان فاجتمع عليه هناك عساكر كثيرة من التركمان و غيرهم و بلغت عدتهم نحو عشرة آلاف فارس، فقصد تستر و حاصرها، و كان عمه الملك «۱» سلجوق شاه ابن السلطان محمد بواسط، فأرسل إلى أخيه السلطان مسعود يستنجده، فأمده بالعساكر، فسار إلى

داود و هو يحاصر تستر، فتصافا، فانهزم سلجوق شاه.

و فيها توفى أيضا محمد بن حمويه أبو عبد اللَّه الجوينى، و هو من مشايخ الصوفية المشهورين، و له كرامات كثيرة و رواية الحديث و توفى أيضا محمد بن عبد اللَّه بن أحمد بن حبيب العامرى الصوفى مصنف شرح الشهاب و أنشد لما حضره الموت:

ها قد مددت يدى إليك فردهابالفضل لا بشماتة الأعداء و توفى أيضا أبو عبد اللَّه محمد بن الفضل بن أحمد الفراوى الصاعدىّ راوى صحيح مسلم عن عبد الغافر الفارسىّ، و طريقه اليوم أعلى الطرق، و إليه الرحلة من الشرق و الغرب، و كان فقيها مناظرا ظريفا يخدم الغرباء بنفسه، و كان يقال: الفراوى ألف راو، رحمه اللَّه و رضى عنه.

---

(١) الملك.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۴٧

۵٣١ ثم دخلت سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة

ذكر تفرق العساكر عن السلطان مسعود

فى هذه السنة، فى المحرّم، أذن السلطان مسعود العساكر التى عنده ببغداد بالعود إلى بلادهم، لما بلغه أنّ الراشد باللَّه قد فارق أتابك زنكى من الموصل، فإنّه كان يتمسّك بالعساكر عنده خوفا أن ينحدر به إلى العراق فيملكه عليه، فلمّا أراد أن يأذن للأمير صدقة بن دبيس، صاحب الحلّة، زوّجه ابنته تمسّكا به.

و قدم على السلطان مسعود جماعة من الأمراء الذين حاربوه مع الملك داود منهم البقش السلاحى و برسق بن برسق صاحب تستر، و سنقر الحمارتكين شحنة همذان، فرضى عنهم، و أمنهم، و ولى البقش شحنكية بغداد، فعسف الناس و ظلمهم.

و كان السلطان مسعود بعد تفرّق العساكر عنه قد بقى معه ألف فارس.

و تزوّج الخليفة فاطمة خاتون أخت السلطان مسعود فى رجب، و الصداق مائة ألف دينار، و كان الوكيل فى قبول النكاح وزير الخليفة علىّ بن طراد الزينبى و الوكيل عن السلطان وزيره الكمال الدركزينى، و وثق السلطان حيث صار الخليفة و صدقة بن دبيس بن صدقة صهريه، و حيث سار الراشد باللَّه من عند زنكى الأتابك، و اللَّه أعلم.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۴٨

ذكر عزل بهرام عن وزارة الحافظ و وزارة رضوان

فى هذه السنة، فى جمادى الأولى، هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين اللَّه العلوىّ صاحب مصر، و كان قد استوزره بعد قتل ابنه حسن سنة تسع و عشرين و خمسمائة، و كان نصرانيّا أرمنيّا، فتمكّن فى البلاد و استعمل الأرمن و عزل المسلمين، و أساء السيرة فيهم و أهانهم هو و الأرمن الذين ولّاهم و طمعوا فيهم، فلم يكن فى أهل مصر من أنف من ذلك إلا رضوان بن الريحينى «١»، فإنه لما ساءه ذلك و أقلقه جمع جمعا كثيرا و قصد القاهرة، فسمع به بهرام، فهرب إلى الصعيد من غير حرب و لا قتال، و قصد مدينة أسوان فمنعه واليها من الدخول إليها و قاتله فقتل السودان من الأرمن كثيرا، فلما لم يقدر على الدخول إلى أسوان أرسل [إلى] الحافظ يطلب الأمان، فأمّنه، فعاد إلى القاهرة، فسجن بالقصر، فبقى مدة، ثم ترهب و خرج من الحبس.

و أما رضوان فإنه وزر للحافظ و لقب بالملك الأفضل، و هو أول وزير للمصريين لقب بالملك، ثم فسد ما بينه و بين الحافظ فعمل الحافظ فى إخراجه، فثار الناس عليه منتصف شوال سنة ثلاث و ثلاثين و خمسمائة، و هرب من داره و تركها بما فيها، فنهب الناس

منها «۲» ما لا يحد و لا يحصى، و ركب الحافظ فسكن الناس، و نقل ما بقى فى دار رضوان إلى قصره.

و أما رضوان فإنه سار يريد الشام يستنجد الأتراك و يستنصرهم، فأرسل إليه الحافظ الأمير ابن مصال ليرده بالأمان و العهد أنه لا يؤذيه، فرجع إلى القاهرة، فحبسه الحافظ عنده فى القصر، و قيل إنه توجه إلى الشام، و هو

---

(۱). الزنجى صح.gramnitaالولحشى.B. بن الولحسى.A

(۲). منها.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۹

لصحيح، و قصد صرخد فوصل إليها فى ذى القعدة و نزل على صاحبها أمين الدولة «۱» كمشتكين، فأكرمه و عظمه، و أقام عنده.

ثم عاد إلى مصر سنة أربع و ثلاثين و خمسمائة، و معه عسكر، فقاتل المصريين عند باب النصر و هزمهم، و قتل منهم جماعة كثيرة، و أقام ثلاثة أيام، فتفرق عنه كثير ممن معه، فعزم على العود إلى الشام، فأرسل إليه الحافظ الأمير ابن مصال، فرده و حبسه عنده فى القصر، و جمع بينه و بين عياله، فأقام فى القصر إلى سنة ثلاث و أربعين [و خمسمائة]، فنقب الحبس و خرج منه، و قد أعدت له خيل، فهرب عليها، و عبر النيل إلى الجيزة فحشد و جمع المغاربة و غيرهم، و عاد إلى القاهرة، فقاتل المصريين عند جامع ابن طولون و هزمهم، و دخل إلى القاهرة فنزل عند جامع الأقمر، فأرسل إلى الحافظ يطلب منه مالا ليفرقه على عادتهم، فإنّهم كانوا إذا وزّروا وزيرا أرسلوا إليه عشرين ألف دينار ليفرّقها، فأرسل إليه الحافظ عشرين ألف دينار، فقسمها، و كثر عليه الناس، و طلب زيادة، فأرسل إليه عشرين ألف دينار أخرى، ففرقها، فتفرق الناس عنه و خفوا عنده، فإذا الصوت قد وقع، و خرج إليه جمع كثير من السودان وضعهم الحافظ عليه، فحملوا على غلمانه فقاتلوهم، فقام يركب، فقدم إليه بعض أصحابه فرسا ليركبه، فلما أراد ركوبه ضرب الرجل رأسه بالسيف فقتله، و حمل رأسه إلى الحافظ، فأرسله إلى زوجته، فوضع فى حجرها، فألقته و قالت، هكذا يكون الرجال، و لم يستوزر الحافظ بعده أحدا، و باشر الأمور بنفسه إلى أن مات.

---

(۱). أمين الدين.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۰

ذكر فتح المسلمين حصن وادى ابن الأحمر من الفرنج

و فى هذه السنة، فى رجب، سار عسكر دمشق مع مقدمهم الأمير بزاوش إلى طرابلس الشام، فاجتمع معه من الغزاة المتطوعة و التركمان أيضا خلق كثير، فلما سمع القمص صاحبها بقربهم من ولايته سار إليهم فى جموعه و حشوده، فقاتلهم و انهزم الفرنج و عادوا إلى طرابلس على صورة سيئة قد قتل كثير من فرسانهم و شجعانهم فنهب المسلمون من أعمالهم الكثير و حصروا حصن وادى ابن الأحمر فملكوه عنوة و نهبوا ما فيه، و قتلوا المقاتلة، و سبوا الحريم و الذرّية، و أسروا الرجال فاشتروا أنفسهم بمال جليل، و عادوا إلى دمشق سالمين، و اللّه أعلم.

ذكر حصار زنكى مدينة حمص

فى هذه السنة، فى شعبان، سار أتابك زنكى إلى مدينة حمص و قدّم إليها صلاح الدين محمد الياغيسيانىّ، و هو أكبر أمير معه، و كان ذا مكر و حيل، أرسله ليتوصّل مع من فيها ليسلّموها إليه، فوصل إليها و فيها معين الدين أنز «۱»، و هو الوالى عليها و الحاكم فيها، و هو أيضا أكبر أمير بدمشق و حمص أقطاعه كما سبق ذكره، فلم ينفذ فيه مكره، فوصل حينئذ زنكى إليها و حصرها و عاود مراسلة

أنز «۲» فى التسليم غير مرّة، تارة بالوعد و تارة بالوعيد، و احتجّ بأنّها ملك صاحبه شهاب الدين و أنّها بيده أمانة و لا يسلّمها

(۱- ۲). انر.B. أنر.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۱

إلا عن غلبة، فأقام عليها إلى العشرين من شوال و رحل عنها من غير بلوغ غرض إلى بعرين فحصرها «۱»، و كان منه و من الفرنج ما نذكره إن شاء اللَّه تعالى.

ذكر ملك زنكى قلعة بعرين و هزيمة الفرنج

و فى هذه السنة، فى شوال، سار أتابك زنكى من الموصل إلى الشام و حصر «۲» قلعة بعرين، و هى تقارب مدينة حماة، و هى من أمنع معاقل الفرنج و أحصنها، فلما نزل عليها قاتلها، و زحف إليها، فجمع الفرنج فارسهم و راجلهم، و ساروا فى قضهم و قضيضهم، و ملوكهم و قمامصتهم و كنودهم، إلى أتابك زنكى ليرحلوه عن بعرين، فلم يرحل و صبر لهم إلى أن وصلوا إليه، فلقيهم و قاتلهم أشد قتال رآه الناس، و صبر الفريقان ثم أجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج، و أخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب، و احتمى ملوكهم و فرسانهم بحصن بعرين لقربه منهم، فحصرهم زنكى فيه و منع عنهم كل شىء حتى الأخبار فكان من به منهم لا يعلم شيئا من أخبار بلادهم لشدّة ضبط الطرق و هيبته على جنده.

ثم إن القسوس و الرهبان دخلوا بلاد الروم و بلاد الفرنج و ما والاها مستنفرين «۳» على المسلمين، و أعلموهم أن زنكى إن أخذ قلعة بعرين و من فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم فى أسرع وقت، و أن المسلمين ليس لهم همّة إلا قصد البيت المقدس، فحينئذ اجتمعت النصرانيّة و ساروا على

---

(۱). فحصرها.A mo

(۲). ثم انتقل عنها و حصر.B

(۳). يستنفرونهم.B. ليستنفروهم.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۲

الصعب و الذلول، و قصدوا الشام، و كان منهم ما نذكره.

و أما زنكى فإنه جد فى قتال الفرنج، فصبروا و قلت عليهم الذخيرة، فإنّهم كانوا غير مستعدين، و لم يكونوا يعتقدون [۱] أن أحدا يقدم عليهم بل كانوا يتوقعون ملك باقى الشام، فلما قلت الذخيرة أكلوا دوابهم، و أذعنوا بالتسليم ليؤمّنهم، و يتركهم يعودون إلى بلادهم، فلم يجبهم إلى ذلك، فلما سمع باجتماع من بقى من الفرنج و وصول من قرب إليهم أعطى لمن فى الحصن الأمان، و قرّر عليهم خمسين ألف دينار يحملونها إليه، فأجابوه إلى ذلك فأطلقهم فخرجوا و سلّموا إليه، فلما فارقوه بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم، فندموا على التسليم حيث لا ينفعهم الندم، و كان لا يصلهم شىء من الأخبار البتّة، فلهذا سلموا.

و كان زنكى فى مدة مقامه عليهم قد فتح المعرة و كفر طاب من الفرنج فكان أهلهما و أهل سائر الولايات التى بين حلب و حماة مع أهل بعرين فى الخزى لأن الحرب بينهم قائمة على ساق، و النهب و القتل لا يزال بينهم، فلما ملكها أمن الناس، و عمرت البلاد و عظم دخلها، و كان فتحا مبينا و من رآه علم صحّة قولى.

و من أحسن الأعمال و أعدلها ما عمله زنكى مع أهل المعرّة، فإن الفرنج لما ملكوا المعرة كانوا قد أخذوا أموالهم و أملاكهم، فلما فتحها زنكى الآن حضر من بقى من «۱» أهلها و معهم أعقاب من هلك، و طلبوا أملاكهم، فطلب منهم كتبها، فقالوا: إن الفرنج أخذوا

كل ما لنا،

---

[۱] يعتقدوا.

---

(۱). من بقى من أعقاب.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۳

و الكتب التى للأملاـك فيها. فقال: اطلبوا دفاتر «۱» حلب و كـل من عليه خراج على ملك يسـلم اليه، ففعلوا ذاك، و أعاد على الناس أملاكهم، و هذا من أحسن «۲» الأفعال و أعدلها.

ذكر خروج ملك الروم من بلاده إلى الشام

قـد تقـدم أن الفرنـج أرسـلوا إلى ملـك القسـطنطينية يستصـرخون به و يعرفونه ما فعله زنكى فيهم، و يحثونه على لحاق البلاد قبل أن تملك، و لا ينفعه حينئـذ المجيء، فتجهز و سار مجـدّا فابتـدأ و ركب البحر و سار إلى مدينة أنطالية [۱]، و هى له على ساحـل البحر، فأرسـى فيها، و أقام ينتظر وصول المراكب التى فيها أثقاله و سـلاحه، فلما وصـلت سار عنها إلى مدينة نيقية و حصـرها، فصالحه أهلها على مـال يؤدونه إليه، و قيـل: بـل ملكهـا و سـار عنها إلى مدينـة أدنـة و مدينـة المصـيصة، و هما بيـد ابن ليون الأرمنى، صاحب قلاع الدروب، فحصرهما و ملكهما.

و رحل إلى عين زربة فملكهما عنوة، و ملك تل حمدون، و حمل أهله إلى جزيرة قبرس، و عبر ميناء الإسكندرونة ثم خرج إلى الشام فحصـر مدينـة أنطاكيـة فى ذى القعدة، و ضـيق على أهلها، و بها صاحبها الفرنجى ريمند، فترددت الرسل بينهما، فتصالحا و رحل عنها إلى بغراص، و دخل منها بلد ابن ليون الأرمنى، فبذل له ابن ليون أموالا كثيرة و دخل فى طاعته، و اللّه أعلم.

---

[۱] أنطاكية.

---

(۱). دفاتر ديوان.B

(۲). أحسن ما يدون عن ملك.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۴

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السـنة، فى الرابع و العشرين من أيار، ظهر بالشام سحاب أسود أظلمت له الدنيا، و صار الجوّ كالليل المظلم، ثم طلع بعد ذلك سحاب أحمر كأنه نار أضاءت له الـدنيا، و هبّت ريـح عاصف ألقت كثيرا من الشـجر، و كان أشدّ ذلك بحوران و دمشق، و جاء بعده مطر شديد و برد كبار.

و فيها عاد مؤيّد الدين أبو الفوارس المسـيّب بن على بن الحسين المعروف بابن الصوفى من صرخد إلى دمشق. و كان قد أخرج هو و أهله من دمشق إلى صرخد، فبقوا فيها إلى الآن، و عادوا، و ولى أبو الفوارس الرئاسة بدمشق، و كان محبوبا عند أهلها، و تمكّن تمكنا عظيما، و كان ذا رئاسة عظيمة و مروءة ظاهرة.

و فيها كثرت الأمراض ببغداد و كثر الموت فجأة بأصفهان و همذان.

و فيها سار أتابك زنكى إلى دقوقا فحصرها و ملكها بعد أن قاتل على قلعتها قتالا شديدا.

و فيها توفى أبو سعيد أحمد بن محمد بن ثابت الخجندى رئيس الشافعية بأصفهان، و تفقه على والده، و درس بالنظاميّة بأصفهان.

و توفّى أبو القاسم هبة اللّه بن أحمد بن عمر الحريرى، و مولده يوم عاشوراء سنة خمس و ثلاثين و أربعمائة، و هو آخر من روى عن أبى الحسن زوج الحرّة.

و قد روى الخطيب أبو بكر بن ثابت عن زوج الحرّة أيضا، و كانت وفاة الخطيب سنة ثلاث و ستين و أربعمائة.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۵

۵۳۲ ثم دخلت سنة اثنتين و ثلاثين و خمسمائة

ذكر ملك أتابك زنكى حمص و غيرها من أعمال دمشق

و فى هذه السنة، فى المحرم، وصل أتابك زنكى إلى حماة و سار منها إلى بقاع بعلبكّ، فملك حصن المجدل، و كان لصاحب دمشق، و راسله مستحفظ بانياس و أطاعه، و هو أيضا لصاحب دمشق، و سار إلى حمص فحصرها، و أدام قتالها، فلما نازل ملك الروم حلب رحل عنها إلى سلمية، فلما انجلت حادثة الروم، على ما ذكرناه، عاود منازلة حمص، و أرسل إلى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب إليه أمّه ليتزوّجها، و اسمها زمرد خاتون، ابنة جاولى، و هى التى قتلت ابنها شمس الملوك، و هى التى بنت المدرسة بظاهر دمشق المطلّة على وادى شقرا و نهر بردى، فتزوّجها، و تسلّم حمص مع قلعتها.

و حملت الخاتون إليه فى رمضان، و إنما حمله على التزوج [۱] بها ما رأى من تحكّمها فى دمشق فظنّ أنه يملك البلد بالاتصال بها، فلما تزوّجها خاب أمله و لم يحصل على شىء فأعرض عنها.

---

[۱] التزويج.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۶

ذكر وصول ملك الروم إلى الشام و ملكه بزاعة و ما فعله بالمسلمين

قد ذكرنا سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة خروج ملك الروم من بلاده و اشتغاله بالفرنج و ابن ليون، فلما دخلت هذه السنة وصل إلى الشام و خافه الناس خوفا عظيما، و قصد بزاعة فحصرها، و هى مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب، فمضى جماعة من أعيان حلب إلى أتابك زنكى و هو يحاصر حمص، فاستغاثوا به و استنصروه، فسير معهم كثيرا من العساكر، فدخلوا إلى حلب ليمنعوها من الروم إن حصروها.

ثم إن ملك الروم قاتل بزاعة، و نصب عليها منجنيقات، و ضيّق على من بها فملكها بالأمان فى الخامس و العشرين من رجب، ثم غدر بأهلها فقتل منهم و أسر و سبى. و كان عدة من جرح فيها من أهلها خمسة آلاف و ثمانمائة نفس، و تنصر قاضيها و جماعة من أعيانها نحو أربع مائة نفس.

و أقام الروم بعد ملكها عشرة أيام يتطلبون من اختفى، فقيل لهم:

إن جمعا كثيرا من أهل هذه الناحية قد «۱» نزلوا إلى المغارات، فدخّنوا عليهم، و هلكوا فى المغاور [۱].

ثم رحلوا إلى حلب فنزلوا على قويق و معهم الفرنج الذين بساحل الشام، و زحفوا إلى حلب من الغد فى خيلهم و رجلهم، فخرج إليهم أحداث حلب، فقاتلوهم [۲] قتالا شديدا، فقتل من الروم و جرح خلق كثير، و قتل بطريق

[۱] المغایر.

[۲] فقاتلهم.

(۱). من أهلها قد.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۷

جليل القدر عندهم، و عادوا خاسرين، و أقاموا ثلاثة أيام، فلم يروا فيها طمعا، فرحوا إلى قلعة الأثارب، فخاف من فيها من المسلمين، فهربوا عنها تاسع شعبان، فملكها الروم و تركوا فيها سبايا بزاعة و الأسرى و معهم جمع من الروم يحفظونهم و يحمون القلعة و ساروا، فلما سمع الأمير أسوار بحلب ذلك رحل فيمن عنده من العسكر إلى الأثارب، فأوقع بمن فيها من الروم، فقتلهم، و خلّص الأسرى و السبى و عاد إلى حلب.

و أما عماد الدين زنكى فإنه فارق حمص و سار إلى سلمية فنازلها، و عبر ثقله الفرات [۱] إلى الرقة، و أقام جريدة ليتبع الروم و يقطع عنهم الميرة.

و أما الروم فإنّهم قصدوا قلعة شيزر، فإنّها من أمنع الحصون، و إنما قصدوها لأنها لم تكن لزنكى، فلا يكون له فى حفظها الاهتمام العظيم، و إنما كانت للأمير أبى العساكر سلطان بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى، فنازلوها و حصروها، و نصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقا، فأرسل صاحبها إلى زنكى يستنجده، فسار إليه فنزل على نهر العاصى بالقرب منها، بينها و بين حماة، و كان يركب كل يوم و يسير إلى شيزر هو و عساكره و يقفون بحيث يراهم الروم، و يرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم.

ثم إنه أرسل إلى ملك الروم يقول له: إنكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال، فانزلوا منها إلى الصحراء حتى نلتقى، فإن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم، و إن ظفرتم استرحتم و أخذتم شيزر و غيرها. و لم يكن له بهم قوة و إنما كان يرهبهم بهذا القول و أشباهه، فأشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافّته، و هونوا أمره عليه، فلم يفعل، و قال: أ تظنّون أنه ليس له من العسكر إلا ما ترون؟ إنما هو يريد أن تلقوه [۲] فيجيئه من نجدات المسلمين ما لا حد له.

[۱] الفراة.

[۲] تلقونه.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۸

و كان زنكى يرسل أيضا إلى ملك الروم يوهمه بأن فرنج الشام خائفون منه، فلو فارق مكانه لتخلّوا عنه، و يرسل إلى فرنج الشام يخوّفهم من ملك الروم و يقول لهم: إن ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعا، فاستشعر كل من صاحبه، فرحل ملك الروم عنها فى رمضان، و كان مقامه عليها أربعة و عشرين يوما، و ترك المجانيق و آلات الحصار بحالها، فسار أتابك [زنكى] يتبع ساقة العسكر، فظفر بكثير ممن تخلّف منهم، و أخذ جميع ما تركوه.

و لما كان الفرنج على بزاعة أرسل زنكى القاضى كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبد اللَّه بن القاسم الشهرزورىّ إلى السلطان مسعود يستنجده، و يطلب العساكر، فمضى إلى بغداد، و أنهى الحال إلى السلطان، و عرّفه عاقبة الإهمال، و أنه ليس بينه و بين الروم إلا أن يملكوا حلب و ينحدروا مع الفرات [۱] إلى بغداد، فلم يجد عنده حركة، فوضع إنسانا من أصحابه، يوم جمعة، فمضى إلى جامع القصر، و معه جماعة من رنود العجم، و أمر أن يثور بهم إذا صعد الخطيب المنبر، و يصيح و يصيحوا معه: وا إسلاماه، وا دين محمداه! و يشق ثيابه، و يرمى عمامته من رأسه، و يخرج إلى دار السلطان و الناس معه يستغيثون كذلك، و وضع إنسانا آخر يفعل

بجامع السلطان مثله.

فلما صعد الخطيب المنبر قام ذلك الرجل و لطم رأسه، و ألقى عمامته و شقّ ثوبه، و أولئك معه، و صاحوا، فبكى الناس و تركوا الصلاة، و لعنوا السلطان، و ساروا من الجامع يتبعون الشيخ إلى دار السلطان فوجدوا الناس فى جامع السلطان كذلك، و أحاط الناس بدار السلطان يستغيثون و يبكون، فخاف السلطان، فقال: أحضروا إلى ابن الشهرزورىّ، فأحضر، فقال كمال الدين:

لقد خفت منه مما رأيت، فلما دخلت عليه قال لى: أى فتنة أثرت؟ فقلت:

ما فعلت شيئا. أنا كنت فى بيتى، و إنما الناس يغارون للدين و الإسلام، و يخافون

---

[١] الفراة.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۵۹

عاقبة هذا التوانى، فقال: اخرج إلى الناس ففرقهم عنا و احضر غدا و اختر من العسكر من تريد، ففرّقت الناس و عرفتهم ما أمر به من تجهيز العساكر و حضرت من الغد إلى الديوان، فجهّزوا لى طائفة عظيمة من الجيش، فأرسلت إلى نصير الدين بالموصل أعرّفه ذلك، و أخوّفه من العسكر إن طرقوا البلاد، فإنّهم يملكونها، فأعاد الجواب يقول: البلاد لا شكّ مأخوذة فلأن يأخذها المسلمون خير من أن يأخذها الكافرون.

فشرعنا فى التحميل للرحيل، و إذ قد وصلنى كتاب أتابك زنكى من الشام يخبر برحيل ملك الروم و يأمرنى بأن لا أستصحب من العسكر أحدا، فعرّفت السلطان ذلك فقال: العسكر قد تجهّز، و لا بد من الغزاة إلى الشام، فبعد الجهد و بذل الخدمة العظيمة له و لأصحابه أعاد العسكر.

و لما عاد ملك الروم عن شيزر مدح الشعراء أتابك زنكى و أكثروا، فمن ذلك ما قاله المسلم بن خضر بن قسيم الحموى من قصيدة أولها:

بعزمك أيها الملك العظيم‌تذل لك الصّعاب و تستقيم و منها:

أ لم تر أن كلب الروم لماتبيّن أنه الملك الرحيم

فجاء يطبّق الفلوات خيلاكأن الجحفل الليل البهيم

و قد نزل الزمان على رضاهو دان لخطبة الخطب العظيم

فحين رميته بك فى خميس‌تيقن أن ذلك لا يدوم

و أبصر فى المفاضة منك جيشافأحرب لا يسير و لا يقيم

كأنك فى العجاج شهاب نورتوقد و هو شيطان رجيم

أراد بقاء مهجته فولّىو ليس سوى الحمام له حميم

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۶۰

و هى قصيدة طويلة، و من عجيب ما يحكى أن ملك الروم لما عزم على شيزر سمع من بها ذلك، فقال الأمير مرشد بن على أخو صاحبها و هو يفتح مصحفا: اللّهمّ بحق من أنزلته عليه إن قضيت بمجيء ملك الروم فاقبضنى إليك! فتوفى بعد أيام.

ذكر الحرب بين السلطان مسعود و الملك داود و من معه من الأمراء

لما فارق الراشد باللّه أتابك زنكى من الموصل سار نحو أذربيجان، فوصل مراغة، و كان الأمير منكبرس «١» صاحب فارس، و نائبة بخوزستان الأمير بوزابة، و الأمير عبد الرحمن طغايرك صاحب خلخال، و الملك داود ابن السلطان محمود، مستشعرين من السلطان

[مسعود]، خائفين منه، فتجمّعوا و وافقوا الراشد على الاجتماع معهم لتكون أيديهم واحدة، و يردوه إلى الخلافة، فأجابهم إلى ذلك إلا أنه لم يجتمع معهم.

و وصل الخبر إلى السلطان مسعود و هو ببغداد باجتماعهم، فسار عنها فى شعبان نحوهم، فالتقوا ببنجن كشت «٢»، فاقتتلوا، فهزمهم السلطان مسعود، و أخذ الأمير منكبرس «٣» أسيرا فقتل بين يديه صبرا، و تفرّق عسكر مسعود فى النهب و اتباع المنهزمين.

و كان بوزابة و عبد الرحمن طغايرك على نشز من الأرض، فرأيا السلطان

(١- ٣). منكوبرس.A

(٢).AnI،anucalأكشت بفنجن.S dleshsdik. de .VlleutspC rfMrkiHonhoaS oria .٩٩١.–B]؟[كشت

مسعودا و قد تفرق عسكره عنه، فحملا عليه و هو فى قلة فلم يثبت لهما و انهزم، و قبض بوزابة على جماعة من الأمراء، منهم: صدقة بن دبيس صاحب الحلة، و منهم ولد أتابك قراسنقر صاحب أذربيجان، و عنتر بن أبى العسكر و غيرهم و تركهم عنده. فلما بلغه قتل صاحبه منكبرس قتلهم أجمعين و صار [١] العسكران مهزومين، و كان هذا من أعجب الاتفاق.

و قصد السلطان مسعود أذربيجان، و قصد الملك داود همذان، و وصل إليها الراشد بعد الوقعة فاختلفت آراء الجماعة، فبعضهم أشار بقصد العراق و التغلب عليه، و بعضهم أشار باتباع السلطان مسعود للفراغ منه، فإن ما بعده يهون عليهم. و كان بوزابة أكبر الجماعة فلم ير ذلك، و كان غرضه المسير إلى بلاد فارس و أخذها بعد قتل صاحبها منكبرس قبل أن يمتنع من بها عليه، فبطل عليهم ما كانوا فيه، و سار إليها فملكها، و صارت له مع خوزستان.

و سار سلجوق شاه ابن السلطان محمد إلى بغداد ليملكها، فخرج إليه البقش الشحنة بها و نظر الخادم أمير الحاج و قاتلوه و منعوه، و كان عاجزا مستضعفا.

و لما قتل صدقة بن دبيس أقر السلطان مسعود الحلة على أخيه محمد بن دبيس و جعل معه مهلهل بن أبى العسكر أخا عنتر المقتول يدبر أمره.

و لما كان البقش شحنة بغداد يقاتل سلجوق شاه ثار العيارون ببغداد و نهبوا الأموال، و قتلوا الرجال، و زاد أمرهم حتى كانوا يقصدون أرباب الأموال ظاهرا، و يأخذون منهم ما يريدون، و يحملون الأمتعة على رءوس الحمالين، فلما عاد الشحنة قتل منهم و صلب، و غلت الأسعار، و كثر الظلم منه، و أخذ المستورين بحجة العيارين، فجلا الناس عن بغداد إلى الموصل و غيرها من البلاد.

---

[١] و صارا.

ذكر قتل الراشد باللّه

لما وصل الراشد باللّه إلى همذان، و بها الملك داود و بوزابة و من معهما من الأمراء و العساكر بعد انهزام السلطان مسعود و تفرق العساكر، على ما تقدم ذكره، سار الراشد باللّه إلى خوزستان مع الملك داود، و معهما خوارزم شاه، فقاربا الحويزة، فسار السلطان مسعود إلى بغداد ليمنعهم عن العراق، فعاد الملك داود إلى فارس و عاد خوارزم شاه إلى بلاده، و بقى الراشد وحده، فلما أيس من عساكر العجم سار إلى أصفهان.

فلما كان الخامس و العشرون من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا فى خدمته، فقتلوه و هو يريد القيلولة، و كان فى

أعقاب مرض و قد برىء منه، و دفن بظاهر أصفهان بشهرستان، فركب من معه فقتلوا الباطنية.

و لما وصل الخبر إلى بغداد جلسوا للعزاء به فى بيت النوبة يوما واحدا.

و كان أبيض أشقر، حسن اللون مليح الصورة، مهيبا شديد القوة و البطش.

قال أبو بكر الصولى: الناس يقولون إن كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الإسلام لا بد من أن يخلع، و ربما قتل. قال: فتأملت ذلك، فرأيته كما قيل: فإن أول من قام بأمر هذه الأمة محمد رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه و سلم، ثم أبو بكر و عمر و عثمان و على و الحسن، رضى اللَّه عنهم، فخلع، ثم معاوية و يزيد ابنه، و معاوية بن يزيد، و مروان، و عبد الملك ابن مروان، و عبد اللَّه بن الزبير، فخلع و قتل، ثم الوليد بن عبد الملك، و أخوه سليمان، و عمر بن عبد العزيز، و يزيد، و هشام ابنا عبد الملك، و الوليد بن يزيد ابن عبد الملك، فخلع و قتل، ثم لم ينتظم أمر بنى أمية، ثم ولى السفاح،

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۶۳

و المنصور و المهدى و الهادى و الرشيد و الأمين، فخلع و قتل، و المأمون و المعتصم و الواثق و المتوكل و المنتصر و المستعين، فخلع و قتل، و المعتز و المهتدى و المعتمد و المعتضد و المكتفى و المقتدر، فخلع، ثم رد، ثم قتل، ثم القاهر و الراضى و المتقى و المستكفى و المطيع و الطائع، فخلع، ثم القادر و القائم و المقتدى و المستظهر و المسترشد و الراشد، فخلع و قتل. و قلت: و فى هذا نظر لأن البيعة لابن الزبير كانت قبل البيعة لعبد الملك بن مروان، و كونه جعله بعده لا وجه له، و الصولى إنما ذكر إلى أيام المقتدر باللَّه و من بعده ذكره غيره.

ذكر حال ابن بكران العيار

فى هذه السنة، فى ذى الحجة، عظم أمر ابن بكران العيار بالعراق، و كثر أتباعه، و صار يركب ظاهرا فى جمع من المفسدين، و خافه الشريف أبو الكرم الوالى ببغداد، فأمر أبا القاسم ابن أخيه حامى باب الأزج أن يشتد عليه ليأمن شره.

و كان ابن بكران يكثر المقام بالسواد، و معه رفيق له يعرف بابن البزاز «۱»، فانتهى أمرهما إلى أنهما أرادا أن يضربا باسمهما سكة فى الأنبار، فأرسل الشحنة و الوزير شرف الدين الزينبى إلى الوالى أبى الكرم و قالا: إما أن تقتل ابن بكران، و إما أن نقتلك، فأحضر ابن أخيه و عرفه ما جرى، و قال له:

إما أن تختارنى و نفسك، و إما أن تختار ابن بكران، فقال: أنا أقتله. و كان لابن بكران عادة يجىء فى بعض الليالى إلى ابن أخى أبى الكرم، فيقيم فى داره، و يشرب عنده، فلما جاء على عادته و شرب، أخذ أبو القاسم سلاحه و وثب

---

(۱). البزار.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۶۴

به فقتله و أراح الناس من شره، ثم أخذ، بعده بيسير، رفيقه ابن البزاز «۱»، و صلب، و قتل معه جماعة من الحرامية، فسكن الناس و اطمأنوا و هدأت الفتنة.

ذكر قتل الوزير الدركزينى و وزارة الخازن

فى هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره العماد أبى البركات بن سلمة الدركزينى، و استوزر بعده كمال الدين محمد بن الحسين الخازن، و كان الكمال شهما، شجاعا، عادلا، نافذ الحكم، حسن السيرة، أزال المكوس و رفع المظالم، و كان يقيم مئونة السلطان و وظائفه، و جمع له خزائن كثيرة، و كشف أشياء كثيرة كانت مستورة يخان فيها و يسرق، فثقل على المتصرفين و أرباب

الأعمال، فأوقعوا بينه و بين الأمراء، لا سيما قراسنقر صاحب أذربيجان فإنه فارق السلطان و أرسل يقول: إما أن تنفذ رأس الوزير و إلا خدمنا سلطانا آخر. فأشار من حضر من الأمراء بقتله، و حذروه فتنة لا تتلافى، فقتله على كره منه، و أرسل رأسه إلى قراسنقر فرضى. و كانت وزارته سبعة أشهر، و كان قتله سنة ثلاث و ثلاثين و خمسمائة.

و وزر بعده أبو العز طاهر بن محمد البروجردى وزير قراسنقر، و لقب عز الملك، و ضاقت الأمور على السلطان مسعود، و استقطع الأمراء البلاد بغير اختياره، و لم يبق له شيء من البلاد البتة إلا اسم السلطنة لا غير.

---

(۱) البزارA

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۶۵

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة ملك حسام الدين تمرتاش إيلغازى، صاحب ماردين، قلعة الهتاخ من بلاد ديار بكر، أخذها من بعض بنى مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها، و هذا آخر من بقى منهم له ولاية، فسبحان الحى الدائم الّذى لا يزول ملكه و لا يتطرق إليه النقص و لا التغيير.

و فيها انقطعت كسوة الكعبة، لما ذكرناه من الاختلاف، فقام بكسوتها رامشت التاجر الفارسىّ، كساها من الثياب الفاخرة «۱» بكل ما وجد إليه سبيل، فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر ألف دينار مصرية، و هو من التجار المسافرين إلى الهند كثير المال.

و فيها توفيت زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق، زوج السلطان مسعود، و تزوج بعدها سفرى ابنة دبيس بن صدقة فى جمادى الأولى، و تزوج ابنة قاورت «۲»، و هو من البيت السلجوقى، إلا أنه كان لا يزال يعاقر الخمر ليلا و نهارا، فلهذا سقط اسمه و ذكره.

و فيها قتل السلطان مسعود ابن البقش السلاحى شحنة بغداد، و كان قد ظلم الناس و عسفهم، و فعل ما لم يفعله غيره من الظلم، فقبض عليه، و سيره إلى تكريت، فسجنه بها عند مجاهد الدين بهروز، ثم أمر بقتله، فلما أرادوا قتله ألقى بنفسه فى دجلة فغرق، فأخذ رأسه و حمل إلى السلطان، و جعل السلطان شحنة العراق مجاهد الدين بهروز، فعمل أعمالا صالحة منها: أنه عمل مسناة النهروان و أشباهها، و كان حسن السيرة كثير الإحسان.

---

(۱). الثياب الحبرة.A

(۲). أيضا ابنة قاورد.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۶۶

و فيها درس الشيخ أبو منصور بن الرزاز بالنظاميّة ببغداد.

و أرسل إلى أتابك زنكى فى إطلاق قاضى القضاة الزينبى، فأطلق و انحدر إلى بغداد، فخلع عليه الخليفة و أقره على منصبه.

و فيها كان بخراسان غلاء شديد طالت مدته، و عظم أمره، حتى أكل الناس الكلاب و السنانير و غيرهما من الدواب، و تفرق أكثر أهل البلاد من الجوع.

و فيها توفى طغان أرسلان صاحب بدليس «۱» و أرزن من ديار بكر [و ولى بعده ابنه فرنى] و استقام له الأمر «۲».

و فيها، فى شهر صفر، جاءت زلزلة عظيمة بالشام و الجزيرة و ديار بكر و الموصل و العراق و غيرها من البلاد، فخربت كثيرا منها، و هلك تحت الهدم عالم كثير.

و فيها توفى أحمد بن محمد بن أبى بكر بن «۳» أبى الفتوح الدينَوَرىّ الفقيه الحنبلى ببغداد، و كان ينشد كثيرا هذه الأبيات:

تمنيت أن تمسى فقيها مناظرابغير عياء و الجنون فنون

و ليس اكتساب المال دون مشقةتلقيتها فالعلم كيف يكون و فيها توفى محمد بن عبد الملك بن عمر أبو الحسن الكرخى، و مولده سنة ثمان و خمسين و أربعمائة، و كان فقيها محدثا سمع الحديث بكرخ و أصفهان و همذان و غيرها.

و فى شعبان منها توفى القاضى أبو العلاء صاعد بن الحسين بن إسماعيل ابن صاعد، و هو ابن عم القاضى أبى سعيد، و ولى القضاء بنيسابور بعد أبى سعيد.

---

(١). ماردين:C. P. spU

(٢). و استقر له الأمر.A

(٣). بن أحمد أبو بكر بن.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۶۷

۵۳۳ ثم دخلت سنة ثلاث و ثلاثين و خمسمائة

ذكر الحرب بين السلطان سنجر و خوارزم شاه

فى هذه السنة، فى المحرم، سار السلطان سنجر بن ملك شاه إلى خوارزم محاربا لخوارزم شاه أتسز بن محمد. و سبب ذلك أن سنجر بلغه أن أتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه و ترك الخدمة له، و أن هذا الأمر قد ظهر على كثير من أصحابه و أمرائه، فأوجب ذلك قصده و أخذ خوارزم منه، فجمع عساكره و توجه نحوه، فلما قرب من خوارزم خرج خوارزم شاه إليه فى عساكره، فلقيه مقابلا، و عبأ كل واحد منهما عساكره و أصحابه، فاقتتلوا، فلم يكن للخوارزمية قوة بالسلطان، فلم يثبتوا، و ولوا منهزمين، و قتل منهم خلق كثير، و من جملة القتلى ولد الخوارزم شاه، فحزن عليه أبوه حزنا عظيما، و وجد وجدا شديدا.

و ملك سنجر خوارزم، و أقطعها غياث الدين سليمان شاه ولد أخيه محمد، و رتب له وزيرا و أتابكا و حاجبا، و قرر قواعده، و عاد إلى مرو فى جمادى الآخرة من هذه السنة، فلما فارق خوارزم عائدا انتهز خوارزم شاه الفرصة فرجع إليها، و كان أهلها يكرهون العسكر السنجرى و يؤثرون عودة خوارزم شاه، فلما عاد أعانوه على ملك البلد، ففارقهم سليمان شاه و من معه و رجع إلى عمه السلطان سنجر، و فسد الحال بين سنجر و خوارزم شاه و اختلفا بعد الاتفاق، ففعل خوارزم شاه فى خراسان سنة ست و ثلاثين و خمسمائة ما نذكره إن شاء اللَّه.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۶۸

ذكر قتل محمود صاحب دمشق و ملك أخيه محمد

فى هذه السنة، فى شوال «١»، قتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى بن طغدكين، صاحب دمشق، على فراشه غيلة، قتله ثلاثة من غلمانه هم خواصه و أقرب الناس منه فى خلوته و جلوته، و كانوا ينامون عنده ليلا فقتلوه و خرجوا من القلعة و هربوا، فنجا أحدهم و أخذ الآخران فصلبا.

و كتب من بدمشق إلى أخيه جمال الدين محمد بن بورى صاحب بعلبكّ، و هو بها، بصورة الحال و استدعوه ليملك بعد أخيه، فحضر فى أسرع وقت، فلما دخل البلد جلس للعزاء بأخيه، و حلف له الجند و أعيان الرعية، و سكن الناس، و فوض أمر دولته إلى معين الدين أنز، مملوك جده، و زاد فى علو مرتبته، و صار هو الجملة و التفصيل، و كان أنز خيرا عاقلا حسن السيرة فجرت الأمور

عنده على أحسن نظام.

ذكر ملك زنكى بعلبكّ

فى هذه السنة، فى ذى القعدة، سار عماد الدين أتابك زنكى بن آقسنقر إلى بعلبكّ، فحصرها ثم ملكها، و سبب ذلك أن محمودا صاحب دمشق لما قتل كانت والدته زمرد خاتون عند أتابك زنكى بحلب، قد تزوجها، فوجدت لقتل ولدها وجدا شديدا، و حزنت عليه، و أرسلت إلى زنكى و هو بديار

---

(١). فى شوال.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ۶۹

الجزيرة تعرفه الحادثة، و تطلب منه أن يقصد دمشق و يطلب بثأر ولدها. فلما وقف على هذه الرسالة بادر فى الحال من غير توقف و لا تريث، و سار مجدا ليجعل ذلك طريقا إلى ملك البلد، و عبر الفرات [١] عازما على قصد دمشق، فاحتاط من بها، و استعدوا، و استكثروا من الذخائر، و لم يتركوا شيئا مما يحتاجون إليه إلا و بذلوا الجهد فى تحصيله، و أقاموا ينتظرون وصوله إليهم، فتركهم و سار إلى بعلبكّ.

و قيل: كان السبب فى ملكها أنها كانت لمعين الدين أنز، كما ذكرناه، و كان له جارية يهواها، فلما تزوج أم جمال الدين سيرها إلى بعلبكّ، فلما سار زنكى إلى الشام عازما على قصد دمشق سير إلى أنز يبذل له البذول العظيمة ليسلم إليه دمشق، فلم يفعل.

و سار أتابك إلى بعلبكّ فوصل إليها فى العشرين من ذى الحجة من السنة فنازلها فى عساكره، و ضيق عليها، و جد فى محاربتها، و نصب عليها من المنجنيقات أربعة عشر عددا ترمى ليلا و نهارا، فأشرف من بها على الهلاك، و طلبوا الأمان، و سلموا إليه المدينة، و بقيت القلعة و بها جماعة من شجعان الأتراك، فقاتلهم، فلما أيسوا من معين و نصير طلبوا الأمان فأمنهم، فسلموا إليه القلعة، فلما نزلوا منها و ملكها غدر بهم و أمر بصلبهم فصلبوا و لم ينج منهم إلا القليل، فاستقبح الناس ذلك من فعله و استعظموه، و خافه غيرهم و حذروه لا سيما أهل دمشق فإنّهم قالوا: لو ملكنا لفعل بنا مثل فعله بهؤلاء، فازدادوا نفورا و جدا فى محاربته.

و لما ملك زنكى بعلبكّ أخذ الجارية التى كانت لمعين الدين أنز بها، فتزوجها بحلب، فلم تزل بها إلى أن قتل، فسيرها ابنه نور الدين محمود الى

---

[١]- الفراة.

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٧٠

معين الدين أنز، و هى كانت أعظم الأسباب فى المودة بين نور الدين و بين أنز، و اللّه أعلم.

ذكر استيلاء قراسنقر على بلاد فارس و عوده عنها

و فى هذه السنة جمع أتابك قراسنقر صاحب أذربيجان عساكر كثيرة و حشد، و سار طالبا بثأر أبيه الّذى قتله بوزابة فى المصاف المقدم ذكره، فلما قارب السلطان مسعودا أرسل إليه يطلب منه قتل وزيره الكمال، فقتله كما ذكرناه، فلما قتل سار قراسنقر إلى بلاد فارس، فلما قاربها تحصن بوزابة منه فى القلعة البيضاء، و وطئ قراسنقر البلاد، و تصرف فيها، و ليس له فيها دافع و لا مانع، إلا أنه لم يمكنه المقام، و ملك [المدن] التى فى فارس، فسلم «١» البلاد إلى الملك سلجوق شاه ابن السلطان محمود و قال له: هذه البلاد لك فاملك الباقى، و عاد إلى أذربيجان فنزل حينئذ بوزابة من القلعة سنة أربع و ثلاثين [و خمسمائة] و هزم سلجوق شاه و ملك البلاد، و

أسر سلجوق شاه و سجنه فى قلعة بفارس.

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة، فى صفر، توفى الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد معزولا ببغداد، و حضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه، و دفن فى داره، ثم نقل إلى الكوفة، فدفن فى مشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب،

---

(١). و ملك الحصون.B. المقام بتلك الحصون فسلم.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٧١

عليه السلام. و كان فيه تشيع، و هو كان السبب فى عمل المقامات الحريرية، و كان رجلا عاقلا شهما، دينا خيرا، وزر للخليفة المسترشد و للسلطان محمود و للسلطان مسعود، و كان يستقيل من الوزارة فيجاب إلى ذلك ثم يخطب إليها فيجيب كارها.

و فيها قدم السلطان مسعود بغداد فى ربيع الأول، و كان الزمان شتاء، و صار يشتى بالعراق، و يصيف بالجبال، و لما قدمها أزال المكوس، و كتب الألواح بإزالتها، و وضعت على أبواب الجوامع و فى الأسواق، و تقدم أن لا ينزل جندى فى دار عامى من أهل بغداد إلا بإذن «١»، فكثر الدعاء له و الثناء عليه، و كان السبب فى ذلك الكمال الخازن وزير السلطان.

و فيها، فى صفر، كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام و الجزيرة و كثير من البلاد، و كان أشدها بالشام، و كانت متوالية عدة ليال، كل ليلة عدة دفعات، فخرب كثير من البلاد، لا سيما حلب فإن أهلها لما كثرت عليهم فارقوا بيوتهم، و خرجوا [إلى] الصحراء، و عدوا ليلة واحدة جاءتهم ثمانين مرة، و لم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر إلى التاسع عشر منه، و كان معها صوت و هزة شديدة.

و فيها أغار الفرنج على أعمال بانياس، فسار عسكر دمشق فى أثرهم، فلم يدركوهم فعادوا.

و فيها توفى أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامى النيسابورىّ بها، و مولده سنة ست و أربعين و أربعمائة، و كان إماما فى الحديث، مكثرا عالى الإسناد.

و توفى عبد اللّه بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف أبو القاسم ابن أبى الحسين البغدادى بها، و مولده سنة اثنتين و خمسين و أربعمائة، و عبد

---

(١). إلا بإذن.A mo

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٧٢

العزيز بن عثمان بن إبراهيم أبو محمد الأسدى البخارى، كان قاضى بخارى، و كان من الفقهاء أولاد الأئمة حسن السيرة.

و توفى محمد بن شجاع بن أبى بكر بن على بن إبراهيم اللفتوانى الأصفهانى بأصفهان فى جمادى الآخرة، و مولده سنة سبع و تسعين و أربعمائة، و سمع الحديث الكثير بأصفهان و بغداد و غيرهما [١].

---

[١] و غيرها.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٧٣

۵۳۴ ثم دخلت سنة أربع و ثلاثين و خمسمائة

ذكر حصار أتابك زنكى دمشق

فى هذه السنة حصر أتابك زنكى دمشق مرتين، فأما المرة الأولى فإنه سار إليها فى ربيع الأول من بعلبكّ بعد الفراغ من أمرها، و تقرير قواعدها و إصلاح ما تشعث منها، ليحصرها، فنزل بالبقاع، و أرسل إلى جمال الدين صاحبها يبذل له بلدا يقترحه ليسلم إليه دمشق، فلم يجبه إلى ذلك، فرحل و قصد دمشق، فنزل على داريا ثالث عشر ربيع الأول فالتقت الطلائع، و اقتتلوا، و كان الظفر لعسكر زنكى و عاد الدمشقيون منهزمين، فقتل كثير منهم.

ثم تقدم زنكى إلى دمشق، فنزل هناك، و لقيه جمع كثير من جند دمشق و أحداثها و رجالة الغوطة، فقاتلوه، فانهزم الدمشقيون، و أخذهم السيف، فقتل فيهم و أكثر، و أسر كذلك، و من سلم عاد جريحا. و أشرف البلد ذلك اليوم على أن يملك، لكن عاد زنكى عن القتال و أمسك عنه عدة أيام، و تابع الرسل إلى صاحب دمشق، و بذل له بعلبكّ و حمص و غيرهما مما يختاره من البلاد، فمال إلى التسليم، و امتنع غيره من أصحابه من ذلك، و خوفوه عاقبة فعله، و أن يغدر به كما غدر بأهل بعلبكّ، فلما لم يسلموا إليه عاود القتال و الزحف.

ثم أن جمال الدين صاحب دمشق مرض و مات ثامن شعبان، و طمع

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۷۴

زنكى حينئذ فى البلد، و زحف إليه زحفا شديدا ظنا منه أنه ربما يقع بين المقدمين و الأمراء خلاف فيبلغ غرضه، و كان ما أمله بعيدا، فلما مات جمال الدين ولى بعده مجير الدين أبق ولده، و تولى تدبير دولته معين الدين أنز «۱» فلم يظهر لموت أبيه أثر مع أن عدوهم على باب المدينة، فلما رأى أنز «۲» أن زنكى لا يفارقهم، و لا يزول عن حصرهم، راسل الفرنج، و استدعاهم إلى نصرته، و أن يتفقوا على منع زنكى عن دمشق، و بذل لهم بذولا من جملتها أن يحصر بانياس و يأخذها و يسلمها إليهم، و خوفهم من زنكى إن ملك دمشق، فعلموا صحة قوله أنه إن ملكها لم يبق لهم معه بالشام مقام، فاجتمعت الفرنج و عزموا على المسير إلى دمشق ليجتمعوا مع صاحبها و عسكرها على قتال زنكى، فحين علم زنكى بذلك سار إلى حوران خامس رمضان، عازما على قتال الفرنج قبل أن يجتمعوا بالدمشقيين، فلما سمع الفرنج خبره لم يفارقوا بلادهم، فلما رآهم كذلك عاد إلى حصر دمشق [و نزل] بعذرا شماليها سادس شوال، فأحرق عدة قرى من المرج و الغوطة و رحل عائدا إلى بلاده.

و وصل الفرنج إلى دمشق و اجتمعوا بصاحبها و قد رحل زنكى، فعادوا، فسار معين الدين أنز «۳» إلى بانياس فى عسكر دمشق، و هى فى طاعة زنكى، كما تقدم ذكرها، ليحصرها و يسلمها إلى الفرنج، و كان واليها قد سار قبل ذلك منها فى جمع جمعه إلى مدينة صور للإغارة على بلادها، فصادفه صاحب أنطاكية و هو قاصد إلى دمشق نجدة لصاحبها على زنكى، فاقتتلا، فانهزم المسلمون و أخذوا والى بانياس فقتل، و نجا من سلم منهم إلى بانياس، و جمعوا معهم كثيرا من البقاع و غيرها، و حفظوا القلعة، فنازلها معين الدين، فقاتلهم، و ضيق عليهم، و معه طائفة من الفرنج، فأخذها و سلمها إلى الفرنج.

(۱- ۲- ۳). أنر.B

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۷۵

و أما الحصر الثانى الدمشق، فإن أتابك لما سمع الخبربحصر بانياس عاد إلى بعلبكّ ليدفع عنها من يحصرها، فأقام هناك. فلما عاد عسكر دمشق، بعد أن ملكوها و سلموها إلى الفرنج، فرق أتابك زنكى عسكره على الإغارة على حوران و أعمال دمشق، و سار هو جريدة مع خواصه، فنازل دمشق سحرا و لا يعلم به أحد من أهلها، فلما أصبح الناس و رأوا عسكره خافوا، و ارتج البلد، و اجتمع العسكر و العامة على السور و فتحت الأبواب و خرج الجند و الرجالة فقاتلوه، فلم يمكن زنكى عسكره من الإقدام فى القتال لأن عامة عسكره كانوا قد تفرقوا فى البلاد للنهب و التخريب، و إنما قصد دمشق لئلا يخرج منها عسكر إلى عسكره و هم متفرقون، فلما اقتتلوا ذلك اليوم قتل بينهم جماعة ثم أحجم زنكى عنهم و عاد إلى خيامه و رحل إلى مرج راهط، و أقام ينتظر عودة عسكره، فعادوا إليه و

قد ملئوا أيديهم من الغنائم، لأنهم طرقوا البلاد و أهلها غافلون، فلما اجتمعوا عنده رحل بهم عائدا إلى بلادهم.

ذكر ملك زنكى شهرزور و أعمالها

الكامل فى التاريخ ج۱۱ ۷۵ ذكر ملك زنكى شهرزور و أعمالها ..... ص : ۷۵

فى هذه السنة ملك أتابك زنكى شهرزور و أعمالها و ما يجاورها من الحصون، و كانت بيد قفجاق بن أرسلان تاش التركمانى، و كان حكمه نافذا على قاضى التركمان و دانيهم، و كلمته لا تخالف، يرون طاعته فرضا، فتحامى الملوك قصده، و لم يتعرضوا لولايته لهذا و لأنها منيعة كثيرة المضايق، فعظم شأنه و ازداد جمعه، و أتاه التركمان من كل فج عميق.

فلما كان هذه السنة سير إليه أتابك زنكى عسكرا، فجمع أصحابه و لقيهم فتصافوا و اقتتلوا، فانهزم قفجاق و استبيح عسكره، و سار الجيش

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۷۶

الأتابكى [فى أعقابهم فحصروا الحصون و القلاع فملكوها جميعها و بذلوا الأمان لقفجاق فصار إليهم، و انخرط فى سلك العساكر] «۱» و لم يزل هو و بنوه فى خدمة البيت الأتابكى على أحسن قضية إلى بعد سنة ستمائة بقليل و فارقوها.

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة جرى بين أمير المؤمنين المقتفى لأمر [۱] اللَّه و بين الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبى منافرة، و سببها أن الوزير كان يعترض الخليفة فى كل ما يأمر به، فنفر الخليفة من ذلك، فغضب الوزير، ثم خاف فقصد دار السلطان فى سميرية [۲]، وقت الظهر، و دخل إليها و احتمى بها، فأرسل إليه الخليفة فى العود إلى منصبه، فامتنع، و كانت الكتب تصدر باسمه، و استنيب قاضى القضاة الزينبى، و هو ابن عمّ الوزير، و أرسل الخليفة إلى السلطان رسلا فى معنى الوزير، فأرخص له السلطان فى عزله، فحينئذ أسقط اسمه من الكتب، و أقام بدار السلطان، ثم عزل الزينبى من النيابة و ناب سديد الدولة بن الأنبارى.

و فيها قتل المقرب جوهر و هو من خدم السلطان سنجر، و كان قد حكم فى دولته جميعها، و من جملة أقطاعه الرى، و من جملة مماليكه عباس صاحب

---

[۱] بأمر.

[۲] سمرية.

---

(۱). P .C .te ۷۴۰

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۷۷

الرى، و كان سائر عسكر السلطان سنجر يخدمونه و يقفون ببابه، و كان قتله بيد الباطنية، وقف له جماعة منهم بزى النساء و استغثن به، فوقف يسمع كلامهم فقتلوه، فلما قتل جمع صاحبه عباس العساكر و قصد الباطنية، فقتل منهم و أكثر، و فعل بهم ما لم يفعله غيره، و لم يزل يغزوهم و يقتل فيهم و يخرّب بلادهم إلى أن مات.

و فيها زلزلت كنجة و غيرها «۱» من أعمال أذربيجان و أران إلا أن أشدها كان بكنجة فخرب منها الكثير و هلك عالم لا يحصون كثرة. قيل: كان الهلكى مائتى ألف و ثلاثين ألفا، و كان من جملة الهلكى ابنان لقراسنقر صاحب البلاد، و تهدمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز، و ذهب له فيها من الذخائر و الأموال شىء عظيم.

و فیها شرع مجاهد الدین بهروز فی عمل النهروانات: سکر سکرا عظیما یرد الماء إلی مجراه الأول، و حفر مجری الماء القدیم، و خرق «۲» إلیه مجراۀ تأخذ «۳» من دیالی ثم استحال بعد ذلک و جری الماء ناحیۀ من السکر، و بقی السکر فی البئر لا ینتفع به أحد، و لم یتعرض أحد لرده إلی مجراه عند السکر إلی وقتنا هذا.

و فیها انقطع الغیث ببغداد و العراق، و لم یجئ غیر مرۀ واحدۀ فی آذار، ثم انقطع، و وقع الغلاء، و عدمت الأقوات بالعراق.

و فیها، فی جمادی الآخرۀ، دخل الخلیفۀ بفاطمۀ خاتون بنت السلطان مسعود، و کان یوم حملها إلی دار الخلیفۀ یوما مشهودا، أغلقت بغداد عدّۀ أیّام و زیّنت و تزوّج السلطان مسعود بابنۀ الخلیفۀ المقتفی لأمر اللّه، و عقد علیها، و استقر أن یتأخر زفافها خمس سنین لصغره، و فیها، فی ربیع الأول، توفی القاضی أبو الفضل یحیی ابن قاضی دمشق المعروف بالزکی.

---

(۱). کنجۀ و أعمالها.A

(۲). الماء ناحیۀ و خرق.A

(۳). إلیه محولۀ تأخذ.A

الکامل فی التاریخ، ج ۱۱، ص: ۷۸

۵۳۵ ثم دخلت سنۀ خمس و ثلاثین و خمسمائۀ

ذکر مسیر جهار دانکی إلی العراق و ما کان منه

فی هذه السنۀ أمر السلطان مسعود الأمیر إسماعیل المعروف بجهار دانکی، و البقش کونخر، بالمسیر إلی خوزستان و فارس و أخذهما من بوزابۀ، و أطلق لهما نفقۀ علی بغداد، فسارا فیمن معهما إلی بغداد، فمنعهم مجاهد الدین بهروز من دخولها، فلم یقبلوا منه، فأرسل إلی المعابر فخسفها و غرقها، و جد فی عمارۀ السور، و سد باب الظفریۀ و باب کلواذی، و أغلق باقی الأبواب، و علق علیها السلاح و ضرب الخیام للمقاتلۀ.

فلما علما بذلک عبرا بصرصر، و قصدا الحلۀ، فمنعا منها، فقصدا واسط، فخرج إلیهما الأمیر طرنطایّ «۱» و تقاتلوا، فانهزم طرنطایّ، و دخلوا واسط فنهبوها و نهبوا بلد فرسان «۲» و النعمانیۀ، و انضم طرنطای «۳» إلی حماد بن أبی الخیر «۴» صاحب البطیحۀ، و وافقهم عسکر البصرۀ، و فارق إسماعیل و البقش بعض عسکرهما و صارا مع طرنطای «۵»، فضعف أولئک، فسار إلی تستر و استشفع إسماعیل إلی السلطان فعفا [۱] عنه.

---

[۱] فعفی.

(۱- ۳- ۵). طرمطای.A

(۲). بلد قوسان.A

(۴). أبی الجبر.A

الکامل فی التاریخ، ج ۱۱، ص: ۷۹

ذکر عدّۀ حوادث

فى هـذه السـنة وصل رسول من السـلطان سـنجر، و معه بردة النبى، صـلى اللّه عليه و سـلم، و القضـيب، و كانا قد أخذا من المسترشد، فأعادهما الآن إلى المقتفى.

و فى هـذه السـنة توفى أتابـك قراسـنقر صاحب أذربيجان و أرانيـة بمدينـة أردبيل، و كان مرضه السل، و طال به، و كان من مماليك الملك طغرل، و سلّمت أذربيجان و أرانيّة إلى الأمير جاولى الطغرلى. و كان قراسنقر علا شأنه على سلطانه و خافه السلطان.

و فيها كان بين أتابك زنكى و بين داود سقمان بن أرتق، صاحب حصن كيفا، حرب شديدة، و انهزم داود بن سقمان، و ملك زنكى من بلاده قلعة بهمرد و أدركه الشتاء فعاد إلى الموصل.

و فيها ملك الإسـماعيلية حصن مصـيات بالشام، و كان و اليه مملوكا لبنى منقذ أصحاب شيزر، فاحتالوا عليه، و مكروا به حتى صعدوا إليه و قتلوه، و ملكوا الحصن، و هو بأيديهم إلى الآن.

و فيها توفى سديـد الدولـة بن الأنبارى و اسـتوزر الخليفة بعده نظام الدين أبا نصـر محمد بن محمد بن جهير، و كان قبل ذلك أسـتاذ الدار.

و فيها توفى يرنقش بازدار صاحب قزوين.

و فيها، فى رجب، ظفر ابن الدانشمند، صاحب ملطية و غيرها من تلك النواحى، بجمع من الروم فقتلهم [١] و غنم ما معهم.

---

[١] فقتلوهم.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٨٠

و فيها، فى رمضان، سارت طائفة من الفرنج بالشام إلى عسـقلان ليغيروا على أعمالها، و هى لصاحب مصـر، فخرج إليهم العسكر الّذى بعسقلان فقاتلهم، فظفر المسلمون و قتلوا من الفرنج كثيرا «١»، فعادوا منهزمين.

و فيها بنيت المدرسـة الكماليـة ببغداد، بناها كمال الدين أبو الفتوح «٢» بن طلحـة صاحب المخزن، و لما فرغت درس فيها الشـيخ أبو الحسن بن الخل، و حضره أرباب المناصب و سائر الفقهاء.

و فيها، فى رجب، مات القاضى أبو بكر بن محمد «٣» بن عبد الباقى الأنصارى، قاضى المارستان، عن نيف و تسعين سنة، و له الإسناد العالى فى الحديث، و كان عالما بالمنطق و الحساب و الهيئة و غيرها من علوم الأوائل، و هو آخر من حدث فى الدنيا عن أبى إسحاق البرمكى و القاضى أبى الطيّب الطبرىّ و أبى طالب العشارىّ و أبى محمّد الجوهرىّ و غيرهم.

و توفّى الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمّد بن الفضل الأصفهانىّ عاشر ذى الحجّة، و مولده سنة تسع و خمسين [و أربعمائة]، و له التصانيف المشهورة.

و تـوفّى يوسـف بـن أيّوب بـن يوسـف بـن الحسن أبـو يعقـوب الهمـذانىّ من أهـل بروجرد، و سـكن مرو، و تفقّه على أبى إسـحاق الشـيرازى، و روى الحـديث، و اشـتغل بالرياضات و المجاهـدات، و وعظ ببغداد، فقام إليه متفقّه يقال له ابن السـقّاء و سأله و آذاه فى السؤال فقال: اسكت، إنّى أشمّ منك ريح الكفر! فسافر الرجل إلى بلد الروم و تنصّر.

و فيها مات أبو القاسم علىّ بن أفلح الشاعر المشهور.

---

(١). الفرنج جمعا.A

(٢). الفتوح حمزة بن على.B. الفتوح محمد بن على.A

(٣). أبو بكر محمد.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٨١

۵۳۶ ثم دخلت سنة ست و ثلاثين و خمسمائة

ذكر انهزام السلطان سنجر من الأتراك الخطا و ملكهم ما وراء النهر

قد ذكر أصحاب التواريخ فى هذه الحادثة أقاويل نحن نذكرها جميعها للخروج من عهدتها، فنقول:

فى هذه السنة، فى المحرّم، انهزم السلطان سنجر من الترك الكفّار.

و سبب ذلك أنّ سنجر كان قتل ابنا لخوارزم شاه أتسز بن محمّد، كما ذكرناه قبل، فبعث خوارزم شاه إلى الخطا، و هم بما وراء النهر، يطمعهم فى البلاد و يروّج عليهم أمرها، و تزوّج إليهم، و حثّهم على قصد مملكة السلطان سنجر، فساروا فى ثلاثمائة ألف فارس، و سار إليهم سنجر فى عساكره، فالتقوا بما وراء النهر، و اقتتلوا أشد قتال، و انهزم سنجر فى جميع عساكره، و قتل منهم مائة ألف قتيل، منهم: أحد عشر ألفا كلهم صاحب عمامة، و أربعة آلاف امرأة، و أسرت زوجة السلطان سنجر، و ثم سنجر منهزما إلى ترمذ، و سار منها إلى بلخ.

و لما انهزم سنجر قصد خوارزم شاه مدينة مرو، فدخلها مراغمة للسلطان سنجر، و قتل بها، و قبض على أبى الفضل الكرمانى الفقيه الحنفى و على جماعة من الفقهاء و غيرهم من أعيان البلد.

و لم يزل السلطان سنجر مسعودا إلى وقتنا هذا لم تنهزم له راية، و لما تمت

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۸۲

عليه هذه الهزيمة أرسل إلى السلطان مسعود و أذن له فى التصرف فى الرى و ما يجرى معها على قاعدة أبيه السلطان محمد، و أمره أن يكون مقيما فيها بعساكره بحيث إن دعت حاجة استدعاه لأجل هذه الهزيمة، فوصل عباس صاحب الرى إلى بغداد بعساكره، و خدم السلطان مسعودا خدمة عظيمة، و سار السلطان إلى الرى امتثالا لأمر عمه سنجر.

و قيل: إن بلاد تركستان، و هى كاشغر، و بلاساغون، و ختن، و طراز و غيرها مما يجاورها من بلاد ما وراء النهر كانت بيد الملوك الخانية الأتراك، و هم مسلمون من نسل أفراسياب التركى، إلا أنهم مختلفون.

و كان سبب إسلام جدهم الأول و اسمه سبق قراخاقان أنه رأى فى منامه كأن رجلا نزل من السماء فقال بالتركية ما معناه: أسلم تسلم فى الدنيا و الآخرة، فأسلم فى منامه، و أصبح فأظهر إسلامه، فلما مات قام مقامه ابنه موسى بن سبق، و لم يزل الملك بتلك الناحية فى أولاده إلى أرسلان خان محمد ابن سليمان بن داود بغراخان بن إبراهيم الملقب بطمغاج خان بن ايلك الملقب بنصر أرسلان بن على بن موسى بن سبق، فخرج على قدرخان فانتزع الملك منه، فقتل سنجر قدرخان، كما ذكرناه، سنة أربع و تسعين و أربعمائة، و أعاد الملك إلى أرسلان خان، و ثبت قدمه. و خرج «۱» خوارج، فاستصرخ السلطان سنجر فنصره و أعاده إلى ملكه أيضا.

و كان من جنده نوع من الأتراك يقال لهم القارغلية «۲» و الأتراك الغزية الذين نهبوا خراسان على ما نذكره إن شاء اللّه، و هم نوعان: نوع يقال لهم أجق، و أميرهم طوطى بن دادبك، و نوع يقال لهم برق «۳»، و أميرهم قرعوت بن عبد الحميد، فحسن الشريف الأشرف بن محمد بن أبى شجاع العلوىّ السمرقندى لولد أرسلان خان المعروف بنصر خان طلب الملك من أبيه

---

(۱). و خرج عليه.A

(۲). القارلغية.A

(۳). طم سرق.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۸۳

و أطمعه، فسمع محمد خان الخبر، فقتل الابن و الشريف الأشرف.

و جرت بين أرسلان خان و بين جنده القارغلية «۱» وحشة دعتهم إلى العصيان عليه و انتزاع الملك منه، فعاود الاستغاثة بالسلطان سنجر، فعبر جيحون بعساكره سنة أربع و عشرين و خمسمائة، و كان بينهما مصاهرة، فوصل إلى سمرقند، و هرب القارغلية «۲» من بين يديه.

و اتفق أن السلطان سنجر خرج إلى الصيد، فرأى خيالة، فقبض عليهم فأقروا بأن أرسلان خان وضعهم على قتله، فعاد إلى سمرقند، فحصر أرسلان خان بالقلعة فملكها، و أخذه أسيرا، و سيره إلى بلخ فمات بها، و قيل بل غدر به سنجر، و استضعفه، فملك البلد منه فأشاع عنه ذلك.

فلما ملك سمرقند استعمل عليها بعده قلج طمغاج أبا المعالى الحسن بن على بن عبد المؤمن المعروف بحسن تكين، و كان من أعيان بيت الخانية، إلا أن أرسلان خان اطرحه، فلما ولى سمرقند لم تطل أيامه، فمات عن قليل، فأقام سنجر مقامه الملك محمود بن أرسلان خان محمد بن سليمان بن داود بغراخان، و هو ابن الّذى أخذ منه سنجر سمرقند، و كان محمود هذا ابن أخت سنجر، و كان قبل ذلك، سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة، قد وصل الأعور الصينى إلى حدود كاشغر فى عدد كثير لا يعلمهم إلا اللّه، فاستعد له صاحب كاشغر، و هو الخان أحمد بن الحسن، و جمع جنوده، فخرج إليه، و التقوا، فاقتتلوا، و انهزم الأعور الصينى، و قتل كثير من أصحابه، ثم إنه مات، فقام مقامه كوخان الصينى.

و كو بلسان الصين لقب لأعظم ملوكهم، و خان لقب لملوك الترك فمعناه أعظم الملوك. و كان يلبس لبسة ملوكهم من المقنعة و الخمار، و كان مانوى

(۱- ۲). القارلغية.A

المذهب. و لما خرج من الصين إلى تركستان انضاف إليه الأتراك الخطا، و كانوا قد خرجوا قبله من الصين، و هم فى خدمة الخانية أصحاب تركستان.

و كان أرسلان خان محمد بن سليمان يسير كل سنة عشرة آلاف خركاة و ينزلهم على الدروب التى بينه و بين الصين، يمنعون أحدا من الملوك أن يتطرق إلى بلاده، و كان لهم على ذلك جرايات و إقطاعات، فاتفق أنه وجد عليهم فى بعض السنين، فمنعهم عن نسائهم لئلا يتوالدوا، فعظم عليهم، و لم يعرفوا وجها يقصدونه و تحيروا، فاتفق أنه اجتاز بهم قفل عظيم فيه الأموال الكثيرة و الأمتعة النفيسة، فأخذوه و أحضروا التجار و قالوا لهم:

إن كنتم تريدون أموالكم فتعرفونا بلدا كثير المرعى فسيحا، يسعنا و معنا أموالنا، فاتفق رأى التجار على بلد بلاساغون فوصفوه لهم، فأعادوا إليهم أموالهم، و أخذوا الموكلين بهم لمنعهم عن نسائهم و كتفوهم، و أخذوا نساءهم، و ساروا إلى بلاساغون، و كان أرسلان خان يغزوهم و يكثر جهادهم فخافوه خوفا عظيما.

فلما طال ذلك عليهم و خرج كوخان الصينى انضافوا إليه أيضا، فعظم شأنهم و تضاعف جمعهم، و ملكوا بلاد تركستان، و كانوا إذا ملكوا المدينة لا يغيرون على أهلها شيئا، بل يأخذون من كل بيت دينارا من أهل البلاد و غيرها من القرى، و أما المزدرعات و غير ذلك فلأهله، و كل من أطاعهم من الملوك شد فى وسطه شبه لوح فضة، فتلك علامة من أطاعهم.

ثم ساروا إلى بلاد ما وراء النهر، فاستقبلهم الخاقان محمود بن محمد بن حدود خجندة «۱» فى رمضان سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة، و اقتتلوا، فانهزم الخاقان محمود بن محمد، و عاد إلى سمرقند، فعظم الخطب على أهلها،

---

(۱). حجبة:C. P. Usp- خجند.B. بحدود.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۸۵

و اشتد الخوف و الحزن، و انتظروا البلاء صباحا و مساء، و كذلك أهل بخارى و غيرها من بلاد ما وراء النهر، و أرسل الخاقان محمود إلى السلطان سنجر يستمده و ينهى إليه ما لقى المسلمون، و يحثه على نصرتهم، فجمع العساكر، فاجتمع عنده ملوك خراسان: صاحب سجستان و الغور، و ملك غزنة، و ملك مازندران و غيرهم، فاجتمع له أكثر من مائة ألف فارس و بقى العرض ستة أشهر.

و سار سنجر إلى لقاء الترك، فعبر إلى ما وراء النهر فى ذى الحجة سنة خمس و ثلاثين و خمسمائة، فشكا إليه محمود بن محمد خان من الأتراك القارغلية «۱»، فقصدهم سنجر، فالتجئوا إلى كوخان الصينى و من معه من الكفار، و أقام سنجر بسمرقند، فكتب إليه كوخان كتابا يتضمن الشفاعة فى الأتراك القارغلية «۲»، و يطلب منه أن يعفو عنهم، فلم يشفعه فيهم، و كتب إليه يدعوه إلى الإسلام و يتهدده إن لم يجب إليه و يتوعده بكثرة عساكره، و وصفهم، و بالغ فى قتالهم بأنواع السلاح حتى قال: و إنهم يشقون الشعر بسهامهم، فلم يرض هذا الكتاب وزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك، فلم يصغ إليه، و سير الكتاب، فلما قرئ الكتاب على كوخان أمر بنتف لحية الرسول، و أعطاه إبرة، و كلفه شق شعرة من لحيته فلم يقدر أن يفعل ذلك، فقال: كيف يشق غيرك شعرة بسهم و أنت عاجز عن شقها بإبرة؟

و استعد كوخان للحرب، و عنده جنود الترك و الصين و الخطا و غيرهم، و قصد السلطان سنجر، فالتقى العسكران، و كانا كالبحرين العظيمين، بموضع يقال له قطوان، و طاف بهم كوخان حتى ألجأهم إلى واد يقال له درغم، و كان على ميمنة سنجر الأمير قماج، و على ميسرته ملك سجستان، و الأثقال

(۱- ۲). القارلغية.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۸۶

وراءهم، فاقتتلوا خامس صفر سنة ست و ثلاثين و خمسمائة.

و كانت الأتراك القارغلية الذين هربوا من سنجر من أشد الناس قتالا، و لم يكن ذلك اليوم من عسكر السلطان سنجر أحسن قتالا من صاحب سجستان، فأجلت الحرب عن هزيمة المسلمين، فقتل منهم ما لا يحصى من كثرتهم، و اشتمل وادى درغم على عشرة آلاف من القتلى و الجرحى، و مضى السلطان سنجر منهزما، و أسر صاحب سجستان و الأمير قماج و زوجة السلطان سنجر، و هى ابنة أرسلان خان، فأطلقهم الكفار، و ممن قتل الحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة البخارى الفقيه الحنفى المشهور. و لم يكن فى الإسلام وقعة أعظم من هذه و لا أكثر ممن قتل فيها بخراسان.

و استقرت دولة الخطا و الترك الكفار بما وراء النهر، و بقى كوخان إلى رجب من سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة فمات فيه. و كان جميلا، حسن الصورة، لا يلبس إلا الحرير الصينى، له هيبة عظيمة على أصحابه، و لم يسلط أميرا على أقطاع بل كان يعطيهم من عنده، و يقول: متى أخذوا الأقطاع ظلموا، و كان لا يقدم أميرا على أكثر من مائة فارس حتى لا يقدر على العصيان عليه، و كان ينهى أصحابه عن الظلم، و ينهى عن السكر و يعاقب «۱» عليه، و لا ينهى عن الزنا و لا يقبحه.

و ملك بعده ابنة له فلم تطل مدتها حتى ماتت، فملك بعدها أمها زوجة كوخان و ابنة عمه، و بقى ما وراء النهر بيد الخطا إلى أن أخذه منهم علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة اثنى عشرة و ستمائة، على ما نذكره إن شاء اللّه.

---

(۱). عن الفساد و يعاقب.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۸۷

ذكر ما فعله خوارزم شاه بخراسان

قد ذكرنا قبل قصد «۱» السلطان سنجر خوارزم، و أخذها من خوارزم شاه أتسز، و عوده إليها، و قتل ولد خوارزم شاه، [و أنه هو الّذى راسل الخطا و أطمعهم فى بلاد الإسلام، فلما لقيهم السلطان سنجر و عاد منهزما] «۲» سار خوارزم شاه إلى خراسان، فقصد سرخس فى ربيع الأول من «۳» السنة.

فلما وصل إليها لقيه الإمام أبو محمد الزيادى، و كان قد جمع بين الزهد و العلم، فأكرمه خوارزم شاه إكراما عظيما، و رحل من هناك إلى مرو الشاهجان، فقصده الإمام أحمد الباخرزى، و شفع فى أهل مرو، و سأل ألا يتعرض لهم [۱] أحد من العسكر، فأجابه إلى ذلك، و نزل بظاهر البلد، و استدعى أبا الفضل الكرمانى الفقيه و أعيان أهلها، فثار عامة مرو و قتلوا بعض أهل خوارزم شاه، و أخرجوا أصحابه من البلد، و أغلقوا أبوابه، و استعدوا للامتناع، فقاتلهم خوارزم شاه، و دخل مدينة مرو سابع عشر ربيع الأول من السنة، و قتل كثيرا من أهلها.

و ممن قتل: إبراهيم المروزى الفقيه الشافعىّ و على بن محمد «۴» بن أرسلان، و كان ذا فنون كثيرة من العلم، و قتل الشريف على بن إسحاق الموسوى، و كان رأس فتنة و ملقح شر، و قتل كثيرا من أعيان أهلها و عاد إلى خوارزم، و استصحب معه علماء كثيرين [۲] من أهلها منهم: أبو الفضل الكرمانى و أبو

---

[۱] يعترض إليهم.

[۲] كثيرا.

---

(۱). قصة:spU .P .C

(۲).P .C

(۳). فى:spU. ۰۴vte .P .C

(۴). بن محمد.mo .A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۸۸

شسور العبادى و القاضى الحسين بن محمد الارسابندى و أبو محمد الخرقى الفيلسوف و غيرهم.

ثم سار فى شوال من السنة إلى نيسابور، فخرج إليه جماعة من فقهائها و علمائها و زهادها، و سألوه أن لا يفعل بأهل نيسابور ما فعل بأهل مرو، فأجابهم إلى ذلك لكنه استقصى فى البحث عن أموال أصحاب السلطان فأخذها، و قطع خطبة السلطان سنجر، أول ذى القعدة، و خطبوا له، فلما ترك الخطيب ذكر السلطان سنجر و ذكر خوارزم شاه صاح الناس و ثاروا، كادت الفتنة تثور و الشر يعود جديدا، و إنما منع الناس من ذلك ذوو الرأى و العقل نظرا فى العاقبة، فقطعت إلى أول «۱» المحرم سنة سبع و ثلاثين [و خمسمائة] ثم أعيدت خطبة السلطان سنجر.

ثم سير خوارزم شاه جيشا إلى أعمال بيهق، فأقاموا بها يقاتلون أهلها خمسة أيام، ثم سار عنها ذلك الجيش ينهبون البلاد، و عملوا بخراسان أعمالا عظيمة، و منع السلطان سنجر من مقاتلة أتسز خوارزم شاه خوفا من قوة الخطا بما وراء النهر، و مجاورتهم خوارزم و غيرها من بلاد خراسان.

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة ملك أتابك زنكى بن آقسنقر مدينة الحديثة، و نقل من كان بها من آل مهراش إلى الموصل، و رتب أصحابه فيها.

و فيها خطب لزنكى أيضا بمدينة آمد، و صار صاحبها فى طاعته، و كان قبل ذلك موافقا لداود على قتال زنكى، فلما رأى قوة زنكى صار معه.

---

(۱). فى أول.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۸۹

و فيها عزل مجاهد الدين بهروز عن شحنكية بغداد، و وليها قزل أمير آخر، و هو من مماليك السلطان محمود، و كان له بروجرد و البصرة، فأضيف إليه شحنكية بغداد، ثم وصل السلطان مسعود إلى بغداد، فرأى من تبسط العيارين و فسادهم ما ساءه، فأعاد بهروز إلى الشحنكية، فتاب كثير منهم، و لم ينتفع الناس بذلك، لأن ولد الوزير و أخا امرأة السلطان كانا يقاسمان العيارين، فلم يقدر بهروز على منعهم.

و فيها تولى عبد الرحمن طغايرك «۱» حجبة السلطان، و استولى على المملكة و عزل الأمير تتر الطغرلى عنها، و آل أمره إلى أن يمشى فى ركاب عبد الرحمن.

و فيها توفى إبراهيم السهاوى مقدم الإسماعيلية، فأحرقه ولد عباس صاحب الرّىّ فى تابوته.

و فيها حجّ كمال الدين بن طلحة صاحب المخزن، و عاد و قد لبس ثياب الصوفيّة، و تخلّى عن جميع ما كان فيه، و أقام فى داره مرعىّ [۱] الجانب محروس القاعدة.

و فيها وصل السلطان إلى بغداد و كان الوزير الزينبىّ بدار السلطان، كما ذكرناه، فسأل السلطان أن يشفع فيه ليردّه الخليفة إلى داره، فأرسل السلطان وزيره إلى دار الخلافة و معه الوزير شرف الدين الزينبىّ، و شفع فى أن يعود إلى داره، فأذن له فى ذلك، و أعيد أخوه إلى نقابة النقباء، فلزم الوزير داره، و لم يخرج منها إلّا إلى الجامع.

---

[۱] مرعا.

---

(۱). بن طغايرك.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۹۰

و فيها أغار عسكر أتابك زنكى من حلب على بلاد الفرنج، فنهبوا و احرقوا و ظفروا بسرية الفرنج، فقتلوا فيهم و أكثروا، فكان عدّة القتلى سبع مائة رجل.

و فيها أفسد بنو خفاجة بالعراق، فسيّر السلطان مسعود سريّة إليهم من العسكر، فنهبوا حلّتهم، و قتلوا من ظفروا به منهم و عادوا سالمين.

و فيها سيّر رجّار الفرنجى صاحب صقلّيّة أسطولا إلى أطراف إفريقية، فأخذوا مراكب سيّرت من مصر إلى الحسن صاحب إفريقية، و غدر بالحسن، ثم راسله الحسن، و جدّد الهدنة لأجل حمل الغلات من صقلّيّة إلى إفريقية لأن الغلاء كان فيها شديدا و الموت كثيرا.

و فيها توفّى أبو القاسم عبد الوهّاب بن عبد الواحد الحنبلىّ الدمشقىّ، و كان عالما صالحا.

و فيها توفّى ضياء الدين أبو سعيد بن الكفرتوثىّ وزير أتابك زنكى، و كان حسن السيرة فى وزارته كريما رئيسا.

و فيها توفّى أبو محمد بن طاووس إمام الجامع بدمشق فى المحرّم، و كان رجلا صالحا فاضلا.

و فيها توفّى أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبى الأشعث المعروف بابن السمرقندىّ، ولد بدمشق سنة أربع و خمسين و أربعمائة، و كان مكثرا من الحديث.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۹۱

۵۳۷ ثم دخلت سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة

ذكر ملك أتابك زنكى قلعة أشب «۱» و غيرها من الهكارية

فى هذه السنة أرسل أتابك زنكى جيشا إلى قلعة أشب «۲»، و كانت أعظم حصون الأكراد الهكّارية و أمنعها، و بها أموالهم و أهلهم، فحصروها و ضيّقوا على من بها فملكوها، فأمر بإخراجها و بناء القلعة المعروفة بالعمادية عوضا عنها.

و كانت هذه العماديّة حصنا عظيما من حصونهم، فخرّبوه لكبره لأنه كبير جدا، و كانوا يعجزون عن حفظه، فخرّبت الآن أشب «۳» و عمرت العماديّة، و إنما سمّيت العماديّة نسبة إلى لقبه، و كان نصير الدين جقر نائبة بالموصل قد فتح أكثر القلاع الجبليّة.

ذكر حصر الفرنج طرابلس الغرب

و فى هذه السنة سارت مراكب الفرنج من صقلّيّة إلى طرابلس الغرب فحصروها، و سبب ذلك أن أهلها فى أيام الأمير الحسن، صاحب إفريقية، لم يدخلوا يدا فى طاعته، و لم يزالوا مخالفين مشاقّين [۱] له، قد قدّموا عليهم من بنى مطروح مشايخ يدبّرون أمرهم، فلما رآهم ملك صقلّيّة كذلك جهّز إليهم جيشا فى البحر، فوصلوا إليهم تاسع ذى الحجّة، فنازلوا البلد و قاتلوه،

---

[۱] مشاققين.

(۱- ۲- ۳). قلعة الشعبانىّ.B

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۹۲

و علّقوا الكلاليب فى سوره و نقبوه.

فلما كان الغد وصل جماعة من العرب نجدة لأهل البلد، فقوى أهل طرابلس بهم، فخرجوا إلى الأسطولية، فحملوا عليهم حملة منكرة، فانهزموا هزيمة فاحشة، و قتل منهم خلق كثير، و لحق الباقون بالأسطول، و تركوا الأسلحة و الأثقال و الدوابّ، فنهبها العرب و أهل البلد. و رجع الفرنج إلى صقلّيّة، فجدّدوا أسلحتهم و عادوا إلى المغرب، فوصلوا إلى جيجل، فلما رآهم أهل البلد هربوا منه إلى البرارى و الجبال، فدخلها الفرنج و سبوا من أدركوا فيها و هدموها، و أحرقوا القصر الّذى بناه يحيى بن العزيز بن حماد للنزهة ثم عادوا.

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة خرج حسن أمير الأمراء على السلطان سنجر بخراسان.

و فيها توفّى محمد بن دانشمند صاحب ملطية و الثغر، و استولى على بلاده الملك مسعود بن قلج [أرسلان] صاحب قونية و هو من السلجوقية.

و فيها خرج من الروم عسكر كثير إلى الشام، فحصروا الفرنج بأنطاكية، فخرج صاحبها و اجتمع بملك الروم و أصلح حاله معه، و عاد إلى مدينة أنطاكية، و مات فى رمضان من هذه السنة، ثم إن ملك الروم بعد أن صالح صاحب أنطاكية سار إلى طرابلس فحصرها ثم سار عنها.

و فيها قبض السلطان مسعود على الأمير ترشك و هو من خواص الخليفة و ممن ربى عنده و فى داره، فساء ذلك الخليفة، ثم أطلقه السلطان حفظا لقلب الخليفة.

و فيها كان بمصر وباء عظيم فهلك فيه أكثر أهل البلاد

.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۹۳

۵۳۸ ثم دخلت سنة ثمان و ثلاثين و خمسمائة

ذكر صلح الشهيد و السلطان مسعود

فى هذه السنة وصل السلطان مسعود إلى بغداد على عادته فى كل سنة، و جمع العساكر، و تجهز لقصد أتابك زنكى، و كان حقد عليه حقدا شديدا.

و سبب ذلك أن أصحاب الأطراف الخارجين على [۱] السلطان مسعود كانوا يخرجون عليه على ما تقدم ذكره. فكان ينسب ذلك إلى أتابك زنكى و يقول إنه هو الّذى سعى فيه و أشار به لعلمه أنهم كلّهم كانوا يصدرون عن رأيه، فكان أتابك زنكى لا شكّ يفعل ذلك لئلا يخلو السلطان فيتمكن منه و من غيره، فلما تفرّغ السلطان، هذه السنة، جمع العساكر ليسير إلى بلاده، فسيّر أتابك يستعطفه و يستميله، فأرسل إليه السلطان أبا عبد اللّه بن الأنبارى فى تقرير القواعد، فاستقرت القاعدة على مائة ألف دينار يحملها إلى السلطان ليعود عنه، فحمل عشرين ألف دينار أكثرها عروض، ثم تنقّلت الأحوال بالسلطان إلى أن احتاج إلى مداراة أتابك و أطلق له الباقى استمالة له و حفظا لقلبه، و كان أعظم الأسباب فى قعود [۲] السلطان عنه ما يعلمه من حصانة بلاده و كثرة عساكره و أمواله.

و من جيّد الرأى ما فعله الشهيد فى هذه الحادثة، فإنه كان ولده الأكبر

---

[۱] عن.

[۲] قعاد.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۹۴

سيف الدين غازى لا يزال عند السلطان سفرا و حضرا بأمر والده، فأرسل إليه الآن يأمره بالهرب من عند السلطان إلى الموصل، فأرسل إلى نائبة بها نصير الدين جقر يقول له ليمنعه عن الدخول و الوصول إليه، فهرب غازى. و بلغ الخبر والده، فأرسل إليه يأمره بالعود إلى السلطان، و لم يجتمع به، و أرسل معه رسولا إلى السلطان يقول له: إن ولدى هرب خوفا من السلطان لما رأى تغيّره على، و قد أعدته إلى الخدمة، و لم أجتمع به، فإنه مملوكك، و البلاد لك، فحل ذلك من السلطان محلّا عظيما.

ذكر ملك أتابك بعض ديار بكر

و فى هذه السنة سار أتابك زنكى إلى ديار بكر ففتح منها عدّة بلاد و حصون، فمن ذلك: مدينة طنزة، و مدينة أسعرد، و مدينة حيزان، و حصن الروق، و حصن قطليس، و حصن ناتاسا «۱»، و حصن ذى القرنين، و غير ذلك مما لم يبلغ شهرة هذه الأماكن، و أخذ أيضا من بلد ماردين مما هو بيد الفرنج حملين، و الموزر، و تل موزن و غيرها من حصون جوسلين، و رتّب أمور الجميع و جعل فيها من الأجناد من يحفظها، و قصد مدينة آمد و حانى فحصرهما، و أقام بتلك الناحية مصلحا لما فتحه، و محاصرا لما لم يفتحه.

---

(۱). باتاما.B. باتاسه. ۴۸۶.rfC .lllladefiubA ,p

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۹۵

ذكر أمر العيّارين ببغداد

و فى هذه السنة زاد أمر العيّارين و كثروا لأمنهم من الطلب بسبب ابن الوزير و ابن قاورت «١» أخى زوجة السلطان، لأنهما كان لهما نصيب فى الّذى يأخذه العيارون.

و كان النائب فى شحنكيّة بغداد يومئذ مملوك اسمه إيلدكز، و كان صارما، مقداما، ظالما، فحمله الإقدام إلى أن حضر عند السلطان، فقال له السلطان:

إن السياسة قاصرة، و الناس قد هلكوا. فقال: يا سلطان العالم إذا كان عقيد العيّارين ولد وزيرك و أخا امرأتك فأىّ قدرة لى على المفسدين؟ و شرح له الحال، فقال له: الساعة تخرج و تكيس عليهما أين كانا، و تصلبهما، فإن فعلت و إلا صلبتك، فأخذ خاتمه و خرج فكبس على ابن الوزير فلم يجده، فأخذ من كان عنده، و كبس على ابن قاورت «٢» فأخذه و صلبه، فأصبح الناس و هرب ابن الوزير و شاع فى الناس الأمر و رئى ابن قاورت «٣» مصلوبا، فهرب أكثر العيّارين و قبض على من أقام و كفى الناس شرهم.

ذكر حصر سنجر خوارزم و صلحه مع خوارزم شاه

قد ذكرنا سنة اثنتين و ثلاثين [و خمسمائة] مسير سنجر إلى خوارزم و ملكه لها، و عمود أتسز خوارزم شاه إليها و أخذها، و ما كان منه بخراسان بعد ذلك «٤»، فلما كان فى هذه السنة سار السلطان سنجر إلى خوارزم، فجمع

(١- ٢- ٣). قاورد.A

(٤). و أخذها و ذكرنا ما كان.B. و ما ... ذلك.A. mo

خوارزم شاه عساكره، و تحصن بالمدينة، و لم يخرج منها لقتال، لعلمه أنه لا يقوى لسنجر.

و كان القتال يجرى بين الفريقين من وراء السور، فاتّفق [فى] يوم من بعض الأيام [أن] هجم أمير من أمراء سنجر اسمه سنقر على البلد من الجانب الشرقى و دخله، و دخل أمير آخر اسمه مثقال التاجى من الجانب الغربى، فلم يبق غير ملكه قهرا و عنوة، و انصرف مثقال عن البلد حسدا لسنقر، فقوى عليه خوارزم شاه أتسز، فأخرجه من البلد، و بقى سنقر وحده، و اشتد فى حفظه، فلما رأى السلطان قوّة البلد و امتناعه عزم على العود إلى مرو، و لم يمكنه من غير قاعدة تستقر بينهما، فاتّفق أن خوارزم شاه أرسل رسلا يبذل المال و الطاعة و الخدمة و يعود إلى ما كان عليه من الانقياد، فأجابه إلى ذلك و اصطلحا، و عاد سنجر إلى مرو و أقام خوارزم شاه بخوارزم.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة سيّر أتابك زنكى عسكرا إلى مدينة عانة من أعمال الفرات فملكوها.

و فيها، فى المحرم، توفّى أبو البركات عبد الوهّاب بن المبارك بن أحمد الأنباطى «١»، الحافظ ببغداد، و مولده سنة اثنتين و ستين و أربعمائة.

و فيها توفى أبو الفتوح محمد بن الفضل بن محمد الأسفراينى الواعظ، من أهل أسفرايين من خراسان، و أقام مدّة ببغداد يعظ، و سار إلى خراسان، فمات ببسطام، و كان إماما فاضلا صالحا، و كان بينه و بين على الغزنوىّ تحاسد،

---

(١). الأنماطى.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٩٧

فلما مات حضر الغزنوى عزاءه ببغداد و بكى و أكثر، فقال بعض أصحاب أبى الفتوح للغزنوى كلاما أغلظ له فيه، فلما قام الغزنوى لامه بعض تلامذته على حضور العزاء و كثرة البكاء و قال له: كنت مهاجرا [١] لهذا الرجل، فلما مات حضرت عزاءه و أكثرت البكاء و أظهرت الحزن؟ قال: كنت أبكى على نفسى [٢]، كان يقال فلان و فلان، فمن يعدم النظير أيقن بالرحيل، و أنشد هذه الأبيات:

ذهب المبرد و انقضت أيامهو سينقضى بعد المبرد ثعلب

بيت من الآداب أصبح نصفهخربا و باق نصفه فسيخرب

فتزوّدوا من ثعلب فبمثل ماشرب المبرد عن قليل يشرب

أوصيكم أن تكتبوا أنفاسهإن كانت الأنفاس مما يكتب و فيها توفّى الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبى، فى رمضان، معزولا، و دفن بداره بباب الأزج، ثم نقل إلى الحربية.

و فيها توفى أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرىّ النحوىّ المفسر، و زمخشر إحدى قرى خوارزم.

---

[١] مهاجر.

[٢] نفس.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٩٨

٥٣٩ ثم دخلت سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة

ذكر فتح الرها و غيرها من بلاد الجزيرة مما كان بيد الفرنج

فى هذه السنة، سادس جمادى الآخرة، فتح أتابك عماد الدين زنكى بن آقسنقر مدينة الرها من الفرنج، و فتح غيرها من حصونهم بالجزيرة أيضا، و كان ضررهم قد عم بلاد الجزيرة و شرهم قد استطار فيها، و وصلت غاراتهم إلى أدانيها و أقاصيها، و بلغت آمد و نصيبين و رأس عين و الرّقّة «١».

و كانت مملكتهم بهذه الديار من قريب ماردين إلى الفرات [١] مثل الرها، و سروج، و البيرة، و سن ابن عطير، و حملين، و الموزر، و القرادى و غيره ذلك. و كانت هذه الأعمال مع غيرها مما هو غرب الفرات [١] لجوسلين، و كان صاحب رأى الفرنج و المقدم على عساكرهم، لما هو عليه من الشجاعة و المكر.

و كان أتابك يعلم أنه متى قصد حصرها اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها، فيتعذر عليه ملكها لما هى عليه من الحصانة، فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج أنه غير متفرّغ لقصد بلادهم. فلما رأوا أنه غير قادر على ترك الملوك الأرتقيّة و غيرهم من ملوك ديار بكر، حيث أنه محارب لهم، اطمأنّوا، و فارق جوسلين الرها و عبر الفرات [١] إلى بلاد الغربية، فجاءت عيون أتابك إليه فأخبرته

---

[١] الفراة.

---

(١). و الرقة و غير ذلك.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٩٩

فنادى فى العسكر بالرحيل و أن لا يتخلف عن الرها أحد من غد يومه، و جمع الأمراء عنده، و قال: قدموا الطعام، و قال: لا يأكل معى

على مائدتى هذه إلا من يطعن غدا معى على باب الرّها، فلم يتقدّم إليه غير أمير «١» واحد و صبى لا يعرف، لما يعلمون من إقدامه و شجاعته، و أن أحدا لا يقدر على مساواته فى الحرب. فقال الأمير لذلك الصبى: ما أنت فى هذا المقام؟ فقال أتابك: دعه فو اللَّه إنى أرى وجها لا يتخلف عنى.

و سار و العساكر معه، و وصل إلى الرّها، و كان هو أول من حمل على الفرنج و معه ذلك الصبىّ، و حمل فارس من خيّالة الفرنج على أتابك عرضا، فاعترضه ذلك الأمير فطعنه فقتله، و سلم الشهيد، و نازل البلد، و قاتله ثمانية و عشرين يوما، فزحف إليه عدة دفعات، و قدم النقابين فنقبوا سور البلد، و لج فى قتاله خوفا من اجتماع الفرنج و المسير إليه و استنقاذ البلد منه، فسقطت «٢» البدنة التى نقبها النقابون [و أخذ] البلد عنوة و قهرا، و حصر قلعته فملكها أيضا، و نهب الناس الأموال و سبوا الذرية و قتلوا الرجال.

فلما رأى أتابك البلد أعجبه، و رأى أن تخريب مثله لا يجوز فى السياسة، فأمر فنودى فى العساكر برد من أخذوه من الرجال و النساء و الأطفال إلى بيوتهم، و إعادة ما غنموه من أثاثهم و أمتعتهم، فردّوا الجميع عن آخره لم يفقد منهم أحد إلا الشاذّ النادر الّذى أخذ و فارق من أخذه «٣» العسكر، فعاد البلد إلى حاله الأول، و جعل فيه عسكرا يحفظه، و تسلم مدينة سروج و سائر الأماكن التى كانت بيد الفرنج شرقى الفرات ما عدا البيرة فإنّها حصينة منيعة و على شاطئ الفرات، فسار إليها و حصرها، و كانوا قد أكثروا ميرتها و رجالها،

---

(١). أمير.A mo

(٢). و ترحيله عن البلد فسقطت إليه.B

(٣). من أخذه.B mo من.A mo

فبقى على حصارها إلى أن رحل عنها، على ما نذكره إن شاء اللَّه تعالى.

حكى أن بعض العلماء بالأنساب و التواريخ قال: كان صاحب جزيرة صقلّيّة قد أرسل سريّة فى البحر إلى طرابلس الغرب و تلك الأعمال، فنهبوا و قتلوا، و كان بصقلية إنسان من العلماء المسلمين، و هو من أهل الصلاح، و كان صاحب صقلّيّة يكرمه و يحترمه، و يرجع إلى قوله، و يقدمه على من عنده من القسوس و الرهبان، و كان أهل ولايته يقولون إنه مسلم بهذا السبب.

ففى بعض الأيام كان جالسا فى منظرة له تشرف على البحر و إذ قد أقبل مركب لطيف، و أخبره من فيه أن عسكره دخلوا بلاد الإسلام، و غنموا و قتلوا و ظفروا، و كان المسلم إلى جانبه و قد أغفى، فقال له الملك: يا فلان! أما تسمع ما يقولون؟ قال: لا قال: إنهم يخبرون بكذا و كذا. أين كان محمد عن تلك البلاد و أهلها؟ فقال له: كان قد غلب عنهم، و شهد فتح الرّها، و قد فتحها المسلمون الآن، فضحك منه من هناك من الفرنج، فقال الملك:

لا تضحكوا، فو اللَّه ما يقول إلا الحقّ، فبعد أيام وصلت الأخبار من فرنج الشام بفتحها.

و حكى لى جماعة من أهل الدين و الصلاح أن إنسانا صالحا رأى الشهيد فى منامه فقال له: ما فعل اللَّه بك؟ قال: غفر لى بفتح الرّها.

ذكر قتل نصير الدين جقر و ولاية زين الدين على كوجك قلعة الموصل

فى هذه السنة، فى ذى القعدة، قتل نصير الدين جقر نائب أتابك زنكى بالموصل و الأعمال جميعها التى شرق «١» الفرات.

---

(١). جميعها إلى شرق.A

و سبب قتله أن الملك ألب أرسلان المعروف بالخفاجى، ولد السلطان محمود، كان عند أتابك الشهيد، و كان يظهر للخلفاء و

السلطان مسعود و أصحاب الأطراف أن هذه البلاد لهذا الملك، و أنا نائبة فيها، و كان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليخطب له بالسلطنة، و يملك البلاد باسمه، و كان هذا الملك بالموصل، هذه السنة، و نصير الدين يقصده كل يوم ليقوم بخدمة إن عرضت له، فحسن له بعض المفسدين طلب الملك، و قال له: إن قتلت نصير الدين ملكت الموصل و غيرها من البلاد و لا يبقى مع أتابك زنكى فارس واحد. فوقع هذا منه موقعا حسنا و ظنه صدقا، فلما دخل نصير الدين إليه وثب عليه من عنده من أجناد أتابك و مماليكه فقتلوه، و ألقوا برأسه إلى أصحابه ظنا منهم أن أصحابه يتفرّقون و يخرج الملك و يملك البلد.

و كان الأمر خلاف ما ظنّوه، فإن أصحابه و أصحاب أتابك الذين فى خدمته لما رأوا رأسه قالوا من بالدار مع الملك، و اجتمع معهم الخلق الكثير، و كانت دولة أتابك مملوءة بالرجال و الأجلاد ذوى الرأى و التجربة، ثم دخل إليه القاضى تاج الدين يحيى بن الشهرزورىّ و لم يزل به يخدعه، و كان فيما قال له حين رآه منزعجا: يا مولانا لم تحرد من هذا الكلب؟ هذا و أستاذه مماليك، و الحمد للَّه الّذى أراحنا منه و من صاحبه على يدك، و ما الّذى يقعدك فى هذه الدار؟ قم لتصعد القلعة و نأخذ الأموال و السلاح و تملك البلد و تجمع الجند، و ليس دون البلاد بعد الموصل مانع.

فقام معه و ركب القلعة، فلما قاربها أراد «١» من بها من النقيب و الأجناد القتال، فتقدم إليهم تاج الدين و قال لهم: افتحوا الباب و تسلموه، و افعلوا به ما أردتم. ففتحوا الباب و دخل الملك و القاضى إليها و معهما من أعان على قتل نصير الدين، فسجنوا و نزل القاضى.

---

(١) إلى القلعة فحين رآه من بها أغلقوا بابها و.B. إلى القلعة فأغلقت و أراد.A

و بلغ الخبر أتابك زنكى و هو يحاصر قلعة البيرة، و قد أشرف على ملكها، فخاف أن تختلف البلاد الشرقية بعد قتل نصير الدين، ففارق البيرة و أرسل زين الدين على بن بكتكين «١» إلى قلعة الموصل واليا على ما كان نصير الدين يتولّاه

. ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره البروجردى، و وزر بعده المرزبان ابن عبيد اللَّه بن نصر الأصفهانى، و سلم إليه البروجردى، فاستخرج أمواله، و مات مقبوضا.

و فيها كان أتابك عماد الدين زنكى يحاصر البيرة، و هى للفرنج شرقى الفرات بعد ملك الرّها، و هى من أمنع الحصون، و ضيّق عليها و قارب أن يفتحها، فجاءه خبر قتل نصير الدين نائبة بالموصل، فرحل عنها، و أرسل نائبا إلى الموصل، و أقام ينتظر الخبر، فخاف من بالبيرة من الفرنج أن يعود إليهم، و كانوا يخافونه خوفا شديدا، فأرسلوا إلى نجم الدين صاحب ماردين و سلّموها له، فملكها المسلمون.

و فيها خرج أسطول الفرنج من صقلّيّة إلى ساحل إفريقية و الغرب، ففتحوا مدينة برشك، و قتلوا أهلها، و سبوا حريمهم و باعوه بصقلّيّة على المسلمين.

و فيها توفّى تاشفين بن على بن يوسف صاحب الغرب، و كانت ولايته تزيد على أربع سنين، و ولى بعده أخوه «٢»، و ضعف أمر الملثّمين، و قوى عبد المؤمن، و قد ذكرنا ذلك سنة أربع عشرة و خمسمائة.

---

(١). ملتكين.A

(٢). أخوه إسحاق.B

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٠٣

و فيها، فى شوال، ظهر كوكب عظيم له ذنب من جانب المشرق، و بقى إلى نصف ذى القعدة، ثم غاب، ثم طلع من جانب الغرب، فقيل هو هو و قيل بل غيره.

و فيها كانت فتنة عظيمة بين الأمير هاشم بن فليتة بن القاسم العلوىّ الحسينى «١»، أمير مكة، و الأمير نظر الخادم أمير الحاج، فنهب أصحاب هاشم الحجّاج و هم فى المسجد يطوفون و يصلّون، و لم يرقبوا فيهم إلا و لا ذمّة.

و فيها، فى ذى الحجة، توفّى عبد اللَّه أحمد بن محمد بن عبد اللَّه بن حمدويه أبو المعالى المروزى بمرو، و سافر الكثير، و سمع الحديث الكثير، و بنى بمرو رباطا، و وقف فيه كتبا كثيرة، و كان كثير الصدقة و العبادة.

و توفّى محمد بن عبد الملك بن حسن «٢» بن إبراهيم بن خيرون أبو منصور المقرى، و مولده فى رجب سنة أربع و خمسين و أربعمائة، و هو آخر من روى عن الجوهرى بالإجازة، و توفى فى رجب.

و فى ذى الحجة منها توفّى أبو منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزّاز، مدرس النظامية ببغداد، و مولده سنة اثنتين و ستين و أربعمائة، و تفقه على الغزالى و الشامى «٣»، و دفن فى تربة الشيخ أبى إسحاق.

---

(١). و بين الأمير الحسنى.A

(٢). الحسين.Bالحسن.A

(٣). الغزالى و الشاشى.B

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٠۴

۵۴٠ ثم دخلت سنة أربعين و خمسمائة

ذكر اتّفاق بوزابة و عبّاس على منازعة السلطان

فى هذه السنة سار بوزابة، صاحب فارس و خوزستان، و عساكره إلى قاشان، و معه الملك محمد [ابن السلطان محمود، و اتّصل بهم الملك سليمان شاه] ابن السلطان محمد، و اجتمع بوزابة و الأمير عباس صاحب الرّىّ، و اتفقا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود و ملكا كثيرا من بلاده.

و وصل الخبر إليه و هو ببغداد و معه الأمير عبد الرحمن طغايرك، و هو أمير حاجب، حاكم فى الدولة، و كان ميله إليهما، فسار السلطان فى رمضان عن بغداد، و نزل بها «١» الأمير مهلهل، و نظر، و جماعة من غلمان بهروز، و سار السلطان و عبد الرحمن معه، فتقارب العسكران، و لم يبق إلا المصاف، فلحق سليمان شاه بأخيه مسعود، و شرع عبد الرحمن فى تقرير الصلح على القاعدة التى أرادوها، و أضيف إلى عبد الرحمن ولاية أذربيجان و أرّانيّة إلى ما بيده، و صار أبو الفتوح بن دارست وزير السلطان مسعود، و هو وزير بوزابة، فصار السلطان معهم تحت الحجر، و أبعدوا بك أرسلان بن بلنكرى المعروف بخاص بك، و هو ملازم السلطان و تربيته، و صار فى خدمة عبد الرحمن ليحقن دمه، و صار الجماعة فى خدمة السلطان صورة لا معنى تحتها، و اللَّه أعلم.

---

(١). و ترك بها.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٠۵

ذكر استيلاء علىّ بن دبيس بن على الحلّة

فى هذه السنة سار علىّ بن دبيس إلى الحلّة هاربا، فملكها، و كان سبب ذلك أنّ السلطان لما أراد الرحيل من بغداد أشار عليه مهلهل أن يحبس علىّ ابن دبيس بقلعة تكريت، فعلم ذلك، فهرب فى جماعة يسيرة نحو خمسة عشر، فمضى إلى الأزيز، و جمع بنى أسد و غيرهم، و سار إلى الحلّة و بها أخوه محمّد بن دبيس، فقاتله، فانهزم محمّد، و ملك علىّ الحلّة.

و استهان السلطان أمره أوّلا، فاستفحل و ضمّ إليه جمعا من غلمانه و غلمان أبيه و أهل بيته و عساكرهم، و كثر جمعهم «١»، فسار إليه مهلهل فيمن معه فى بغداد من العسكر، و ضربوا معه مصافّا، فكسرهم و عادوا منهزمين إلى بغداد.

و كان أهلها يتعصّبون لعلىّ بن دبيس، و كانوا يصيحون، إذا ركب مهلهل و بعض أصحابه: يا علىّ! كله. و كثر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب.

و مدّ علىّ يده فى أقطاع الأمراء بالحلّة، و تصرّف فيها، و صار شحنة بغداد و من فيها على وجل منه، و جمع الخليفة جماعة و جعلهم على السور لحفظه، و راسل عليّا، فأعاد الجواب بأنّنى العبد المطيع مهما رسم لى فعلت، فسكن النّاس، و وصلت الأخبار بعد ذلك أنّ السلطان مسعودا تفرّق خصومه عنه، فازداد سكون النّاس.

---

(١). و كثر جماعته.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٠٦

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة حجّ بالنّاس قايماز الأرجوانىّ صاحب أمير الحاجّ نظر، و احتجّ نظر بأنّ بركة نهب فى كسرة الحلّة، و أنّ بينه و بين أمير مكّة من الحروب ما لا يمكنه معه الحجّ.

و فيها اتّصل بالخليفة عن أخيه أبى طالب ما كرهه، فضيّق عليه، و احتاط على غيره من أقاربه.

و فيها ملك الفرنج، لعنهم اللَّه، مدينة شنترين، و باجة، و ماردة، و أشبونة، و سائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الأندلس، و كانت للمسلمين، فاختلفوا، فطمع العدوّ، و أخذ هذه المدن و قوى بها قوّة تمكّن معها و تيقّن ملك سائر البلاد الإسلاميّة بالأندلس، فخيّب اللَّه ظنّه و كان ما نذكره.

و فيها سار أسطول الفرنج من صقلّيّة، ففتحوا جزيرة قرقنّة من إفريقية، فقتلوا رجالها، و سبوا حريمهم، فأرسل الحسن صاحب إفريقية إلى رجّار ملك صقلّيّة يذكره العهود التى بينهم، فاعتذر بأنهم غير مطيعين له.

و فى هذه السنة توفّى مجاهد الدين بهروز الغياثىّ، و كان حاكما بالعراق نيّفا و ثلاثين سنة، و يرنقش «١» الزكوى، صاحب أصفهان، و كان أيضا شحنة بالعراق، و هو خادم أرمنى لبعض التجّار.

و توفّى الأمير إيلدكز شحنة بغداد، و الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر الجواليقىّ اللغوىّ، و مولده فى ذى الحجّة سنة خمس و ستّين

---

(١). و برنقش.A .B atcnup .mo

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٠٧

و أربعمائة، و أخذ اللغة عن أبى زكريّا التبريزى، و كان يؤمّ بالمقتفى أمير المؤمنين.

و توفّى أحمد بن محمد بن الحسن بن على بن أحمد بن سليمان أبو سعيد ابن أبى الفضل الأصفهانى، و مولده سنة ثلاث و ستين و أربعمائة، و روى الحديث الكثير، و كان على سيرة السلف، كثير الاتباع للسنّة، رحمة اللَّه عليه

.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٠٨

٥۴١ ثم دخلت سنة إحدى و أربعين و خمسمائة

ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب

فى هذه السنة ملك الفرنج، لعنهم اللّه، طرابلس الغرب، و سبب ذلك أن رجّار ملك صقلّيّة جهّز أسطولا كثيرا و سيّره إلى طرابلس، فأحاطوا بها برّا و بحرا، ثالث المحرّم، فخرج إليهم أهلها و أنشبوا القتال، فدامت الحرب بينهم ثلاثة أيّام.

فلما كان اليوم الثالث سمع الفرنج بالمدينة ضجّة عظيمة، و خلت الأسوار من المقاتلة، و سبب ذلك أن أهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بأيّام يسيرة قد اختلفوا، فأخرج طائفة منهم بنى مطروح، و قدّموا عليهم رجلا من الملثّمين قدم يريد الحجّ و معه جماعة، فولّوه أمرهم، فلما نازلهم الفرنج أعادت الطائفة الأخرى بنى مطروح، فوقعت الحرب بين الطائفتين، و خلت الأسوار. فانتهز الفرنج الفرصة و نصبوا السالم، و صعدوا على السور، و اشتد القتال فملكت الفرنج المدينة عنوة بالسيف، فسفكوا دماء أهلها و سبوا نساءهم و أموالهم، و هرب من قدر على الهرب، و التجأ [١] إلى البربر و العرب، فنودى بالأمان فى الناس كافة، فرجع كلّ من فرّ منها.

و أقام الفرنج ستّة أشهر حتى حصّنوا أسوارها و حفروا خندقها، و لما عادوا أخذوا رهائن أهلها، و معهم بنو مطروح و الملثّم، ثم أعادوا رهائنهم،

---

[١] و التجى.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٠٩

و ولّوا عليها رجلا من بنى مطروح، و تركوا رهائنه وحده، و استقامت أمور المدينة و ألزم أهل صقلّيّة و الروم بالسفر إليها فانعمرت سريعا و حسن حالها.

ذكر حصر زنكى حصنى جعبر و فنك

و فى هذه السنة سار أتابك زنكى إلى حصن جعبر، و هو مطلّ على الفرات، و كان بيد سالم «١» بن مالك العقيلى سلّمه السلطان ملك شاه إلى أبيه لما أخذ منه حلب، و قد ذكرناه، فحصره و سيّر جيشا إلى قلعة فنك، و هى تجاور جزيرة ابن عمر، بينهما فرسخان، فحصرها أيضا، و صاحبها حينئذ الأمير حسام الدين الكردىّ البشنوى.

و كان سبب ذلك أنه كان لا يريد أن يكون فى وسط بلاده ما هو ملك غيره، جزما و احتياطا، فنازل قلعة جعبر و حصرها، و قاتله من بها، فلما طال عليه ذاك أرسل إلى صاحبها، مع الأمير حسّان المنبجىّ لمودّة كانت بينهما، فى معنى تسليمهما، و قال له: تضمن عنى الإقطاع الكثير و المال الجزيل، فإن أجاب إلى التسليم، و إلا فقل له: و اللّه لأقيمنّ عليك إلى أن أملكها عنوة، ثم لا أبقى عليك، و من الّذى يمنعك منى؟

فصعد إليه حسّان و أدّى إليه الرسالة، و وعده، و بذل له ما قيل له، فامتنع من التسليم، فقال له حسّان: فهو يقول لك من يمنعك منى؟ فقال:

يمنعنى منه الّذى منعك من الأمير بلك. فعاد حسّان و أخبر الشهيد بامتناعه، و لم يذكر له هذا، فقتل أتابك بعد أيام.

و كانت قصّة حسّان مع بلك ابن أخى «٢» إيلغازى أن حسّان كان صاحب

(١). بيده سالم.B. بيد ولد سالم.A

(٢). أخى.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ١١٠

منبج، فحصره بلك و ضيّق عليه، فبينما هو فى بعض الأيّام يقاتله، جاءه «١» سهم لا يعرف من رماه فقتله، و خلص حسّان من الحصر، و قد تقدّم ذكره، و كان هذا القول من الاتفاق الحسن.

و لما قتل أتابك زنكى رحل العسكر الذين كانوا يحاصرون قلعة فنك عنها، و هى بيد أعقاب صاحبها إلى الآن، و سمعتهم يذكرون أن لهم بها نحو ثلاثمائة سنة، و لهم مقصد، و فيهم وفاء و عصبيّة، يأخذون بيد كل من يلتجئ إليهم و يقصدهم، و لا يسلّمونه كائنا من كان.

ذكر قتل أتابك عماد الدين زنكى و شىء من سيرته

فى هذه السنة، لخمس مضين من ربيع الآخر، قتل أتابك الشهيد عماد الدين زنكى بن آقسنقر، صاحب الموصل و الشام، و هو يحاصر قلعة جعبر، على ما ذكرناه، قتله جماعة من مماليكه ليلا غيلة، و هربوا إلى قلعة جعبر، فصاح من بها من أهلها إلى العسكر يعلمونهم بقتله، و أظهروا الفرح، فدخل أصحابه إليه، فأدركوه و به رمق.

حدثنى والدى عن بعض خواصّه قال: دخلت إليه فى الحال و هو حىّ، فحين رآنى ظنّ أنى أريد قتله، فأشار إلى بإصبعه السبابة يستعطفنى، فوقعت من هيبته، فقلت: يا مولاى من فعل بك هذا؟ فلم يقدر على الكلام، و فاضت نفسه لوقته، رحمه اللّه.

قال: و كان حسن الصورة، أسمر اللّون، مليح العينين، قد و خطه

(١). يقاتله جاءه.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ١١١

الشيب [١]، و كان قد زاد عمره على ستّين سنة، لأنه كان لما قتل والده صغيرا، كما ذكرناه قبل، و لما قتل دفن بالرّقّة.

و كان شديد الهيبة على عسكره و رعيّته، عظيم السياسة، لا يقدر القوى على ظلم الضعيف، و كانت البلاد، قبل أن يملكها، خرابا من الظلم، و تنقل الولاة، و مجاورة الفرنج، فعمرها و امتلأت أهلا و سكّانا.

حكى لى والدى قال: رأيت الموصل و أكثرها خراب، بحيث يقف الإنسان قريب محلّة الطبالين و يرى الجامع العتيق، و العرصة، و دار السلطان، ليس بين ذلك عمارة، و كان الإنسان لا يقدر على المشى إلى الجامع العتيق إلا و معه من يحميه، لبعده عن العمارة، و هو الآن فى وسط العمارة و ليس فى هذه البقاع المذكورة كلها أرض براح، و حدثنى أيضا أنه وصل إلى الجزيرة فى الشتاء، فدخل الأمير عزّ الدين الدّبيسىّ، و هو من أكابر أمرائه، و من جملة أقطاعه مدينة دقوقا، و نزل فى دار إنسان يهودى، فاستغاث اليهودىّ إلى أتابك، و أنهى حاله إليه، فنظر إلى الدّبيسى، فتأخّر، و دخل البلد، و أخرج بركه و خيامه. قال: فلقد رأيت غلمانه ينصبون خيامه فى الوحل، و قد جعلوا على الأرض تبنا يقيهم الطين، و خرج فنزلها، و كانت سياسته إلى هذا الحدّ.

و كانت الموصل من أقلّ بلاد اللّه فاكهة، فصارت فى أيّامه، و ما بعدها، من أكثر البلاد فواكه «١» و رياحين و غير ذلك.

و كان أيضا شديد الغيرة و لا سيّما على نساء الأجناد، و كان يقول: إن

[١] السبب.

(۱). البلاد فاكهة.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۱۲

لم نحفظ نساء الأجناد بالهيبة، و إلا فسدن لكثرة غيبة أزواجهن فى الاسفار.

و كان أشجع خلق اللّه، أما قبل أن يملك فيكفيه أنه حضر مع الأمير مودود صاحب الموصل مدينة طبريّة، و هى للفرنج، فوصلت طعنته باب البلد و أثر «۱» فيه، و حمل أيضا على قلعة عقر الحميدية، و هى على جبل عال، فوصلت طعنته إلى سورها، إلى أشياء أخر.

و أما بعد الملك فقد كان الأعداء محدقين ببلاده، و كلهم يقصدها، و يريد أخذها، و هو لا يقنع بحفظها، حتى إنه لا ينقضى عليه عام إلا و يفتح من بلادهم. فقد كان الخليفة المسترشد باللّه مجاوره فى ناحية تكريت، و قصد الموصل و حصرها، ثم إلى جانبه، من ناحية شهرزور و تلك الناحية، السلطان مسعود، ثم ابن سقمان صاحب خلاط، ثم داود بن سقمان صاحب حصن كيفا، ثم صاحب آمد و ماردين، ثم الفرنج من مجاورة ماردين إلى دمشق، ثم أصحاب دمشق، فهذه الولايات قد أحاطت بولايته من كل جهاتها، فهو يقصد هذا مرّة و هذا مرّة، و يأخذ من هذا و يصانع هذا، إلى أن ملك من كلّ من يليه طرفا من بلاده. و قد أتينا على أخباره فى كتاب الباهر فى تاريخ دولته و دولة أولاده، فيطلب من هناك.

ذكر ملك ولديه سيف الدين غازى و نور الدين محمود

لما قتل أتابك زنكى أخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده، و كان حاضرا معه، و سار إلى حلب فملكها.

و كان حينئذ يتولّى ديوان زنكى، و يحكم فى دولته من أصحاب العمائم

(۱). أثرت.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۱۳

جمال الدين محمد بن على و هو المنفرد بالحكم، و معه أمير حاجب صلاح الدين محمد الياغيسيانىّ، فاتّفقا على حفظ الدولة، و كان مع الشهيد أتابك الملك ألب أرسلان ابن السلطان محمود، فركب ذلك اليوم، و أجمعت العساكر عليه، و حضر عنده جمال الدين و صلاح الدين و حسنا له الاشتغال بالشرب و المغنّيات و الجوارى، و أدخلاه الرّقّة، فبقى بها أيّاما لا يظهر، ثمّ سار إلى ماكسين، فدخلها، و أقام بها أيّاما، و جمال الدين يحلّف الأمراء لسيف الدين غازى بن أتابك زنكى، و يسيّرهم [إلى] الموصل.

ثم سار من ماكسين إلى سنجار، و كان سيف الدين قد وصل إلى الموصل، فلما وصلوا إلى سنجار أرسل جمال الدين إلى الدزدار يقول له ليرسل إلى ولد السلطان يقول له: إنى مملوككك، و لكنى تبع الموصل، فمتى ملكتها سلّمت إليك سنجار. فسار إلى الموصل، فأخذه جمال الدين و قصد به مدينة بلد [۱]، و قد بقى معه من العسكر القليل، فأشار عليه بعبور دجلة، فعبرها إلى الشرق فى نفر يسير.

و كان سيف الدين غازى بمدينة شهرزور، و هى إقطاعه، فأرسل إليه زين الدين علىّ كوجك نائب أبيه بالموصل يستدعيه إلى الموصل، فحضر قبل وصول الملك، فلما علم جمال الدين بوصول سيف الدين إلى الموصل أرسل إليه يعرّفه قلّة من مع الملك، فأرسل إليه بعض عسكره، فقبضوا عليه، و حبس فى قلعة الموصل، و استقرّ ملك سيف الدين البلاد، و بقى أخوه نور الدين بحلب و هى له، و سار إليه صلاح الدين الياغيسيانىّ يدبّر أمره و يقوم بحفظ دولته، و قد استقصينا شرح هذه الحادثة فى التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكيّة.

[۱]- بلدة.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١١۴

ذكر عصيان الرّها لما قتل أتابك «١»

كان جوسلين الفرنجى الّذى كان صاحب الرها فى ولايته، و هى تل باشر و ما يجاورها، فراسل أهل الرها و عامّتهم من الأرمن، و حملهم على العصيان، و الامتناع على المسلمين، و تسليم البلد، فأجابوه إلى ذلك، و واعدهم يوما [١] يصل إليهم فيه، و سار فى عساكره إلى الرّها، و ملك البلد، و امتنعت القلعة عليه بمن فيها من المسلمين، فقاتلهم، فبلغ الخبر إلى نور الدين محمود بن زنكى، و هو بحلب، فسار مجدّا إليها فى عسكره، فلما قاربها خرج جوسلين هاربا عائدا إلى بلده، و دخل نور الدين المدينة، و نهبها حينئذ، و سبى أهلها.

و فى هذه الدفعة نهبت و خلت من أهلها، و لم يبق بها منهم إلا القليل، و كثير من الناس يظنّ أنها نهبت لما فتحها الشهيد، و ليس كذلك.

و بلغ الخبر إلى سيف الدين غازى بعصيان الرّها، فسيّر العساكر إليها، فسمعوا بملك نور الدين البلد و استباحته، و هم فى الطريق، فعادوا.

و من أعجب ما يحكى أن زين الدين عليّا [٢]، الّذى كان نائب الشهيد و أولاده بقلعة الموصل، جاءه هديّة أرسلها إليه نور الدين من هذا الفتح، و فى الجملة جارية، فلما دخل إليها، و خرج من عندها و قد اغتسل، قال لمن عنده: تعلمون ما جرى [٣] لى فى يومنا هذا؟ قالوا: لا! قال: لما فتحنا الرّها

---

[١]- يوم.

[٢]- علىّ.

[٣]- جرا.

---

(١).rutnurefer .u qesmusrevdaetcerلما قتل أتابكabrev

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١١۵

مع الشهيد وقع فى يدىّ من النهب جارية رائقة أعجبنى حسنها و مال قلبى إليها، فلم يكن بأسرع من أن أمر الشهيد فنودى بردّ السّبى و المال المنهوب، و كان مهيبا مخوفا، فرددتها و قلبى متعلّق بها، فلما كان الآن جاءتنى هديّة نور الدين و فيها عدّة جوار منهنّ تلك الجارية فوطئتها خوفا أن يقع ردّ تلك الدفعة.

ذكر استيلاء عبد المؤمن على جزيرة الأندلس

فى هذه السنة سيّر عبد المؤمن جيشا إلى جزيرة الأندلس، فملكوا ما فيها من بلاد الإسلام.

و سبب ذلك أن عبد المؤمن لما كان يحاصر مرّاكش جاء إليه جماعة من أعيان الأندلس منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن حمدين، و معهم مكتوب يتضمّن بيعة أهل البلاد التى هم فيها لعبد المؤمن، و دخولهم فى زمرة أصحابه الموحدين، و إقامتهم لأمره، فقبل عبد المؤمن ذلك منهم، و شكرهم عليه، و طيّب قلوبهم، و طلبوا منه النصرة على الفرنج، فجهّز جيشا كثيفا و سيّره معهم، و عمر أسطولا و سيّره فى البحر، فسار الأسطول إلى الأندلس، و قصدوا مدينة إشبيلية، و صعدوا فى نهرها، و بها جيش من الملثّمين، فحصروها برّا و بحرا و ملكوها عنوة، و قتل فيها جماعة و أمن الناس فسكنوا و استولت العساكر على البلاد، و كان لعبد المؤمن من بها

«۱».

---

(۱). من بها.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۱۶

ذكر قتل عبد الرحمن طغايرك و عباس صاحب الرّىّ

فى هذه السنة قتل السلطان مسعود أمير حاجب عبد الرحمن طغايرك، و هو صاحب خلخال و بعض أذربيجان و الحاكم فى دولة السلطان، و ليس للسلطان معه حكم.

و كان سبب قتله أن السلطان لما ضيّق عليه عبد الرحمن بقى معه شبه الأسير ليس له فى البلاد حكم، حتى إن عبد الرحمن قصد غلاما كان للسلطان، و هو بك أرسلان، المعروف بخاص بك بن بلنكرى، و قد ربّاه السلطان و قرّبه فأبعده عنه، و صار لا يراه، و كان فى [خاصّ] بك عقل و تدبير و جودة قريحة، و توصّل لما يريد أن يفعله، فجمع عبد الرحمن العساكر و خاصّ بك فيهم، و قد استقرّ بينه و بين السلطان مسعود أن يقتل عبد الرحمن، فاستدعى خاصّ بك جماعة من يثق بهم [۱]، و تحدّث معهم فى ذلك، فكلّ منهم خاف الإقدام عليه، إلا رجلا اسمه زنكى، و كان جاندارا، فإنه بذل من نفسه أن يبدأه بالقتل، و وافق خاص بك على القيام فى الأمر جماعة من الأمراء، فبينما عبد الرحمن فى موكبه ضربه زنكى الجاندار بمقرعة حديد كانت فى يده على رأسه، فسقط إلى الأرض، فأجهز عليه خاص بك، و أعانه على حماية زنكى و القائمين معه من كان واطأه على ذلك من الأمراء، و كان قتله بظاهر جنزة.

و بلغ الخبر إلى السلطان مسعود و هو ببغداد، و معه الأمير عباس صاحب الرّىّ، و عسكره أكثر من عسكر السلطان، فأنكر ذلك، و امتعض منه، فداراه السلطان و لطف به، و استدعى الأمير البقش كونخر من اللّحف

---

[۱] إليهم.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۱۷

و تتر الّذى كان حاجبا، فلما قوى بهما أحضر عبّاسا إليه فى داره، فلما دخل إليه منع أصحابه من الدخول معه، و عدلوا به إلى حجرة، و قالوا له:

اخلع الزّرديّة، فقال: إن لى مع السلطان أيمانا و عهودا، فلكموه، و خرج له غلمان أعدّوا لذلك، فحينئذ تشاهد و خلع الزّرديّة و ألقاها، و ضربوه بالسيوف، و احتزّوا رأسه و ألقوه إلى أصحابه، ثم ألقوا جسده، و نهب رحله و خيمه و انزعج البلد لذلك.

و كان عباس من غلمان السلطان محمود، حسن السيرة، عادلا فى رعيّته، كثير الجهاد للباطنيّة، قتل منهم خلقا كثيرا، و بنى من رءوسهم منارة بالرّىّ، و حصر قلعة ألموت، و دخل إلى قرية من قراهم فألقى فيها النار فأحرق كل من فيها من رجل و امرأة و صبىّ و غير ذلك، فلمّا قتل [دفن] بالجانب الغربى، ثم أرسلت ابنته فحملته إلى الرّىّ فدفنته هناك، و كان مقتله فى ذى القعدة.

و من الاتفاق العجيب أن العبادىّ كان يعظ يوما، فحضره عباس، فأسمع بعض أهل المجلس و رمى بنفسه نحو الأمير عباس، فضربه أصحابه و منعوه خوفا عليه لأنه كان شديد احتراس من الباطنية لا يزال لابسا الزّرديّة لا تفارقه الغلمان الأجلاد، فقال له العبادىّ: يا أمير إلام هذا الاحتراز! و اللّه لئن قضى عليك بأمر لتحلّنّ أنت بيدك إزار الزّرديّة فينفذ القضاء فيك.

و كان كما قال، و قد كان السلطان استوزر ابن دارست، وزير بوزابة، [كارها على ما تقدّم ذكره، فعزله الآن لأنه اختار العزل و العود إلى صاحبه بوزابة] «۱» فلما عزله قرّر معه أن يصلح له بوزابة، و يزيل ما عنده من الاستشعار بسبب قتل عبد الرحمن و عبّاس، فسار الوزير و هو لا يعتقد النجاة، فوصل إلى بوزابة و كان ما نذكره.

(۱). کان:C. P .۰۴۷te .spU

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۱۱۸

ذکر عدّة حوادث

فی هذه السنة حبس السلطان مسعود أخاه سلیمان شاه بقلعة تکریت.

و فیها توفّی الأمیر جاولی الطّغرلی صاحب أرّانیّة و بعض أذربیجان، و کان قد تحرّک للعصیان، و کان موته فجأة، مدّ قوسا فنزف دما فمات.

و توفّی شیخ الشیوخ صدر الدین إسماعیل بن أبی سعد الصوفیّ، مات ببغداد و دفن بظاهر رباط الزّوزنی بباب البصرة، و مولده سنة أربع و ستّین و أربعمائة، و قام فی منصبه ولده صدر الدین شیخ الشیوخ عبد الرحیم.

و فیها توفّی نقیب النّقباء محمّد بن طراد الزّینبیّ أخو شرف الدین الوزیر.

و فیها ولی مسعود بن بلال شحنکیّة بغداد، و سار السلطان عنها.

و فیها کان بالعراق جراد کثیر أمحل أکثر البلاد.

و فیها ورد العبادیّ الواعظ رسولا من السلطان سنجر إلی الخلیفة، و وعظ ببغداد، و کان له قبول بها، و حضر مجلسه السلطان مسعود فمن دونه، و أما العامّة فإنّهم کانوا یترکون أشغالهم لحضور مجلسه و المسابقة إلیه.

و فیها بعد قتل الشهید زنکی بن آقسنقر قصد صاحب دمشق حصن بعلبکّ و حصره و کان به نجم الدین أیّوب بن شاذیّ مستحفظا لها، فخاف أن أولاد زنکی لا یمکنهم إنجاده بالعاجل، فصالحه و سلم القلعة إلیه، و أخذ منه إقطاعا و مالا، و ملّکه عدّة قری من بلد دمشق، و انتقل أیّوب إلی دمشق فسکنها و أقام بها.

و فی هذه السنة، فی ربیع الآخر، توفّی عبد اللّه بن علی بن أحمد أبو محمد المقری ابن بنت الشیخ أبی منصور، و مولده فی شعبان سنة أربع و ستین و أربعمائة، و کان مقرئا نحویا محدّثا، و له تصانیف فی القراءات «۱».

(۱) و توفی أبو الحسن محمد بن المظفر رئیس الرؤساء و کان قد تزهد و تصوف و هو من.A. ddaأعیان بغداد

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۱۱۹

۵۴۲ ثم دخلت سنة اثنتین و أربعین و خمسمائة

ذکر قتل بوزابة

لما اتصل بالأمیر بوزابة قتل عباس جمع عساکره من فارس و خوزستان و سار إلی أصفهان فحصرها، و سیّر عسکرا آخر إلی همذان، و عسکرا ثالثا إلی قلعة الماهکی من بلد اللّحف، فأما عسکره الّذی بالماهکی فإنه سار إلیهم الأمیر البقش کونخر فدفعهم عن أعماله و کانت [۱] أقطاعه، ثم إن بوزابة سار عن أصفهان یطلب السلطان مسعودا، فراسله السلطان فی الصلح، فلم یجب إلیه، و سار مجدا فالتقیا بمرج قراتکین، و تصافا، فاقتتل العسکران، فانهزمت میمنة السلطان مسعود و میسرته، و اقتتل القلبان أشد قتال و أعظمه، صبر فیه الفریقان، و دامت الحرب بینهما، فسقط بوزابة عن فرسه بسهم أصابه، و قیل بل عثر به الفرس فأخذ أسیرا و حمل إلی السلطان فقتل بین یدیه، و انهزم أصحابه لما أخذ هو أسیرا.

و بلغت هزيمة العسكر السلطانى من الميمنة و الميسرة إلى همذان، و قتل بين الفريقين خلق كثير، و كانت هذه الحرب من أعظم الحروب الكائنة بين الأعاجم.

---

[۱]- و كان.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۲۰

ذكر طاعة أهل قابس للفرنج و غلبة المسلمين عليها

كان صاحب مدينة قابس، قبل هذه السنة، إنسانا اسمه رشيد، فتوفى و خلف أولادا، فعمد مولى له اسمه يوسف إلى ولده الصغير، و اسمه محمد، فولّاه الأمر، و أخرج ولده الكبير و اسمه معمر، و استولى يوسف على البلد، و حكم على محمد لصغر سنّه.

و جرى منه أشياء من التعرّض إلى حرم سيّده، و العهدة على ناقله، و كان من جملتهنّ امرأة من بنى قرّة، فأرسلت إلى إخوتها تشكو إليهم ما هى فيه، فجاء إخوتها لأخذها فمنعهم، و قال: هذه حرمة مولاى، و لم يسلّمها، فسار بنو قرّة و معمر بن رشيد إلى الحسن صاحب إفريقية، و شكوا إليه ما يفعل يوسف، فكاتبه الحسن فى ذلك، فلم يجب إليه، و قال: لئن لم يكفّ الحسن عنى و إلا سلّمت قابس إلى صاحب صقلّية، فجهّز الحسن العسكر إليه، فلما سمع يوسف بذلك أرسل إلى رجّار الفرنجىّ، صاحب صقلّية، و بذل له الطاعة، و قال له: أريد منك خلعة و عهدا بولاية قابس لأكون نائبا عنك كما فعلت مع بنى مطروح فى طرابلس، فسيّر إليه رجّار الخلعة و العهد، فلبسها و قرئ العهد بمجمع من الناس.

فجد حينئذ الحسن فى تجهيز العسكر إلى قابس، فساروا إليها و نازلوها و حصروها، فثار أهل البلد بيوسف لما أعتمده من طاعة الفرنج، و سلموا البلد إلى عسكر الحسن، و تحصّن يوسف فى القصر، فقاتلوه حتى فتحوه، و أخذ يوسف أسيرا، فتولّى عذابه معمر بن رشيد و بنو قرّة، فقطعوا ذكره و جعلوه فى فمه و عذّب بأنواع العذاب.

و ولى معمر قابس مكان أخيه محمد، و أخذ بنو قرّة أختهم، و هرب عيسى أخو يوسف و ولد يوسف و قصدوا رجّار، صاحب صقلّية، فاستجاروا

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۲۱

به و شكوا إليه ما لقوا من الحسن، فغضب لذلك، و كان ما نذكره سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة من فتح المهديّة، إن شاء اللَّه تعالى.

ذكر حادثة ينبغى أن يحتاط العاقل من مثلها

كان يوسف هذا صاحب قابس قد أرسل رسولا إلى رجّار بصقلّية، فاجتمع هو و رسول الحسن صاحب المهديّة عنده، فجرى بين الرسولين مناظرة، فذكر رسول يوسف الحسن و ما نال منه «۱»، و ذمّه، ثمّ إنّهما عادا فى وقت واحد، و ركبا البحر كلّ واحد منهما فى مركبه، فأرسل رسول الحسن رقعة إلى صاحبه على جناح طائر يخبره بما كان من رسول يوسف، فسيّر الحسن جماعة من أصحابه فى البحر، فأخذوا رسول يوسف و أحضروه عند الحسن، فسبّه و قال: ملّكت الفرنج بلاد الإسلام و طوّلت لسانك بذمّى! ثمّ أركبه جملا و على رأسه طرطور بجلاجل و طيف به فى البلد و نودى عليه:

هذا جزاء من سعى أن يملّك الفرنج بلاد المسلمين، فلمّا توسّط المهديّة ثار به العامّة فقتلوه بالحجارة.

ذكر ملك الفرنج المريّة و غيرها من الأندلس

فى هـذه السـنة، فى جمادى الأولى، حصـر الفرنج مدينة المريّة من الأندلس، و ضـيّقوا عليها برّا و بحرا، فملكوها عنوة، و أكثروا القتل بها و النّهب،

---

(١). و نال منه.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٢٢

و ملكوا أيضا مدينة بياسة و ولاية جيّان، و كلّها بالأندلس، ثمّ استعادها المسلمون بعد ذلك منهم، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكى عدّة مواضع من بلد الفرنج

فى هـذه السـنة دخل نور الـدين محمود بن زنكى، صاحب حلب، بلد الفرنج، ففتح منه مدينة ارتاح بالسـيف و نهبها و حصن مابولة و بصـرفون و كفرلاثا. و كان الفرنـج بعـد قتل والـده زنكى قـد طمعوا، و ظنّوا أنّهم بعده يستردّون ما أخذه، فلمّا رأوا من نور الدين هذا الجدّ فى أوّل أمره علموا أنّ ما أمّلوه بعيد.

ذكر أخذ الحلّة من علىّ بن دبيس و عوده إليها

فى هـذه السـنة كثر فسـاد أصـحاب علىّ بن دبيس بالحلّـة و مـا جاورها، و كثرت الشـكاوى منه، فأقطع السـلطان مسـعود الحلّـة للأمير سلاركرد، فسار إليها من همذان و معه عسـكر و انضاف إليه جماعة من عسـكر بغداد، و قصدوا الحلّة، فجمع علىّ عسـكره و حشد، و التقى العسـكران بمطيراباذ، فـانهزم علىّ، و ملـك سـلاركرد الحلّـة، و احتـاط على أهل علىّ و رجعت العساكر، و أقام هو بالحلّـة فى ممـاليكه و أصـحابه، و سـار علىّ بن دبيس فلحق بالبقش كونخر، و كان بأقطاعه، فى اللّحف، متجنّيا على السـلطان، فاسـتنجده، فسار معه إلى واسط، و اتّفق هو و الطرنطاى، و قصدوا الحلّة فاستنقذوها من سلاركرد فى ذى الحجّة، و فارقها سلاركرد و عاد إلى بغداد .

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٢٣

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى جمادى الأولى، خطب للمستنجد باللّه يوسف بن المقتفى لأمر اللّه بولاية العهد.

و فيها ولى عون الدين يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ببغداد، و ولى زعيم الدين يحيى بن جعفر المخزن.

و فيها، فى ربيع الأوّل، مات أبو القاسم طاهر بن سعيد بن أبى سعيد بن أبى الخير الميهنىّ شيخ رباط البسطامىّ ببغداد.

و فى ربيع الآخر توفّيت فاطمة خاتون بنت السلطان محمّد زوجة المقتفى لأمر اللّه.

و فى رجب منها مات أبو الحسن محمّد بن المظفّر بن علىّ بن المسـلمة، ابن رئيس الرؤساء، و مولده سـنة أربع و ثمانين [و أربعمائة]، و كان قد تصوّف، و جعل داره التى فى القصر رباطا للصوفيّة.

و فيها سار سيف الدين غازى بن زنكى إلى قلعة دارا، فملكها و غيرها من بلد ماردين، ثمّ سار إلى ماردين و حصرها و خرّب بلدها و نهبه.

و كان سـبب ذلك أنّ أتابك زنكى لما قتل تطاول صاحب ماردين و صاحب الحصن إلى ما كان قـد فتحه من بلادهما فأخـذاه، فلمّا ملك سـيف الـدين و تمكّن سار إلى ماردين و حصـرها، و فعل ببلـدها الأفاعيل العظيمـة، فلمّا رأى صاحبها، و هو حينئذ حسام الدين تمرتاش، ما يفعل فى بلـده قال: كنّا نشـكو من أتابك الشـهيد، و أين أيّامه؟ لقـد كانت أعيادا. قـد حصـرنا غير مرّة، فلم يأخذ هو و لا

أحد من عسكره مخلاة تبن بغير ثمن، و لا تعدّى هو و عسكره حاصل السلطان، و أرى هذا ينهب البلاد و يخرّبها.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۲۴

ثمّ راسله و صالحه، و زوّجه ابنته، و رحل سيف الدين عنه و عاد إلى الموصل، و جهّزت ابنة حسام الدين و سيّرت إليه، فوصلت و هو مريض قد أشفى على الموت، فلم يدخل بها و بقيت عنده إلى أن توفّى و ملك قطب الدين مودود، فتزوّجها، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

و فيها اشتدّ الغلاء بإفريقية و دامت أيّامه، فإنّ أوّله كان سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة، و عظم الأمر على أهل البلاد حتى أكل بعضهم بعضا، و قصد أهل البوادى المدن من الجوع، فأغلقها أهلها دونهم، و تبعه وباء و موت كثير، حتى خلت البلاد. و كان أهل البيت لا يبقى منهم أحد، و سار كثير منهم إلى صقلّيّة فى طلب القوت، و لقوا أمرا عظيما

.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۲۵

۵۴۳ ثم دخلت سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة

ذكر ملك الفرنج مدينة المهديّة بإفريقية

قد ذكرنا سنة إحدى و أربعين و خمسمائة مسير أهل يوسف، صاحب قابس، إلى رجّار، ملك صقلّيّة، و استغاثتهم به، فغضب لذلك، و كان بينه و بين الحسن بن علىّ بن يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس الصنهاجىّ، صاحب إفريقية، صلح و عهود إلى مدّة سنتين، و علم أنّه فاته فتح البلاد فى هذه الشدة «۱» التى أصابتهم، و كانت الشدّة دوام الغلاء فى جميع المغرب من سنة سبع و ثلاثين إلى هذه السنة، و كان أشدّ ذلك سنة اثنتين و أربعين، فإنّ النّاس فارقوا البلاد و القرى، و دخل أكثرهم إلى مدينة صقلّيّة، و أكل النّاس بعضهم بعضا، و كثر الموت فى النّاس، فاغتنم رجّار هذه الشدّة، فعمر الأسطول، و أكثر منه، فبلغ نحو مائتين «۲» و خمسين شيئيّا مملوءة رجالا و سلاحا و قوتا.

و سار الأسطول عن صقلّيّة و وصل إلى جزيرة قوصرة، و هى بين المهديّة و صقلّيّة، فصادفوا [۱] بها مركبا وصل من المهديّة، فأخذ أهله و أحضروا بين يدى جرجى مقدّم الأسطول، فسألهم عن حال إفريقية، و وجد فى المركب قفص حمام، فسألهم هل أرسلوا منها، فحلفوا أنّهم لم يرسلوا منها.

---

[۱]- فصدفوا.

---

(۱) السنة:spU. ۰۴vte .P .C

(۲). مائة.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۲۶

شيئا، فأمر الرجل الّذى كان الحمام صحبته أن يكتب بخطّه: إنّنا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلّيّة، فسألناهم عن الأسطول المخذول، فذكروا أنّه أقلع إلى جزائر القسطنطينيّة.

و أطلق الحمام فوصل إلى المهديّة، فسرّ الأمير الحسن و النّاس، و أراد جرجى بذلك أن يصل بغتة، ثمّ سار، و قدّر وصولهم إلى المهديّة وقت السّحر ليحيط بها قبل أن يخرج أهلها، فلو تمّ له ذلك لم يسلم منهم أحد، فقدّر اللّه تعالى أن أرسل عليهم ريحا هائلة

عکستهم، فلم یقدروا علی المسیر إلّا بالمقاذیف، فطلع النهار ثانی صفر فی هذه السنة قبل وصولهم، فرآهم النّاس، فلمّا رأی جرجی ذلک و أنّ الخدیعة فاتته، أرسل إلی الأمیر الحسن یقول:

إنّما جئت بهذا الأسطول طالبا بثأر محمّد بن رشید صاحب قابس و ردّه إلیها، و أمّا أنت فبیننا و بینک عهود و میثاق إلی مدّة، و نرید منک عسکرا یکون معنا.

فجمع الحسن النّاس من الفقهاء و الأعیان و شاورهم، فقالوا: نقاتل عدوّنا، فإنّ بلدنا حصین. فقال: أخاف أن ینزل إلی البرّ و یحصرنا برّا و بحرا، و یحول بیننا و بین المیرة، و لیس عندنا ما یقوتنا شهرا، فتؤخذ قهرا. و أنا أری سلامة المسلمین من الأسر و القتل خیرا [۱] من الملک «۱»، و قد طلب منی عسکرا إلی قابس، فإذا فعلت فما یحلّ لی معونة الکفّار علی المسلمین، و إذا امتنعت یقول: انتقض ما بیننا من الصلح، و لیس یرید إلّا أن یثبطنا حتی یحول بیننا و بین البرّ، و لیس لنا بقتاله طاقة، و الرأی أن نخرج بالأهل و الولد و نترک البلد، فمن أراد أن یفعل کفعلنا فلیبادر معنا.

---

[۱]- خیر.

---

(۱). خوفا من الملک.A

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۱۲۷

و أمر فی الحال بالرحیل، و أخذ معه من حضره و ما خفّ حمله، و خرج النّاس علی وجوههم بأهلیهم و أولادهم و ما خفّ من أموالهم و أثاثهم، و من النّاس من اختفی عند النصاری و فی الکنائس، و بقی الأسطول فی البحر تمنعه الریح من الوصول إلی المهدیّة إلی ثلثی النهار، فلم یبق فی البلد ممّن عزم علی الخروج أحد، فوصل الفرنج و دخلوا البلد بغیر مانع و لا دافع، و دخل جرجی القصر فوجده علی حاله لم یأخذ الحسن منه إلّا ما خفّ من ذخائر الملوک، و فیه جماعة من حظایاه، و رأی الخزائن مملوءة من الذخائر النفیسة و کلّ شیء غریب یقلّ وجود مثله، فختم علیه، و جمع سراری الحسن فی قصره.

و کان عدّة من ملک منهم من زیری بن مناد إلی الحسن تسعة ملوک، و مدّة ولایتهم مائتا سنة و ثمانی سنوات، من سنة خمس و ثلاثین و ثلاثمائة إلی سنة ثلاث و أربعین و خمسمائة، و کان بعض القوّاد قد أرسله الحسن إلی رجّار برسالة، فأخذ لنفسه و أهله منه أمانا، فلم یخرج معهم، و لما ملک المدینة نهبت مقدار ساعتین، و نودی بالأمان، فخرج من کان مستخفیا، و أصبح جرجی من الغد، فأرسل إلی من قرب من العرب، فدخلوا إلیه «۱»، فأحسن إلیهم، و أعطاهم أموالا جزیلة، و أرسل من جند المهدیّة الذین تخلّفوا بها جماعة، و معهم أمان لأهل المهدیّة الذین خرجوا منها، و دوابّ یحملون علیها الأطفال و النساء، و کانوا قد أشرفوا علی الهلاک من الجوع، و لهم بالمهدیّة خبایا و ودائع، فلمّا وصل إلیهم الأمان رجعوا، فلم تمض جمعة حتی رجع أکثر أهل البلد.

و أمّا الحسن فإنّه سار بأهله و أولاده، و کانوا اثنی عشر ولدا ذکرا غیر الإناث، و خواصّ خدمه، قاصدا إلی محرز بن زیاد، و هو بالمعلّقة، فلقیه فی طریقه أمیر من العرب یسمّی حسن بن ثعلب، فطلب منه مالا انکسر له فی

---

(۱). فدخلوا المدینة.B

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۱۲۸

دیوانه، فلم یمکن الحسن إخراج مال لئلا یؤخذ، فسلم إلیه ولده یحیی رهینة و سار، فوصل فی الیوم الثانی إلی محرز، و کان الحسن قد فضّله علی جمیع العرب و أحسن إلیه، و وصله بکثیر من المال، فلقیه محرز لقاء جمیلا، و توجّع لما حلّ به، فأقام عنده شهورا، و الحسن کاره للإقامة، فأراد المسیر إلی دیار مصر إلی الخلیفة الحافظ العلوی، و اشتری مرکبا لسفره، فسمع جرجی الفرنجی، فجهّز

شوانى ليأخذه، فعاد الحسن عن ذلك، و عزم على المسير إلى عبد المؤمن بالمغرب، فأرسل كبار أولاده يحيى و تميما و عليّا إلى يحيى بن العزيز، و هو من بنى حمّاد، و هما أولاد عم، يستأذنه فى الوصول إليه، و تجديد العهد به، و المسير من عنده إلى عبد المؤمن، فأذن له يحيى، فسار إليه، فلمّا وصل لم يجتمع به يحيى و سيّره إلى جزيرة بنى مزغناى هو و أولاده و وكّل به من يمنعهم من التصرّف، فبقوا كذلك إلى أن ملك عبد المؤمن بجاية سنة سبع و أربعين [و خمسمائة]، فحضر عنده و قد ذكرنا حاله هناك.

و لما استقرّ جرجى بالمهديّة سيّر أسطولا، بعد أسبوع، إلى مدينة سفاقس، و سيّر أسطولا آخر إلى مدينة سوسة، فأمّا سوسة فإنّ أهلها لما سمعوا خبر المهديّة، و كان و اليها علىّ بن الحسن الأمير، فخرج إلى أبيه، و خرج النّاس لخروجه، فدخلها الفرنج بلا قتال ثانى عشر صفر، و أمّا سفاقس فإنّ أهلها أتاهم كثير من العرب، فامتنعوا بهم، فقاتلهم الفرنج، فخرج إليهم أهل البلد فأظهر الفرنج الهزيمة، و تبعهم النّاس حتى أبعدوا عن البلد، ثمّ عطفوا عليهم، فانهزم قوم إلى البلد و قوم إلى البرّيّة، و قتل منهم جماعة، و دخل الفرنج البلد فملكوه بعد قتال شديد و قتلى كثيرة، و أسر من بقى من الرجال و سبى الحريم، و ذلك فى الثالث و العشرين من صفر، ثمّ نودى بالأمان، فعاد أهلها إليها، و افتكّوا حرمهم و أولادهم، و رفق بهم و بأهل سوسة و المهديّة، و بعد ذلك وصلت كتب من رجّار لجميع أهل إفريقية

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٢٩

بالأمان و المواعيد الحسنة.

و لما استقرّت أحوال البلاد سار جرجى فى أسطول إلى قلعة إقليبية، و هى قلعة حصينة، فلمّا وصل إليها سمعته العرب، فاجتمعوا إليها، و نزل إليهم الفرنج، فاقتتلوا فانهزم الفرنج و قتل منهم خلق كثير، فرجعوا خاسرين إلى المهديّة، و صار للفرنج من طرابلس الغرب إلى قريب تونس و من المغرب إلى دون القيروان، و اللّه أعلم.

ذكر حصر الفرنج دمشق و ما فعل سيف الدين غازى بن زنكى

فى هذه السنة سار ملك الألمان من بلاده فى خلق كثير و جمع عظيم من الفرنج، عازما على قصد بلاد الإسلام، و هو لا يشكّ فى ملكها بأيسر قتال لكثرة جموعه، و توفّر أمواله و عدده، فلمّا وصل إلى الشام قصده من به من الفرنج و خدموه، و امتثلوا أمره و نهيه، فأمرهم بالمسير معه إلى دمشق ليحصرها و يملكها بزعمه، فساروا معه و نازلوها و حصروها، و كان صاحبها مجير الدين أبق بن بورى بن طغدكين، و ليس له من الأمر شىء، و إنّما الحكم فى البلد لمعين الدين أنر مملوك جدّه طغد كين، و هو الّذى أقام مجير الدين، و كان معين الدين عاقلا، عادلا، خيّرا، حسن السيرة، فجمع العساكر و حفظ البلد.

و أقام الفرنج يحاصرونهم، ثمّ إنّهم زحفوا سادس ربيع الأوّل بفارسهم و راجلهم، فخرج إليهم أهل البلد و العسكر فقاتلوهم، و صبروا لهم، و فيمن خرج للقتال الفقيه حجّة الدين يوسف بن دى ناس الفندلاوىّ المغربى، و كان شيخا كبيرا، فقيها عالما، فلمّا رآه معين الدين، و هو

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٣٠

راجل، قصده و سلّم عليه، و قال له: يا شيخ أنت معذور لكبر سنّك، و نحن نقوم بالذّب عن المسلمين، و سأله أن يعود، فلم يفعل و قال له: قد بعت و اشترى منى، فو اللّه لا أقلته و لا استقلته، فعنى قول اللّه تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ «١».

و تقدّم فقاتل الفرنج حتى قتل عند النّيرب نحو نصف فرسخ عن دمشق.

و قوى الفرنج و ضعف المسلمون، فتقدّم ملك الألمان حتى نزل بالميدان الأخضر، فأيقن النّاس بأنّه يملك البلد. و كان معين الدين قد أرسل إلى سيف الدين غازى بن أتابك زنكى يدعوه إلى نصرة المسلمين و كفّ العدوّ عنهم، فجمع عساكره و سار إلى الشام، و

استصحب معه أخاه نور الدين محمود من حلب، فنزلوا بمدينة حمص، و أرسل إلى معين الدين يقول له: قد حضرت و معى كلّ من يحمل السّلاح فى بلادى، فأريد أن يكون نوابى بمدينة دمشق لأحضر و ألقى الفرنج، فإن انهزمت دخلت أنا و عسكرى البلد و احتمينا به، و إن ظفرت فالبلد لكم لا أنازعكم فيه.

فأرسل إلى الفرنج يتهدّدهم إن لم يرحلوا عن البلد، فكفّ الفرنج عن القتال خوفا من كثرة الجراح، و ربّما اضطروا إلى قتال سيف الدين، فأبقوا على نفوسهم، فقوى أهل البلد على حفظه، و استراحوا من لزوم الحرب، و أرسل معين الدين إلى الفرنج الغرباء: إنّ ملك المشرق قد حضر، فإن رحلتم، و إلّا سلّمت البلد إليه، و حينئذ تندمون، و أرسل إلى فرنج الشام يقول لهم: بأى عقل تساعدون هؤلاء علينا، و أنتم تعلمون أنّهم إن ملكوا دمشق أخذوا ما بأيديكم من البلاد الساحليّة، و أمّا أنا فإن رأيت الضعف عن حفظ البلد سلّمته إلى سيف الدين، و أنتم تعلمون أنّه إن ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام فى الشام، فأجابوه إلى التخلّى عن ملك الألمان،

---

(۱). roC.۹، ۱۱۱

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۳۱

و بذل لهم تسليم [۱] حصن بانياس إليهم.

و اجتمع الساحليّة بملك الألمان، و خوّفوه من سيف الدين و كثرة عساكره و تتابع الأمداد إليه، و أنّه ربّما أخذ دمشق و تضعف [۲] عن مقاومته، و لم يزالوا به حتى رحل عن البلد، و تسلّموا قلعة بانياس، و عاد الفرنج الألمانيّة إلى بلادهم و هى من وراء القسطنطينيّة، و كفى اللّه المؤمنين شرّهم.

و قد ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق: أنّ بعض العلماء حكى له أنّه رأى الفندلاوىّ فى المنام، فقال له: ما فعل اللّه بك، و أين أنت؟

فقال: غفر لى، و أنا فى جنّات عدن على سرر متقابلين.

ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكى حصن العريمة

لما سار الفرنج عن دمشق رحل نور الدين إلى حصن العريمة، و هو للفرنج، فملكه.

و سبب ذلك أن ملك الألمان لما خرج إلى الشام كان معه ولد الفنش، و هو من أولاد ملوك الفرنج، و كان جدّه هو الّذى أخذ طرابلس الشام من المسلمين، فأخذ حصن العريمة و تملّكه، و أظهر أنّه يريد أخذ طرابلس من القمص، فأرسل القمّص إلى نور الدين محمود، و قد اجتمع هو و معين الدين أنر ببعلبكّ، يقول له و لمعين الدين ليقصدا حصن العريمة و يملكاه من ولد الفنش، فسارا إليه مجدّين فى عساكرهما، و أرسلا إلى سيف الدين و هو بحمص يستنجدانه،

---

[۱]- تسلّم.

[۲]- و نضعف.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۳۲

فأمدّهما بعسكر كثير مع الأمير عزّ الدين أبى بكر الدّبيسىّ، صاحب جزيرة ابن عمر و غيرها، فنازلوا الحصن و حصروه، و به ابن الفنش، فحماه و امتنع به، فزحف المسلمون إليه غير مرّة، و تقدّم إليه النقّابون فنقبوا السور، فاستسلم حينئذ من به من الفرنج، فملكه المسلمون و أخذوا كلّ من به من فارس و راجل و صبىّ و امرأة، و فيهم ابن الفنش، و أخربوا الحصن و عادوا إلى سيف الدين. و كان مثل ابن الفنش كما قيل: خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بغير أذنين.

ذكر الخلف بين السلطان مسعود و جماعة من الأمراء و وصولهم إلى بغداد و ما كان منهم بالعراق

فى هذه السنة فارق السلطان مسعودا جماعة من أكابر الأمراء، و هم من أذربيجان: إيلدكز المسعودىّ، صاحب كنجة و أرّانيّة، و قيصر، و من الجبل: البقش كونخر، و تتر الحاجب، و هو من مماليك مسعود أيضا، و طرنطاىّ «۱» المحمودىّ، شحنة واسط، و الدّكر، و قرقوب و ابن طغايرك.

و كان سبب ذلك ميل السلطان إلى خاصّ بك و اطّراحه لهم، فخافوا أن يفعل بهم مثل فعله بعبد الرحمن و عبّاس و بوزابة، ففارقوه و ساروا نحو العراق، فلمّا بلغوا حلوان خاف النّاس ببغداد و أعمال العراق، و غلت الأسعار، و تقدّم الإمام المقتفى لأمر اللَّه بإصلاح السور و ترميمه، و أرسل الخليفة إليهم بالعبادىّ الواعظ، فلم يرجعوا إلى قوله، و وصلوا إلى بغداد فى

---

(۱). و طرمطاى.A

ربيع الأخر، و الملك محمّد ابن السلطان محمود معهم، و نزلوا بالجانب الشرقى، و فارق مسعود بلال شحنة بغداد البلد خوفا من الخليفة، و سار إلى تكريت و كانت له، فعظم الأمر على أهل بغداد، و وصل إليهم علىّ بن دبيس صاحب الحلّة، فنزل بالجانب الغربىّ، فجنّد الخليفة أجنادا يحتمى بهم.

و وقع القتال بين الأمراء و بين عامّة بغداد و من بها من العسكر، و اقتتلوا عدّة دفعات، ففى بعض الأيّام انهزم الأمراء الأعاجم من عامّة بغداد مكرا و خديعة، و تبعهم العامّة، فلمّا أبعدوا عادوا عليهم و صار بعض العسكر من ورائهم، و وضعوا السيف فقتل من العامّة خلق كثير، و لم يبقوا على صغير و لا كبير، و فتكوا فيهم، فأصيب أهل بغداد بما لم يصابوا بمثله، و كثر القتلى و الجرحى و أسر منهم خلق كثير فقتل البعض و شهر البعض، و دفن النّاس من عرفوا، و من لم يعرف ترك طريحا بالصحراء، و تفرّق العسكر فى المحالّ الغربيّة، فأخذوا من أهلها الأموال الكثيرة، و نهبوا بلد دجيل «۱» و غيره، و أخذوا النساء و الولدان.

ثمّ إنّ الأمراء اجتمعوا و نزلوا مقابل التاج و قبّلوا الأرض و اعتذروا، و تردّدت الرسل بينهم و بين الخليفة إلى آخر النهار، و عادوا إلى خيامهم، و رحلوا إلى النّهروان، فنهبوا البلاد، و أفسدوا فيها، و عاد مسعود بلال شحنة بغداد من تكريت إلى بغداد.

ثمّ إنّ هؤلاء الأمراء تفرّقوا و فارقوا العراق، و توفّى الأمير قيصر بأذربيجان، هذا كلّه و السلطان مسعود مقيم ببلد الجبل، و الرسل بينه و بين عمّه السلطان سنجر متّصلة، و كان السلطان سنجر قد أرسل إليه يلومه على تقديم خاصّ بك، و يأمره بإبعاده، و يتهدّده بأنّه إن لم يفعل فسيقصده

---

(۱). بلد دحيل: P .C.۷۴۰

فلمّا علم السلطان مسعود بوصوله سار إليه و ترضّاه، و استنزله عمّا فى نفسه فسكن. و كان اجتماعهما سنة أربع و أربعين [و خمسمائة] على ما نذكره إن شاء اللَّه تعالى.

ذكر انهزام الفرنج ببغرى

فى هذه السنة هزم نور الدين محمود بن زنكى الفرنج بمكان اسمه بغرى من أرض الشام، و كانوا قد تجمّعوا ليقصدوا أعمال حلب ليغيروا عليها، فعلم بهم، فسار إليهم فى عسكره، فالتقوا بغرى و اقتتلوا قتالا شديدا و أجلت المعركة عن انهزام الفرنج، و قتل كثير

منهم، و أسر جماعة من مقدّميهم، و لم ينج من ذلك الجمع إلّا القليل، و أرسل من الغنيمة و الأسارى إلى أخيه سيف الدين و إلى الخليفة ببغداد و إلى السلطان مسعود و غيرهم.

و فى هذه الوقعة يقول ابن القيسرانىّ فى قصيدته التى أوّلها:

يا ليت أنّ الصّدّ مصدودأو لا، فليت النّوم مردود و منها فى ذكر نور الدين:

و كيف لا نثنى على عيشناالمحمود و السّلطان محمود

و صارم الإسلام لا ينشىإلّا و شلو الكفر مقدود

مكارم لم تك موجودةإلّا و نور الدّين موجود

و كم له من وقعة يومها،عند الملوك الكفر، مشهود

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٣٥

ذكر ملك الغوريّة غزنة و عودهم عنها

فى هذه السنة قصد سورى بن الحسين ملك الغور مدينة غزنة فملكها.

و سبب ذلك أنّ أخاه ملك الغوريّة [قبله محمّد بن الحسين كان قد صاهر بهرام شاه مسعود بن] «١» إبراهيم، صاحب غزنة، و هو من بيت سبكتكين، فعظم شأنه بالمصاهرة، و علت همّته، فجمع جموعا كثيرة و سار إلى غزنة ليملكها. و قيل: إنّما سار إليها مظهرا الخدمة و الزيارة، و هو يريد المكر و الغدر، فعلم به بهرام شاه، فأخذه و سجنه، ثمّ قتله، فعظم قتله على الغوريّة، و لم يمكنهم الأخذ بثأره.

و لما قتل ملك بعده أخوه سام بن الحسين، فمات بالجدرى، و ملك بعده أخوه الملك سورى بن الحسين بلاد الغور، و قوى أمره، و تمكن فى ملكه، فجمع عسكره من الفارس و الراجل و سار إلى غزنة طالبا بثأر أخيه المقتول و قاصدا ملك غزنة، فلمّا وصل إليها ملكها فى جمادى الأولى سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة.

و فارقها بهرام شاه إلى بلاد الهند، و جمع جموعا كثيرة، و عاد إلى غزنة و على مقدّمته السلار الحسن بن إبراهيم العلوىّ أمير هندوستان. و كان عسكر غزنة، الذين أقاموا مع سورى بن الحسين الغورى و خدموه، قلوبهم مع بهرام شاه، و إنّما هم بظواهرهم مع سورى، فلمّا التقى سورى و بهرام شاه رجع عسكر غزنة إلى بهرام شاه و صاروا معه، و سلّموا إليه سورى ملك الغوريّة، و ملك بهرام شاه غزنة فى المحرّم سنة أربع و أربعين [و خمسمائة]، و صلب الملك سورى مع «٢» السيّد الماهيانىّ فى المحرّم أيضا من السنة.

---

(١). AdditionalA of Nuwairi, MS. 3481, fol. 11 p

(٢). مع moA

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٣٦

و كان سورى أحد الأجواد، له الكرم الغزير، و المروءة العظيمة، حتى إنّه كان يرمى الدراهم فى المقالع إلى الفقراء لتقع بيد من يتّفق له.

ثمّ عاود «١» الغوريّة و ملكوها، و خرّبوها، و قد ذكرناه «٢» سنة سبع و أربعين [و خمسمائة] و ذكرنا هناك ابتداء دولة الغوريّة لأنّهم فى ذلك الوقت عظم محلّهم، و فارقوا الجبال و قصدوا خراسان، و علا شأنهم، و فى بعض الخلف كما ذكرناه، و اللّه أعلم.

ذكر ملك الفرنج مدنا من الأندلس

فى هذه السنة ملك الفرنج بالأندلس مدينة طرطوشة، و ملكوا معها جميع قلاعها و حصون لاردة و أفراغة، و لم يبق للمسلمين فى

تلك الجهات شیء إلّا و استولى الفرنج على جمیعه [۱] لاختلاف المسلمین بینهم، و بقى بأیدیهم إلى الآن.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى أبو بكر المبارك بن الكامل بن أبى غالب البغدادى المعروف أبوه بالخفّاف، سمع الحدیث الكثیر و كان مفید بغداد.

.

[۱]- جمیعها.

(۱) ثم عودوا.B

(۲). و خربوها سنة سبع و أربعین و ذكرنا هناك.A

الكامل فى التاریخ، ج ۱۱، ص: ۱۳۷

و فیها غلت الأسعار بالعراق و تعذّرت الأقوات بسبب العسكر الوارد، و قدم أهل السواد إلى بغداد منهزمین قد أخذت أموالهم، و هلكوا جوعا و عریا، و كذلك أیضا كان الغلاء فى أكثر البلاد، خراسان، و بلاد الجبل، و أصفهان، و دیار فارس، و الجزیرة و الشام، و أمّا المغرب فكان أشدّ غلاء بسبب انقطاع الغیث و دخول العدوّ إلیها.

و فیها توفّى إبراهیم بن نبهان الغنوى الرّقّى، و مولده سنة تسع و خمسین و أربعمائة، و صحب الغزالى و الشاشىّ، و روى الجمع بین الصحیحین للحمیدىّ عن مصنّفه.

و فیها، فى ذى القعدة، توفّى الإمام أبو الفضل الكرمانىّ الفقیه الحنفىّ إمام خراسان

.

الكامل فى التاریخ، ج ۱۱، ص: ۱۳۸

۵۴۴ ثم دخلت سنة أربع و أربعین و خمسمائة

ذكر وفاة سیف الدین غازى بن أتابك زنكى و بعض سیرته و ملك أخیه قطب الدین

فى هذه السنة توفّى سیف الدین غازى، بن أتابك زنكى صاحب الموصل بها بمرض حادّ، و لما اشتدّ مرضه أرسل إلى بغداد و استدعى أوحد الزمان، فحضر عنده، فرأى شدّة مرضه، فعالجه، فلم ینجع فیه الدواء، و توفّى أواخر جمادى الآخرة، و كانت ولایته ثلاث سنین و شهرا و عشرین یوما، و كان حسن الصورة و الشباب، و كانت ولادته سنة خمسمائة، و دفن بالمدرسة التى بناها بالموصل، و خلف ولدا ذكرا، فربّاه عمّه نور الدین محمود، و أحسن تربیته، و زوّجه ابنة أخیه قطب الدین مودود، فلم تطل أیّامه و توفّى فى عنفوان [۱] شبابه، فانقرض عقبه.

و كان كریما شجاعا عاقلا، و كان یصنع كلّ یوم لعسكره طعاما كثیرا مرّتین بكرة و عشیّة، فأمّا الّذى بكرة فیكون مائة رأس غنم جیّدة، و هو أوّل من حمل على رأسه السنجق، و أمر الأجناد ألّا یركبوا إلّا بالسیف فى أوساطهم و الدبوس تحت ركبهم، فلمّا فعل ذلك اقتدى به أصحاب الأطراف، بنى المدرسة الأتابكیّة العتیقة بالموصل، و هى من أحسن المدارس، و وقفها [۲]

[۱]- عنوان.

[۲]- و أوقفها.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۳۹

على الفقهاء الحنفيّة و الشافعيّة، و بنى رباطا للصوفيّة بالموصل أيضا على باب المشرعة، و لم تطل أيّامه ليفعل ما فى نفسه من الخير، و كان عظيم الهمّة، و من جملة كرمه أنّه قصده شهاب الدين الحيص بيص و امتدحه بقصيدته التى أوّلها:

إلام يراك المجد فى زىّ شاعرو قد نحلت شوقا فروع المنابر فوصله بألف دينار عينا سوى الخلع و غيرها.

و لما توفّى سيف الدين غازى كان أخوه قطب الدين مقيما بالموصل، فاتّفق جمال الدين الوزير و زين الدين علىّ أمير الجيش على تمليكه، فأحضروه، و استحلفوه، و حلفوا له، و أركبوه إلى دار السلطنة، و زين الدين فى ركابه، و أطاعه جميع بلاد أخيه سيف الدين كالموصل و الجزيرة و الشّام.

و لما ملك تزوّج الخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش التى كان قد تزوّجها أخوه سيف الدين و توفّى قبل الدخول بها، و هى أمّ أولاد «۱» قطب الدين: سيف الدين، و عزّ الدين و غيرهما من أولاده «۲».

ذكر استيلاء نور الدين على سنجار

لما ملك قطب الدين مودود الموصل بعد أخيه سيف الدين غازى كان أخوه الأكبر نور الدين محمود بالشام، و له حلب و حماة، فكاتبه جماعة من الأمراء و طلبوه، و فيمن كاتبه المقدّم عبد الملك والد شمس الدين محمّد، و كان حينئذ.

---

(۱) و هى أم أولادهA. auqiler .mo

(۲). سيف الدين و غيرهما من أولادهB.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۴۰

مستحفظا بسنجار، فأرسل إليه يستدعيه ليتسلم سنجار، فسار جريدة فى سبعين فارسا من أمراء دولته، فوصل إلى ماكسين فى نفر يسير قد سبق أصحابه.

و كان يوما شديد المطر، فلم يعرفهم الّذى يحفظ الباب، فأخبر الشّحنة [۱] أنّ نفرا من التركمان المتجنّدين قد دخلوا البلد، فلم يستتمّ كلامه حتى دخل نور الدين الدار على الشحنة، فقام إليه و قبّل يده، و لحق به باقى أصحابه، ثمّ سار إلى سنجار، فوصلها و ليس معه غير ركابى و سلاح دار، و نزل بظاهر البلد.

و أرسل إلى المقدّم يعلمه بوصوله، فرآه الرسول و قد سار إلى الموصل و ترك ولده شمس الدين محمّدا بالقلعة، فأعلمه بمسير والده إلى الموصل، و أقام من لحق أباه بالطريق، فأعلمه بوصول نور الدين، فعاد إلى سنجار فسلّمها إليه، فدخلها نور الدين، و أرسل إلى فخر الدين قرا أرسلان، صاحب الحصن، يستدعيه إليه لمودّة كانت بينهما، فوصل إليه فى عسكره، فلمّا سمع أتابك قطب الدين، و جمال الدين، و زين الدين بالموصل بذلك جمعوا عساكرهم و ساروا نحو سنجار، فوصلوا إلى تل يعفر، و تردّدت الرسل بينهم بعد أن كانوا عازمين على قصده بسنجار، فقال لهم جمال الدين: ليس من الرأى محاقّته [۲] و قتاله، فإنّنا نحن قد عظّمنا محلّه عند السلطان و ما هو بصدده من الغزاة، و جعلنا أنفسنا دونه، و هو يظهر للفرنج تعظيما [۳] و أنّه تبعنا، و لا يزال يقول لهم: إن كنتم كما يجب، و إلّا سلّمت البلاد إلى صاحب الموصل

---

[۱]- الشنحة.

[۲]- محاقته.

[۳]- فيظهر للفرنج تعظيمنا.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۴۱

و حينئذ يفعل بكم و يصنع، فإذا لقيناه [۱]، فإن هزمناه طمع السلطان فينا، و يقول: هذا الّذى كانوا يعظّمونه و يحتمون به أضعف منهم، و قد هزموه، و إن هو هزمنا طمع فيه الفرنج، و يقولون إنّ الذين كان يحتمى بهم أضعف منه، و قد هزمهم، و بالجملة فهو ابن أتابك الكبير.

و أشار بالصلح، و سار هو إليه فاصطلح و سلّم سنجار إلى أخيه قطب الدين، و سلّم مدينة حمص و الرّحبة بأرض الشام و بقى الشام له، و ديار الجزيرة لأخيه، و اتّفقا، و عاد نور الدين إلى الشام، و أخذ معه ما كان قد ادّخره أبوه أتابك الشهيد فيها من الخزائن و كانت كثيرة جدّا.

ذكر وفاة الحافظ و ولاية الظافر [و وزارة] «۱» ابن السلار

فى هذه السنة، فى جمادى الآخرة، توفّى الحافظ لدين [۲] اللَّه عبد المجيد ابن الأمير أبى القاسم بن المستنصر باللَّه العلوىّ، صاحب مصر. و كانت خلافته عشرين سنة إلّا خمسة أشهر، و عمره نحو من سبع و سبعين سنة، و لم يزل فى جميعها محكوما عليه، يحكم عليه وزراؤه، حتى إنّه جعل ابنه حسنا وزيرا و وليّ عهده، فحكم عليه و استبدّ بالأمر دونه، و قتل كثيرا من أمراء دولته و صادر كثيرا، فلمّا رأى الحافظ ذلك سقاه سمّا فمات، و قد ذكرناه.

و لم يل الأمر من العلويّين المصريّين من أبوه غير خليفة غير الحافظ

---

[۱]- ألقيناه.

[۲]- الدين.

P .C.(۱)

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۴۲

العاضد، و سيرد ذكر نسب العاضد [۱]، و ولى الخلافة بعده بمصر ابنه الظافر بأمر اللَّه أبو منصور إسماعيل بن عبد المجيد الحافظ، و استوزر ابن مصّال، فبقى أربعين يوما يدبّر الأمور، فقصده العادل بن السلار من ثغر الإسكندريّة، و نازعه فى الوزارة، و كان ابن مصّال قد خرج من القاهرة فى طلب بعض المفسدين من السودان، فحلفه العادل بالقاهرة و صار وزيرا «۱».

و سيّر عبّاس بن أبى الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس الصّنهاجىّ فى عسكر و هو ربيب العادل، إلى ابن مصّال، فظفر به و قتله، و عاد إلى القاهرة، و استقرّ العادل و تمكّن، و لم يكن للخليفة معه حكم.

و أمّا سبب وصول عبّاس إلى مصر فإنّ جدّه يحيى أخرج أباه أبا الفتوح من المهديّة، فلمّا توفّى يحيى و ولى بعده بلاد إفريقية ابنه علىّ بن يحيى ابن تميم [ابن يحيى صاحب] إفريقية، أخرج أخاه أبا الفتوح بن يحيى والد عبّاس من إفريقية سنة تسع و خمسمائة، فسار إلى الديار المصريّة و معه زوجته بلّارة ابنة القاسم بن تميم بن المعزّ بن باديس، و ولده عبّاس هذا و هو صغير يرضع، و نزل أبو الفتوح بالإسكندريّة فأكرم و أقام بها مدّة يسيرة، و توفّى و تزوّجت بعده امرأته بلّارة بالعادل بن السلار.

و شبّ العبّاس، و تقدّم عند الحافظ، حتى ولى الوزارة بعد العادل، فإنّ العادل قتل فى المحرّم سنة ثمان و أربعين [و خمسمائة]. قيل: وضع عليه عبّاس من قتله، فلمّا قتل ولى الوزارة بعده، و تمكّن فيها، و كان جلدا حازما، و مع هذا ففى أيّامه أخذ الفرنج عسقلان، و اشتدّ وهن الدولة بذلك، و فى أيّامه أخذ نور الدين محمود دمشق من مجير الدين أبق، و صار الأمر بعد هذا إلى أن أخذت مصر

منهم على ما نذكره بعد إن شاء اللّه تعالى.

---

[۱]- لعاضد.

---

(۱). وزيره:spU. ۰۴۷.te .P .C

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۴۳

ذكر عود جماعة من الأمراء إلى العراق

فى هذه السنة، فى رجب، عاد البقش كونخر و الطرنطاى و ابن دبيس و معهم ملك شاه ابن السلطان محمود إلى العراق، و راسلوا الخليفة فى الخطبة لملكشاه، فلم يلتفت إليهم، و جمع العساكر، و حصّن بغداد، و أرسل إلى السلطان مسعود يعرّفه الحال، فوعده بالوصول إلى بغداد، فلم يحضر.

و كان سبب ذلك ما ذكرناه من وصول عمّه السلطان سنجر إلى الرىّ فى معنى خاصّ بك، فلمّا وصل إلى الرىّ سار إليه السلطان مسعود، و لقيه و استرضاه، فرضى عنه، فلمّا علم البقش بمراسلة الخليفة إلى مسعود نهب النّهروان، و قبض على الأمير علىّ بن دبيس فى رمضان، فلمّا علم الطرنطاىّ بذلك هرب إلى النّعمانيّة.

و وصل السلطان مسعود إلى بغداد منتصف شوّال، و رحل البقش كونخر من النّهروان، و أطلق علىّ بن دبيس، فلمّا وصل السلطان إلى بغداد قصده علىّ، و ألقى بنفسه بين يديه و اعتذر، فرضى عنه. و ذكر «۱» بعض المؤرّخين هذه الحادثة سنة أربع و أربعين، و ذكر أيضا مثلها سنة ثلاث و أربعين [و خمسمائة]، فظنّهما حادثتين، و أنا أظنّها واحدة و لكنّا تبعناه فى ذلك و نبّهنا عليه.

---

(۱).momen ifsitipacdaeuqsu و ذكر aednI

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۴۴

ذكر قتل البرنس صاحب أنطاكية و هزيمة الفرنج

فى هذه السنة غزا نور الدين محمود بن زنكى بلاد الفرنج من ناحية أنطاكية، و قصد حصن حارم، و هو للفرنج، فحصره و خرّب ربضه، و نهب سواده، ثمّ رحل إلى حصن إنّب «۱» فحصره أيضا، فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب أنطاكية و حارم و تلك الأعمال، و ساروا إلى نور الدين ليرحّلوه عن إنّب «۲»، فلقيهم و اقتتلوا قتالا عظيما.

و باشر نور الدين القتال ذلك اليوم، فانهزم الفرنج أقبح هزيمة، و قتل منهم جمع كثير، و أسر [۱] مثلهم.

و كان ممّن قتل البرنس صاحب أنطاكية، و كان عاتيا من عتاة الفرنج و عظيما من عظمائهم، و لما قتل البرنس ملك بعده ابنه بيمند، و هو طفل، فتزوّجت أمّه ببرنس [۲] آخر ليدبّر البلد إلى أن يكبر ابنها، و أقام معها بأنطاكية.

ثمّ إنّ نور الدين غزاهم غزوة أخرى، فاجتمعوا و لقوه، فهزمهم و قتل فيهم و أسر، و كان فيمن أسر البرنس الثانى زوج أمّ بيمند، فتمكّن حينئذ بيمند بأنطاكية، و أكثر الشعراء مديح نور الدين و تهنئته بهذا الظفر، فإنّ قتل البرنس كان عظيما عند الطائفتين، و ممّن قال فيه القيسرانىّ فى قصيدته المشهورة التى أوّلها:

---

[۱]- و أسروا.

[۲]- بابرنس.

(۱- ۲). أنب.B. أنت.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۴۵ هذى العزائم لا ما تدّعى القضبو ذى المكارم لا ما قالت الكتب

و هذه الهمم اللّاتى متى خطبت‌تعثّرت خلفها الأشعار و الخطب

صافحت يا ابن عماد الدّين ذروتهابراحة للمساعى دونها تعب

ما زال جدّك يبنى كلّ شاهقةحتى بنى قبّة أوتادها الشّهب

أغرت «۱»سيوفك بالإفرنج راجفةفؤاد رومية الكبرى لها يجب

ضربت كبشهم منها بقاصمةأودى بها الصّلب و انحطّت بها الصّلب

طهّرت أرض الأعادى من دمائهمطهارة كلّ سيف عندها جنب

ذكر الخلف بين صاحب صقلّيّة و ملك الروم

فى هذه السنة اختلف رجّار الفرنجىّ صاحب صقلّيّة و ملك القسطنطينيّة، و جرى بينهما حروب كثيرة دامت عدّة سنين، فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين، و لو لا ذلك لملك رجّار جميع بلاد إفريقية.

و كان القتال بينهم برّا و بحرا، و الظفر فى جميع ذلك لصاحب صقلّيّة، حتى إنّ أسطوله، فى بعض السنين، وصل إلى مدينة القسطنطينيّة، و دخل فم الميناء، و أخذوا عدّة شوان من الروم، و أسروا جمعا منهم، و رمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشّاب، و كان الّذى يفعل هذا بالروم و المسلمين جرجى وزير صاحب صقلّيّة، فمرض عدّة أمراض منها البواسير و الحصا، و مات سنة ستّ و أربعين و خمسمائة، فسكنت الفتنة، و استراح النّاس من شرّه و ساده، و لم يكن عند صاحب صقلّيّة من يقوم مقامه بعده.

---

(۱). أعزت.A. sitcnupenis B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۴۶

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة زلزلت «۱» الأرض زلزلة عظيمة، فقيل إن جبلا مقابل حلوان ساخ فى الأرض.

و فيها ولى أبو المظفّر يحيى بن هبيرة وزارة الخليفة المقتفى لأمر اللّه، و كان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام، و ظهر له كفاية عظيمة عند نزول العساكر بظاهر بغداد، و حسن قيام فى ردّهم، فرغب الخليفة فيه، فاستوزره يوم الأربعاء رابع ربيع الآخر سنة أربع و أربعين [و خمسمائة]، و كان القمر على تربيع زحل «۲»، فقيل له: لو أخّرت لبس الخلعة لهذه التربيعات؟ فقال:

و أىّ سعادة أكبر من وزارة الخليفة؟ و لبسها ذلك اليوم.

و فيها، فى المحرّم، توفّى قاضى القضاة علىّ بن الحسين الزينبىّ، و ولى القضاء عماد الدين أبو الحسن علىّ بن أحمد الدامغانىّ.

و فيها، فى المحرّم، رخّصت الأسعار بالعراق، و كثرت الخيرات، و خرج أهل السواد إلى قراهم.

و فيها توفّى الأمير نظر أمير الحاجّ، و كان قد سار بالحاجّ إلى الحلّة، فمرض و اشتدّ مرضه، و استخلف على الحاجّ قايماز الأرجوان، و عاد إلى بغداد مريضا، فتوفّى فى ذى القعدة، و كان خصيّا عاقلا خيّرا له معروف كثير و صدقات وافرة.

---

(١) فى هذه السنة وقع بين صاحب صقلّيّة الفرنجى و بين ملك القسطنطينة حرب:tipicni .Anicis و دامت و اشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين و كان القتال برا و بحرا و قد تقدم ذكر ذلك، و فيها زلزلت.

(٢).tseanucaI زجل ocoI

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٤٧

و فيها توفّى أحمد بن نظام الملك الّذى كان وزير السلطان محمّد و المسترشد باللَّه.

و فيها توفّى علىّ بن رافع بن خليفة الشيبانىّ، و هو من أعيان خراسان، و له مائة و سبع سنين شمسيّة.

و مات الإمام مسعود الصوابىّ فى المحرّم منها.

و فيها توفّى معين الدين أنر نائب أبق صاحب دمشق، و هو كان الحاكم و الأمر إليه، و كان أبق صورة أمير لا معنى تحتها.

و فيها توفّى القاضى أحمد بن محمّد بن الحسين الأرّجانى أبو بكر قاضى تستر، و له شعر حسن فمنه قوله:

و لما بلوت النّاس أطلب عندهم‌أخا ثقة عند اعتراض الشّدائد

تطلّعت فى حالى رخاء و شدّةو ناديت فى الأحياء: هل من مساعد

فلم أر فيما ساءنى غير شامتو لم أر فيما سرّنى غير حاسد

تمتّعتما يا ناظرى بنظرةو أوردتما قلبى أمرّ الموارد

أعينىّ كفّا عن فؤادى فإنّه‌من البغى سعى اثنين فى قتل واحد و فيها توفّى أبو عبد اللَّه عيسى بن هبة اللَّه بن عيسى البزّاز، و كان ظريفا، و له شعر حسن، كتب إليه صديق له رقعة و زاد فى خطابه فأجابه:

قد زدتنى فى الخطاب حتى‌خشيت نقصا من الزّياده

فاجعل خطابى خطاب مثلىو لا تغيّر علىّ عاده

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٤٨

٥۴٥ ثم دخلت سنة خمس و أربعين و خمسمائة

ذكر أخذ العرب الحجّاج

فى هذه السنة، رابع عشر المحرّم، خرج العرب، زعب و من انضمّ إليها، على الحجّاج بالغرابىّ، بين مكّة و المدينة، فأخذوهم و لم يسلم منهم إلّا القليل.

و كان سبب ذلك أنّ نظر أمير الحاجّ [لما عاد من الحلّة على ما ذكرناه و سار على الحاجّ] «١» قايماز الأرجوانىّ، و كان حدثا غرّا، سار بهم إلى مكّة، فلمّا رأى أمير مكّة قايماز استصغره و طمع فى الحاجّ، و تلطّف قايماز الحال معه إلى أن عادوا.

فلمّا سار عن مكّة سمع باجتماع العرب، فقال للحاجّ: المصلحة أنّا لا نمضى إلى المدينة، و ضجّ العجم و تهدّدوه بالشكوى منه إلى السلطان سنجر، فقال لهم: فأعطوا العرب ما لا نستكفّ به شرّهم! فامتنعوا من ذلك، فسار بهم إلى الغرابىّ، و هو منزل يخرج إليه من مضيق بين جبلين، فوقفوا على فم مضيق، و قاتلهم قايماز و من معه، فلمّا رأى عجزه أخذ لنفسه أمانا، و ظفروا بالحجّاج، و غنموا أموالهم و جميع ما معهم، و تفرّق النّاس فى البرّ، و هلك منهم خلق كثير لا يحصون كثرة، و لم يسلم إلّا القليل،

---

(١).te .P .C ٧۴٠

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١۴٩

فوصل بعضهم إلى المدينة و تحمّلوا منها إلى البلاد، و أقام بعضهم مع العرب حتى توصّل إلى البلاد.

ثمّ إنّ اللَّه تعالى انتصر للحاجّ من زعب فلم يزالوا فى نقص و ذلّة، و لقد رأيت شابّا منهم بالمدينة سنة ستّ و سبعين و خمسمائة، و جرى بينى و بينه مفاوضة قلت له فيها: إنّنى و اللَّه كنت أميل إليك حتى سمعت أنّك من زعب فنفرت و خفت شرّك. فقال: و لم؟ فقلت: بسبب أخذكم الحاجّ. فقال لى: أنا لم أدرك ذلك الوقت، و كيف رأيت اللَّه صنع بنا؟ و اللَّه ما أفلحنا، و لا نجحنا، قلّ العدد و طمع العدوّ فينا.

ذكر فتح حصن فاميا

فى هذه السنة فتح نور الدين محمود ابن الشهيد زنكى حصن فاميا من الفرنج و هو مجاور شيزر و حماة على تلّ عال من أحصن القلاع و أمنعها، فسار نور الدين إليه و حصره و به الفرنج و قاتلهم و ضيّق على من به منهم، فاجتمع من بالشام من الفرنج و ساروا نحوه ليرحّلوه عنهم فلم يصلوا إلّا و قد ملكه و ملأه ذخائر و سلاحا و رجالا و جميع ما يحتاج إليه، فلمّا بلغه مسير الفرنج إليه رحل عنه و قد فرغ من أمر الحصن و سار إليهم يطلبهم، فحين رأوا أنّ الحصن قد ملك و قوة عزم نور الدين على لقائهم عدلوا عن طريقه و دخلوا بلادهم و راسلوه فى المهادنة و عاد سالما مظفّرا و مدحه الشعراء و ذكروا هذا الفتح، فمن ذلك قول ابن الرومىّ من قصيدة أوّلها:

أسنى الممالك ما أطلت منارهاو جعلت مرهفة الدّسار دسارها

و أحقّ من ملك البلاد و أهلهارءوف تكنّف عدله أقطارها

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٥٠

و منها فى وصف الحصن:

أدركت ثأرك فى البغاة و كنت يامختار أمّة أحمد مختارها

طابت نجومك فوقها و لربماباتت تنافثها النّجوم سرارها

عاريّة الزّمن المعير شمالهامنك المعيرة و استردّ معارها

أمست مع الشّعرى العبور و أصبحتشعراء تستغلى الفحول شوارها و هى طويلة.

ذكر حصر الفرنج قرطبة و رحيلهم عنها

فى هذه السنة سار السّلِيطين، و هو الأذفونش، و هو ملك طليطلة و أعمالها، و هو من ملوك الجلالقة، نوع من الفرنج، فى أربعين ألف فارس إلى مدينة قرطبة، فحصرها، و هى فى ضعف و غلاء، فبلغ الخبر إلى عبد المؤمن و هو بمراكش، فجهّز عسكرا كثيرا، و جعل مقدّمهم أبا زكريّا يحيى بن يرموز و نفّذهم إلى قرطبة، فلمّا قربوا منها لم يقدروا أن يلقوا عسكر السّلِيطين فى الوطاء و أرادوا الاجتماع بأهل قرطبة ليمنعوها لخطر العاقبة بعد القتال، فسلكوا الجبال الوعرة، و المضايق المتشعّبة، فساروا نحو خمسة و عشرين يوما فى الوعر فى مسافة أربعة أيّام فى السهل، فوصلوا إلى جبل مطلّ على قرطبة، فلمّا رآهم السّليطين و تحقّق أمرهم رحل عن قرطبة.

و كان [فيها] «١» القائد أبو الغمر «٢» السائب من ولد القائد ابن غلبون،

---

(١) te .P .C

(٢). ٧۴٠ العم:spUالمعمر:C. P.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٥١

و هو من أبطال أهل الأنـدلس و أمرائها، فلمّا رحل الفرنج خرج منها لوقته و صـعد إلى ابن يرموز «١»، و قال له: انزلوا عاجلا و ادخلوا البلد، ففعلوا، و باتوا فيها، فلمّا أصبحوا من الغد رأوا عسكر السّليطين على رأس الجبل الّذى كان فيه عسكر عبد المؤمن، فقال لهم أبو الغمر «٢»: هـذا الّذى خفته عليكم لأنّى علمت أنّ السّليطين مـا أقلع إلّا طالبـا لكم، فإنّ من الموضع الّذى كان فيه إلى الجبل طريقا سهلـة، و لو لحقكم هنـاك لنـال مراده منكم و من الّذى كـان فيه إلى الجبـل طريقا سـهلة، و لو لحقكم هناك لنال مراده منكم و من قرطبة، فلمّا رأى السّليطين أنّهم قد فاتوه علم أنّه لم يبق له طمع فى قرطبة، فرحل عائدا إلى بلاده، و كان حصره لقرطبة ثلاثة أشهر، و اللّه أعلم.

ذكر ملك الغوريّة هراة

فى هذه السـنة سار ملك الغور الحسن بن الحسـين من بلاد الغور إلى هراة فحصـرها، و كان أهلها قد كاتبوه، و طلبوا أن يسـلّموا البلد إليه هربا من ظلم الأتراك لهم، و زوال هيبـة السـلطنة عنهم، فامتنع أهل هراة عليه ثلاثـة أيّام، ثمّ خرجوا إليه و سـلّموا البلـد و أطاعوه، فأحسن إليهم، و أفاض عليهم النعم، و غمرهم بالعدل، و أظهر طاعة السلطان سنجر و القيام على الوفاء له و الانقياد إليه.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السـنة أمر علاء الدين محمود بن مسـعود، الغالب على أمر طريثيث التى بيد الإسماعيلية، بإقامة الخطبة للخليفة، و لبس السواد، ففعل الخطيب

---

(١). ابن يومور.B. ابن تومرت.A

(٢). ٧۴٠ العم:spUالمعمر:C. P.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٥٢

ذلك، فثار به عمّه و أقاربه و من وافقهم، و قاتلوه، و كسروا المنبر و قتلوا الخطيب.

و كان فعل علاء الـدين هذا لأنّ أباه كان مسـلما، فلمّا تغلّب الإسـماعيليّة على طريثيث أظهر موافقتهم، و أبطن اعتقاد الشـريعة، و كان يناظر على مذهب الشافعىّ، و ازداد تقدّما بطريثيث و جرت أمورها بإرادته، فلمّا حضره الموت أوصى أن يغسّله فقيه شافعىّ، و أوصى إلى ابنه علاء الدين، إن أمكنه أن يعيد فيها إظهار شريعة الإسلام فعل. فلمّا رأى من نفسه قوّة فعله فلم يتمّ له.

و فيها كثر المرض بالعراق لا سيّما ببغداد، و كثر الموت أيضا فيها، ففارقها السلطان مسعود.

و فيها توفّى الأمير علىّ بن دبيس بن صدقـة صاحب الحلّة بأسدآباد «١»، و اتّهم طبيبه محمّـد بن صالـح بالمواطأة عليه، فمات الطبيب بعده بقريب.

و فيها «٢» اسـتوزر عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب أبا جعفر بن أبى أحمد الأندلسى، و كان مأسورا عنده، فوصف له بالعقل و جودة الكتابة، فأخرجه من الحبس و استوزره، و هو أوّل وزير كان للموحّدين.

و فى هـذه السـنة، فى المحرّم، جلس يوسف الدمشـقىّ مـدرّسا فى النظاميّـة ببغداد، و كان جلوسه بغير أمر الخليفة، فمنع، يوم الجمعة، من دخول الجامع، فصلّى فى جامع السلطان، و منع من التدريس، فتقدّم السلطان مسعود إلى الشيخ أبى النجيب بأن يدرّس فيها، فامتنع بغير أمر الخليفة، فاستخرج السلطان إذن الخليفة فى ذلك، فدرّس منتصف المحرّم من السنة.

---

(١) بسداباد:C. P. ٠۴vte .spU

(٢). للموحدين daeuqsu فيها aednI الكامل فى التاريخ ج ١١ ١٥٣ ذكر عدة حوادث ..... ص : ١٥١

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٥٣

و فيها «١» توفّى أبو عبد اللّه محمّد بن علىّ مهران «٢» الفقيه الشافعىّ، تفقّه على الهراسىّ، و ولى قضاء نصيبين، ثمّ ترك القضاء و تزهّد فأقام بجزيرة ابن عمر، ثمّ انتقل إلى جبل ببلد الحصن، فى زاوية «٣»، و كان له كرامات ظاهرة.

و فيها مات الحسن بن ذى النون بن أبى القاسم بن أبى الحسن المسعرى «۴» أبو المفاخر النّيسابورى، سمع الحديث الكثير، و كان فقيها أديبا دائم الأشغال يعظ النّاس، و كان ممّا ينشد:

مات الكرام و ولّوا و انقضوا و مضواو مات من بعدهم تلك الكرامات

و خلّفونى فى قوم ذوى سفهلو أبصروا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

---

(١). ظاهرة daeuqsu فيها aednI

(٢). على بن مهران.B

(٣).v. uqes فى زاوية.te mo إلى زاوية فى جبل.B

(۴). السكرى.B. الحسن الثغرى.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٥۴

۵۴۶ ثم دخلت سنة ست و أربعين و خمسمائة

ذكر انهزام نور الدين من جوسلين و أسر جوسلين بعد ذلك

فى هذه السنة جمع نور الدين محمود عسكره و سار إلى بلاد جوسلين الفرنجىّ، و هى شمالى حلب، منها تلّ باشر، و عين تاب، و إعزاز و غيرها، و عزم على محاصرتها و أخذها. و كان جوسلين، لعنه اللّه، فارس الفرنج غير مدافع، قد جمع الشجاعة و الرأى، فلمّا علم بذلك جمع الفرنج فأكثر، و سار نحو نور الدين فالتقوا و اقتتلوا، فانهزم المسلمون و قتل منهم و أسر جمع كثير، و كان فى جملة من أسر سلاح دار نور الدين، فأخذه جوسلين، و معه سلاح نور الدين، فسيّره إلى الملك مسعود بن قلج أرسلان، صاحب قونية، و أقصرا، و قال له: هذا سلاح زوج ابنتك، و سيأتيك بعده ما هو أعظم منه.

فلمّا علم نور الدين الحال عظم عليه ذلك، و أعمل الحيلة [على] «١» جوسلين، و هجر الراحة ليأخذ بثأره، و أحضر جماعة من أمراء التركمان، و بذلك لهم الرغائب إن هم ظفروا بجوسلين و سلّموه إليه إمّا قتيلا أو أسيرا، لأنّه علم أنّه متى قصده بنفسه احتمى بجموعه و حصونه، فجعل التركمان عليه العيون، فخرج متصيّدا، فلحقت به طائفة منهم و ظفروا به «٢»، فصانعهم

---

(١). C. P. te ٧۴٠

(٢). و ظفروا به.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٥۵

على «١» مال يؤديه إليهم، فأجابوه إلى إطلاقه «٢» إذا حضر المال، فأرسل فى إحضاره، فمضى بعضهم إلى أبى بكر بن الدايه، نائب نور الدين بحلب، فأعلمه الحال، فسيّر عسكرا معه، فكبسوا أولئك التركمان و جوسلين معهم، فأخذوه أسيرا و أحضروه عنده، و كان أسره من أعظم الفتوح لأنّه كان شيطانا عاتيا، شديدا على المسلمين، قاسى القلب، و أصيبت النصرانيّة كافّة بأسره.

و لما أسر سار نور الدين إلى قلاعه فملكها، و هى تلّ باشر، و عين تاب، و إعزاز، و تلّ خالد، و قورس، و الرّاوندان، و برج الرّصاص، و حصن البارة «۳»، و كفر سود «۴»، و كفرلاثا، و دلوك، و مرعش، و نهر الجوز «۵»، و غير ذلك من أعماله، فى مدّة يسيرة يرد تفصيلها «۶».

و كان نور الدين كلّما فتح منها حصنا نقل إليه من كلّ ما تحتاج إليه الحصون «۷»، خوفا من نكسة [۱] تلحق المسلمين من الفرنج، فتكون بلادهم غير محتاجة إلى ما يمنعها من العدوّ، و مدحه الشعراء، فممّن قال فيه القيسرانىّ من قصيدة فى ذكر جوسلين:

كما أهدت الأقدار للقمص أسرهو أسعد قرن من حواه لك الأسر

طغى و بغى عدوا على غلوائهفأوبقه الكفران عدواه و الكفر

و أمست عزاز كاسمها بك عزّةتشقّ على النّسرين لو أنّها و كر

فسر و املإ الدّنيا ضياء و بهجة،فبالأفق الدّاجى إلى ذا السّنا فقر

---

[۱] نكثة.

---

(۱). فضايقهم على.B

(۲). إلى الخلافة.B

(۳). و حصن البادة.A

(۴). و كفرسنود.B

(۵). الحوز.B. و نهر الجور.A

(۶). يرد تفصيلها.B. moفى ... تفصيلها.A. mo

(۷). الحصون ما يكفيه عشر سنين. كانت عادته احتياطا للمسلمين خوفا.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۵۶ كأنّى بهذا العزم لا فلّ حدّهو أقصاه بالأقصى و قد قضى الأمر

و قد أصبح البيت المقدّس طاهراو ليس سوى جارى الدّماء له طهر

ذكر حصر غرناطة و المريّة من بلاد الأندلس

فى هذه السنة سيّر عبد المؤمن جيشا كثيفا، نحو عشرين ألف فارس، إلى الأندلس مع أبى حفص عمر بن أبى يحيى الهنتانىّ، و سيّر «۱» معهم نساءهم، فكنّ يسرن مفردات «۲» عليهنّ البرانس السود، ليس معهنّ غير الخدم، و متى قرب منهنّ رجل ضرب بالسّياط «۳». فلمّا قطعوا الخليج ساروا إلى غرناطة و بها جمع من المرابطين، فحصرها «۴» عمر و عسكره، و ضيّقوا عليها، فجاء إليه أحمد بن ملحان، صاحب مدينة وادى آش و أعمالها، بجماعته، و وحّدوا، و صاروا معه، و أتاهم إبراهيم ابن همشك صهر ابن مردنيش، صاحب جيّان، و أصحابه، و وحّدوا، و صاروا «۵» أيضا معه، فكثر جيشه، و حرّضوه على المسارعة إلى ابن مردنيش، ملك بلاد شرق الأندلس، ليبغته بالحصار قبل أن يتجهّز.

فلمّا سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه، فأرسل إلى ملك برشلونة، من بلاد الفرنج، يخبره، و يستنجده، و يستحثّه على الوصول إليه، فسار إليه الفرنجىّ فى عشرة آلاف فارس، و سار عسكر عبد المؤمن، فوصلوا إلى حمّة بلقوارة، و بينها و بين مرسية، التى هى مقرّ ابن مردنيش، مرحلة،

---

(۱). بالسياط.euqsu daو سير ednI a

(۲). فكن ... مفردات.B. mo

(۳). و متى ... بالسياط.B. mo

(۴). و حصر.euqsu daفحصرها ednI a

(۵). و وحد و صار.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۵۷

فسمعوا بوصول الفرنج، فرجع و حصر «۱» مدينة المريّة، و هى للفرنج، عدّة شهور، فاشتدّ الغلاء فى العسكر، و عدمت الأقوات، فرحلوا عنها و عادوا إلى إشبيلية فأقاموا بها.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى ربيع الآخر، توفّى العبادىّ الواعظ، و اسمه المظفّر ابن أردشير، بخوزستان، و كان الخليفة المقتفى لأمر اللَّه قد سيّره فى رسالة إلى الملك محمّد ابن السلطان محمود ليصلح بينه و بين بدر الحويزى، فتوفّى هناك و جلس ولده ببغداد للعزاء، و أقيم بحاجب من الديوان العزيز.

و كان يجلس و يعظ و يذكر والده و يبكى هو و النّاس كافّة، و نقل العبادىّ إلى بغداد و دفن بالشونيزى، و مولده سنة إحدى و تسعين و أربعمائة، و سمع الحديث من أبى بكر الشّيروى، و زاهر الشّحّامىّ و غيرهما، و رواه.

و فيها انفجر بثق النّهروان الّذى أتمّه بهروز «۲» بكثرة الزيادة فى تامرّا «۳» و إهمال أمرها، حتى عظم ذلك و تضرّر به النّاس.

و فيها سار الأمير قجق «۴» فى طائفة من عسكر السلطان سنجر إلى طريثيث بخراسان، و أغار على بلاد الإسماعيليّة، فنهب، و سبى، و خرّب، و أحرق المساكن، و فعل بهم أفاعيل عظيمة و عاد سالما.

---

(۱) و حصر.euqsu daفحصرها ednI a

(۲). اتهمه بهرور:spU. اتهمه: C. P. doC ۷۴۰

(۳). بابرا:C. P. spU

(۴). الأمير محق.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۵۸

۵۴۷ ثم دخلت سنة سبع و أربعين و خمسمائة

ذكر ملك عبد المؤمن بجاية و ملك بنى حمّاد

فى هذه السنة سار عبد المؤمن بن علىّ إلى بجاية و ملكها، و ملك جميع ممالك بنى حمّاد. و كان لما أراد قصدها سار من مراكش إلى سبتة سنة ستّ و أربعين [و خمسمائة]، فأقام بها مدّة يعمر [۱] الأسطول، و يجمع العساكر القريبة منه.

و أمّا ما هو على طريقه إلى بجاية من البلاد «۱»، فكتب إليهم ليتجهّزوا و يكونوا على الحركة أى وقت طلبهم، و النّاس يظنّون أنّه يريد العبور إلى الأندلس، فأرسل فى قطع السابلة عن بلاد شرق المغرب برّا و بحرا.

و سار من سبتة فى صفر سنة سبع و أربعين [و خمسمائة]، فأسرع السير و طوى المراحل، و العساكر تلقاه فى طريقه، فلم يشعر أهل

بجايـة إلّا و هو فى أعمالهـا، و كـان ملكهـا يحيى بن العزيز بن حمّـاد آخر ملوك بنى حمّاد، و كان مولعا بالصـيد و اللهو لا ينظر فى شىء من أمور مملكته، قـد حكم فيهـا بنو حمـدون، فلمّـا اتّصـل الخبر بميمون بن حمـدون جمع العسـكر و سـار عن بجايـة نحو عبد المؤمن، فلقيهم مقدّمته، و هو يزيد على عشرين ألف فارس،

---

[۱] يعمل.

---

(۱). إلى ... البلاد.A mo

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۵۹

فـانهزم أهل بجايـة من غير قتال، و دخلت مقدّمـة عبـد المؤمن بجايـة قبل وصول عبـد المؤمن بيومين، و تفرّق جميع عسـكر يحيى بن العزيز، و هربوا برّا و بحرا، و تحصّن يحيى بقلعـة قسـنطينة الهواء، و هرب أخواه الحـارث و عبـد اللّه إلى صـقلّيّة، و دخل عبـد المؤمن بجايـة، و ملك جميع بلاد ابن العزيز بغير قتال.

ثمّ إنّ يحيى نزل إلى عبـد المؤمن بالأمـان، فـأمّنه، و كـان يحيى قـد فرح لما أخـذت بلاد إفريقيـة من الحسن بن علىّ فرحا ظهر عليه، فكان يـذمّه، و يـذكر معايبه، فلم تطل المـدّة حتى أخذت بلاده، و وصل الحسن بن علىّ إلى عبد المؤمن فى جزائر بنى مزغنّان، و قد ذكرنا سـنة ثلاث و أربعين [و خمسـمائة] سـبب مصيره إليها، و اجتمعا عنده، فأرسل عبد المؤمن يحيى ابن العزيز إلى بلاد المغرب، و أقام بها، و أجرى عليه شيئا كثيرا.

و أمّا الحسن بن علىّ فإنّه أحسن إليه، و ألزمه صـحبته، و أعلى مرتبته، فلزمه إلى أن فتـح عبـد المؤمن المهديّة فجعله فيها، و أمر واليها أن يقتدى برأيه و يرجع إلى قوله.

و لما فتح عبد المؤمن بجاية لم «۱» يتعرّض إلى مال أهلها و لا غيره، و سبب ذلك أنّ بنى حمدون استأمنوا فوفى «۲» بأمانه.

ذكر ظفر عبد المؤمن بصنهاجة

لما ملك عبد المؤمن بجاية تجمّعت صنهاجة فى أمم لا يحصيها إلّا اللّه تعالى، و تقدّم عليهم رجل اسمه أبو قصبة، و اجتمع معهم من كتامة و لواتة

---

(۱). المؤمن البلاد.A

(۲). استأمنوا منهم.A لهم فوفى.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۶۰

و غيرهما [۱] خلق كثير، و قصـدوا حرب عبد «۱» المؤمن، فأرسل إليهم جيشا كثيرا، و مقدّمهم أبو سـعيد يخلف، و هو من الخمسـين، فالتقوا فى عرض الجبل، شرقى بجاية، فانهزم أبو قصبة و قتل أكثر من معه، و نهبت أموالهم، و سبيت نساؤهم و ذراريهم.

و لمـا فرغوا من صـنهاجة سـاروا إلى قلعـة بنى حمّاد، و هى من أحصن القلاع و أعلاها لا ترام، على رأس جبل شاهق يكاد الطرف لا يحقّقها لعلوّها، و لكن القـدر إذا جاء لا يمنع منه معقل و لا جيوش، فلمّا رأى أهلها عساكر الموحّدين هربوا منها فى رءوس الجبال، و ملكت القلعة، و أخذ جميع ما فيها من مال و غيره و حمل إلى عبد المؤمن فقسمه.

ذكر وفاة السلطان مسعود و ملك ملك شاه محمّد بن محمود

فى هذه السنة، أوّل رجب، توفّى السلطان مسعود بن محمّد بن ملك شاه بهمذان، و كان مرضه حمّى حادّة نحو أسبوع، و كان مولده سنة اثنتين و خمسمائة فى ذى القعدة، و مات معه سعادة البيت السّلجوقىّ فلم يقم له بعده راية يعتدّ بها و لا يلتفت إليها:

فما كان قيس هلكه هلك واحدو لكنّه بنيان قوم تهدّما و كان رحمه اللّه حسن الأخلاق، كثير المزاح و الانبساط مع النّاس، فمن ذلك أنّ أتابك زنكى، صاحب الموصل، أرسل إليه القاضى كمال الدين

---

[١] و غيرها.

---

(١). و قصد و أخرب بلاد عبد.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٦١

محمّد بن عبد اللّه بن القاسم الشّهرزورىّ فى رسالة، فوصل إليه و أقام معه فى العسكر، فوقف يوما على خيمة الوزير، حتى قارب أذان المغرب، فعاد إلى خيمته، فأذّن المغرب و هو فى الطريق، فرأى إنسانا فقيها فى خيمة، فنزل إليه، فصلّى معه المغرب، ثمّ سأله كمال الدين من أين هو؟ فقال:

أنا قاضى مدينة كذا. فقال له كمال الدين: القضاة ثلاثة، قاضيان فى النّار، و هو أنا و أنت، و قاض فى الجنّة و هو من لم يعرف أبواب هؤلاء الظّلمة و لا يراهم، فلمّا كان الغد أرسل السلطان و أحضر كمال الدين إليه، فلمّا دخل عليه و رآه ضحك و قال: القضاة ثلاثة. فقال كمال الدين: نعم يا مولانا.

فقال: و اللّه صدقت، ما أسعد من لا يرانا و لا نراه! ثمّ أمر أن تقضى حاجته و أعاده من يومه.

و كان كريما عفيفا عن الأموال التى للرعايا، حسن السيرة فيهم، من أصلح السلاطين سيرة و ألينهم عريكة، سهل الأخلاق لطيفا، فمن ذلك أنّه اجتاز يوما فى بعض أطراف بغداد، فسمع امرأة تقول لأخرى: تعالى انظرى إلى السلطان، فوقف و قال: حتى تجىء هذه الستّ تنظر إلينا.

و له فضائل كثيرة و مناقب جمّة، و كان عهد إلى ملك شاه ابن أخيه السلطان محمود، فلمّا توفّى خطب له الأمير خاصّ بك بن بلنكرى بالسّلطنة، و رتّب الأمور، و قرّرها بين يديه، و أذعن له جميع العسكر بالطاعة.

و لما وصل الخبر إلى بغداد بموت السلطان مسعود هرب الشحنة بها، و هو مسعود بلال، إلى تكريت، و استظهر الخليفة المقتفى لأمر اللّه على داره، و دور أصحاب السلطان ببغداد، و أخذ كلّ ما لهم فيها، و كلّ من كان عنده وديعة لأحد منهم أحضرها بالديوان، و جمع الخليفة الرجال و العساكر و أكثر التجنيد، و تقدّم بإراقة الخمور من مساكن أصحاب السلطان، و وجد فى دار مسعود بلال، شحنة بغداد، كثير من الخمر، فأريق، و لم يكن النّاس

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٦٢

يظنّون أنّه شرب الخمر بعد الحجّ، و قبض على المؤيّد الألوسىّ الشاعر، و على الحيص بيص الشاعر، ثمّ أطلق الحيص بيص، و أعيد عليه ما أخذ منه.

ثمّ إنّ السلطان ملك شاه سيّر سلاركرد فى عسكر إلى الحلّة، فدخلها، فسار إليه مسعود بلال، شحنة بغداد، و أظهر له الاتفاق معه، فلمّا اجتمعا قبض عليه مسعود بلال و غرّقه، و استبدّ بالحلّة، فلمّا علم الخليفة ذلك جهّز العساكر إليه مع الوزير عون الدين بن هبيرة، فسار إليه، فلمّا قاربوا الحلّة عبر مسعود بلال الفرات إليهم و قاتلهم، فانهزم من عسكر الخليفة، و نادى أهل الحلّة بشعار الخليفة، فلم يدخلها، و تمّت الهزيمة عليه و على أصحابه، فعاد [إلى] تكريت، و ملك عسكر الخليفة الحلّة، و سيّر الوزير عسكرا إلى الكوفة و عسكرا إلى واسط، فملكوهما.

ثمّ إنّ عساكر السلطان وصلت إلى واسط، ففارقها عسكر الخليفة، فلمّا سمع الخليفة ذلك تجهّز بنفسه و سار عن بغداد إلى واسط، ففارقها العسكر السلطانىّ، و ملكها الخليفة، و سار منها إلى الحلّة، ثمّ عاد إلى بغداد، فوصلها تاسع عشر ذى القعدة، و كانت غيبته خمسة و عشرين يوما.

ثمّ إنّ خاصّ بك بن بلنكرى قبض على الملك ملك شاه الّذى خطب له بالسلطنة بعد مسعود، و أرسل إلى أخيه الملك محمّد سنة ثمان و أربعين [و خمسمائة] و هو بخوزستان يستدعيه، و كان قصده أن يحضر عنده فيقبضه و يخطب لنفسه بالسلطنة، فسار الملك محمّد إليه، فلمّا وصل أجلسه على تخت السلطنة أوائل صفر، و خطب له بالسلطنة، و خدمه، و بالغ فى خدمته، و حمل له هدايا عظيمة جليلة المقدار.

ثمّ إنّه دخل إلى الملك محمّد ثانى يوم وصوله، فقتله محمّد، و قتل معه زنكى الجاندار، و ألقى برأسيهما [١]، فتفرّق أصحابهما، و لم ينتطح فيها

---

[١] برأسهما.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٦٣

عنزان. و كان آيدغدى التركمانىّ المعروف بشملة مع خاصّ بك، فنهاه عن [١] الدخول إلى الملك محمّد، فلم ينته، فقتل، و نجا شملة، فنهب جشير الملك محمّد، و مضى طالبا خوزستان، و أخذ محمّد من أموال خاصّ بك شيئا كثيرا و استقرّ محمّد فى السلطنة و تمكّن، و بقى خاصّ بك ملقى حتى أكلته الكلاب، و كان صبيّا تركمانيّا اتّصل بالسلطان مسعود، فتقدّم على سائر الأمراء و كان هذا خاتمة أمره.

ذكر الحرب بين نور الدين محمود و بين الفرنج

فى هذه السنة تجمّعت الفرنج، و حشدت الفارس و الراجل، و ساروا نحو نور الدين، و هو ببلاد جوسلين، ليمنعوه عن ملكها، فوصلوا إليه و هو بدلوك، فلمّا قربوا منه رجع إليهم و لقيهم، و جرى المصافّ بينهم عند دلوك، و اقتتلوا أشدّ قتال رآه النّاس، و صبر الفريقان، ثمّ انهزم الفرنج، و قتل منهم و أسر كثير، و عاد نور الدين إلى دلوك، فملكها و استولى عليها، و ممّا قيل فى ذلك:

أعدت بعصرك هذا الأنيقفتوح النّبىّ و أعصارها

فواطأت يا حبّذا حديهاو أسررت من بدر أبدارها

و كان مهاجرها تابعيكو أنصار رأيك أنصارها

فجدّدت إسلام سلمانهاو عمّر جدّك عمّارها

و ما يوم إنّب إلّا كذاكبل طال بالبوع أشبارها

---

[١] من.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٦۴ صدمت عزيمتها صدمةأذابت مع الماء أحجارها

و فى تلّ باشر باشرتهمبزحف تسوّر أسوارها

و إن دالكتهم دلوك فقدشدّدت فصدّقت أخبارها

ذكر الحرب بين سنجر و الغوريّة

فى هـذه السـنة كان بين السـلطان [سـنجر] و بين الغوريّـة حرب، و كانت دولتهم أوّل ما قد ظهرت، و أوّل من ملك منهم رجل اسـمه الحسين بن الحسين ملك جبال الغور و مدينـة فيروزكوه، و هى تقارب أعمال غزنة، و قوى أمره، و تلقّب بعلاء الدين، و تعرّض إلى أعمـال، ثمّ جمع جيشـا عظيما و قصـد هراة محاصـرا لها، فنهب عسـكره ناب و أوبـة و ماربـاد «۱» مـن هراة و الروذ، و سـار إلى بلـخ و حصـرها، فقاتله الأمير قماج، و معه جمع من الغزّ، فغدروا به، و صاروا مع الغوريّ فملك بلخ، فلمّا سمع السلطان سنجر بذلك سار إليه ليمنعه، فثبت له علاـء الـدين، و اقتتلوا، فـانهزم الغوريّـة، و أسـر علاء الـدين، و قتل من الغوريّـة خلق كثير، لا سـيّما الرجّالـة، و أحضـر السـلطان سنجر علاء الدين بين يديه، و قال له: يا حسين لو ظفرت بى ما كنت تفعل بى؟ فأخرج له قيد فضّة و قال: كنت أقيدك بهذا و أحملك إلى فيروزكوه، فخلع عليه سنجر و ردّ إلى فيروزكوه فبقى بها مدّة.

ثمّ إنّه قصـد غزنـة و ملكها حينئـذ بهرام شاه بن إبراهيم بن مسـعود بن محمود بن سـبكتكين، فلم يثبت بها بين يـدى علاء الـدين، بل فارقها إلى مدينة كرمان، و هى مدينة بين غزنة و الهند، و سكّانها قوم يقال لهم أبغان، و ليست

---

(۱). و ماربا.B. و مازباد.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۶۵

هـذه بالولايـة المعروفة بكرمان. فلمّا فارق بهرام شاه غزنة ملكها علاء الدين الغوريّ، و أحسن السيرة [فى أهلها] «۱» و استعمل عليهم أخاه سيف الدين سورى، و أجلسه على تخت المملكة، و خطب لنفسه و لأخيه سيف الدين بعده.

ثمّ عاد علاء الدين إلى بلد الغور، و أمر أخاه أن يخلع على أعيان البلد خلعا نفيسة، و يصـلهم بصـلات [۱] سنيّة، ففعل ذلك و أحسن [إليهم، فلمّا] «۲» جاء الشـتاء، و وقع الثلج، و علم أهل غزنة أنّ الطريق قد انقطع إليهم [كاتبوا بهرام شاه الّذى كان صاحبها، و استدعوه إليهم] «۳»، فسار نحوهم فى عسـكره، فلمّا قارب البلـد ثار أهله على سـيف الـدين فأخـذوه بغير قتال، و كان العلويّون هم الـذين تولّوا أسره، و انهزم الذين كانوا معه، فمنهم من نجا، و منهم من أخذ، ثمّ إنّهم سوّدوا وجه سيف الدين، و أركبوه بقرة و طافوا به البلد، ثمّ صلبوه، و قالوا فيه أشعارا يهجونه بها و غنّى بها حتّى النساء.

فلمّا بلغ الخبر إلى أخيه علاء الدين الحسين قال شعرا معناه: إن لم أقلع غزنة فى مرّة واحدة، فلست الحسين بن الحسين، ثمّ توفّى بهرام شاه و ملك بعده ابنه خسـروشاه، و تجهّز علاء الدين الحسـين و سار إلى غزنة سـنة خمسـين و خمسمائة، فلمّا بلغ الخبر إلى خسروشاه سار عنها إلى لهاوور، و ملكها علاء الـدين، و نهبها ثلاثـة أيّام، و أخذ العلويّين الذين أسـروا أخاه فألقاهم من رءوس الجبال، و خرّب المحلّة التى صـلب فيهـا أخوه، و أخـذ النسـاء اللواتى قيـل عنهنّ إنّهنّ كنّ يغنّين بهجاء أخيه و الغوريّة، فأدخلهنّ حمّاما و منعهنّ من الخروج حتى متن فيه.

و أقام بغزنة حتّى أصلحها، ثمّ عاد إلى فيروزكوه، و نقل معه من

---

[۱] بصلاة.

---

(۱). p .H، ۱۸۴۳.taisA .nruoJ .diV

P .C.(۲)

(۳). ۷۴۰te .P .C

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۶۶

أهل غزنة خلقا كثيرا، و حمّلهم المخالى مملوءة ترابا، فبنى به قلعة فى فيروزكوه، و هى موجودة إلى الآن، و تلقّب بالسـلطان المعظّم و

حمل الجتر على عادة السلاطين السّلجوقيّة، و قد تقدّم سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة من أخبارهم، و فيه مخالفة لهذا فى بعض الأمر، و كلّا سمعناه و رأيناه فى مصنّفاتهم، فلهذا ذكرنا الأمرين، و أقام الحسين على ذلك مدّة، و استعمل ابنى أخيه، و هما غياث الدين و شهاب الدين.

ذكر ملك غياث الدين و شهاب الدين الغوريّين

لمّا قوى أمر عمّهما علاء الدين الحسين بن الحسين استعمل العمّال و الأمراء على البلاد، و كان ابنا أخيه، و هما غياث الدين أبو الفتح محمّد بن سام، و شهاب الدين أبو المظفّر محمّد بن سام، فيمن استعمل على بلد من بلاد الغور اسمه سنجة، و كان غياث الدين يلقب حينئذ شمس الدين، و يلقّب الآخر شهاب الدين، فلمّا استعملهما أحسنا السّيرة فى عملهما و عدلا، و بذلا الأموال، فمال النّاس إليهما، و انتشر ذكرهما، فسعى بهما من يحسدهما إلى عمّهما علاء الدين، و قال: إنّهما يريدان الوثوب بك، و قتلك، و الاستيلاء على الملك، فأرسل عمّهما يستدعيهما إليه، فامتنعا، و كانا قد بلغهما الخبر، فلمّا امتنعا عليه جهّز إليهما عسكرا مع قائد يسمّى خروش الغوريّ، فلمّا التقوا انهزم خروش و من معه، و أسر هو، و أبقيا عليه، و أحسنا إليه، و خلعا عليه، و أظهرا عصيان عمّهما و قطعا خطبته، فتوجّه إليهما علاء الدين، و سارا هما أيضا إليه، فالتقوا و اقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم علاء الدين و أخذ أسيرا و انهزم عسكره، فنادى فيهم ابنا أخيه بالأمان، فأحضرا عمّهما و أجلساه على التخت،

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۶۷

و وقفا فى خدمته، فبكى [۱] علاء الدين و قال: هذان صبيّان قد فعلا ما لو قدرت عليه منهما لم أفعله، ثمّ أحضر عمّهما القاضى فى الحال، و زوّج غياث الدين بنتا له، و جعله وليّ عهده، و بقى كذلك إلى أن مات.

فلمّا توفّى ملك غياث الدين بعده و خطب لنفسه فى الغور و غزنة بالملك، و بقى كذلك إلى أن ملك الغزّ غزنة بعد موت علاء الدين، طمعوا فيها بموته، و بقيت بأيديهم خمس عشرة [۲] سنة يصبّون على أهلها العذاب، و يتابعون الظلم كعادتهم [فى] كلّ بلدة ملكوها، و لو أنّهم لمّا ملكوا أحسنوا السّيرة فى الرعايا لدام ملكهم، فلم يزل الغزّ بغزنة هذه المدّة، و غياث الدين يقوّى أمره، و يحسن السّيرة، و النّاس يميلون إليه و يقصدونه.

ذكر ملك غياث الدّين غزنة و ما جاورها من البلاد

لمّا قوى أمر غياث الدين جهّز جيشا كثيفا مع أخيه شهاب الدين إلى غزنة، فيه أصناف الغوريّة و الخلج و الخراسانيّة، فساروا إليها، فلقيهم الغزّ و قاتلوهم [۳]، فانهزم الغوريّة، و ثبت شهاب الدين و سار الغزّ خلف المنهزمين فعطف شهاب الدين فيمن ثبت معه على صاحب علمهم فقتله و أخذ العلم، و تركه على حاله، فتراجع الغزّ، و لم يكونوا علموا بما كان من شهاب الدين، فجاءوا يطلبون علمهم، فكلّما جاء إليه طائفة قتلهم، فأتى على أكثرهم، و دخل غزنة و تسلّمها و أحسن السّيرة فى أهلها و أفاض العدل.

---

[۱] فبكا.

[۲] عشر.

[۳] و قاتلهم.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۶۸

و سار من غزنة إلى كرمان و شنوران «۱» فملكهما، ثمّ تعدّى إلى ماء السند و عمل على العبور إلى بلد الهند، و قصد لهاوور، و بها يومئذ خسرو شاه ابن بهرام شاه المقدّم ذكر والده، فلمّا سمع خسروشاه بذلك سار فيمن معه إلى ماء السّند، فمنعه من العبور، فرجع

عنه و قصد خرشابور فملكها و ما يليها من جبال الهند، و أعمال الأبغان، و اللّه أعلم.

ذكر ملك شهاب الدين لهاوور

لمّا ملك شهاب الدين جبال الهند قوى أمره و جنانه، و عظمت هيبته فى قلوب النّاس، و أحبّوه لحسن سيرته، فلمّا خرج الشتاء، و أقبل الربيع من سنة تسع و سبعين و خمسمائة، سار نحو لهاوور فى جمع عظيم، و حشد كثير من خراسان و الغور و غيرهما، فعبر إلى لهاوور و حصرها، و أرسل إلى صاحبها خسروشاه إلى أهلها يتهدّدهم إن منعوه، و أعلمهم أنّه لا يزول حتى يملك البلد، و بذل لخسروشاه الأمان على نفسه و أهله و ماله، و من الأقطاع ما أراد، و أن يزوّج ابنته بابن خسروشاه على أن يطأ بساطه و يخطب لأخيه، فامتنع عليه، و أقام شهاب الدين محاصرا له، مضيّقا عليه، فلمّا رأى أهل البلد و العسكر ذلك ضعفت نيّاتهم فى نصرة صاحبهم، فخذلوه، فأرسل لمّا رأى ذلك قاضى البلد و الخطيب يطلبان له الأمان، فأجابه شهاب الدين إلى ذلك و حلف له، و خرج إليه، و دخل الغوريّة إلى المدينة، و بقى كذلك شهرين مكرّما عند شهاب الدين، فورد رسول من غياث الدين إلى شهاب الدين يأمره بإنفاذ خسروشاه إليه.

---

(١). سنروان:spU. ٠۴٧te .P .C

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١۶٩

ذكر انقراض دولة سبكتكين

لمّا أنفذ غياث الدين إلى أخيه شهاب الدين يطلب إنفاذ خسروشاه إليه أمره شهاب الدين بالتجهّز و المسير، فقال: أنا لا أعرف أخاك، و لا لى حديث إلّا معك، و لا يمين إلّا فى عنقك، فمنّاه و طيّب قلبه، و جهّزه و سيّره و سيّر معه ولده، و أصحبهما جيشا يحفظونهما، فسارا كارهين، فلمّا بلغا فرشابور خرج أهلها إليهما يبكون و يدعون لهما، فزجرهم الموكّلون بهما، و قالوا: سلطان يزور سلطانا آخر، لأىّ شىء تبكون؟ و ضربوهم فعادوا، و خرج ولد خطيبها إلى خسروشاه عن أبيه متوجّعا له، قال: فلمّا دخلت عليه أعلمته رسالة أبى، و قلت: إنّه قد اعتزل الخطابة، و لا حاجة به إلى خدمة غيركم. فقال لى: سلّم عليه. و أعطانى فرجية فوطا و مصلّى من عمل الصوفيّة، و قال: هذه تذكرة أبيه عند أبى، فسلّمها إليه و قل له:

در مع الدهر كيفما دار، و أنشد بلسان فصيح:

و ليس كعهد الدّار يا أمّ مالكو لكن أحاطت بالرّقاب السّلاسل قال: فانصرفت إلى أبى و عرّفته الحال، فبكى، و قال: قد أيقن الرجل بالهلاك، ثمّ رحلوا. فلمّا بلغوا بلد الغور لم يجتمع مع غياث الدين بل أمر بهما فرفعا إلى بعض القلاع، فكان آخر العهد بهما.

و هو آخر ملوك آل سبكتكين، و كان ابتداء دولتهم سنة ستّ و ستّين و ثلاثمائة، فتكون مدّة ولايتهم مائتى سنة و ثلاث عشرة سنة تقريبا. و كان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة، و لا سيّما جدّه محمود، فإنّ آثاره فى الجهاد معروفة، و أعماله للآخرة مشهورة:

لو كان يقعد فوق الشّمس من كرمقوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٧٠

فتبارك الّذى لا يزول ملكه، و لا تغيّره الدهور، فأفّ لهذه الدنيا الدنيّة، كيف تفعل هذا بأبنائها، نسأل اللّه تعالى أن يكشف عن قلوبنا حتى نراها بعين الحقيقة، و أن يقبل بنا إليه، و أن يشغلنا به عمّا سواه، إنّه على كلّ شىء قدير.

هكذا «١» ذكر بعض فضلاء خراسان أنّ خسروشاه آخر ملوك آل سبكتكين، و قد ذكر غيره أنّه توفّى فى الملك، و ملك بعده ابنه ملك شاه.

و سنذكره فى سنة تسع «٢» و خمسين و خمسمائة، و بالجملة فابتداء دولة الغوريّة عندى فيه خلف لو ينكشف الحقّ فأصلحه إن شاء

اللَّه تعالى.

ذكر الخطبة لغياث الدين بالسلطنة

لمّا استقرّ ملكهم بلهاوور و اتّسعت مملكتهم و كثرت عساكرهم و أموالهم كتب غياث الدين إلى أخيه شهاب الدين بإقامة الخطبة له بالسلطنة، و تلقّب بألقاب السّلاطين، كان لقبه شمس الدين، فتلقّب غياث الدين و الدنيا معين الإسلام، قسيم أمير المؤمنين، و لقّب أخاه معزّ الدين، ففعل شهاب الدين ذلك و خطب له بالسلطنة.

ذكر ملك غياث الدين هراة و غيرها من خراسان

لمّا فرغ شهاب الدين من إصلاح أمر لهاوور و تقرير قواعدها، سار إلى أخيه غياث الدين، فلمّا اجتمع به استقرّ رأيهما على المسير إلى خراسان و قصد

---

(۱).aednIهكذاAnitnusedmen ifaitioacdaeuqsu

(۲). سنة خمس.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۷۱

مدينة هراة و محاصرتها، فسارا فى العساكر الكثيرة إليها، و كان بها جماعة من الأتراك السنجريّة، فنازلا البلد و حصراه، و ضيّقا على من به، فاستسلموا إليهما، و أرسلوا يطلبون الأمان منهما، فأجابهم إلى ذلك و أمّناهم، فتسلّما البلد، و أخرجا من فيه من الأمراء السّنجريّة، و استناب فيه غياث الدين خزنك «۱» الغوريّ، و سار غياث الدين و أخوه إلى فوشنج فملكاها [۱]، ثمّ إلى باذغيس و كالين و بيوار فملكاها «۲» أيضا، و تسلّم ذلك جميعه «۳» غياث الدين و أحسن السيرة فى أهل البلاد، و رجع إلى فيروزكوه، و رجع شهاب الدين إلى غزنة، و كان «۴» ينبغى أنّ حوادث الغوريّة تذكر فى السّنين، و إنّما جمعناها [۲] ليتلو بعضها بعضا، و لأنّ فيه ما لم يعرف تاريخه فتركناه بحاله.

ذكر ملك شهاب الدين مدينة آجرة «۵» من بلد الهند

لمّا رجع شهاب الدين من خراسان إلى غزنة أقام بها حتى أراح و استراح هو و عساكره، ثمّ سار إلى بلد الهند، فحاصر مدينة آجرة، و بها ملك من ملوك الهند، فلم يظفر منه بطائل، و كان للهنديّ زوجة غالبة على أمره، فراسلها شهاب الدين أنّه يتزوّجها، فأعادت الجواب أنّها لا تصلح له، و أنّ لها ابنة

---

[۱] فملكها.

[۲] جمعنها.

---

(۱). حربد:doC.۰۴۷.P .spU

(۲).tatxeفملكاodomAnIفملكا ذلك جميعه.B

(۳) ثم سار إلى مروالروذ فملكها أيضا و تسلم ذلك جميعه.A .bte .ddaaetsop ذلك جميعه.B .mo

(۴).aednIو كانmo .Amen ifaitioacdaeuqsu

(۵). أجه.B. أخبه.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۷۲

جميلة تزوّجه إيّاها، فأرسل إليها يجيبها إلى التزوج بابنتها، فسقت زوجها سمّا فمات و سلّمت البلد إليه.

فلمّا تسلّمه أخذ الصبية فأسلمت، و تزوّجها، و حملها إلى غزنة، و أجرى عليها الجرايات الوافرة، و وكّل بها من علّمها القرآن، و تشاغل عنها، فتوفّيت والدتها، ثمّ توفّيت هى بعد عشر سنين، و لم يرها و لم يقربها، فبنى لها مشهدا و دفنها فيه، و أهل غزنة يزورون قبرها.

ثمّ عاد إلى بلد الهند، فذلّ له صعابها، و تيسّر له فتح الكثير من بلادهم، و دوّخ ملوكهم، و بلغ منهم ما لم يبلغه أحد قبله من ملوك المسلمين.

ذكر ظفر الهند على المسلمين

لمّا اشتدّت نكاية شهاب الدين فى بلاد الهند و إثخانه فى أهلها و استيلاؤه عليها، اجتمع ملوكهم و تآمروا بينهم، و وبّخ بعضهم بعضا، فاتّفق رأيهم على الاجتماع و التعاضد على حربه، فجمعوا عساكرهم و حشدوا، و أقبل إليهم الهنود من كلّ فجّ عميق على الصعب و الذلول، و جاءوا بحدّهم و حديدهم، و كان الحاكم على جميع الملوك المجتمعين امرأة هى من أكبر ملوكهم.

فلمّا سمع باجتماعهم و مسيرهم إليه تقدّم هو أيضا إليهم فى عسكر عظيم من الغوريّة و الخلج و الخراسانيّة و غيرهم، فالتقوا و اقتتلوا، فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم المسلمون و ركبهم الهنود يقتلون و يأسرون، و أثخنوا فيهم، و أصاب شهاب الدين ضربة بطلت منها يده اليسرى، و ضربة أخرى على رأسه سقط منها إلى الأرض، و حجز الليل بين الفريقين، فأحسّ شهاب الدين بجماعة من غلمانه الأتراك فى ظلمة اللّيل و هم يطلبونه فى القتلى و يبكون،

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۷۳

و قد رجع الهنود إلى ورائهم، و كلّمهم و هو على ما به من الجهد، فجاءوا إليه مسرعين، و حملوه على رءوسهم رجّالة يتناوبون حمله، حتى بلغوا مدينة آجرة مع الصباح.

و شاع خبر سلامته فى النّاس، فجاءوا إليه يهنّئونه من أقطار البلاد فأوّل ما عمل أنّه أخذ أمراء الغوريّة الذين انهزموا عنه و أسلموه، فملأ مخالى خيلهم شعيرا، و حلف لئن لم يأكلوه ليضربنّ أعناقهم، فأكلوه ضرورة.

و بلغ الخبر إلى أخيه غياث الدين فكتب إليه يلومه على عجلته و إقدامه و أنفذ إليه جيشا عظيما.

ذكر ظفر المسلمين بالهند

لمّا سلم شهاب الدين و عاد إلى آجرة، و أتاه المدد من أخيه غياث الدين، عاد الهنود فجدّدوا [۱] سلاحهم، و وفروا جمعهم، و أقاموا عوض من قتل منهم، و سارت ملكتهم و هم معها فى عدد يضيق عنه الفضاء، فراسلها شهاب الدين يخدعها بأنّه يتزوّجها، فلم تجبه إلى ذلك، و قالت: إمّا الحرب، و إمّا أن تسلم بلاد الهند و تعود إلى غزنة، فأجابها إلى العود إلى غزنة، و أنّه يستأذن أخاه غياث الدين، فعل ذلك مكرا و خديعة.

و كان بين العسكرين نهر، و قد حفظ الهنود المخاضات، فلا يقدر أحد من المسلمين [أن] يجوزه، و أقاموا ينتظرون ما يكون من جواب غياث الدين بزعمهم، فبينما هم كذلك إذ وصل إنسان هندىّ إلى شهاب الدين و أعلمه أنّه يعرف مخاضا قريبا من عسكر الهنود، و طلب أن يرسل معه جيشا يعبّرهم المخاض،

[۱]- و عاد الهنود جددوا.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۷۴

و يكبسون الهنود و هم غارّون غافلون، فخاف شهاب الدين أن تكون خديعة و مكرا، فأقام له ضمناء من أهل آجرة و المولتان، فأرسل معه جيشا كثيفا، و جعل عليهم الأمير الحسين بن خرميل الغوريّ، و هو الّذى صار بعد صاحب هراة، و كان من الشجاعة و الرأى بالمنزلة المشهورة.

فسار الجيش مع الهندىّ، فعبروا النهر، فلم يشعر الهنود إلّا و قد خالطهم المسلمون و وضعوا السّيوف فيهم، فاشتغل الموكّلون بحفظ المخاضات، فعبر شهاب الدين و باقى العساكر، و أحاطوا بالهنود، و أكثروا القتل فيهم، و نادوا بشعار الإسلام، فلم ينج من الهنود إلّا من عجز المسلمون عن قتله و أسره، و قتلت ملكتهم، و تمكّن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند، و أمن معرّة «۱» فسادهم، و التزموا له بالأموال و سلّموا إليه الرهائن و صالحوه «۲»، و أقطع مملوكه قطب الدين ايبك مدينة دهلى، و هى كرسى الممالك التى فتحها من الهند، فأرسل عسكرا من الخلج مع محمّد بن بختيار، فملكوا من بلاد الهند مواضع ما وصل إليها مسلم قبله، حتى قاربوا حدود الصين من جهة المشرق.

و قد حدّثنى صديق لى من التجار بوقعتين تشبهان [۱] هاتين الوقعتين المذكورتين و بينهما بعض الخلاف، و قد ذكرناهما سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة.

---

[۱] تشبه.

---

(۱). معرتهم.A

(۲). و صالحوه.mo .te و حملوا إليه.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۷۵

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى يعقوب الكاتب ببغداد، و كان يسكن بالمدرسة النظاميّة، و حضر متولّى المتروكات [۱] و ختم على الغرفة التى كان يسكنها بالمدرسة، فثار الفقهاء و ضربوا المتولّى و أخذوا التركة، و هذه عادتهم فيمن يموت بها و ليس له وارث، فقبض حاجب الباب على رجلين من الفقهاء و عاقبهما، و حبسهما، فأغلق الفقهاء المدرسة، و ألقوا كرسى الوعّاظ فى الطريق، و صعدوا سطح المدرسة ليلا، و استغاثوا، و تركوا الأدب.

و كان حينئذ مدرّسهم الشيخ أبا النجيب، فجاء و ألقى نفسه تحت التاج يعتذر، فعفى عنه.

و فيها توفّى حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين و ميّافارقين، و كانت ولايته نيّفا و ثلاثين سنة، و تولّى بعده ابنه نجم الدين «۱» ألبى.

و فيها مات أبو الفضل محمّد بن عمر بن يوسف الأرموى الشافعىّ المحدّث، و مولده سنة تسع و خمسين و أربعمائة.

و فيها توفّى أبو الأسعد عبد الرحمن القشيرىّ فى شوّال، و هو شيخ شيوخ «۲» خراسان.

و فيها فى المحرّم، باض ديك ببغداد بيضة، و باض بازى بيضتين، و باضت نعامة لا ذكر معها بيضة.

---

[۱] المتركات.

---

(۱). هبة الرحمن.A

(۲). شیخ من شیوخ.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۷۶

۵۴۸ ثمّ دخلت سنة ثمان و أربعين و خمسمائة

ذكر انهزام سنجر من الغزّ و نهبهم خراسان و ما كان منهم

فى هذه السنة، فى المحرّم، انهزم السّلطان سنجر من الأتراك الغزّ، و هم طائفة من الترك مسلمون، كانوا بما وراء النهر، فلمّا ملك الخطا أخرجوهم منه، كما ذكرنا، فقصدوا خراسان، و كانوا خلقا كثيرا، فأقاموا بنواحى بلخ يرعون فى مراعيها، و كان لهم أمراء اسم أحدهم دينار، و الآخر بختيار، و الآخر طوطى، و الآخر أرسلان، و الآخر جغر [۱]، و الآخر محمود، فأراد الأمير قماج، و هو مقطع بلخ، إبعادهم، فصانعوه بشىء بذلوه له، فعاد عنهم، فأقاموا على حالة حسنة لا يؤذون أحدا، و يقيمون الصلاة، و يؤتون الزكاة.

ثمّ إنّ قماج عاودهم و أمرهم بالانتقال عن بلده، فامتنعوا، و انضمّ بعضهم إلى بعض، و اجتمع معهم غيرهم من طوائف الترك، فسار قماج إليهم فى عشرة آلاف فارس، فجاء إليه أمراؤهم و سألوه أن يكفّ عنهم، و يتركهم فى مراعيهم، و يعطونه من كلّ بيت مائتى درهم فضّة، فلم يجبهم إلى ذلك و شدّد عليهم فى الانتزاح عن بلده، فعادوا عنه، و اجتمعوا و قاتلوه، فانهزم قماج و نهبوا ماله و مال عسكره، و أكثروا القتل فى العسكر و الرعايا،

---

[۱] جغز.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۷۷

و استرقّوا النساء و الأطفال، و عملوا كلّ عظيمة، و قتلوا الفقهاء و خرّبوا المدارس.

و انتهت الهزيمة بقماج إلى مرو، و بها السّلطان سنجر، فأعلمه الحال، فراسلهم سنجر يتهدّدهم، فأمرهم بمفارقة بلاده، فاعتذروا، و بذلوا بذلا كثيرا ليكفّ عنهم و يتركهم فى مراعيهم، فلم يجبهم إلى ذلك، و جمع عساكره من أطراف البلاد، و اجتمع معه ما يزيد على مائة ألف فارس، و قصدهم و وقع بينهم حرب شديدة، فانهزمت عساكر سنجر، و انهزم هو أيضا، و تبعهم الغزّ قتلا و أسرا، فصار قتلى العسكر كالتلال، و قتل علاء الدين قماج، و أسر [السلطان سنجر، و أسر] «۱» معه جماعة من الأمراء، [فأمّا الأمراء] «۲» فضربوا أعناقهم، و أمّا السلطان سنجر، فإنّ أمراء الغزّ اجتمعوا، و قبّلوا الأرض بين يديه، و قالوا: نحن عبيدك لا نخرج عن طاعتك، فقد علمنا أنّك لم ترد قتالنا، و إنّما حملت عليه، فأنت السلطان و نحن العبيد، فمضى على ذلك شهران، أو ثلاثة، و دخلوا معه إلى مرو و هى كرسى ملك خراسان، و طلبها منه بختيار إقطاعا، فقال السلطان: هذه دار الملك و لا يجوز أن تكون إقطاعا لأحد. فضحكوا منه و حبق له بختيار بفمه، فلمّا رأى ذلك نزل عن سرير الملك و دخل خانكاه مرو و تاب عن الملك.

و استولى الغزّ على البلاد، و ظهر منهم من الجور ما لم يسمع بمثله، و ولّوا على نيسابور واليا، فقسط على النّاس كثيرا و عسفهم و ضربهم، و علق فى الأسواق ثلاث غرائر، و قال: أريد ملء [۱] هذه ذهبا، فثار عليه العامّة فقتلوه و من معه، فركب الغزّ و دخلوا نيسابور و نهبوها نهبا مجحفا، و جعلوها قاعا

---

[۱] ملىء.

(۱). ۷۴۰te .P .C

(۲).P .C

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۷۸

صفصفا، و قتلوا الكبار و الصغار و أحرقوها، و قتلوا القضاة و العلماء فى البلاد كلّها، فممّن [قتل] الحسين بن محمّد الأرسابندىّ، و القاضى علىّ بن مسعود، و الشيخ محمّد بن يحيى، و أكثر الشعراء فى مراثى محمّد بن يحيى، فممّن قال فيه علىّ بن إبراهيم الكاتب:

مضى الّذى كان يجنى الدّرّ من فيهيسيل بالفضل و الإفضال واديه

مضى ابن يحيى الّذى قد كان صوب حيالأبر شهر و مصباحا لداجيه

خلا خراسان من علم و من ورعلمّا نعاه إلى الآفاق ناعيه

لمّا أماتوه مات الدّين وا أسفامن ذا الّذى بعد محيى الدّين يحييه و يتعذّر وصف ما جرى منهم على تلك البلاد جميعها، و لم يسلم من خراسان شىء لم تنهبه [۱] الغزّ غير هراة و دهستان لأنّها كانت حصينة فامتنعت.

و قد ذكر بعض مؤرّخى خراسان من أخبارهم ما فيه زيادة وضوح و قال: إنّ هؤلاء الغزّ «۱» قوم انتقلوا من نواحى الثغر من أقاصى الترك إلى ما وراء النهر فى أيّام المهدى، و أسلموا، و استنصر بهم المقنّع صاحب المخاريق و الشعبذة، حتى تمّ أمره، فلمّا سارت العساكر إليه خذله هؤلاء الغزّ و أسلموه، و هذه عادتهم فى كلّ دولة كانوا فيها، و فعلوا مثل ذلك مع الملوك الخاقانيّة «۲»، إلّا أنّ الأتراك القارغليّة «۳» قمعوهم، و طردوهم عن أوطانهم، فدعاهم الأمير زنكى بن خليفة الشيبانىّ المستولى على حدود طخارستان إليه، و أنزلهم بلاده، و كانت بينه و بين الأمير قماج عداوة أحكمتها الأيّام للمجاورة التى بينهما، و كلّ منهما يريد أن يعلو على الآخر و يحكم عليه،

---

[۱] تنبه.

---

(۱). النغرغز.B. الثغرغر.A

(۲). الملوك الخانية.A

(۳). القارلغية.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۷۹

فتقوّى بهم زنكى، و ساروا معه إلى بلخ لمحاربة قماج، فكاتبهم قماج، فمالوا إليه، و خذلوا زنكى عند الحرب، فأخذ زنكى و ابنه أسيرين، فقتل قماج ابن زنكى، و جعل يطعم أباه لحمه، ثمّ قتل الأب أيضا، و أقطع قماج الغزّ مواضع، و أباحهم مراعى بلاده.

فلمّا قام الحسين بن الحسين الغورىّ بغزنة و قصد بلخ خرج إليه قماج و عساكره و معه الغزّ، ففارقه الغزّ و انضمّوا «۱» إلى الغورىّ حتى ملك مدينة بلخ، فسار السلطان سنجر إلى بلخ، ففارقها الغورىّ بعد قتال انهزم منه، ثمّ دخل على السلطان سنجر لعجزه عن مقاومته، فردّه إلى غزنة.

و بقى الغزّ بنواحى طخارستان و فى نفس قماج منهم الغيظ العظيم لمّا فعلوه معه، فأراد صرفهم عن بلاده، فتجمّعوا، و انضمّ إليهم طوائف من الترك، و قدّموا عليهم أرسلان بوقا التركى، فجمع قماج عسكره و لقيهم فاقتتلوا يوما كاملا- إلى اللّيل، فانهزم قماج و عسكره، و أسر هو و ابنه أبو بكر، فقتلوهما، و استولوا على نواحى بلخ، و عاثوا فيها و أفسدوا بالنهب و القتل و السلب.

و بلغ السلطان سنجر الخبر، فجمع عساكره و سار إليهم، فراسلوه يعتذرون و يتنصّلون، فلم يقبل عذرهم، و وصل إليهم مقدّمة السلطان، و فيها محمّد بن أبى بكر بن قماج المقتول، و المؤيّد أى أبه فى المحرّم من سنة ثمان و أربعين و خمسمائة، و وصل بعدهم السلطان

سنجر، فالتقاه الغزّ بعد أن أرسلوا يعتذرون و يبذلون الأموال و الطاعة و الانقياد إلى كلّ ما يؤمرون به، فلم يقبل سنجر ذلك منهم، و سار إليهم، فلقوه و قاتلوه و صبروا له، و دام قتالهم، فانهزم عسكر سنجر و هو معهم، فتوجّهوا إلى بلخ على أقبح

---

(۱). ففارقه طائفة و انضموا.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۸۰

صورة، و تبعهم الغزّ، و اقتتلوا مرّة ثانية، فانهزم السلطان سنجر أيضا، و مضى منهزما إلى مرو فى صفر من السنة، فقصد الغزّ إليها، فلمّا سمع العسكر الخراسانى بقربهم منهم أجفلوا من بين أيديهم هاربين لمّا دخل قلوبهم من خوفهم و الرعب منهم، فلمّا فارقها السلطان و العسكر دخلها الغزّ و نهبوها أفحش نهب و أقبحه، و ذلك فى جمادى الأولى من السنة، و قتل بها كثير من أهلها و أعيانها، منهم قاضى القضاة الحسن بن محمّد الأرسابندىّ، و القاضى علىّ بن مسعود و غيرهما من الأئمّة العلماء.

و لمّا خرج سنجر من مرو قصد اندرابة و أخذه الغزّ أسيرا، و أجلسوه على تخت السلطنة على عادته، و قاموا بين يديه، و بذلوا له الطاعة، ثمّ عاودوا الغارة على مرو فى رجب من السنة، فمنعهم أهلها، و قاتلوهم قتالا بذلوا فيه جهدهم و طاقتهم، ثمّ إنّهم عجزوا، فاستسلموا إليهم، فنهبوها أقبح من النّهب الأوّل و لم يتركوا بها شيئا.

و كان قد فارق سنجر جميع أمراء خراسان و وزيره طاهر بن فخر الملك ابن نظام الملك، و لم يبق عنده غير نفر يسير من خواصّه و خدمه، فلمّا وصلوا إلى نيسابور أحضروا الملك سليمان شاه ابن السلطان محمّد، فوصل إلى نيسابور تاسع عشر جمادى الآخرة من السنة، فاجتمعوا عليه، و خطبوا له بالسلطنة، و سار فى هذا الشهر جماعة من العسكر السلطانىّ إلى طائفة كثيرة من الغزّ، فأوقعوا بهم، و قتلوا منهم كثيرا، و انهزم الباقون إلى أمرائهم الغزّيّة فاجتمعوا معهم.

و لمّا اجتمعت العساكر على الملك سليمان شاه ساروا إلى مرو يطلبون الغزّ، فبرز الغزّ إليهم، فساعة رآهم العسكر الخراسانىّ «۱» انهزموا و ولّوا على

---

(۱). العسكر السلطانى.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۸۱

أدبارهم، و قصدوا نيسابور، و تبعهم الغزّ، فمرّوا بطوس، و هى معدن العلماء و الزهّاد، فنهبوها، و سبوا نساءها، و قتلوا رجالها، و خرّبوا مساجدها و مساكن أهلها، و لم يسلم من جميع ولاية طوس إلّا البلد الّذى فيه مشهد علىّ بن موسى الرضى، و مواضع أخر يسيرة لها أسوار.

و ممّن قتل من أعيان أهلها إمامها محمّد المارشكىّ، و نقيب العلويّين بها علىّ الموسوى، و خطيبها إسماعيل بن المحسن، و شيخ شيوخها محمّد ابن محمّد، و أفنوا من بها من الشيوخ الصالحين، و ساروا منها إلى نيسابور، فوصلوا إليها فى شوّال سنة تسع و أربعين [و خمسمائة]، و لم يجدوا دونها مانعا و لا مدافعا، فنهبوها نهبا ذريعا، و قتلوا أهلها، فأكثروا حتى ظنّوا أنّهم لم يبقوا بها أحدا، حتى إنّه أحصى فى محلّتين خمسة عشر ألف قتيل من الرجال دون النساء و الصبيان، و سبوا نساءها و أطفالها، و أخذوا أموالهم، و بقى القتلى فى الدروب كالتلال بعضهم فوق بعض، و اجتمع أكثر أهلها بالجامع المنيعى و تحصّنوا به، فحصرهم الغزّ فعجز أهل نيسابور عن منعهم، فدخل الغزّ إليهم فقتلوهم عن آخرهم، و كانوا يطلبون من الرجل المال، فإذا أعطاهم الرجل ماله قتلوه، و قتلوا كثيرا من أئمّة العلماء و الصالحين، منهم محمّد بن يحيى الفقيه الشافعىّ الّذى لم يكن فى زمانه مثله، كان رحلة النّاس من أقصى الغرب و الشرق إليه، و رثاه جماعة من العلماء، منهم أبو الحسن علىّ بن أبى القاسم البيهقى فقال:

يا سافكا دم عالم متبحّرقد طار فى أقصى الممالك صيته

باللَّه قل لى يا ظلوم و لا تخف «۱»من كان يحيى الدّين كيف تميته و منهم الزاهد عبد الرحمن بن عبد الصمد الأكّاف، و أحمد بن الحسين

---

(۱). و لا يعش.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۸۲

الكاتب سبط القشيرىّ، و أبو البركات الفراوىّ، و الإمام علىّ الصبّاغ المتكلّم، و أحمد بن محمّد بن حامد، و عبد الوهّاب الملقاباذىّ، و القاضى صاعد بن عبد الملك بن صاعد، و الحسن «۱» بن عبد الحميد الرازىّ و خلق كثير من الأئمّة و الزهّاد و الصالحين، و أحرقوا ما بها من خزائن الكتب و لم يسلم إلّا بعضها.

و حصروا شارستان، و هى منيعة، فأحاطوا بها، و قاتلهم أهلها من فوق سورها، و قصدوا جوين فنهبوها، و قاتلهم أهل بحرآباذ من أعمال جوين، و بذلوا نفوسهم للَّه تعالى، و حموا بيضتهم و الباقى أتى النّهب و القتل عليه، ثمّ قصدوا أسفرايين فنهبوها و خرّبوها، و قتلوا فى أهلها فأكثروا.

و ممّن قتل عبد الرشيد الأشعثىّ، و كان من أعيان دولة السلطان، فتركها و أقبل على الاشتغال بالعلم و طلب الآخرة، و أبو الحسن الفندروجىّ، و كان من ذوى الفضائل لا سيّما فى علم الأدب.

و لما فرغ الغزّ من جوين و أسفرايين عاودوا نيسابور، فنهبوا ما بقى فيها بعد النهب الأوّل، و كان قد لحق بشهرستان كثير من أهلها، فحصرهم الغزّ و استولوا عليها، و نهبوا ما كان فيها لأهلها و لأهل نيسابور، و نهبوا الحرم و الأطفال، و فعلوا ما لم يفعله الكفّار مع المسلمين، و كان العيّارون أيضا ينهبون نيسابور أشدّ من نهب الغزّ و يفعلون أقبح من فعلهم.

ثمّ إنّ أمر الملك سليمان شاه ضعف، و كان قبيح السيرة سيّئ التدبير، و إنّ وزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك توفّى فى شوّال سنة ثمان و أربعين [و خمسمائة] فضعف أمره، و استوزر سليمان شاه بعده ابنه نظام الملك أبا

---

(۱). و الحسين.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۸۳

علىّ الحسن بن طاهر و انحلّ أمر دولته بالكليّة، ففارق خراسان فى صفر سنة تسع و أربعين [و خمسمائة] و عاد إلى جرجان، فاجتمع الأمراء و راسلوا الخان محمود بن محمّد بن بغراخان، و هو ابن أخت السلطان سنجر، و خطبوا له على منابر خراسان، و استدعوه إليهم، فملّكوه أمورهم، و انقادوا له فى شوّال سنة تسع و أربعين و خمسمائة، و ساروا معه إلى الغزّ و هم يحاصرون هراة، و جرت بينهم حروب كان الظفر فى أكثرها للغزّ، و رحلوا فى جمادى الأولى من سنة «۱» خمسين و خمسمائة من على هراة إلى مرو، و عاودوا المصادرة لأهلها.

و سار خاقان محمود بن محمّد إلى نيسابور و قد غلب عليها المؤيّد، على ما نذكره، و راسل الغزّ فى الصلح، فاصطلحوا فى رجب من سنة خمسين و خمسمائة، هدنة على دخن، و سيرد باقى أخبارهم سنة اثنتين و خمسين.

ذكر ملك المؤيّد نيسابور و غيرها

كان للسلطان سنجر مملوك اسمه أى أبه، و لقبه المؤيّد، فلمّا كانت هذه الفتنة تقدّم، و علا شأنه، و أطاعه كثير من الأمراء، و استولى على نيسابور و طوس و نسا و أبيورد و شهرستان و الدّامغان، و أزاح الغزّ عن الجميع، و قتل منهم خلقا كثيرا، و أحسن السيرة، و عدل فى الرعيّة، و استمال النّاس، و وفّر الخراج على أهله، و بالغ فى مراعاة أرباب البيوت، فاستقرّت البلاد له، و دانت له الرعيّة لحسن

سیرته، و عظم شأنه، و کثرت جموعه، فراسله خاقان محمود بن محمّد فی تسلیم البلاد و الحضور عنده، فامتنع، و تردّدت

---

(۱). جمادی الآخرة سنة.A

الکامل فی التاریخ، ج ۱۱، ص: ۱۸۴

الرسل بینهم حتی استقرّ علی المؤیّد مال یحمله إلی الملک محمود، فکفّ عنهم محمود، و أقام المؤیّد بالبلاد هو و الملک محمود.

ذکر ملک إینانج الرّیّ

کان إینانج أحد مماليک السلطان سنجر، فلمّا کان من فتنة الغزّ ما ذکرناه هرب من خراسان، و وصل إلی الرّیّ، فاستولی علیها و أقام بها، فأرسل إلی السلطان محمّد شاه بن محمود صاحب همذان، و أصفهان، و غیرهما، خدمه و هدایا فأرضاه بها، و أظهر له الطاعة، و بقی بها إلی أن مات الملک محمود، فاستولی علیها و علی عدّة بلاد تجاور الرّیّ، فملکها، فعظم أمره و علا شأنه و صارت عساکره عشرة آلاف فارس.

فلمّا ملک سلیمان شاه همذان، علی ما نذکره «۱»، حضر عنده، و أطاعه لأنسه به. کان أیّام مقام سلیمان شاه بخراسان، فتقوّی أمره بذلک.

ذکر قتل ابن السلّار وزیر الظافر و وزارة عبّاس

فی هذه السنة، فی المحرّم، قتل العادل بن السلّار وزیر الظافر باللّه، قتله ربیبه عبّاس بن أبی الفتوح بن یحیی الصّیهاجیّ، و أشار علیه بذلک الأمیر أسامة بن منقذ، و وافق علیه الخلیفة الظافر باللّه، فأمر ولده نصرا، فدخل علی العادل و هو عند جدّته أمّ عبّاس، فقتله و ولی الوزارة بعده ربیبة «۲» عبّاس.

---

(۱). علی ما نذکره.A. mo

(۲). بعده ربیبه.A. mo

الکامل فی التاریخ، ج ۱۱، ص: ۱۸۵

و کان عبّاس قد قدم من المغرب، کما ذکرناه، إلی مصر، و تعلّم الخیاطة، و کان خیّاطا حسنا، فلمّا تزوّج ابن السلّار بأمّه أحبّه، و أحسن تربیته، فجازاه بأن قتله و ولی بعده.

و کانت الوزارة فی مصر لمن غلب، و الخلفاء من وراء الحجّاب، و الوزراء کالمتملّکین، و قلّ أن ولیها أحد بعد الأفضل إلّا بحرب و قتل و ما شاکل ذلک، فلذلک ذکرناهم فی تراجم مفردة، و اللّه أعلم.

ذکر الحرب بین العرب و عساکر عبد المؤمن

فی هذه السنة، فی صفر، کانت الحرب بین عسکر عبد المؤمن و العرب عند مدینة سطیف.

و سبب ذلک أنّ العرب، و هم بنو هلال و الأثبج «۱» و عدیّ و ریاح و زغب، و غیرهم من العرب، لما ملک عبد المؤمن بلاد بنی حمّاد اجتمعوا من أرض طرابلس إلی أقصی المغرب، و قالوا: إن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب، و لیس الرأی إلّا إلقاء الجدّ معه، و إخراجه من البلاد قبل أن یتمکّن.

و تحالفوا علی التعاون و التضافر [۱]، و أن لا یخون بعضهم بعضا، و عزموا علی لقائه بالرجال و الأهل و المال لیقاتلوا قتال الحریم.

و اتّصل الخبر بالملك رجّار الفرنجيّ، صاحب صقلّيّة، فأرسل إلى أمراء العرب، و هم محرز بن زياد، و جبارة بن كامل، و حسن بن ثعلب، و عيسى

---

[۱]- و التظافر.

---

(۱). و النبح.B. هلال و الأشج.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۸۶

ابن حسن و غيرهم، يحثّهم على لقاء عبد المؤمن و يعرض عليهم أن يرسل إليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم على شرط أن يرسلوا إليه الرهائن، فشكروه و قالوا: ما بنا حاجة إلى نجدته و لا نستعين بغير المسلمين.

و ساروا فى عدد لا يحصى، و كان عبد المؤمن قد رحل من بجاية إلى بلاد المغرب، فلمّا بلغه خبرهم جهّز جيشا من الموحّدين يزيد على ثلاثين ألف فارس، و استعمل عليهم عبد اللّه بن عمر الهنتاتى، و سعد اللّه بن يحيى، و كان العرب أضعافهم، فاستجرّهم الموحّدون و تبعهم العرب إلى أن وصلوا إلى أرض سطيف، بين جبال، فحمل عليهم عسكر عبد المؤمن فجاءه و العرب على غير أهبة، و التقى الجمعان، و اقتتلوا أشدّ قتال و أعظمه، فانجلت المعركة عن انهزام العرب و نصرة الموحّدين.

و ترك العرب جميع ما لهم من أهل و مال و أثاث و نعم، فأخذ الموحّدون جميع ذلك، و عاد الجيش إلى عبد المؤمن بجميعه، فقسم جميع الأموال على عسكره، و ترك النساء و الأولاد تحت الاحتياط، و وكّل بهم من الخدم الخصيان من يخدمهم و يقوم بحوائجهم، و أمر بصيانتهم، فلمّا وصلوا معه إلى مرّاكش أنزلهم فى المساكن الفسيحة، و أجرى لهم النفقات الواسعة، و أمر عبد المؤمن ابنه محمّدا أن يكاتب أمراء العرب و يعلمهم أنّ نساءهم و أولادهم تحت الحفظ و الصيانة، و أمرهم أن يحضروا ليسلّم إليهم أبوه ذلك جميعه، و أنّه قد بذل لهم الأمان و الكرامة.

فلمّا وصل كتاب محمّد إلى العرب سارعوا إلى المسير إلى مرّاكش، فلمّا وصلوا إليها أعطاهم عبد المؤمن نساءهم و أولادهم و أحسن إليهم و أعطاهم أموالا جزيلة، فاسترقّ قلوبهم بذلك، و أقاموا عنده، و كان بهم حفيّا، و استعان بهم على ولاية ابنه محمّد للعهد، على ما نذكره سنة إحدى و خمسين [و خمسمائة]

.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۱۸۷

ذكر ملك الفرنج مدينة بونة و موت رجّار و ملك ابنه غليالم

فى هذه السنة سار أسطول رجّار ملك الفرنج بصقلّية إلى مدينة بونة، و كان المقدّم عليهم فتاه فيلب المهدوىّ فحصرها و استعان بالعرب عليها، فأخذها فى رجب، و سبى أهلها، و ملك ما فيها، غير أنّه أغضى عن جماعة من العلماء و الصالحين، حتى خرجوا بأهليهم و أموالهم إلى القرى، فأقام بها عشرة أيّام، و عاد إلى المهديّة و بعض الأسرى معه، و عاد إلى صقلّية فقبض رجّار عليه لما أعتمده من الرّفق بالمسلمين فى بونة.

و كان فيلب، يقال إنّه و جميع فتيانه مسلمون، يكتمونه ذلك، و شهدوا عليه أنّه لا يصوم مع الملك، و أنّه مسلم، فجمع رجّار الأساقفة و القسوس و الفرسان، فحكموا بأن يحرق، فأحرق فى رمضان، و هذا أوّل وهن دخل على المسلمين بصقلّية. و لم يمهل اللّه رجّار بعده إلّا يسيرا حتى [مات] فى العشر الأول من ذى الحجّة من السنة، و كان مرضه الخوانيق، و كان عمره قريب ثمانين سنة، و كان ملكه نحو ستّين سنة، و لما مات ملك بعده ابنه غليالم، و كان فاسد التدبير سيّئ التصوير، فاستوزر مايو البرصانىّ «۱»، فأساء التدبير،

فاختلفت علیه حصون من جزیرة صقلّیّة، و بلاد قلّوریة، و تعدّی الأمر إلی إفریقیة علی ما نذکره.

---

(۱). البرصای:spUمابو البرصانی: ۷۴۰ مایو البصرانی.C. P

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۱۸۸

ذکر وفاة بهرام شاه صاحب غزنة

فی هذه السنة، فی رجب، توفّی السلطان بهرام شاه بن مسعود بن إبراهیم ابن مسعود بن محمود بن سبکتکین صاحب غزنة بها، و قام بالملک بعده ولد نظام الدین خسروشاه، و کانت ولایة بهرام شاه ستّا و ثلاثین سنة، و کان عادلا، حسن السیرة، جمیل الطریقة، محبّا للعلماء، مکرما لهم، باذلا لهم الأموال الکثیرة، جامعا للکتب تقرأ بین یدیه، و یفهم مضمونها، و لما مات ملک ولده خسرو شاه.

ذکر ملک الفرنج مدینة عسقلان

فی هذه السنة ملک الفرنج بالشام مدینة عسقلان، و کانت من جملة مملکة الظافر باللّه العلویّ المصریّ، و کان الفرنج کلّ سنة یقصدونها و یحصرونها، فلا یجدون إلی ملکها سبیلا، و کان الوزراء بمصر لهم الحکم فی البلاد، و الخلفاء معهم اسم لا معنی تحته، و کان الوزراء کلّ سنة یرسلون إلیها من الذخائر و الأسلحة و الأموال و الرجال من یقوم بحفظها. فلمّا کان فی هذه السنة قتل ابن السلّار الوزیر، علی ما ذکرناه، و اختلفت الأهواء فی مصر، و ولی عبّاس الوزارة، و إلی أن استقرّت قاعدة، اغتنم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان، فاجتمعوا و حصروها، فصبر أهلها، و قاتلوهم قتالا شدیدا، حتی إنّهم بعض الأیّام قاتلوا خارج السور، و ردّوا الفرنج إلی خیامهم مقهورین، و تبعهم أهل البلد إلیها فأیس حینئذ الفرنج من ملکه.

فبینما هم علی عزم الرحیل إذ [۱] قد أتاهم الخبر أنّ الخلف قد وقع بین

---

[۱]- و إذا.

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۱۸۹

أهله، و قتل بینهم قتلی، فصبروا، و کان سبب هذا الاختلاف أنّهم لما عادوا عن قتال الفرنج قاهرین منصورین، ادّعی کلّ طائفة منهم أنّ النصرة من جهتهم کانت، و أنّهم هم الذین ردّوا الفرنج خاسرین، فعظم الخصام بینهم إلی أن قتل من إحدی الطائفتین قتیل، و اشتدّ الخطب حینئذ، و تفاقم الشرّ، و وقعت الحرب بینهم، فقتل بینهم قتلی، فطمع الفرنج، و زحفوا إلیه و قاتلوا علیه، فلم یجدوا من یمنعهم فملکوه.

ذکر حصر عسکر الخلیفة تکریت و عودهم عنها

فی هذه السنة سیّر الخلیفة المقتفی لأمر اللّه عسکرا إلی تکریت لیحصروها، و أرسل معهم مقدّما علیهم أبا البدر ابن الوزیر عون الدین بن هبیرة و ترشک، و هو من خواصّ الخلیفة، و غیرهما، فجری بین أبی البدر و ترشک منافرة أوجبت أن کتب ابن الوزیر یشکو من ترشک، فأمر الخلیفة بالقبض علی ترشک، فعرف ذلک، فأرسل إلی مسعود بلال، صاحب تکریت، و صالحه و قبض علی ابن الوزیر و من معه من المتقدّمین، و سلّمهم إلی مسعود بلال، [فانهزم العسکر و غرق منه کثیر و سار مسعود بلال] «۱» و ترشک من تکریت إلی طریق خراسان فنهبا و أفسدا، فسار المقتفی عن بغداد لدفعهما، فهربا من بین یدیه، فقصد تکریت، فحصرها أیّاما و جری له مع أهلها حروب من وراء السور، فقتل من العسکر جماعة بالنشّاب، فعاد الخلیفة عنها، و لم یملکها.

(۱). C .P .۷۴۰te

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۹۰

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة وصلت مراكب من صقلّيّة، فيها جمع من الفرنج، فنهبوا مدينة تنّيس بالديار المصريّة.

و فيها كان بين الكرج بأرمينية و بين صليق، صاحب أرزن الروم، مصافّ و حرب شديدة، و انهزم صليق «۱» و أسره الكرج ثمّ أطلقوه.

و فيها توفّى أبو العبّاس أحمد بن أبى غالب الورّاق المعروف بابن الطلايـة الزاهد البغدادىّ بها، و كان من الصالحين، و له حديث و رواية.

و توفّى عبد الملك بن عبد اللّه بن أبى سهل أبو الفتح بن أبى القاسم الكروخىّ الهروىّ، راوى جامع الترمذىّ، و مولده سنة اثنتين و ستّين و أربعمائة، و توفّى ببغداد فى ذى الحجّة.

(۱). فانهزم صليق.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۹۱

۵۴۹ ثم دخلت سنة تسع و أربعين و خمسمائة

ذكر قتل الظافر و خلافة ابنه الفائز

فى هذه السنة، فى المحرّم، قتل الظافر باللّه أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين اللّه عبد المجيد العلوىّ، صاحب مصر.

و كان سبب [قتله] أنّ وزيره عبّاسا كان له ولد اسمه نصر، فأحبّه الظافر، و جعله من ندمائه و أحبابه الذين لا يقدر على فراقهم ساعة واحدة، فاتّفق أن قدم من الشام مؤيد الدولة الأمير أسامة بن منقذ الكنانىّ فى وزارة ابن السلّار، و اتّصل بعبّاس، فحسّن له قتل العادل بن السلّار زوج أمّه، فقتله، و ولّاه الظافر الوزارة، فاستبدّ بالأمر، و تمّ له ذلك.

و علم الأمراء و الأجناد أنّ ذلك من فعل ابن منقذ، فعزموا على قتله، فخلا بعبّاس و قال له: كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول؟ قال:

و ما ذلك؟ قال: النّاس يزعمون أنّ الظافر يفعل بابنك نصر، و كان «۱» نصر خصيصا بالظافر، و كان ملازما له ليله و نهاره، و كان من أجمل النّاس صورة، و كان الظافر يتّهم به، فانزعج لذلك و عظم عليه، و قال: كيف الحيلة؟

قال: تقتله فيذهب عنك العار، فذكر الحال لولده نصر، فاتّفقا على قتله.

و قيل إنّ الظافر أقطع نصر بن عبّاس قرية قليوب، و هى من أعظم قرى

(۱). V. qs .mo بهdaeuqsu و كانednI a

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۹۲

مصر، فدخل إليه مؤيّد الدولة بن منقذ، و هو عند أبيه عبّاس. قال له نصر: قد أقطعنى مولانا قرية قليوب. فقال له مؤيّد الدولة: ما هى فى مهرك بكثير، فعظم عليه و على أبيه، و أنف من هذه الحال، و شرع فى قتل الظافر بأمر أبيه، فحضر نصر عند الظافر و قال له:

أشتهى أن تجىء إلى دارى لدعوة صنعتها، و لا تكثر من الجمع، فمشى معه فى نفر يسير من الخدم ليلا، فلمّا دخل الدار قتله و قتل من معه، و أفلت خادم صغير اختبأ فلم يروه، و دفن القتلى فى داره.

و أخبر أخاه عبّاسا الخبر، فبكّر إلى القصر، و طلب من الخدم الخصيصين بخدمة الظافر أن يطلبوا له إذنا فى الدخول عليه لأمر يريد أن يأخذ رأيه فيه.

فقالوا: إنّه ليس فى القصر. فقال: لا بدّ منه. و كان غرضه أن ينفى التهمة عنه بقتله، و أن يقتل من بالقصر ممّن يخاف أن ينازعه فيمن يقيمه فى الخلافة، فلمّا ألح عليهم عجزوا عن إحضاره.

فبينما هم يطلبونه حائرين دهشين لا يدرون ما الخبر إذ وصل إليهم الخادم الصغير الّذى شاهد قتله، و قد هرب من دار عبّاس عند غفلتهم عنه، و أخبرهم بقتل الظافر، فخرجوا إلى عبّاس، و قالوا له: سل ولدك عنه فإنّه يعرف أين هو لأنّهما خرجا جميعا. فلمّا سمع ذلك منهم قال: أريد أن أعتبر القصر لئلّا يكون قد اغتاله أحد من أهله، فاستعرض القصر، فقتل أخوين للظافر، و هما يوسف و جبريل، و أجلس الفائز بنصر اللَّه أبا القاسم عيسى بن الظافر بأمر اللَّه إسماعيل ثانى يوم قتل أبوه، و له من العمر خمس سنين، فحمله عبّاس على كتفه و أجلسه على سرير الملك و بايع له النّاس، و أخذ عبّاس من القصر من الأموال و الجواهر و الأعلاق النفيسة ما أراد، و لم يترك فيه إلّا ما لا خير فيه

.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٩٣

ذكر وزارة الصالح طلائع بن رزّيك

كان السبب فى وزارة الصالح طلائع بن رزّيك أنّ عبّاسا، لما قتل الظافر و أقام الفائز، ظنّ أنّ الأمر يتمّ له على ما يريده، فكان الحال خلاف ما أعتقده، فإنّ الكلمة اختلفت عليه، و ثار به الجند و السودان، و صار إذا أمر بالأمر لا يلتفت إليه و لا يسمع قوله، فأرسل من بالقصر من النساء و الخدم إلى الصالح طلائع بن رزّيك يستغيثون به، و أرسلوا شعورهم طىّ الكتب، و كان فى منية بنى خصيب واليا عليها و على أعمالها، و ليست من الأعمال، الجليلة، و إنّما كانت أقرب الأعمال إليهم، و كان فيه شهامة، فجمع ليقصد عبّاسا، و سار إليه، فلمّا سمع عبّاس ذلك خرج من مصر نحو الشام بما معه من الأموال التى لا تحصى كثرة، و التّحف و الأشياء التى لا توجد إلّا هناك ممّا كان أخذه من القصر، فلمّا سار وقع به الفرنج فقتلوه و أخذوا جميع ما معه فتقوّوا به.

و سار الصالح فدخل القاهرة بأعلام سود و ثياب سود حزنا على الظافر، و الشعور التى أرسلت إليه من القصر على رءوس الرماح، و كان هذا من الفأل العجيب، فإنّ الأعلام السود العبّاسيّة دخلتها و أزالت الأعلام العلويّة بعد خمس عشرة سنة.

و لما دخل الصالح القاهرة خلع عليه خلع الوزارة، و استقرّ فى الأمر، و أحضر الخادم الّذى شاهد قتل الظافر، فأراه موضع دفنه، فأخرجه و نقله إلى مقابرهم بالقصر.

و لما قتل الفرنج عبّاسا أسروا ابنه، فأرسل الصالح إلى الفرنج و بذل لهم مالا و أخذه منهم، فسار من الشام مع أصحاب الصالح، فلم يكلّم أحدا منهم كلمة إلى أن رأى القاهرة فأنشد:

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٩۴ بلى نحن كنّا أهلها فأبادناصروف اللّيالى و الجدود العواثر و أدخل القصر، فكان آخر العهد به، فإنّه قتل، و صلب على باب زويلة، و استقصى الصالح بيوت الكبار و الأعيان بالديار المصريّة فأهلك أهلها و أبعدهم عن ديارهم، و أخذ أموالهم، فمنهم من هلك، و منهم من تفرّق فى بلاد الحجاز و اليمن و غيرهما، فعل ذلك خوفا منهم أن يثوروا عليه و ينازعوه فى الوزارة، و كان ابن منقذ قد هرب مع عبّاس، فلمّا قتل هرب إلى الشام.

ذكر حصر تكريت و وقعة بكمزا «۱»

فى هذه السنة أرسل الخليفة المقتفى لأمر اللّه رسولا إلى والى تكريت، بسبب من عندهم من المأسورين، و هم ابن الوزير و غيره، فقبضوا على الرسول، فسيّر الخليفة عسكرا إليهم، فخرج أهل تكريت، فقاتلوا العسكر و منعوه من الدخول إلى البلد، فسار الخليفة بنفسه مستهلّ صفر فنزل على البلد، فهرب أهله، فدخل العسكر فشعثوا و نهبوا بعضه، و نصب على القلعة ثلاثة عشر منجنيقا، فسقط من أسوارها برج و بقى الحصر كذلك إلى الخامس و العشرين [۱] من ربيع الأوّل.

و أمر الخليفة بالقتال و الزحف، فاشتدّ القتال، و كثر القتلى، و لم يبلغ منها غرضا، فرحل عائدا إلى بغداد، فدخلها آخر الشهر، ثمّ أمر الوزير عون

---

[۱]- و عشرين.

---

(۱) نكمرا:spU. ۰۴۷.te .P .C

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۹۵

الدين بن هبيرة بالعود إلى محاصرتها، و الاستعداد، و الاستكثار من الآلات للحصار، فسار إليها سابع ربيع الآخر، و نازلها و ضيّق عليها، فوصل الخبر بأنّ مسعود بلال وصل إلى شهرابان و معه البقش كونخر «۱» و ترشك فى عسكر كثير و نهبوا البلاد، فعاد الوزير إلى بغداد.

و كان سبب وصول هذا العسكر أنّهم حثّوا الملك محمّدا ابن السلطان محمود على قصد العراق، فلم يتهيّأ له ذلك، فسيّر هذا العسكر، و انضاف إليهم خلق كثير من التركمان، فخرج الخليفة إليهم، فأرسل مسعود بلال إلى تكريت، و أخرج منها الملك أرسلان ابن السلطان طغرل بن محمّد، و كان محبوسا بتكريت، و قال: هذا السلطان نقاتل بين يديه بإزاء الخليفة.

و التقى العسكران عند بكمزا بالقرب من بعقوبا [۱]، و دام بينهم المناوشة و المحاربة ثمانية عشر يوما، ثمّ إنّهم التقوا آخر رجب فاقتتلوا، فانهزمت ميمنة عسكر الخليفة و بعض القلب، حتى بلغت الهزيمة بغداد، و نهبت خزائنه، و قتل خازنه، فحمل الخليفة بنفسه هو و وليّ عهده و صاح، يا آل هاشم! كذب الشيطان، و قرأ: وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً «۲»، و حمل باقى العسكر معه فانهزم مسعود و البقش و جميع من معهم، و تمّت الهزيمة، و ظفر الخليفة بهم، و غنم عسكره جميع مال التركمان من دوابّ و غنم و غير ذلك، فبيع كلّ كبش بدانق، و كانوا قد حضروا بنسائهم و أولادهم و خركاهاتهم و جميع مالهم، فأخذ جميعه، و نودى: من أخذ من أولاد التركمان و نسائهم شيئا فليردّه، فردّوه، فأخذ البقش كونخر الملك أرسلان، و انهزم إلى بلد اللّحف و قلعة الماهكى.

---

[۱]- يعقوبا.

---

(۱) كون خزeuqibU

(۲). ۲۵، ۳۳.roC

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۱۹۶

و فى هذه الحرب غدر بنو عوف من عسكر الخليفة، و لحقوا بالعجم، و مضى هندى الكردىّ أيضا معهم. و كان الملك محمّد قد أرسل عسكرا مع خاصّ بك بن آقسنقر نجدة لكونخر، فلمّا وصلوا إلى الراذان بلغهم خبر الهزيمة فعادوا [۱]، و رجع الخليفة إلى بغداد فدخلها أوائل شعبان، فوصله الخبر أن مسعود بلال و ترشك قصدا مدينة واسط فنهبا و خرّبا [۲]، فسيّر الخليفة الوزير ابن هبيرة

فى عسكر خامس عشر شعبان، فانهزم العجم، فلقيهم عسكر الخليفة و نهب منهم شيئا كثيرا، و عادوا إلى بغداد، فلقّب الوزير سلطان العراق ملك الجيوش.

و سيّر الخليفة عسكرا إلى بلد اللّحف فأخذه و صار فى جملته، و أمّا الملك ألب أرسلان بن طغرل فإنّ البقش أخذه معه إلى بلده، فأرسل إليه الملك محمّد يقول له ليحضر عنده و أرسلان معه، فمات البقش كونخر فى رمضان فى هذه السنة، و بقى أرسلان مع ابن البقش و حسن الجاندار، فحملاه [إلى] الجبل، فخاف الملك محمّد أن يصل أرسلان إلى زوج أمّه إيلدكز فيجعله ذريعة إلى قصد البلاد، فلم ينفعه حذره، و اتّصل أرسلان بإيلدكز زوج أمّه فصار معه، و هو أخو البهلوان بن إيلدكز لأمّه، و طغرل الّذى قتله خوارزم شاه ولد «١» أرسلان هذا، و كان طغرل آخر السلجوقيّة.

---

[١]- فعاد.

[٢]- فنهبوا و خربوا.

---

(١). و كذا:spU: ٠۴٧.P .C

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٩٧

ذكر ملك نور الدين محمود مدينة دمشق

فى هذه السنة، فى صفر، ملك نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر مدينة دمشق، و أخذها من صاحبها مجير الدين أبق بن محمّد بن بورى بن طغدكين أتابك.

و كان سبب جدّه فى ملكها أن الفرنج لما ملكوا فى العام الماضى مدينة عسقلان لم يكن لنور الدين طريق إلى إزعاجهم عنها لاعتراض دمشق بينه و بين عسقلان، فلمّا ملك الفرنج عسقلان طمعوا فى دمشق، حتى إنّهم استعرضوا كل من بها من مملوك و جارية من النصارى، فمن أراد المقام بها تركوه، و من أراد العود إلى وطنه أخذوه قهرا شاء صاحبه أم أبى.

و كان لهم على أهلها كل سنة قطيعة يأخذونها منهم، فكان رسلهم يدخلون البلد و يأخذونها منهم، فلمّا رأى نور الدين ذلك خاف أن يملكها الفرنج فلا يبقى حينئذ للمسلمين بالشام مقام، فأعمل الحيلة فى أخذها حيث علم أنّها لا تملك قوة، لأنّ صاحبها متى رأى غلبه راسل الفرنج و استعان بهم فأعانوه لئلّا يملكها من يقوى بها على قتالهم، فراسل مجير الدين صاحبها و استماله، و واصله بالهدايا، و أظهر له المودّة حتى وثق به [١] فكان نور الدين يقول له فى بعض الأوقات: إنّ فلانا قد كاتبنى فى تسليم دمشق، يعنى [٢] بعض أمراء مجير الدين، فكان يبعد الّذى قيل عنه و يأخذ أقطاعه، فلمّا لم يبق عنده من الأمراء أحد قدّم أميرا يقال له عطا بن حفاظ السلمىّ الخادم، و كان شهما شجاعا، و فوّض إليه أمر دولته، فكان نور الدين لا يتمكّن معه

---

[١]- إليه.

[٢]- يعين.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٩٨

من أخذ دمشق، فقبض عليه مجير الدين و قتله، فسار نور الدين حينئذ إلى دمشق، و كان قد كاتب من بها من الأحداث و استمالهم، فوعدوه بالتسليم إليه، فلمّا حصر نور الدين البلد أرسل مجير الدين إلى الفرنج يبذل لهم الأموال و تسليم قلعة بعلبكّ إليهم لينجدوه و يرحّلوا نور الدين عنه، فشرعوا فى جمع فارسهم و راجلهم ليرحّلوا نور الدين عن البلد، فإلى أن اجتمع لهم ما يريدون تسلّم نور الدين

البلد، فعادوا بخفّى حنين.

و أمّا كيفيّة تسليم دمشق فإنّه لما حصرها ثار الأحداث الذين راسلهم، فسلّموا إليه البلد من الباب الشرقىّ و ملكه، و حصر مجير الدين فى القلعة، و راسله فى تسليمها و بذل له إقطاعا من جملته مدينة حمص، فسلّمها إليه و سار إلى حمص، ثمّ إنّه راسل أهل دمشق ليسلّموا إليه، فعلم نور الدين ذلك فخافه، فأخذ منه حمص، و أعطاه عوضا عنها بالس، فلم يرضها، و سار منها إلى العراق، و أقام ببغداد و ابتنى بها دارا بالقرب من النظاميّة، و توفّى بها.

ذكر قصد الإسماعيليّة خراسان و الظفر بهم

فى هذه السنة، فى ربيع الآخر، اجتمع جمع كثير من الإسماعيليّة من قهستان، بلغت عدّتهم سبعة آلاف رجل ما بين فارس و راجل، و ساروا يريدون خراسان لاشتغال عساكرها بالغزّ، و قصدوا أعمال خواف و ما يجاورها، فلقيهم الأمير فرخ شاه بن محمود الكاسانىّ «١» فى جماعة من حشمه و أصحابه، فعلم أنّه لا طاقة له بهم، فتركهم و سار عنهم، و أرسل إلى الأمير

---

(١). أركاسانن:spUالكلشانى: P .C.٧۴٠

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ١٩٩

محمّد بن أنر، و هو من أكابر أمراء خراسان و أشجعهم، يعرّفه الحال، و طلب منه المسير إليهم بعسكره و من قدر عليه من الأمراء ليجتمعوا عليهم و يقاتلوهم.

فسار محمّد بن أنر فى جماعة من الأمراء و كثير من العسكر، و اجتمعوا هم و فرخ شاه، و واقعوا الإسماعيليّة و قاتلوهم، و طالت الحرب بينهم، ثمّ نصر اللَّه المسلمين و انهزم الإسماعيليّة، و كثر القتل فيهم، و أخذهم السيف من كلّ مكان، و هلك أعيانهم و ساداتهم: بعضهم قتل، و بعضهم أسر، و لم يسلم منهم إلّا القليل الشريد، و خلت قلاعهم و حصونهم من حام و مانع، فلو لا اشتغال العساكر بالغزّ لكانوا ملكوها بغير تعب و لا مشقّة، و أراحوا المسلمين منهم، و لكن للَّه أمر هو بالغه.

ذكر ملك نور الدين تلّ باشر

فى هذه السنة، أو التى بعدها، ملك نور الدين محمود بن زنكى قلعة تلّ باشر، و هى شمالى حلب من أمنع القلاع.

و سبب ملكها أنّ الفرنج لما رأوا ملك نور الدين دمشق خافوه، و علموا أنّه يقوى عليهم، و لا يقدرون على الانتصاف منه، لما كانوا يرون منه قبل ملكها، فراسله من بهذه القلعة من الفرنج، و بذلوا له تسليمها، فسيّر إليهم الأمير حسّان المنبجى، و هو من أكابر أمرائه، و كان إقطاعه ذلك الوقت مدينة منبج، و هى تقارب تلّ باشر، و أمره أن يسير إليها و يتسلّمها، فسار إليها و تسلّمها منهم، و حصّنها و رفع إليها من الذخائر ما يكفيها سنين كثيرة

.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٠٠

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة مات أستاذ الدّار أبو الفتوح عبد اللَّه بن هبة اللَّه بن المظفّر ابن رئيس الرؤساء، و كان له صدقات، و معروف كثير، و مجالسة للفقراء.

و لما مات ولّى الخليفة ابنه الأكبر عضد الدين أبا الفرج محمّد بن عبد اللَّه ما كان إلى أبيه.

و توفّى عبد الرحمن بن عبد الصمد بن أحمد بن علىّ أبو القاسم الأكّاف النّيسابورى. كان زاهدا، عابدا، فقيها، مناظرا، و كان السلطان سنجر يزوره و يتبرّك بدعائه، و كان ربّما حجبه فلا يمكنه من الدخول إليه.

و فيها توفّى ثقة الدولة أبو الحسن علىّ بن محمّد الدّوينىّ، و كان يخدم أبا نصر أحمد بن الفرج الإبرىّ، فربّاه حتى قيل ابن الإبرى، و زوّجه ابنته شهدة الكاتبة، فقرّبه المقتفى لأمر اللّه، و وكّله فبنى مدرسة بباب الأزج.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٠١

٥٥٠ ثم دخلت سنة خمسين و خمسمائة

فى هذه السنة سار الخليفة المقتفى لأمر اللّه إلى دقوقا فحصرها و قاتل من بها، ثمّ رحل عنها لأنّه بلغه أنّ عسكر الموصل قد تجهّزوا للمسير لمنعه عنها، فرحل و لم يبلغ غرضا.

و فيها استولى شملة التّركمانىّ على خوزستان و كان قد جمع جمعا كثيرا من التركمان و سار يريد خوزستان، و صاحبه حينئذ ملك شاه بن محمّد، فسيّر الخليفة إليه عسكرا، فلقيهم شملة فى رجب، و قاتلهم، فانهزم عسكر الخليفة، و أسر وجوههم، ثمّ أحسن إليهم و أطلقهم، و أرسل يعتذر، فقبل عذره، و سار إلى خوزستان فملكها و أزاح عنها ملك شاه ابن السلطان محمود.

و فيها سار الغزّ إلى نيسابور، فملكوها بالسيف، فدخلوها و قتلوا «١» محمّد ابن يحيى الفقيه الشافعىّ «٢» و نحوا من ثلاثين ألفا، و كان السلطان سنجر له اسم السلطنة، و هو معتقل لا يلتفت إليه، حتى إنّه أراد كثيرا من الأيّام أن يركب، فلم يكن له من يحمل سلاحه، فشدّه على وسطه و ركب.

و كان إذا قدّم إليه طعام يدّخر منه ما يأكله وقتا آخر، خوفا من انقطاعه عنه، لتقصيرهم فى واجبه، و لأنّهم ليس هذا ممّا يعرفونه.

و فيها وثب قسوس الأرمن بمدينة آنى فأخذوها من الأمير شدّاد

---

(١). و قتلوا فيها و فيمن قتلوا B

(٢) tebahcih فيها odomiuq محمد ... الشافعىّ و. A. mo

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٠٢

و سلّموها إلى أخيه فضلون.

و فيها، فى ذى الحجّة، قتل الأتراك القارغليّة طمغاج خان بن محمد بما وراء النهر، و ألقوه فى الصحراء، و نسبوه إلى أشياء قبيحة، و كان مدّة ملكه مستضعفا غير مهيب.

و فيها توفّى أبو الفضل محمد بن ناصر بن علىّ البغدادىّ الحافظ الأديب و كان مشهورا بالفضل، و كان شافعيّا، و صار حنبليا مغاليا، و مولده سنة سبع و ستّين و أربعمائة فى شعبان، و كان موته أيضا فى شعبان.

و فيها كان بالعراق و ما جاوره من البلاد زلزلة كبيرة فى ذى الحجّة.

و فيها «١» توفّى يحيى الغسّانىّ النحوىّ الموصلىّ و كان فاضلا خيّرا، و تاج الدين أبو طاهر يحيى بن عبد اللّه بن القاسم الشّهرزورىّ، قاضى جزيرة ابن عمر «٢».

---

(١) aedni .mo .A فيها men ifsitipacdaeuqsu

(٢). و كان إماما فاضلا و كانت وفاته بالموصل. dda عمر B. tsop

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٠٣

۵۵۱ ثم دخلت سنة إحدى و خمسين و خمسمائة

اشارة

ذكر عصيان الجزائر و إفريقية على

ملك الفرنج بصقلّية و ما كان منهم

قد ذكرنا سنة ثمان و أربعين و خمسمائة موت رجّار ملك صقلّيّة و ملك ولده غليالم، و أنّه كان فاسد التدبير، فخرج من حكمه عدّة من حصون صقلّيّة.

فلمّا كان هذه السّنة قوى طمع النّاس فيه، فخرج عن طاعته جزيرة جربة و جزيرة قرقنّة «۱»، و أظهروا الخلاف عليه، و خالف عليه أهل إفريقية، فأوّل من أظهر الخلاف عليه عمر بن أبى الحسين الفرّيانىّ «۲» بمدينة سفاقس، و كان رجّار قد استعمل عليها، لما فتحها، أباه أبا الحسن، و كان من العلماء الصالحين، فأظهر العجز و الضعف و قال: استعمل ولدى، فاستعمله، و أخذ أباه رهينة إلى صقلّيّة.

فلمّا أراد المسير إليها قال لولده عمر: إنّنى كبير السنّ و قد قارب أجلى، فمتى أمكنتك الفرصة فى الخلاف على العدوّ فافعل، و لا تراقبهم، و لا تنظر فى أنّنى أقتل و أحسب أنّى قد متّ، فلمّا وجد هذه الفرصة دعا أهل المدينة إلى الخلاف و قال: يطلع جماعة منكم إلى السور، و جماعة يقصدون مساكن الفرنج و النصارى جميعهم، و يقتلونهم كلّهم. فقالوا له: إنّ سيّدنا

---

(۱) قرقنّة.B

(۲). الحسن العريانى.A

الشيخ والدك نخاف عليه. قال: هو أمرنى بهذا، و إذا قتل بالشيخ ألوف من الأعداء فما مات، فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم، و كان ذلك أوّل سنة إحدى و خمسين و خمسمائة.

ثمّ اتّبعه أبو محمد بن مطروح بطرابلس و بعدهما محمّد بن رشيد بقابس، و سار عسكر عبد المؤمن إلى بونّة فملكها و خرج جميع إفريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهديّة وسوسة.

و أرسل عمر بن [أبى] الحسين «۱» إلى زويلة، و هى مدينة بينها و بين المهديّة نحو ميدان، يحرّضهم على الوثوب على من معهم فيها من النصارى، ففعلوا ذلك، و قدم عرب البلاد إلى زويلة، فأعانوا أهلها على من بالمهديّة من الفرنج، و قطعوا الميرة عن المهديّة.

فلمّا اتّصل الخبر بغليالم ملك صقلّيّة أحضر أبا الحسين و عرّفه ما عمل ابنه، فأمره أن يكتب إليه ينهاه عن [۱] ذلك، و يأمره بالعود إلى طاعته، و يخوّفه عاقبة فعله، فقال: من قدم على هذا لا يرجع بكتاب، فأرسل ملك صقلّيّة إليه رسولا يتهدّده، و يأمره بترك ما ارتكبه، فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك، فلمّا كان الغد خرج أهل البلد جميعهم و معهم جنازة، و الرسول يشاهدهم، فدفنوها و عادوا، و أرسل عمر إلى الرسول يقول له:

هذا أبى قد دفنته، و قد جلست للعزاء به، فاصنعوا به ما أردتم.

فعاد الرسول إلى غليالم فأخبره بما صنع عمر بن أبى الحسين، فأخذ أباه و صلبه، فلم يزل يذكر اللّه تعالى حتى مات.

---

[۱]- من.

(۱). أبى الحسن.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۰۵

و أمّا أهل زويلة فإنّهم كثر جمعهم بالعرب و أهل سفاقس و غيرهم، فحصروا المهديّة و ضيّقوا عليها، و كانت الأقوات بالمهديّة قليلة، فسيّر إليهم صاحب صقلّيّة عشرين شيتيّا فيها الرجال و الطعام و السلاح، فدخلوا البلد، و أرسلوا إلى العرب و بذلوا لهم مالا لينهزموا، و خرجوا من الغد، فاقتتلوا هم و أهل زويلة، فانهزمت العرب، و بقى أهل زويلة و أهل سفاقس يقاتلون الفرنج بظاهر البلد و أحاط بهم الفرنج فانهزم أهل سفاقس و ركبوا فى البحر فنجوا، و بقى أهل زويلة، فحمل عليهم الفرنج «۱» فانهزموا إلى زويلة، فوجدوا أبوابها مغلقة، فقاتلوا تحت السور، و صبروا حتى قتل أكثرهم و لم ينج إلّا القليل فتفرّقوا، و مضى بعضهم إلى عبد المؤمن.

فلمّا قتلوا هرب من بها من الحرم و الصبيان و الشيوخ فى البرّ، و لم يعرّجوا على شىء من أموالهم، و دخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء و الأطفال، و نهبوا الأموال، و استقرّ الفرنج بالمهديّة إلى أن أخذها منهم عبد المؤمن على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

ذكر القبض على سليمان شاه و حبسه بالموصل

فى هذه السنة قبض زين الدين علىّ كوجك نائب قطب الدين مودود ابن زنكى بن آقسنقر، صاحب الموصل، على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمّد بن ملك شاه، و كان سليمان شاه عند عمّه السلطان سنجر قديما، و قد جعله و ولىّ عهده، و خطب له فى منابر خراسان، فلمّا جرى لسنجر مع الغزّ ما ذكرناه، و تقدّم على عسكر خراسان، و ضعفوا عن الغزّ، مضى إلى

---

(۱). السورdaeuqsuالفرنجA. aedni .mo

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۰۶

خوارزم شاه فزوّجه ابنة أخيه أقسيس، ثمّ بلغه عنه ما كرهه فأبعده، فجاء إلى أصفهان فمنعه شحنتها من الدخول، فمضى إلى قاشان، فسيّر إليه محمّد شاه ابن «۱» أخيه محمود بن محمّد عسكرا أبعدوه عنها، فسار إلى خوزستان، فمنعه ملك شاه عنها، فقصد اللّحف و نزل البندنيجين، و أرسل رسولا إلى الخليفة المقتفى يعلمه بوصوله، و تردّدت الرسل بينهما، إلى أن استقرّ الأمر على أن يرسل زوجته تكون رهينة، فأرسلها إلى بغداد و معها كثير من الجوارى و الأتباع، و قال: قد أرسلت هؤلاء رهائن، فإن أذن أمير المؤمنين فى دخول بغداد فعلت و إلّا رجعت.

فأكرم الخليفة زوجته و من معها، و أذن له فى القدوم إليه، فقدم و معه عسكر خفيف يبلغون ثلاثمائة رجل، فخرج ولد الوزير ابن هبيرة يلتقيه، و معه قاضى القضاة و النقيبان، و لم يترجّل له ابن الوزير، و دخل بغداد و على رأسه الشمسة، و خلع عليه الخليفة، و أقام ببغداد إلى أن دخل المحرّم من سنة إحدى و خمسين و خمسمائة فأحضر فيه سليمان شاه إلى دار الخليفة، و أحضر قاضى القضاة و الشهود و أعيان العبّاسيّين، و حلف للخليفة على النصح و الموافقة و لزوم الطاعة، و أنّه لا يتعرّض إلى العراق بحال.

فلمّا حلف خطب له ببغداد و لقّب ألقاب أبيه غياث الدنيا و الدين و باقى ألقابه، و خلع عليه خلع السلطنة، و سيّر معه من [عسكر] بغداد ثلاثة آلاف فارس، و جعل الأمير قويدان «۲» صاحب الحلّة أمير حاجب معه، و سار نحو بلاد الجبل فى ربيع الأوّل، و سار الخليفة إلى حلوان، و أرسل إلى ملك شاه ابن السلطان محمود أخى السلطان محمّد «۳» صاحب همذان و غيرها يدعوه إلى موافقته، فقدم فى ألفى فارس، فحلف كلّ منهما لصاحبه و جعل ملك شاه ولىّ عهد

---

(۱). mo محمدdaeuqsu ابنedni a

(٢). قوبران:spUقويدان. ٧۴٠.C.P

(٣) الملك محمد.A

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٠٧

سليمان شاه، و قواهما الخليفة بالمال و الأسلحة و غيرها، فساروا و اجتمعوا هم و إيلدكز، فصاروا فى جمع كبير.

فلمّا سمع السلطان محمّد «١» خبرهم أرسل إلى قطب الدين مودود، صاحب الموصل، و نائبة زين الدين يطلب منهما المساعدة و المعاضدة، و يبذل لهما البذول الكثيرة إن ظفر، فأجاباه إلى ذلك و وافقا، فقويت نفسه و سار إلى لقاء سليمان شاه و من اجتمع معه من عساكره، و وقعت الحرب بينهم فى جمادى الأولى، و اشتدّ القتال بين الفريقين، فانهزم سليمان شاه و من معه، و تشتّت العسكر و وصل من عسكر الخليفة، و كانوا ثلاثة آلاف رجل، نحو من خمسين رجلا، و لم يقتل منهم أحد، و إنّما أخذت خيولهم و أموالهم، و تشتّتوا، و جاءوا متفرّقين.

و فارق سليمان شاه إيلدكز و سار نحو بغداد على شهرزور، فخرج إليه زين الدين علىّ فى جماعة من عسكر الموصل، و كان بشهرزور الأمير بزّان مقطعا لها من جهة زين الدين، فخرج زين الدين و سار، فوقفا على «٢» طريق سليمان شاه، فأخذاه أسيرا، و حمله زين الدين إلى قلعة الموصل و حبسه بها مكرّما محترما، إلى أن كان من أمره ما نذكره سنة خمس و خمسين [و خمسمائة] إن شاء اللَّه، فلمّا قبض سليمان شاه أرسل زين الدين إلى السلطان محمود «٣» يعرّفه ذلك، و وعده المعاضدة على كلّ ما يريده منه.

---

(١) الملك محمد.A

(٢) فوقها على.A

(٣). السلطان محمد.B

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٠٨

ذكر حصر نور الدين قلعة حارم

فى هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكى إلى قلعة حارم، و هى للفرنج، ثمّ لبيمند، صاحب أنطاكية، و هى تقارب أنطاكية من شرقيها، و حصرها و ضيّق على أهلها، و هى قلعة منيعة فى نحور المسلمين، فاجتمعت الفرنج من قرب منها و من بعد، و ساروا نحوه ليرحّلوه عنها.

و كان بالحصن شيطان من شياطينهم يعرفون عقله و يرجعون إلى رأيه، فأرسل إليهم يقول: إنّنا نقدر «١» على حفظ القلعة، و ليس بنا ضعف، فلا تخاطروا أنتم باللّقاء، فإنّه إن هزمكم أخذها و غيرها، و الرأى مطاولته، فأرسلوا إليه و صالحوه على أن يعطوه نصف أعمال حارم، فاصطلحوا على ذلك، و رحل عنهم، فقال بعض الشعراء «٢»:

ألبست دين محمّد يا نورهعزّا له فوق السّها آساد

ما زلت تشمله بميّاد القناحتى تشقّف عوده الميّاد

لم يبق مذ أرهفت عزمك دونهعدد يراع به، و لا استعداد

إنّ المنابر لو تطيق تكلّما «٣»حمدتك عن خطبائها الأعواد

ملق بأطراف القريحة «۴»كلكلاطرفاه ضرب صادق و جلاد

حاموا فلمّا عاينوا خوض الرّدى [١]حاموا فرائس كيدهم أو كادوا

و رأى البرنس و قد تبرنس ذلّةحزما لحارم و المصاد مصاد

[١]- الردا

(١) إننا نعذرA

(٢). يذكر ذلكB. الشعراءة بذلك من قصيدة لهA

(٣) تطيق بكلماA

(۴) بأطراف الفرنحيهB

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٠٩ من منكر أن ينسف السيل الرّبىو أبوه ذاك العارض المدّاد

أو أن يعيد الشّمس كاسفة السّنانار لها ذاك الشّهاب زناد

لا ينفع الآباء ما سمكوا «١»منالعلياء حتى يرفع «٢» الأولاد و هى طويلة.

ذكر وفاة خوارزم شاه أتسز و غيره من الملوك

فى هذه السنة، تاسع جمادى الآخرة، توفّى خوارزم شاه أتسز بن محمّد ابن أنوشتكين، و كان قد أصابه فالج، فتعالج منه، فلم يبرأ، فاستعمل أدوية شديدة الحرارة بغير أمر الأطباء، فاشتدّ مرضه، و ضعفت قوّته، فتوفّى. و كان يقول عند الموت: ما أَغْنى عَنِّى مالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّى سُلْطانِيَهْ. و كانت ولادته فى رجب سنة تسعين و أربعمائة.

و لما توفّى ملك بعده ابنه أرسلان، فقتل نفرا من أعمامه، و سمل أخا له فمات بعد ثلاثة أيّام، و قيل بل قتل نفسه.

و أرسل إلى السلطان سنجر، و كان «٣» قد هرب من أسر الغزّ، على ما نذكره، ببذل الطاعة و الانقياد، فكتب له منشورا بولاية خوارزم، و سيّر الخلع له فى رمضان، فبقى فى ولايته ساكنا آمنا.

و كان أتسز حسن السيرة، كافّا عن أموال رعيّته، منصفا لهم محبوبا إليهم، مؤثرا للإحسان و الخير إليهم، و كان الرعيّة معه بين أمن غامر و عدل شامل.

و فى سابع عشر الشهر المذكور توفّى أبو الفوارس بن محمّد بن أرسلان

(١). سلكوا:spU. ٠۴٧te .P .C

(٢). ترفع:spU. ٠۴٧te .P .C

(٣).V. qs .mo .A نذكرهdaeuqsuو كانaednI

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢١٠

شاه ملك كرمان، و ملك بعده ابنه سلجوق شاه.

و فيها توفّى الملك مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش، صاحب قونية و ما يجاورها من بلاد الروم، و ملك بعده ابنه قلج أرسلان.

ذكر هرب السلطان سنجر من الغزّ

فى هذه السنة، فى رمضان، هرب السلطان سنجر بن ملك شاه من أسر الغزّ هو و جماعة من الأمراء الذين معه، و سار إلى قلعة ترمذ، و استظهر بها على الغزّ، و كان خوارزم شاه أتسز بن محمّد بن أنوشتكين، و الخاقان محمود بن محمّد، يقصدان الغزّ فيقاتلانهم فيمن

معهما، فكانت الحرب بينهم سجالا، و غلب كلّ واحد من الغزّ و الخراسانيّين على ناحية من خراسان، فهو يأكل دخلها، لا رأس لهم يجمعهم.

و سار السلطان سنجر من ترمذ إلى جيحون يريد العبور إلى خراسان، فاتّفق أنّ مقدّم الأتراك القارغليّة «١»، اسمه عليّ بك، توفّى، و كان أشدّ شيء [على] السلطان سنجر و على غيره، كثير الشرّ و الفساد و إثارة الفتن، فلمّا توفّى أقبلت القارغليّة «٢» إلى السلطان سنجر، و كذلك غيرهم من سائر الأمم من أقاصى البلاد و أدانيها، و عاد إلى دار ملكه بمرو فى رمضان، فكانت مدّة أسره مع الغزّ من سادس جمادى الأولى سنة ثمان و أربعين إلى رمضان سنة إحدى و خمسين و خمسمائة.

(١- ٢). القارلغية.A

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢١١

ذكر البيعة لمحمّد بن عبد المؤمن بولاية عهد أبيه

فى هذه السنة أمر عبد المؤمن بالبيعة لولده محمّد بولاية عهده، و كان الشرط و القاعدة بين عبد المؤمن و بين عمر هنتاتى أن يلى عمر الأمر بعد عبد المؤمن، فلمّا تمكّن عبد المؤمن من الملك و كثر أولاده أحبّ أن ينقل الملك إليهم، فأحضر أمراء العرب من هلال و رغبة و عبدىّ و غيرهم إليه و وصلهم و أحسن إليهم، و وضع عليهم من يقول لهم ليطلبوا من عبد المؤمن، و يقولوا له: نريد أن تجعل لنا ولىّ عهد من ولدك يرجع النّاس إليه بعدك، ففعلوا ذلك، فلم يجبهم إكراما لعمر هنتاتى لعلوّ منزلته فى الموحّدين، و قال لهم: إنّ الأمر لأبى حفص عمر، فلمّا علم عمر ذلك خاف على نفسه، فحضر عند عبد المؤمن و أجاب إلى خلع نفسه، فحينئذ بويع لمحمّد بولاية العهد، و كتب إلى جميع بلاده بذلك، و خطب له فيها جميعها، فأخرج عبد المؤمن فى ذلك اليوم من الأموال شيئا كثيرا.

ذكر استعمال عبد المؤمن أولاده على البلاد

فى هذه السنة استعمل عبد المؤمن أولاده على البلاد، فاستعمل ولده أبا محمّد عبد اللّه على بجاية و أعمالها، و استعمل ابنه أبا الحسن عليّا على فاس و أعمالها، و استعمل ابنه أبا حفص عمر على مدينة تلمسان و أعمالها، و ولّى ابنه أبا سعيد سبتة و الجزيرة الخضراء و مالقة، و كذلك غيرهم.

و لقد سلك فى استعمالهم طريقا عجيبا، و ذلك أنّه كان قد استعمل على البلاد شيوخ الموحّدين المشهورين من أصحاب المهدىّ محمّد بن تومرت،

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢١٢

و كان يتعذّر عليه أن يعزلهم، فأخذ أولادهم، و تركهم عنده يشتغلون فى العلوم، فلمّا مهروا فيها و صاروا يقتدى بهم قال لآبائهم: إنّى أريد أن تكونوا عندى أستعين بكم على ما أنا بصدده، و يكون أولادكم فى الأعمال لأنّهم علماء فقهاء «١»، فأجابوا إلى ذلك و هم فرحون مسرورون، فولّى أولادهم «٢» ثمّ وضع عليهم بعضهم ممّن يعتمد عليه، فقال لهم: إنّى أرى أمرا عظيما قد فعلتموه، فارقتم فيه الحزم و الأدب. فقالوا: و ما هو؟ فقال: أولادكم فى الأعمال، و أولاد أمير المؤمنين ليس لهم منها شيء مع ما فيهم من العلم و حسن السياسة، و إنّى أخاف أن ينظر فى هذا فتسقط منزلتكم عنده، فعلموا صدق القائل، فحضروا عند عبد المؤمن و قالوا: نحبّ أن تستعمل على البلاد السادة أولادك. فقال: لا أفعل، فلم يزالوا به حتى فعل ذلك بسؤالهم.

ذكر حصر السلطان محمّد بغداد

فى هذه السنة، فى ذى الحجّة، حصر السلطان محمّد بغداد، و سبب ذلك أنّ السلطان محمّد بن محمود كان قد أرسل إلى الخليفة يطلب أن يخطب له ببغداد و العراق، فامتنع الخليفة من إجابته إلى ذلك، فسار من همذان فى عساكر كثيرة نحو العراق، و وعده أتابك قطب الدين، صاحب الموصل، و نائبة زين الدين علىّ بإرسال العساكر إليه نجدة له على حصر بغداد، فقدم العراق فى ذى الحجّة سنة إحدى و خمسين [و خمسمائة]، و اضطرب النّاس ببغداد، و أرسل الخليفة يجمع العساكر فأقبل خطلبرس من واسط و عصى [۱]

---

[۱]- و عصا.

---

(۱). لأنهم ... فقهاء.A. mo

(۲). فولى أولادهم.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۱۳

أرغش، صاحب البصرة، و أخذ واسط، و رحل مهلهل إلى الحلّة فأخذها، و اهتمّ الخليفة و عون الدين بن هبيرة بأمر الحصار، و جمع جميع السفن و قطع الجسر و جعل الجميع تحت التاج، و نودى، منتصف المحرّم سنة اثنتين و خمسين [و خمسمائة]، أن لا يقيم أحد بالجانب الغربىّ، فأجفل النّاس و أهل السواد، و نقلت الأموال إلى حريم دار الخلافة، و خرّب الخليفة قصر عيسى و المربّعة و القريّة و المستجدّة و النّجمىّ، و نهب أصحابه ما وجدوا، و خرّب أصحاب محمّد شاه نهر القلّابين، و التّوتة «۱»، و شارع ابن رزق اللّه و باب الميدان و قطفتا.

و أمّا أهل الكرخ و أهل باب البصرة فإنّهم خرجوا إلى عسكر محمّد، و كسبوا معهم أموالا كثيرة.

و عبر السلطان محمّد فوق حربى إلى الجانب الغربىّ، و نهبت أوانا، و اتّصل به زين الدين هناك، و ساروا، فنزل محمّد شاه عند الرملة، و فرّق الخليفة السلاح على الجند و العامّة، و نصب المجانيق و العرّادات.

فلمّا كان فى العشرين من المحرّم ركب عسكر محمّد شاه «۲» و زين الدين علىّ، و وقفوا عند الرّقّة، و رموا بالنشاب إلى ناحية التاج، فعبر إليهم عامّة بغداد فقاتلوهم، و رموهم بالنّفط و غيره، ثمّ جرى بينهم عدّة حروب.

و فى ثالث صفر عاودوا القتال، و اشتدّت الحرب، و عبر كثير من أهل بغداد سباحة و فى السفن، فقتلوا، و كان يوما مشهودا.

و لم تزل الحرب بينهم كلّ وقت، و عمل الجسر على دجلة و عبر عليه أكثر العسكر إلى الجانب الشرقىّ، و صار القتال فى الجانبين، و بقى زين الدين

---

(۱). العلابين و التونه:spUالقلابين و التوتة: ۷۴۰ القابين و التوتة:C. P

(۲). شاه فى جموعهم و وقفوا.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۱۴

فى الجانب الغربى، و أمر الخليفة فنودى: كلّ من جرح فله خمسة دنانير، فكان كلّما جرح إنسان يحضر عند الوزير فيعطيه خمسة دنانير، فاتّفق أنّ بعض العامّة جرح جرحا ليس بكبير، فحضر يطلب الدنانير. فقال له الوزير: ليس هذا الجرح بشىء، فعاود القتال، فضرب، فانشقّ جوفه و خرج شىء من شحمة، فحمل إلى الوزير فقال: يا مولانا الوزير أ يرضيك هذا؟ فضحك منه، و أضعف له، و رتّب له من يعالج جراحته إلى أن برىء.

و تعذّرت الأقوات فى العسكر إلّا أنّ اللحم و الفواكه و الخضر كثيرة، و كانت الغلّات ببغداد كثيرة لأنّ الوزير كان يفرّقها فى الجند عوض الدنانير فيبيعونها، فلم تزل الأسعار عندهم رخيصة، إلّا أنّ اللحم و الفاكهة و الخضر قليلة عندهم.

و اشتدّ الحصار على أهل بغداد لانقطاع الموادّ عنهم و عدم المعيشة لأهلها، و كان زين الدين و عسكر الموصل غير مجدّين فى القتال لأجل الخليفة و المسلمين، و قيل لأنّ نور الدين محمود بن زنكى، و هو أخو قطب الدين، صاحب الموصل الأكبر، أرسل إلى زين الدين يلومه على قتال الخليفة، ففتر و أقصر.

و لم تزل الحرب فى أكثر الأيّام «۱»، و عمل السلطان محمّد أربعمائة سلّم ليصعد الرجال فيها إلى السور، و زحفوا، و قاتلوا، ففتح أهل بغداد أبواب البلد و قالوا: أىّ حاجة بكم إلى السلاليم؟ هذه الأبواب مفتّحة فادخلوا منها، فلم يقدروا على أن يقربوها. فبينما الأمر على ذلك إذ وصل الخبر إلى السلطان محمّد أنّ أخاه ملك شاه و إيلدكز، صاحب بلاد أرّان «۲»، و معه الملك أرسلان ابن الملك طغرل بن محمّد، و هو ابن امرأة إيلدكز، قد دخلوا همذان و استولوا عليها، و أخذوا أهل الأمراء الذين مع محمّد شاه و أموالهم،

---

(۱) و لم ... الأيام.A mo

(۲). أران و أذربيجانA

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۱۵

فلمّا سمع محمّد شاه ذلك جدّ فى القتال لعلّه يبلغ غرضا، فلم يقدر على شىء و رحل عنها نحو همذان فى الرابع و العشرين من ربيع الأوّل سنة اثنتين و خمسين و خمسمائة.

و عاد زين الدين إلى الموصل، و تفرّق ذلك الجمع على عزم العود إذا فرغ محمّد شاه من إصلاح بلاده، فلم يعودوا يجتمعون، و فى كثرة حروبهم لم يقتل بينهم إلّا نفر يسير، و إنّما الجراح كانت كثيرة [۱]، و لما ساروا نهبوا بعقوبا و غيرها من طريق خراسان.

و لما رحل العسكر من بغداد أصاب أهلها أمراض شديدة حادّة، و موت كثير للشدّة التى مرت بهم، و أمّا ملك شاه و إيلدكز و من معهما فإنّهم ساروا من همذان إلى الرّىّ، فخرج إليهم إينانج شحنتها و قاتلهم فهزموه، فأنفذ السلطان محمّد الأمير سقمس بن قيماز الحرامىّ «۱» فى عسكر نجدة لإينانج، فسار سقمس، و كان إيلدكز و ملك شاه و من معهما قد عادوا من الرىّ يريدون محاصرة الخليفة، فلقيهم سقمس و قاتلهم، فهزموه و نهبوا عسكره و أثقالهم، فاحتاج السلطان محمّد إلى الإسراع، فسار، فلمّا بلغ حلوان بلغه أن إيلدكز بالدّينور، و أتاه رسول من نائبة إينانج أنّه دخل همذان، و أعاد الخطبة له فيها، فقويت نفسه و هرب شملة، صاحب خوزستان، إلى بلاده، و تفرّق أكثر جمع إيلدكز و ملك شاه، و بقيا فى خمسة آلاف فارس، فعادا إلى بلادهما شبه الهارب.

و لما رحل محمّد شاه إلى همذان أراد التجهّز لقصد بلاد إيلدكز، فابتدأ به مرض السلّ، و بقى به إلى أن مات.

---

[۱]- كان كثيرا

---

(۱). سقمس daeuqsuو كان aednIقيماز الخرابى.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۱۶

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى ربيع الأوّل، أطلق أبو البدر ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريت، و لما قدم بغداد خرج أخوه و الموكب يتلقونه [۱]، و كان يوما مشهودا، و كان مقامه فى الحبس يزيد على ثلاث سنين.

و فيها احترقت بغداد فى ربيع الآخر، و كثر الحريق بها، و احترق درب فراشا، و درب الدوابّ، و درب اللّبان، و خرابة ابن حربة «۱»، و الظّفريّة، و الخاتونيّة، و دار الخلافة، و باب الأزج، و سوق السلطان و غير ذلك.

و فيها، فى شوّال، قصد الإسماعيليّة طبس «۲» بخراسان، فأوقعوا بها وقعة عظيمة، و أسروا جماعة من أعيان دولة السلطان، و نهبوا أموالهم و دوابّهم و قتلوا فيهم.

و فيها، فى ذى القعدة، توفّى شيخ الإسلام أبو المعالى الحسن بن عبيد اللَّه بن أحمد بن محمّد المعروف بابن الرزّاز بنيسابور، و هو من أعيان الأفاضل.

و فى هذه السنة توفّى مريد الدين بن نيسان رئيس آمد و الحاكم فيها على صاحبها، و ولى ما كان إليه بعده ابنه كمال الدين أبو القاسم.

و توفّى أبو الحسن علىّ بن الحسين الغزنوىّ، الواعظ المشهور، ببغداد، و كان قدم إليها سنة ستّ عشرة و خمسمائة، و كان له قبول عظيم عند السلاطين و العامة و الخلفاء، إلّا أنّ المقتفى أعرض عنه بعد موت السلطان مسعود لإقبال

---

[۱]- يستلقونه.

---

(۱) حرده.Bابن جرده.A

(۲) طبسن ۴۵۳.pIloVisirdErfC

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۱۷

السلطان عليه، و كان موته فى المحرّم.

و توفّى أبو الحسن بن الخلّ الفقيه الشافعىّ، شيخ الشافعيّة ببغداد، و هو من أصحاب أبى بكر الشاشى، و جمع بين العلم و العمل، و كان يؤمّ بالخليفة فى الصلاة.

و توفّى ابن الآمدىّ الشاعر، و هو من أهل النيل «۱» من أعيان الشعراء فى طبقة الغزّىّ و الأرّجانىّ، و كان عمره قد زاد على تسعين سنة.

و فيها قتل مظفّر بن حمّاد بن أبى الخير «۲» صاحب البطيحة، قتله نفيس ابن فضل بن أبى الخير «۳» فى الحمّام، و ولى ابنه بعده.

و فيها توفّى الوأواء الحلبىّ الشاعر المشهور.

و فيها، فى رمضان، توفّى الحكيم أبو جعفر بن محمّد البخارىّ بأسفرايين، و كان صاحب معرفة بعلوم الحكماء الأوائل.

---

(۱) أهل النبل.A

(۲- ۳) أبى الحبرA

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۱۸

۵۵۲ ثم دخلت سنة اثنتين و خمسين و خمسمائة

ذكر الزلازل بالشام

فى هذه السنة، فى رجب، كان بالشام زلازل كثيرة قويّة خرّبت كثيرا من البلاد، و هلك فيها ما لا يحصى كثرة، فخرب منها بالمرّة

حماة و شيزر و كفرطاب و المعرّة و أفامية و حمص و حصن الأكراد و عرقة و اللاذقيّة، و طرابلس و أنطاكية.

و أمّا ما لم يكثر فيه الخراب و لكن خرب أكثره فجميع الشام، و تهدّمت أسوار البلاد و القلاع، فقام نور الدين محمود فى ذلك المقام المرضى، و خاف على بلاد الإسلام من الفرنج حيث خربت الأسوار، فجمع عساكره و أقام بأطراف بلاده يغير على بلاد الفرنج و يعمل فى الأسوار فى سائر البلاد، فلم يزل كذلك حتى فرغ من جميع أسوار البلاد.

و أمّا كثرة القتلى، فيكفى فيه أنّ معلّما كان بالمدينة، و هى مدينة حماة، ذكر أنّه فارق المكتب لمهمّ عرض له فجاءت الزلزلة فخرّبت البلد، و سقط المكتب على الصبيان جميعهم. قال المعلّم: فلم يأت أحد يسأل عن صبى كان له

.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۱۹

ذكر ملك نور الدين حصن شيزر

نبتدئ بذكر هذا الحصن، و لم كان قبل أن يملكه نور الدين محمود بن زنكى، فنقول: هذا الحصن قريب من حماة، بينهما نصف نهار، و هو على جبل عال منيع لا يسلك إليه إلّا من طريق واحدة. و كان لآل منقذ الكنانيّين يتوارثونه من أيّام صالح بن مرداس إلى أن انتهى الأمر إلى أبى المرهف نصر بن علىّ بن المقلّد بعد أبيه أبى الحسن علىّ، فبقى (بيده إلى أن مات سنة إحدى و تسعين و أربعمائة، و كان شجاعا كريما، فلمّا حضره الموت استخلف أخاه أبا سلامة مرشد بن علىّ، فقال: و اللّه لا وليته و لأخرجنّ من الدنيا كما دخلتها.

و كان عالما بالقرآن و الأدب، و هو والد مؤيّد الدولة أسامة بن منقذ، فولّاها أخاه الأصغر سلطان بن علىّ، و اصطحبا أجمل صحبة مدّة من الزمان، فأولد مرشد عدّة أولاد ذكور، و كبروا و سادوا، منهم: عزّ الدولة أبو الحسن علىّ، و مؤيّد الدولة أسامة و غيرهما، و لم يولد لأخيه سلطان ولد ذكر إلى أن كبر فجاءه أولاد ذكور، فحسد أخاه على ذلك، و خاف أولاد أخيه على أولاده، و سعى بينهم المفسدون فغيّروا كلّا منهما على أخيه، فكتب سلطان إلى أخيه مرشد أبيات شعر يعاتبه على أشياء بلغته عنه، فأجابه بشعر فى معناه رأيت إثبات ما تمسّ الحاجة إليه منه، و هى هذه الأبيات:

ظلوم أبت فى الظّلم إلّا تماديا و فى الصّدّ و الهجران إلّا تناهيا

شكت هجرنا و الذّنب فى ذاك ذنبها «۱»يا عجبا من ظالم جاء شاكيا

و طاوعت الواشين فىّ و طالماعصيت عذولا فى هواها و واشيا

---

(۱). فى الهجر ذنبها.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۲۰ و مال بها تيه الجمال إلى القلىو هيهات أن أمسى لها الدّهر قاليا

و لا ناسيا ما أودعت من عهودهاو إن هى أبدت جفوة و تناسيا

و لمّا أتانى من قريضك «۱»جوهرجمعت المعالى فيه لى و المعانيا

و كنت هجرت الشّعر حينا لأنّهتولّى برغمى حين ولّى شبابيا

و أين من السّتّين لفظ مفوّقإذا رمت أدنى القول منه عصانيا

و قلت: أخى يرعى بنىّ و أسرتىو يحفظ عهدى فيهم و ذماميا

و يجزيهم ما لم أكلفه فعلهلنفسى فقد أعددته من تراثيا

فما لك لمّا أن حتى الدّهر صعدتىو ثلّم منى صارما كان ماضيا

تنكرت حتى صار برّك قسوةو قربك منهم جفوة و تنابيا

و أصبحت صفر الكفّ ممّا رجوتهأرى اليأس قد عفّى سبيل رجائيا

على أنّنى ما حلت عمّا عهدتهو لا غيّرت هذى السّنون ودياديا

فلا غرو عند الحادثات، فإنّنىأراك يمينى و الأنام شماليا

تحلّ بها «٢»عذراء لو قرنت بهانجوم السّماء لم تعدّ درارياتحلّت بدرّ من صفاتك زانهاكما زان منظوم اللآلى الغوانيا

و عش بانيا للمجد ما كان واهيامشيدا من الإحسان ما كان هاويا و كان الأمر بينهما فيه تماسك، فلمّا توفّى مرشد سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة قلب أخوه لأولاده ظهر المجنّ، و بادأهم بما يسوءهم، و أخرجهم من شيزر، فتفرّقوا، و قصد أكثرهم نور الدين و شكوا إليه ما لقوا من عمّهم، فغاظه ذلك، و لم يمكنه قصده و الأخذ بثأرهم و إعادتهم إلى وطنهم لاشتغاله بجهاد الفرنج، و لخوفه أن يسلّم شيزر إلى الفرنج.

---

(١) قريضكB

(٢) تهن بهاBتهن عذاءPC. spU

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٢١

ثمّ توفّى سلطان و بقى بعده أولاده، فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج، فاشتدّ حنقه عليهم، و انتظر فرصة تمكنه، فلمّا خربت القلعة هذه السنة بما ذكرناه من الزلزلة لم ينج من بنى منقذ الذين بها أحد.

و سبب هلاكهم أجمعين أنّ صاحبها منهم كان قد ختن ولدا له، و عمل دعوة للنّاس، و أحضر جميع بنى منقذ عنده فى داره، و كان له فرس يحبّه، و يكاد لا يفارقه، و إذا كان فى مجلس أقيم الفرس على بابه. و كان المهر فى ذلك اليوم على باب الدار فجاءت الزلزلة، فقام النّاس ليخرجوا من الدار، فلمّا وصلوا مجفلين إلى الباب ليخرجوا من الدار رمح الفرس رجلا كان أوّلهم فقتله، و امتنع النّاس من الخروج، فسقطت الدار عليهم كلّهم، و خربت القلعة و سقط سورها و كلّ بناء فيها، و لم ينج منها إلّا الشريد، فبادر إليها بعض أمرائه، و كان بالقرب منها، فملكها و تسلّمها نور الدين منه، فملكها و عمّر أسوارها و دورها، و أعادها جديدة.

ذكر وفاة الدّبيسىّ صاحب جزيرة ابن عمر و استيلاء قطب الدين مودود على الجزيرة

كانت الجزيرة لأتابك زنكى، فلمّا قتل سنة إحدى و أربعين [و خمسمائة] أقطعها ابنه سيف الدين غازى للأمير أبى بكر الدّبيسىّ، و كان من أكابر أمراء والده، فبقيت بيده إلى الآن، و تمكّن منها و صار بحيث يتعذّر على قطب الدين أخذها منه، فمات فى ذى الحجّة سنة إحدى و خمسين، و لم يخلّف ولدا، فاستولى عليها مملوك له اسمه غلبك، و أطاعه جندها، فحصرهم مودود ثلاثة أشهر ثمّ تسلّمها من غلبك فى صفر من سنة ثلاث و خمسين، و أعطاه عوضها إقطاعا كثيرا

.

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٢٢

ذكر وفاة السلطان سنجر

فى هذه السنة، فى ربيع الأوّل، توفّى السلطان سنجر بن ملك شاه بن ألب أرسلان، أبو الحرث، أصابه قولنج، ثمّ بعده إسهال، فمات منه.

و مولده سنجار، من ديار الجزيرة، فى رجب سنة تسع و سبعين و أربعمائة، و سكن خراسان، و استوطن مدينة مرو، و دخل بغداد مع أخيه السلطان محمّد، و اجتمع معه بالخليفة المستظهر باللَّه، فعهد إلى محمّد بالسلطنة و جعل سنجر وليّ عهد.

فلمّا مات محمّد خوطب سنجر بالسلطان، و استقام أمره، و أطاعه السلاطين و خطب له على أكثر منابر الإسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة، و كان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة، و لم يزل أمره عاليا و جدّه متراقيا إلى أن أسره الغزّ على ما ذكرناه، ثمّ إنّه خلص بعد مدّة و جمع إليه أطرافه بمرو، و كاد [۱] يعود إليه ملكه، فأدركه أجله. و كان مهيبا كريما رفيقا بالرعيّة، و كانت البلاد فى زمانه آمنة.

و لما مات دفن فى قبّة بناها لنفسه سمّاها دار الآخرة، و لما وصل خبر موته إلى بغداد قطعت خطبته، و لم يجلس له فى الديوان للعزاء «۱» و لمّا حضر السلطان سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود بن محمّد بن بغراخان و هو ابن أخت السلطان سنجر، فأقام بها خائفا من الغزّ، فقصد جرجان يستظهر بها، و عاد الغزّ إلى مرو و خراسان، و اجتمع طائفة

---

[۱] و كان.

---

(۱). فى العزاء.B. بالعزاء.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۲۳

من عساكر خراسان على أى أبه المؤيّد، فاستولى على طرف من خراسان، و بقيت خراسان على هذا الاختلال إلى سنة أربع و خمسين [و خمسمائة].

و أرسل الغزّ إلى الملك محمود بن محمّد و سألوه أن يحضر عندهم ليملّكوه عليهم، فلم يثق بهم [۱] و خافهم على نفسه، فأرسل ابنه إليهم فأطاعوه مديدة ثمّ لحق بهم الملك محمود على ما نذكره سنة ثلاث و خمسين [و خمسمائة].

ذكر ملك المسلمين مدينة المريّة و انقراض دولة الملثّمين بالأندلس

فى هذه السنة انقرضت دولة الملثّمين بالأندلس، و ملك أصحاب عبد المؤمن مدينة المريّة من الفرنج.

و سبب ذلك أنّ عبد المؤمن لمّا استعمل ابنه أبا سعيد على الجزيرة الخضراء و مالقة عبر أبو سعيد البحر إلى مالقة، و اتّخذها دارا، و كاتبه ميمون بن بدر اللّمتونى، صاحب غرناطة، أن يوحّد و يسلّم إليه غرناطة، فقبل أبو سعيد ذلك منه و تسلّم غرناطة، فسار ميمون إلى مالقة بأهله و ولده، فتلقّاه أبو سعيد، و أكرمه، و وجّهه إلى مرّاكش، فأقبل عليه عبد المؤمن و انقرضت دولة الملثّمين و لم يبق لهم إلّا جزيرة ميورقة مع حمو بن غانية «۱» فلمّا ملك أبو سعيد غرناطة جمع الجيوش و سار إلى مدينة المريّة، و هى بأيدى الفرنج، أخذوها من المسلمين سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة، فلمّا نازلها وافاه الأسطول من سبتة و فيه خلق كثير من المسلمين، فحصروا

---

[۱]- إليهم.

---

(۱). مع ... غانية.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۲۴

المريّة برّا و بحرا، و جاء الفرنج إلى حصنها، فحصرهم فيها و نزل عسكره على الجبل المشرف عليها، و بنى أبو سعيد سورا على الجبل المذكور إلى البحر، و عمل عليه خندقا، فصارت المدينة و الحصن الّذى فيه الفرنج محصورين بهذا السور و الخندق، و لا يمكن من ينجدهما أن «۱» يصل إليهما، فجمع الأذفونش ملك الفرنج بالأندلس، المعروف بالسّليطين، فى اثنى عشر ألف فارس من الفرنج، و

معه محمّد بن سعد بن مردنيش فى ستّة آلاف فارس من المسلمين، و راموا الوصول إلى مدينة المريّة و دفع المسلمين عنها، فلم يطيقوا ذلك، فرجع السّليطين و ابن مردنيش خائبين، فمات السّليطين فى عوده قبل أن يصل إلى طليطلة.

و تمادى الحصار على المريّة ثلاثة أشهر، فضاقت الميرة، و قلّت الأقوات على الفرنج، فطلبوا الأمان ليسلّموا الحصن، فأجابهم أبو سعيد إليه و أمّنهم، و تسلّم الحصن، و رحل الفرنج فى البحر عائدين إلى بلادهم فكان ملكهم المريّة مدّة عشر سنين.

ذكر غزو صاحب طبرستان الإسماعيليّة

فى هذه السنة جمع شاه مازندران رستم بن علىّ بن شهريار عسكره، و سار و لم يعلم أحدا جهة مقصده، و سلك المضايق، و جدّ السير إلى بلد ألموت، و هى للإسماعيليّة، فأغار عليها و أحرق القرى و السواد، و قتل فأكثر، و غنم أموالهم، و سبى نساءهم، و استرقّ أبناءهم فباعهم فى السوق و عاد سالما غانما، و انخذل الإسماعيليّة، و دخل عليهم من الوهن ما لم يصابوا بمثله، و خرّب من بلادهم ما لا يعمر فى السنين الكثيرة.

---

(١). يمكن أحدها أن.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٢٥

ذكر أخذ حجّاج خراسان

فى هذه السنة، فى ربيع الأوّل، سار حجّاج خراسان، فلمّا رحلوا عن بسطام أغار عليهم جمع من الجند الخراسانيّة قد قصدوا طبرستان، فأخذوا من أمتعتهم، و قتلوا نفرا منهم، و سلم الباقون و ساروا من موضعهم.

فبينما هم سائرون إذ طلع عليهم الإسماعيليّة، فقاتلهم الحجّاج قتالا عظيما، و صبروا صبرا عظيما، فقتل أميرهم، فانخذلوا، و ألقوا بأيديهم، و استسلموا و طلبوا الأمان، و ألقوا أسلحتهم مستأمنين، فأخذهم الإسماعيليّة و قتلوهم، و لم يبقوا منهم إلّا شرذمةً يسيرة، و قتل فيهم من الأئمّة العلماء و الزهّاد و الصلحاء جمع كثير، و كانت مصيبة عظيمة عمّت بلاد الإسلام، و خصّت خراسان، و لم يبق بلد إلّا و فيه المأتم.

فلمّا كان الغد طاف شيخ فى القتلى و الجرحى ينادى: يا مسلمون، يا حجّاج [١] ذهب الملاحدة، و أنا رجل مسلم، فمن أراد الماء سقيته، فمن كلّمه قتله و أجهز عليه، فهلكوا جميعهم إلّا من سلم و ولّى هاربا، و قليل ما هم.

ذكر الحرب بين المؤيّد و الأمير إيثاق

قد ذكرنا تقدّم الأمير المؤيّد أى أبه مملوك السلطان سنجر، و تقدّمه على عساكر خراسان، فحسده جماعة من الأمراء منهم الأمير إيثاق «١» و هو

---

[١]- يا مسلمين، يا حاجّ.

---

(١). إيثاق.B. الأمير ايثاق.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٢۶

من الأمراء السّنجريّة، و انحرف* عنه و كان تارة يقصد خوارزم شاه، و تارة شاه مازندران، و تارة يظهر الموافقة للمؤيّد، و يبطن

المخالفة.

فلمّا كان الآن فارق مازندران و معه عشرة آلاف فارس، قد اجتمع معه كلّ من يريد الغارة على البلاد، و كلّ منحرف عن المؤيّد، و قصد خراسان و أقام بنواحى نسا و أبيورد، لا يظهر المخالفة للمؤيّد بل يراسله بالموافقة و المعاضدة له، و يبطن ضدّها.

و انتقل المؤيّد من المكاتبة إلى المكافحة، و سار إليه جريدة، فأغار عليه و أوقع به، فتفرّق عنه جموعه و نجا بحشاشة نفسه، و غنم المؤيّد و عسكره كلّ ما لإيثاق، و مضى منهزما إلى مازندران، و كان ملكها رستم بينه و بين أخ له اسمه علىّ تنازع على الملك، و قد قوى رستم، فلمّا وصل إيثاق «١» إلى مازندران قتل عليّا و حمل رأسه إلى أخيه رستم، فعظم ذلك على رستم، و اشتدّ و استشاط غضبا، و قال: آكل لحمى، و لا أطعمه غيرى.

و لم يزل إيثاق «٢» يتردّد فى خراسان بالنهب و الغارة، و لا سيّما مدينة أسفرايين فإنّه أكثر من قصدها حتى خربت، فراسله السلطان محمود بن محمّد و المؤيّد يدعوانه إلى الموافقة، فامتنع، فسارا إليه فى العساكر، فلمّا قارباه أتاهما كثير من عسكره، فمضى من بين أيديهما إلى طبرستان فى صفر سنة ثلاث و خمسين [و خمسمائة] فتبعاه فى عساكرهما، فأرسل شاه مازندران يطلب الصلح، فأجابه و اصطلحوا، و حمل شاه مازندران أموالا جليلة و هدايا نفيسة، و سيّر إيثاق «٣» ابنه رهينة فعادا عنه.

(١- ٢- ٣) .. ايناق.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٢٧

ذكر الحرب بين المؤيّد و سنقر العزيزىّ

كان سنقر العزيزىّ من أمراء السلطان سنجر، و ممّن يناوئ أيضا المؤيد أى أبه، فلمّا اشتغل المؤيد بحرب إيثاق «١» سار سنقر من عسكر السلطان محمود بن محمّد إلى هراة و دخلها و بها جماعة من الأتراك و تحصّن بها، فأشير عليه بأن يعتضد بالملك الحسين ملك الغوريّة، فلم يفعل، و استبدّ بنفسه منفردا لأنّه رأى اختلاف الأمراء على السلطان محمود بن محمّد، فطمع و حدّث نفسه بالقوّة، فقصده المؤيّد إلى هراة، فلمّا وصل إليها قاتل من بها شيئا من قتال، ثمّ إنّ الأتراك مالوا إلى المؤيّد و أطاعوه، و انقطع خبر سنقر العزيزىّ من ذلك الوقت، و لم يعلم ما كان منه، فقيل: إنّه سقط من فرسه فمات، و قيل: بل اغتاله الأتراك فقتلوه.

و تقدّم السلطان محمود إلى ولاية هراة فى عساكره و جنوده، و التحق جماعة من عسكر سنقر بالأمير إيثاق، و أغاروا على طوس و قراها، فبطلت الزروع و الحرث، و استولى الخراب على البلاد، و عمّت الفتن أطراف خراسان، و أصابتهم العين، فإنّهم كانوا أيّام السلطان سنجر فى أرغد عيش و آمنه، و هذا دأب الدنيا لا يصفو نعيمها و خيرها من كدر و شوائب و آفات، و قلّما يخلص شرّها من خير، نسأل اللّه أن يحسن لنا العقبى بمحمّد و آله.

ذكر ملك نور الدين بعلبكّ

فى هذه السنة ملك نور الدين محمود بعلبكّ و قلعتها، و كانت بيد إنسان يقال له ضحّاك البقاعى، منسوب إلى بقاع بعلبكّ، و كان قد ولّاه إيّاها

---

(١). ايناق.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٢٨

صاحب دمشق، فلمّا ملك نور الدين دمشق امتنع ضحّاك بها، فلم يمكن نور الدين محاصرته لقربه من الفرنج، فتلطّف الحال معه إلى

الآن، فملكها و استولى عليها.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قلع الخليفة المقتفى لأمر اللَّه باب الكعبة، و عمل عوضه بابا مصفّحا بالنقرة المذهّبة، و عمل لنفسه من الباب الأوّل تابوتا يدفن فيه إذا مات.

و فيها توفّى محمّد بن عبد اللّطيف بن محمّد بن ثابت أبو بكر الخجندىّ، رئيس أصحاب الشافعىّ بأصفهان، و سمع الحديث بها من أبى علىّ الحدّاد، و كان صدرا مقدّما عند السلاطين، و كان ذا حشمة عظيمة و جاه عريض.

و وقعت لموته فتنة عظيمة بأصفهان و قتل فيها خلق كثير.

و فيها كان بخراسان غلاء شديد أكلت فيه سائر الدوابّ، حتى النّاس، و كان بنيسابور طبّاخ، فذبح إنسانا علويّا و طبخه، و باعه فى الطبيخ، ثمّ ظهر عليه أنّه فعل ذلك، فقتل، و أسفر الغلاء، و صلحت أحوال النّاس.

و فيها توفّى القاضى أبو العبّاس أحمد بن بختيار بن علىّ المانداىّ الواسطىّ قاضيها، و كان فقيها عالما.

و فيها، فى ربيع الآخر، توفّى القاضى برهان الدين أبو القاسم منصور ابن أبى سعد محمّد بن أبى نصر أحمد الصاعدىّ قاضى نيسابور، و كان من أئمّة الفقهاء الحنفيّة

.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٢٩

٥٥٣ ثمّ دخلت سنة ثلاث و خمسين و خمسمائة

ذكر الحرب بين سنقر و أرغش

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين سنقر الهمذانىّ و أرغش المسترشدىّ، و سببها أنّ سنقر الهمذانىّ كان قد نهب سواد بغداد بطريق خراسان، و كثر جمعه، فخرج الخليفة المقتفى لأمر اللَّه، جمادى الأولى، بنفسه يطلبه، فلمّا وصل إلى بلد اللّحف قال له الأمير خطلبرس:

أنا أكفيك هذا المهمّ، و كان بينه و بين سنقر مودّة، فركب إليه، و تلاقيا و جرى بينهما عتاب طويل لأجل خروجه عن طاعة الخليفة، فأجاب سنقر إلى الطاعة، و عاد خطلبرس و أصلح حاله مع الخليفة و أقطعه بلد اللّحف له و للأمير أرغش المسترشدىّ.

فلمّا توجّها إلى اللّحف جرى بينهما منازعة، فأراد سنقر قبض أرغش، فرآه محترزا، فتحاربا، و اقتتلا قتالا شديدا، و غدر بأرغش أصحابه، فعاد منهزما إلى بغداد، و انفرد سنقر ببلد اللّحف و خطب فيه للملك محمّد، فسيّر من بغداد عسكرا لقتاله مقدّمهم خطلبرس، فجرت بينهما حرب شديدة انهزم فى آخرها سنقر، و قتلت رجاله، و نهبت أمواله التى [فى] العسكر، و سار هو إلى قلعة الماهكى و أخذ ما كان فيها، و استخلف فيها بعض غلمانه، و سار هو إلى همذان، فلم يلتفت إليه الملك محمّد شاه، فعاد إلى قلعة الماهكىّ و أقام بها

.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٣٠

ذكر الحرب بين شملة و قايماز السلطانىّ

فى هذه السنة أيضا كان قتال بين شملة صاحب خوزستان، و معه ابن مكلية، و بين قايماز السّلطانىّ «١» فى ناحية بادرايا، فجمعا عسكرهما و سارا إليه، فأتاه الخبر بذلك و هو يشرب، فلم يحفل بذلك، و ركب إليهم فى نحو ثلاثمائة فارس، و كان معجبا بنفسه، فحمل عليهم و اختلط بهم، فأحدقوا به، و قاتل أشدّ قتال، فانهزم أصحابه، و أخذ هو أسيرا، فتسلّمه إنسان تركمانىّ كان له عليه دم، لأنّه قتل ابنا للتركمانىّ، فقتله بابنه و أرسل برأسه إلى محمّد شاه.

و أرسل الخليفة عسكرا ليقاتل شملة و من معه، فانزاحوا من بين أيديهم، و لحقوا بالملك ملك شاه بخوزستان فهلك كثير منهم بالبرد.

ذكر معاودة الغزّ الفتنة بخراسان

كان الأتراك الغزّيّة قد أقاموا ببلخ و استوطنوها، و تركوا النهب و القتل ببلاد خراسان، و اتّفقت الكلمة بها على طاعة السلطان خاقان محمود بن أرسلان، و كان المتولّى لأمور دولته المؤيّد أى أبه، و عن رأيه يصدر محمود. الكامل فى التاريخ ج ١١ ٢٣٠ ذكر معاودة الغز الفتنة بخراسان ..... ص : ٢٣٠

فلمّا كان هذه السنة، فى شعبان، و سار الغزّ من بلخ إلى مرو، و كان السلطان محمود بسرخس «٢» فى العساكر، فسار المؤيّد فى طائفة من العسكر

---

(١). ملكية ... السلطانى.A. mo

(٢). يستوحش ٤٥٣.nuoJerfCV. IIع۴۸۱sA

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٣١

إليهم، فأوقع بطائفة منهم، و ظفر بهم، و لم يزل يتبعهم «١» إلى أن دخلوا إلى مرو أوائل رمضان، و غنم من أموالهم، و قتل كثيرا و عاد إلى سرخس، فاتّفق هو و السلطان محمود على قصد الغزّ و قتالهم، فجمعا العساكر و حشدا، و سارا إلى الغزّ، فالتقوا سادس شوّال من هذه السنة، و جرت بينهم حرب طال مداها، فبقوا يقتتلون [من] يوم الاثنين تاسع شوّال إلى نصف اللّيل من ليلة الأربعاء الحادى عشر من الشهر، تواقعوا عدّة وقعات متتابعة، و لم يكن بينهم راحة، و لا نزول، إلّا لما لا بدّ منه، انهزم الغزّ فيها ثلاث دفعات، و عادوا إلى الحرب.

فلمّا أسفر الصبح يوم الأربعاء انكشفت الحرب عن هزيمة عساكر خراسان و تفرّقهم فى البلاد، و ظفر الغزّ بهم، و قتلوا فأكثروا فيهم، و أمّا الجرحى و الأسرى فأكثر من ذلك.

و عاد المؤيّد و من سلم معه إلى طوس، فاستولى الغزّ على مرو، و أحسنوا السيرة، و أكرموا العلماء و الأئمّة مثل تاج الدين أبى سعيد السّمعانىّ و شيخ الإسلام علىّ البلخىّ و غيرهما، و أغاروا على سرخس، و خربت القرى، و جلا [١] أهلها، و قتل من أهل سرخس نحو عشرة آلاف قتيل، و نهبوا طوس أيضا و قتلوا أهلها إلّا القليل و عادوا إلى مرو.

و أمّا السلطان محمود بن محمّد الخان و العساكر التى معه فلم يقدروا على المقام بخراسان من الغزّ، فساروا إلى جرجان ينتظرون ما يكون من الغزّ، فلمّا دخلت سنة أربع و خمسين و خمسمائة أرسل الغزّ إلى السلطان محمود يسألونه أن يحضر عندهم ليملّكوه أمرهم، فلم يثقّ بهم و خافهم على نفسه، فأرسلوا

---

[١] و جلى.

(١). يزل بينهم.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٣٢

يطلبون منه أن يرسل ابنه جلال الدين محمّدا إليهم ليملّكوه أمرهم، و يصدروا عن أمره و نهيه فى قليل الأمور و كثيرها، و تردّدت الرسل و احتاط السلطان محمود لولده بالعهد و المواثيق، و تقرير القواعد، ثمّ سيّره من جرجان إلى خراسان، فلمّا سمع [١] الأمراء الغزّيّة بقدومه ساروا من مرو إلى طريقه، فالتقوه بنيسابور، و أكرموه و عظّموه، و دخل نيسابور، و اتّصلت به العساكر الغزّيّة، و اجتمعوا عنده فى الثالث و العشرين من ربيع الآخر سنة أربع و خمسين و خمسمائة.

ثمّ إنّ السلطان محمودا [٢] سار من جرجان إلى خراسان فى الجيوش التى معه من الأمراء السّنجريّة، و تخلّف عنه المؤيد أى أبه، فوصل إلى حدود نسا و أبيورد، و أقطع نسا لأمير اسمه عمر بن حمزة النّسوى، فقام فى حفظها المقام المرضى، و منع عنها أيدى المفسدين، و أقام السلطان محمود بظاهر نسا حتى انسلخ جمادى الآخرة من السنة.

و لمّا كان الغزّ بنيسابور هذه السنة أرسلوا إلى أهل طوس يدعونهم إلى الطاعة و الموافقة، فامتنع أهل رايكان من إجابتهم إلى ذلك، و اغترّوا بسور بلدهم و بما عندهم من الشجاعة و القوّة و العدّة الوافرة و الذخائر الكثيرة، فقصدها طائفة من الغزّ و حصروهم، و ملكوا البلد، و قتلوا فيهم و نهبوا و أكثروا، ثمّ عادوا إلى نيسابور، و ساروا مع جلال الدين محمّد ابن السلطان محمود الخان إلى بيهق، و حصروا سابزوار سابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع و خمسين و خمسمائة، فامتنع أهلها عليهم و قام بأمرهم النقيب عماد الدين علىّ بن محمّد بن يحيى العلوىّ الحسينىّ، نقيب العلويّين، و اجتمعوا معه، و رجعوا إلى أمره و نهيه، و وقفوا عند إشارته، فامتنعوا على الغزّ، و حفظوا

---

[١] سمعوا.

[٢] محمود.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٣٣

البلد منهم، و صبروا على القتال.

فلمّا رأى الغزّ امتناعهم عليهم و قوّتهم أرسلوا إليهم يطلبون الصلح، فاصطلحوا، و لم يقتل من أهل سابزوار، فى تلك الحروب، غير رجل واحد، و رحل الملك جلال الدين و الغزّ عن سابزوار فى السابع و العشرين من جمادى الآخرة سنة أربع و خمسين و خمسمائة، و ساروا إلى نسا و أبيورد.

ذكر أسر المؤيّد و خلاصه

قد ذكرنا أنّ المؤيّد أى أبه تخلّف عن السلطان ركن [الدين] محمود بن محمّد بجرجان، فلمّا كان الآن سار من جرجان إلى خراسان، فنزل بقرية من قرى خبوشان، اسمها زانك، و بها حصن، فسمع الغزّ بوصوله إلى زانك، فساروا إليه و حصروه فيه، فخرج منه هاربا، فرآه واحد من الغزّ، فأخذه، فوعده بمال جزيل إن أطلقه، فقال الغزّىّ: و أين المال؟ فقال: هو مودع [١] فى بعض هذه الجبال.

فسار هو و الغزّىّ، فوصلا إلى جدار قرية فيها بساتين و عيون، فقال للفارس: المال «١» هاهنا، و صعد الجدار و نزل من ظهره و مضى هاربا، فرأى الغزّ قد ملئوا الأرض، فدخل قرية، فعرفه طحّان فيها، فأعلم زعيم القرية به، و طلب منه مركبا، فأتاه بما أراد، و أعانه على الوصول إلى نيسابور، فوصل إليها، و اجتمعت عليه العساكر و قوى أمره و عاد إلى حاله، و أحسن إلى الطحّان، و بالغ فى الإحسان إليه.

---

[۱] مودوع.

---

(۱). فقال للناس المال ..A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۳۴

ذكر اجتماع السلطان محمود مع الغزّ و عودهم إلى نيسابور

لمّا عاد الغزّ و معهم الملك محمّد بن محمود الخان إلى نسا و أبيورد، كما ذكرناه، خرج والده السلطان محمود الخان، و كان هناك فيمن معه من العساكر الخراسانيّة، فاجتمع بهم و اتّفقت الكلمة على طاعته، و أراد عمارة البلاد و حفظها، فلم يقدر على ذلك، فلمّا اجتمعوا ساروا إلى نيسابور، و بها المؤيّد أى أبه، فى شعبان، فلمّا سمع بقربهم منه رحل عنها إلى خواف فى السادس عشر منه، و وصلوا إليها فى الحادى و العشرين منه و نزلوا فيه، و خافهم النّاس خوفا عظيما، فلم يفعلوا بهم شيئا، و ساروا عنها فى السادس و العشرين منه إلى سرخس و مرو، و كان بها الفقيه المؤيّد بن الحسين الموفّقىّ، رئيس الشافعيّة، و له بيت قديم، و هو من أحفاد الإمام أبى سهل الصعلوكىّ، و له مصاهرة إلى بيت أبى المعالى الجوينىّ، و هو المقدّم فى البلد و المشار إليه، و له من الأتباع ما لا يحصى.

فاتّفق أنّ بعض أصحابه قتل إنسانا من الشافعيّة، اسمه أبو الفتوح الفستقانىّ، خطأ، و أبو الفتوح هذا له تعلّق بنقيب العلويّين [۱] بنيسابور، و هو ذخر الدين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسينىّ، و كان هذا النقيب هو الحاكم هذه المدّة بنيسابور، فغضب من ذلك و أرسل إلى الفقيه المؤيّد يطلب منه القاتل ليقتصّ منه، و يتهدّده إن لم يفعل، فامتنع المؤيّد من تسليمه، و قال: لا مدخل لك مع أصحابنا، إنّما حكمك على الطائفة العلويّين، فجمع النقيب أصحابه و من يتبعه و قصد الشافعيّة، فاجتمعوا له و قاتلوه، فقتل منهم جماعة، ثمّ إنّ النقيب أحرق سوق العطّارين، و أحرقوا سكّة معاذ أيضا و سكّة باغ

---

[۱] العوليين.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۳۵

ظاهر، و دار إمام الحرمين أبى المعالى الجوينىّ، و كان الفقيه المؤيّد الشافعىّ بها للصهر الّذى بينهم.

و عظمت المصيبة على النّاس كافة [۱]، و جمع بعد ذلك المؤيّد الفقيه جموعا من طوس و أسفرايين و جوين و غيرهم، و قتلوا واحدا من أتباع النقيب زيد يعرف بابن الحاجّى الأشنانىّ، فأهمّ العلويّة و من معهم، فاقتتلوا ثامن عشر شوّال من سنة أربع و خمسين [و خمسمائة]، و قامت الحرب على ساق و أحرقت المدارس و الأسواق و المساجد و كثر القتل فى الشافعيّة، فالتجأ [۲] المؤيّد إلى قلعة فرخك «۱»، و قصر باع الشافعيّة عن القتال، ثمّ انتقل المؤيّد إلى قرية من قرى طوس، و بطلت دروس الشافعيّة بنيسابور، و خرب البلد و كثر القتل فيه.

ذكر حصر صاحب ختلان ترمذ و عوده و موته

فى هذه السنة، فى رجب، سار الملك أبو شجاع فرخ شاه و هو يزعم أنّه من أولاد بهرام جور، و قد تقدّم ذكره أيّام كسرى أبرويز، إلى ترمذ و حصرها.

و كان سبب ذلك أنّه كان فى طاعة السلطان سنجر. فلمّا خرج عليه الغزّ طلبه ليحضر معه حربه لهم، فجمع عسكره، و أظهر أنّه واصل فيمن عنده من العساكر إليه «۲»، و أقام ينتظر ما يكون منه، فلمّا ظفر حضر «۳»، و قال له:

---

[۱] كافّة النّاس.

[۲] فالتجى.

---

(۱). فدخلوا. P ,II۶۴۸۱.taisAnruoJrfC.۴۵۹

(۲).teniterإليهbtA. mecov. فيمن .... إليه.mO

(۳). فان ظفر حضر.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۳۶

سبقتنى بالحرب، و إن كان الظفر للغزّ قال: إنّما تأخّرت محبّة و إرادة أن تملكوا، فلمّا انهزم سنجر، و كان ما ذكرناه، بقى إلى الآن، فسار إلى ترمذ ليحصرها، فجمع صاحبها فيروز شاه أحمد بن أبى بكر بن قماج عسكره، و لقيه ليمنعه، فاقتتلوا، فانهزم فيروز شاه، و مضى منهزما لا يلوى على شىء، فأصابه فى الطريق قولنج فمات منه.

ذكر عود المؤيّد إلى نيسابور و تخريب ما بقى منها

فى هذه السنة عاد المؤيّد أى أبه إلى نيسابور فى عساكره و معه الإمام المؤيّد الموفّقىّ الشافعىّ الّذى تقدّم ذكر الفتنة بينه و بين ذخر الدين نقيب العلويّين و خروجه من نيسابور، فلمّا خرج منها صار مع المؤيّد و حضر معه حصار نيسابور، و تحصّن النقيب العلوىّ بشارستان و اشتدّ الخطب و طالت الحرب و سفكت الدماء و هتكت الأستار و خرّبوا ما بقى من نيسابور من الدور و غيرها، و بالغ الشافعيّة و من معهم فى الانتقام فخرّبوا المدرسة الصندليّة لأصحاب أبى حنيفة و خرّبوا غيرها و حصروا قهندز «۱»، و هذه الفتنة استأصلت نيسابور، ثمّ رحل المؤيّد أى أبه عنها إلى بيهق فى شوّال من سنة أربع و خمسين و خمسمائة، كان ينبغى أن تكون هذه الحوادث الغزّيّة الواقعة فى سنة أربع و خمسين مذكورة فى سنتها و إنّما قدّمناها هاهنا و ذكرناها هاهنا ليتلو بعضها بعضا فيكون أحسن لسياقتها.

---

(۱). قهندزها.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۳۷

ذكر ملك ملك شاه خوزستان

فى هذه السنة ملك ملك شاه ابن السلطان محمود بلد خوزستان و أخذه من شملة التّركمانىّ، و سبب ذلك أنّ الملك محمّدا [۱] ابن السلطان محمود لمّا عاد من حصار بغداد، كما ذكرناه، مرض و بقى مريضا بهمذان، و مضى أخوه ملك شاه إلى قم و قاشان و ما والاها، فنهبها جميعها، و صادر أهلها و جمع أموالا كثيرة، فراسله أخوه محمّد شاه يأمره بالكفّ عن ذلك ليجعله ولىّ عهده فى الملك، فلم يفعل، و مضى إلى أصفهان، فلمّا قاربها أرسل رسولا إلى ابن الخجندىّ و أعيان البلد فى تسليم البلد إليه، فامتنعوا من ذلك، و قالوا: لأخيك فى رقابنا يمين، و لا نغدر به، فحينئذ شرع ملك شاه فى الفساد و المصادرة لأهل القرى.

فلمّا سمع محمّد شاه الخبر سار عن همذان، و على مقدّمته كردبازوه الخادم، فتفرّقت جموع ملك شاه فانهزم إلى بغداد، فلم يتبعه محمّد شاه لمرضه، فنزل ملك شاه عند قرمسين، فلحق به قويدان «۱»، و كان قد فارق المقتفى لأمر اللّه، و اتّفق مع سنقر الهمذانىّ، فلحق [۲] كلاهما به، و حسّنا له قصد بغداد، فسار عن بلد خوزستان إلى واسط، و نزل بالجانب الشرقىّ، و هم على غاية الضرّ من الجوع و البرد، فنهبوا القرى نهبا فاحشا، ففتح بثق بتلك الناحية فغرق منهم كثير، و نجا ملك شاه و من سلم معه، و ساروا

[۱] محمّد.

[۲] فلحقا.

(۱). قویران:C. P. .۰۴vte .spU

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۳۸

إلی خوزستان، فمنعه شملهٔ من العبور، فراسله لیمکنه من العبور إلی أخیه الملک محمّد شاه، فلم یجبه إلی ذلک، و کاتب حینئذ الأکراد الکر «۱» الذین هناک، و استدعاهم إلیه، ففرحوا به، و نزل إلیه من تلک الجبال خلق کثیر، فأطاعوه، فرحل و نزل علی کرخایا، و طلب من شملهٔ الحرب، فألان له شملهٔ القول، و قال: أنا أخطب لک و أکون معک، فلم یقبل منه، فاضطرّ شملهٔ إلی الحرب، فجمع عسکره و قصده، فلقیه ملک شاه و معه سنقر الهمذانیّ و قویدان «۲»، و غیرهما من الأمراء، فاقتتلوا، فانهزم شملهٔ، و قتل کثیر من أصحابه، و صعد إلی قلعته دندرزین «۳»، و ملک ملک شاه البلاد، و جبی الأموال الکثیرهٔ و أظهر العدل و توجّه إلی أرض فارس.

ذکر الحرب بین الترکمان و الإسماعیلیّهٔ بخراسان

کان بنواحی قهستان طائفهٔ من الترکمان، فنزل إلیهم جمع من الإسماعیلیّهٔ من قلاعهم، و هم ألف و سبعمائهٔ، فأوقعوا بالترکمان، فلم یجدوا الرجال، و کانوا قد فارقوا بیوتهم، فنهبوا الأموال، و أخذوا النساء و الأطفال، و أحرقوا ما لم یقدروا علی حمله.

و عاد الترکمان فرأوا ما فعل بهم، فتبعوا أثر الإسماعیلیّهٔ، فأدرکوهم و هم یقتسمون الغنیمهٔ، فکبّروا و حملوا علیهم، و وضعوا فیهم السیف، فقتلوهم کیف شاءوا، فانهزم الإسماعیلیّهٔ و تبعهم الترکمان حتی أفنوهم قتلا و أسرا، و لم ینج إلّا تسعهٔ رجال.

(۱). الأکراد اللر.A

(۲). قویران:C. P. .۰۴vte .spU

(۳). نذر زین الدین و ملک شاه:C. P. .۰۴vte .spU

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۳۹

ذکر عدّهٔ حوادث

فی هذه السنهٔ کثر فساد الترکمان أصحاب برجم الإیوائیّ بالجبل، فسیّر إلیهم من بغداد عسکر مقدّمتهم منکبرس المسترشدیّ، فلمّا قاربهم اجتمع الترکمان، فالتقوا و اقتتلوا هم و منکبرس، فانهزم الترکمان أقبح هزیمهٔ، و قتل بعضهم، و أسر بعض، و حملت الرءوس و الأسری إلی بغداد.

و فیها حجّ الناس، فلمّا وصلوا إلی مدینهٔ النبیّ، صلّی اللّه علیه و سلّم، أتاهم الخبر أنّ العرب قد اجتمعت لتأخذهم، فترکوا الطریق و سلکوا طریق خیبر، فوجدوا مشقّهٔ شدیدهٔ، و نجوا من العرب.

و فیها توفّی الشیخ نصر بن منصور بن الحسین العطّار أبو القاسم الحرّانیّ، و مولده بحرّان سنهٔ أربع و ثمانین و أربعمائهٔ، و أقام ببغداد و کثر ماله و صدقاته أیضا، و کان یقرأ القرآن، و هو والد ظهیر الدین الّذی حکم فی دولهٔ المستضیء بأمر اللّه علی ما نذکره إن شاء اللّه.

و فيها توفّى أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى بن شعيب [۱] السّجزىّ ببغداد، و هو سجزىّ الأصل، هروى المنشإ، و كان قدم إلى بغداد سنة اثنتين و خمسين و خمسمائة يريد الحجّ، فسمع النّاس بها عليه صحيح البخارىّ، و كان عالى الإسناد، فتأخّر لذلك عن الحجّ، فلمّا كان هذه السنة عزم على الحجّ فمات.

و فيها توفّى يحيى بن سلامة بن الحسن بن محمّد أبو الفضل الحصكفىّ الأديب بميّافارقين، و له شعر حسن و رسائل جيّدة مشهورة، و كان يتشيّع، و مولده بطنزة، فمن شعره:

---

[۱] سعيب.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۴۰ و خليع بتّ أعذلهو يرى عذلى من العبث

قلت: إنّ الخمر مخبثةقال: حاشاها من الخبث

قلت: فالأرفاث تتبعهاقال: طيّب العيش فى الرّفث

قلت: منها القىء، قال: أجل شرّفت عن مخرج الحدث

و سألوها، فقلت: متى؟قال: عند الكون فى الجدث

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۴۱

۵۵۴ ثمّ دخلت سنة أربع و خمسين و خمسمائة

ذكر ملك عبد المؤمن مدينة المهديّة من الفرنج و ملكه جميع إفريقية

قد ذكرنا سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة ملك الفرنج مدينة المهديّة من صاحبها الحسن بن تميم بن المعزّ بن باديس الصّنهاجىّ، و ذكرنا أيضا سنة إحدى و خمسين ما فعله الفرنج بالمسلمين فى زويلة المدينة المجاورة للمهديّة من القتل و النّهب، فلمّا قتلهم الفرنج، و نهبوا أموالهم، هرب منهم جماعة و قصدوا عبد المؤمن صاحب المغرب، و هو بمراكش، يستجيرونه، فلمّا وصلوا إليه و دخلوا عليه أكرمهم، و أخبروه بما جرى على المسلمين، و أنّه ليس فى ملوك الإسلام من يقصد سواه، و لا يكشف هذا الكرب غيره، فدمعت عيناه و أطرق، ثمّ رفع رأسه و قال: أبشروا، لأنصرنّكم و لو بعد حين.

و أمر بإنزالهم و أطلق لهم ألفى دينار، ثمّ أمر بعمل الروايا و القرب و الحياض و ما يحتاج إليه العساكر فى السفر، و كتب إلى جميع نوّابه فى الغرب، و كان قد ملك إلى قريب تونس، يأمرهم بحفظ جميع ما يتحصّل من الغلّات، و أن يترك فى سنبله، و يخزن فى مواضعه، و أن يحفروا الآبار فى الطرق، ففعلوا جميع ما أمرهم به، و جمعوا الغلّات ثلاث سنين و نقلوها إلى المنازل، و طيّنوا عليها، فصارت كأنّها تلال.

فلمّا كان فى صفر من هذه السنة سار عن مرّاكش، و كان أكثر أسفاره

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۴۲

فى صفر، فسار يطلب إفريقية، و اجتمع من العساكر مائةألف مقاتل، و من الأتباع و السوقة أمثالهم، و بلغ من حفظه لعساكره أنّهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتأذّى بهم سنبلة، و إذا نزلوا صلّوا جميعهم مع إمام واحد بتكبيرة واحدة، لا يتخلّف منهم أحد كائنا [۱] من كان.

و قدم بين يديه الحسن بن علىّ بن يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس الصّنهاجىّ، الّذى كان صاحب المهديّة و إفريقية، و قد ذكرنا سبب مصيره عند عبد المؤمن، فلم يزل يسير إلى أن وصل إلى مدينة تونس فى الرابع و العشرين من جمادى الآخرة من السنة، و بها

صاحبها أحمد بن خراسان «۱»، و أقبل أسطوله فى البحر فى سبعين شيتيّا و طريدة و شلندى، فلمّا نازلها أرسل إلى أهلها يدعوهم إلى طاعته، فامتنعوا، فقاتلهم من الغدّ أشدّ قتال، فلم «۲» يبق إلّا أخذها، و دخول الأسطول إليها، فجاءت ريح عاصف منعت الموحّدين من دخول البلد، فرجعوا ليباكروا القتال و يملكوه.

فلمّا جنّ اللّيل نزل سبعة عشر رجلا من أعيان أهلها إلى عبد المؤمن يسألونه الأمان لأهل بلدهم، فأجابهم إلى الأمان لهم فى أنفسهم و أهليهم و أموالهم لمبادرتهم إلى الطاعة، و أمّا ما عداهم من أهل البلد فيؤمنهم فى أنفسهم و أهاليهم، و يقاسمهم على أموالهم و أملاكهم نصفين، و أن يخرج صاحب البلد هو و أهله، فاستقرّ ذلك، و تسلّم البلد، و أرسل إليه من يمنع العسكر من الدخول، و أرسل أمناءه ليقاسموا النّاس على أموالهم، و أقام عليها ثلاثة أيّام، و عرض الإسلام على من بها من اليهود و النصارى، فمن أسلم سلم، و من امتنع قتل، و أقام «۳» أهل تونس بها بأجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم.

---

[۱] كائن.

---

(۱). و بها ... خراسان.A .mo

(۲). نزلdaeuqsuفلم.A

(۳).V .qes .A .moمسكنهمdaeuqsuو أقامaednI

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۴۳

و سار عبد المؤمن منها إلى المهديّة و الأسطول يحاذيه فى البحر، فوصل إليها ثامن عشر «۱» رجب، و كان حينئذ بالمهديّة أولاد ملوك الفرنج و أبطال الفرسان، و قد أخلوا زويلة، و بينها و بين المهديّة غلوة سهم، فدخل عبد المؤمن زويلة، و امتلأت بالعساكر و السوقة فصارت مدينة معمورة فى ساعة، و من لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها، و انضاف إليه من صنهاجة و العرب و أهل البلاد ما يخرج عن الإحصاء، و أقبلوا يقاتلون المهديّة مع الأيّام، فلا يؤثر فيها لحصانتها و قوّة سورها و ضيق موضع القتال عليها، لأنّ البحر دائر بأكثرها، فكأنّها كفّ فى البحر، و زندها متّصل بالبرّ.

و كانت الفرنج تخرج شجعانهم إلى أطراف العسكر، فتنال منه و تعود سريعا، فأمر عبد المؤمن أن يبنى سور من غرب المدينة يمنعهم من الخروج، و أحاط الأسطول بها فى البحر، و ركب عبد المؤمن فى شينى، و معه الحسن ابن علىّ الّذى كان صاحبها، و طاف بها فى البحر، فهاله ما رأى من حصانتها، و علم أنّها لا تفتح بقتال برّا و لا بحرا، و ليس لها إلّا المطاولة، و قال للحسن:

كيف نزلت عن مثل هذا الحصن؟ فقال: لقلّة من يوثق به، و عدم القوت، و حكم القدر. فقال: صدقت! و عاد من البحر، و أمر بجمع الغلات و الأقوات و ترك القتال، فلم يمض غير قليل حتى صار فى العسكر كالجبلين من الحنطة و الشعير، فكان من يصل إلى العسكر من بعيد يقولون: متى حدثت هذه الجبال ها هنا؟ فيقال لهم: هى حنطة و شعير، فيعجبون من ذلك.

و تمادى الحصار، و فى مدّته أطاع سفاقس عبد المؤمن، و كذلك مدينة طرابلس، و جبال نفوسة، و قصور إفريقية و ما والاها، و فتح مدينة قابس بالسيف، و سيّر ابنه أبا محمّد عبد اللّه فى جيش ففتح بلادا، ثمّ إنّ أهل مدينة

---

(۱) .. ثانى عشر.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۴۴

قفصة لما رأوا تمكّن عبد المؤمن أجمعوا على المبادرة إلى طاعته، و تسليم المدينة إليه، فتوجّه صاحبها يحيى بن تميم بن المعزّ، و معه جماعة من أعيانها، و قصدوا عبد المؤمن، فلمّا أعلمه حاجبه بهم قال له عبد المؤمن: قد اشتبه عليك، ليس هؤلاء أهل قفصة،

فقال له: لم يشتبه عليّ، قال له عبد المؤمن: كيف يكون ذلك و المهدى يقول إنّ أصحابنا يقطعون أشجارها و يهدمون أسوارها، و مع هذا فنقبل منهم و نكفّ عنهم ليقضى اللّه أمرا كان مفعولا. فأرسل إليهم طائفة من أصحابه، و مدحه شاعر منهم بقصيدة أوّلها:

ما هزّ عطفيه بين البيض و الأسل‌مثل الخليفة عبد المؤمن بن عليّ فوصله بألف دينار، و لما كان فى الثانى و العشرين من شعبان من السنة جاء أسطول صاحب صقلّيّة فى مائة و خمسين شيتيّا غير الطرائد، و كان قدومه من جزيرة يابسة من بلاد الأندلس و قد سبى أهلها و أسرهم و حملهم معه، فأرسل إليهم ملك الفرنج يأمرهم بالمجيء إلى المهديّة، فقدموا فى التاريخ، فلمّا قاربوا المهديّة حطّوا شرعهم ليدخلوا الميناء، فخرج إليهم أسطول عبد المؤمن، و ركب العسكر جميعه، و وقفوا على جانب البحر، فاستعظم الفرنج ما رأوه من كثرة العساكر، و دخل الرعب قلوبهم، و بقى عبد المؤمن يمرّغ وجهه على الأرض، و يبكى و يدعو للمسلمين بالنصر، و اقتتلوا فى البحر، فانهزمت شوانى الفرنج، و أعادوا القلوع، و تبعهم المسلمون، فأخذوا منهم سبع شوان، و لو كان معهم قلوع لأخذوا أكثرها، و كان أمرا عجيبا [۱]، و فتحا قريبا.

و عاد أسطول المسلمين مظفرا منصورا، و فرّق فيهم عبد المؤمن الأموال، و يئس أهل المهديّة حينئذ من النجدة، و صبروا على الحصار ستّة أشهر إلى

---

[۱] مجيبا.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۴۵

آخر شهر ذى الحجّة من السنة، فنزل حينئذ من فرسان الفرنج إلى عبد المؤمن عشرة، و سألوا الأمان لمن فيها من الفرنج على أنفسهم و أموالهم ليخرجوا منها و يعودوا إلى بلادهم، و كان قوتهم قد فنى حتى أكلوا الخيل، فعرض عليهم الإسلام، و دعاهم إليه، فلم يجيبوا، و لم يزالوا يتردّدون إليه أيّاما و استعطفوه بالكلام اللّين، فأجابهم إلى ذلك، و أمّنهم و أعطاهم سفنا فركبوا فيها و ساروا، و كان الزمان شتاء، فغرق أكثرهم و لم يصل منهم إلى صقلّيّة إلّا النفر اليسير.

و كان صاحب صقلّيّة قد قال: إن قتل عبد المؤمن أصحابنا بالمهديّة قتلنا المسلمين الذين هم بجزيرة صقلّيّة، و أخذنا حرمهم و أموالهم، فأهلك اللّه الفرنج غرقا، و كانت مدّة ملكهم المهديّة اثنتى [۱] عشرة سنة.

و دخل عبد المؤمن المهديّة بكرة عاشوراء من المحرّم سنة خمس و خمسين و خمسمائة، و سمّاها عبد المؤمن سنة الأخماس، و أقام بالمهديّة عشرين يوما، فرتّب أحوالها، و أصلح ما انثلم من سورها، و نقل إليها الذخائر من الأقوات و الرجال و العدد، و استعمل عليها بعض أصحابه، و جعل معه الحسن بن عليّ الّذى كان صاحبها، و أمره أن يقتدى برأيه فى أفعاله، و أقطع الحسن بها أقطاعا، و أعطاه دورا نفيسة يسكنها، و كذلك فعل بأولاده، و رحل من المهديّة أوّل صفر من السنة إلى بلاد الغرب.

ذكر إيقاع عبد المؤمن بالعرب

لمّا فرغ عبد المؤمن من أمر المهديّة و أراد العود إلى الغرب جمع أمراء العرب من بنى رياح الذين كانوا بإفريقية، و قال لهم: قد وجبت علينا نصرة

---

[۱] اثنى.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۴۶

الإسلام، فإن المشركين قد استفحل أمرهم بالأندلس، و استولوا على كثير من البلاد التى كانت بأيدى المسلمين، و ما يقاتلهم أحد مثلكم، فبكم فتحت البلاد أوّل الإسلام، و بكم يدفع عنها العدوّ الآن، و نريد منكم عشرة آلاف فارس من أهل النجدة و الشجاعة

يجاهدون فى سبيل اللَّه. فأجابوا بالسمع و الطاعة، فحلّفهم على ذلك باللَّه تعالى، و بالمصحف، فحلفوا، و مشوا معه إلى مضيق جبل زغوان.

و كان منهم إنسان يقال له يوسف بن مالك، و هو من أمرائهم و رءوس القبائل فيها، فجاء إلى عبد المؤمن باللّيل و قال له سرّا: إنّ العرب قد كرهت المسير إلى الأندلس، و قالوا: ما غرضه إلّا إخراجنا من بلادنا، و إنّهم لا يفون بما حلفوا عليه، فقال: يأخذ اللَّه، عزّ و جلّ، الغادر. فلمّا كانت اللّيلة الثانية هربوا إلى عشائرهم، و دخلوا البرّ، و لم يبق منهم إلّا يوسف بن مالك، فسمّاه عبد المؤمن يوسف الصادق.

و لم يحدث عبد المؤمن فى أمرهم شيئا، و سار مغرّبا يحثّ السير حتى قرب من القسنطينة، فنزل فى موضع مخصب يقال له: وادى النساء، و الفصل ربيع، و الكلأ مستحسن، فأقام به و ضبط الطرق، فلا يسير من العسكر أحد البتّة، و دام ذلك عشرين يوما، فبقى النّاس فى جميع البلاد لا يعرفون لهذا العسكر خبرا مع كثرته و عظمه، و يقولون: ما أزعجه إلّا خبر وصله من الأندلس، فحثّ لأجله السير، فعادت العرب الذين جفلوا منه من البرّيّة إلى البلاد لمّا أمنوا جانبه، و سكنوا البلاد التى ألفوها، و استقرّوا فى البلاد.

فلمّا علم عبد المؤمن برجوعهم جهّز إليهم ولديه أبا محمّد و أبا عبد اللَّه فى ثلاثين ألف مقاتل من أعيان الموحّدين و شجعانهم، فجدّوا السير، و قطعوا المفاوز، فما شعر العرب إلّا و الجيش قد أقبل بغتة من ورائهم، من جهة

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢۴٧

الصحراء، ليمنعوهم الدخول إليها إن راموا ذلك.

و كانوا قد نزلوا جنوبا من القيروان عند جبل يقال له جبل القرن، و هم زهاء ثمانين ألف بيت، و المشاهير من مقدّميهم: أبو محفوظ محرز بن زيّاد، و مسعود بن زمام، و جبارة بن كامل و غيرهم، فلمّا أطلّت عساكر عبد المؤمن عليهم اضطربوا، و اختلفت كلمتهم، ففرّ مسعود و جبارة بن كامل و من معهما من عشائرهما، و ثبت محرز بن زيّاد، و أمرهم بالثبات و القتال، فلم يلتفتوا إليه، فثبت هو و من معه من جمهور العرب، فناجزهم الموحّدون القتال فى العشر الأوسط من ربيع الآخر من السنة، و ثبت الجمعان، و اشتدّ العراك بينهم و كثر القتل، فاتّفق أنّ محرز بن زيّاد قتل، و رفع رأسه على رمح، فانهزمت جموع العرب عند ذلك، و أسلموا البيوت و الحريم و الأولاد و الأموال، و حمل جميع ذلك إلى عبد المؤمن و هو بذلك المنزل، فأمر بحفظ النساء العربيات الصرائح، و حملهنّ معه تحت الحفظ و البرّ و الصيانة إلى بلاد الغرب، و فعل معهنّ مثل ما فعل فى حريم الأبثج.

ثمّ أقبلت إليه و فود رياح مهاجرين فى طلب حريمهم كما فعل الأبثج، فأجمل الصنيع لهم، و ردّ الحريم إليهم، فلم يبق منهم أحد إلّا صار عنده، و تحت حكمه، و هو يخفض لهم الجناح و يبذل فيهم الإحسان، ثمّ إنّه جهّزهم إلى ثغور الأندلس على الشرط الأوّل، و جمعت عظام العرب المقتولين فى هذه المعركة عند جبل القرن، فبقيت دهرا طويلا كالتلّ العظيم يلوح للناظرين من مكان بعيد، و بقيت إفريقية مع نوّاب عبد المؤمن آمنة ساكنة لم يبق فيها من أمراء العرب خارجا عن طاعته إلّا مسعود بن زمام، و طائفته فى أطراف البلاد.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢۴٨

ذكر غرق بغداد

فى هذه السنة، ثامن ربيع الآخر، كثرت الزيادة فى دجلة، و خرق القورج فوق بغداد، و أقبل المدّ إلى البلد، فامتلأت الصحارى و خندق البلد، و أفسد الماء السور ففتح فيه فتحة يوم السبت تاسع عشر الشهر، فوقع بعض السور عليها فسدّها، ثمّ فتح الماء فتحة أخرى، و أهملوها ظنّا أنّها تنفّس عن السور لئلّا يقع، فغلب الماء، و تعذّر سدّه، فغرق قراح ظفر، و الأجمة، و المختارة، و المقتدية، و درب القبّار «١»، و خرابة ابن جردة «٢»، و الرّيّان، و قراح القاضى، و بعض القطيعة، و بعض باب الأزج، و بعض المأمونيّة، و قراح أبى

الشّحم، و بعض قراح ابن رزين، و بعض الظّفريّة.

و دبّ الماء تحت الأرض إلى أماكن فوقعت و أخذ النّاس يعبرون إلى الجانب الغربىّ، فبلغت المعبرة عدّة دنانير، و لم يكن يقدر عليها، ثمّ نقص الماء و تهدّم السور و بقى الماء الّذى داخل السور يدبّ فى المحالّ التى لم يركبها الماء، فكثر الخراب، و بقيت المحالّ لا تعرف إنّما هى تلول، فأخذ النّاس حدود دورهم بالتخمين.

و أمّا الجانب الغربىّ فغرقت فيه مقبرة أحمد بن حنبل و غيرها من المقابر، و انخسفت القبور المبنيّة، و خرج الموتى على رأس الماء، و كذلك المشهد و الحربيّة، و كان أمرا عظيما.

---

(۱). و درب القيار.A

(۲). جودة:C .P .vte۰۴ .spU- ابن حردة.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۴۹

ذكر عود سنقر الهمذانىّ إلى اللّحف و انهزامه

فى هذه السنة عاد سنقر الهمذانىّ إلى إقطاعه، و هو قلعة الماهكىّ و بلد اللّحف، و كان الخليفة قد أقطعه للأمير قايماز العميدىّ، و معه أربعمائة فارس، فأرسل إليه سنقر يقول له: أرحل عن بلدى، فامتنع، فسار إليه، و جرى بينهما قتال شديد انهزم فيه العميدىّ، و رجع إلى بغداد بأسوإ حال.

فبرز الخليفة، و سار فى عساكره إلى سنقر، فوصل إلى النعمانيّة و سيّر العساكر مع ترشك و رجع إلى بغداد، و مضى ترشك نحو سنقر الهمذانىّ، فتوغّل سنقر فى الجبال هاربا، و نهب ترشك ما وجد له و لعسكره من مال و سلاح و غير ذلك، و أسر وزيره، و قتل من رأى من أصحابه، و نزل على الماهكى و حصرها أيّاما، ثمّ عاد إلى البندنيجين، و أرسل إلى بغداد بالبشارة.

و أمّا سنقر فإنّه لحق بملكشاه فاستنجده، فسيّر معه خمس مائة فارس، فعاد و نزل على قلعة هناك، و أفسد أصحابه فى البلاد، و أرسل ترشك [إلى] بغداد يطلب نجدة، فجاءته، فأراد سنقر أن يكبس ترشك، فعرف ذلك، فاحترز، فعدل سنقر إلى المخادعة، فأرسل رسولا إلى ترشك يطلب منه أن يصلح حاله مع الخليفة، فاحتبس ترشك الرسول عنده و ركب فيمن خفّ من أصحابه، فكبس سنقر ليلا، فانهزم هو و أصحابه، و كثر القتل فيهم، و غنم ترشك أموالهم و دوابّهم و كلّ ما لهم و نجا سنقر جريحا.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۵۰

ذكر الفتنة بين عامّة أستراباذ

فى هذه السنة وقع فى أستراباذ فتنة عظيمة بين العلويّين و من يتبعهم من الشيعة و بين الشافعيّة و من معهم. و كان سببها أنّ الإمام محمّدا [۱] الهروىّ وصل إلى أستراباذ، فعقد مجلس الوعظ، و كان قاضيها أبو نصر سعد بن محمّد بن إسماعيل النعيمىّ شافعىّ المذهب أيضا، فثار العلويّون و من يتبعهم من الشيعة بالشافعيّة و من يتبعهم بأستراباذ، و وقعت بين الطائفتين فتنة عظيمة انتصر فيها العلويّون، فقتل من الشافعيّة جماعة، و ضرب القاضى و نهبت داره و دور من معه، و جرى عليهم من الأمور الشنيعة ما لا حدّ عليه.

فسمع شاه مازندران الخبر فاستعظمه، و أنكر على العلويّين فعلهم، و بالغ فى الإنكار مع أنّه شديد التشيّع، و قطع عنهم جرايات كانت لهم، و وضع الجبايات و المصادرات على العامّة، فتفرّق كثير منهم و عاد القاضى إلى منصبه و سكنت الفتنة.

ذكر وفاة الملك محمّد بن محمود بن محمّد بن ملك شاه «۱»

فى هذه السنة، فى ذى الحجّة، توفّى السلطان محمّد «٢» بن محمود بن محمّد، و هو الّذى حاصر بغداد طالبا السلطنة و عاد عنها، فأصابه سلّ، و طال به، فمات بباب همذان، و كان مولده فى ربيع الآخر سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة.

---

[١] محمّد.

---

(١) ملك شاه و ملك عمه سليمان شاه بن محمّد.A

(٢). الملك محمّد.A

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٥١

فلمّا حضره الموت أمر العساكر فركبت و أحضر أمواله و جواهره و حظاياه و مماليكه، فنظر إلى الجميع من طيّارة تشرف على ما تحتها، فلمّا رآه بكى، و قال: هذه العساكر و الأموال و المماليك و السرارى ما أرى «١» يدفعون عنى مقدار «٢» ذرّة، و لا يزيدون فى أجلى لحظة. و أمر بالجميع فرفع بعد أن فرّق منه شيئا كثيرا.

و كان حليما كريما عاقلا كثير التأنّى فى أموره، و كان له ولد صغير، فسلّمه إلى آقسنقر الأحمديلىّ و قال له: أنا أعلم أن العساكر لا تطيع مثل هذا الطفل، و هو وديعة عندك، فارحل به إلى بلادك. فرحل إلى مراغة، فلمّا مات اختلفت الأمراء، فطائفة طلبوا ملك شاه أخاه، و طائفة طلبوا سليمان شاه، و هم الأكثر، و طائفة طلبوا أرسلان الّذى مع إيلدكز، فأمّا ملك شاه فإنّه سار من خوزستان، و معه دكلا صاحب فارس، و شملة التركمانىّ و غيرهما، فوصل إلى أصفهان، فسلّمها إليه ابن الخجندىّ، و جمع له مالا أنفقه عليه، و أرسل إلى العساكر بهمذان يدعوهم إلى طاعته، فلم يجيبوه لعدم الاتّفاق بينهم، و لأنّ أكثرهم كان يريد سليمان شاه.

ذكر أخذ حرّان من نور الدين و عودها إليه

فى هذه السنة مرض نور الدين محمود بن زنكى، صاحب حلب، مرضا شديدا و أرجف بموته، و كان بقلعة حلب، و معه أخوه الأصغر أمير أميران، فجمع النّاس و حصر القلعة. و كان شيركوه، و هو أكبر أمرائه، بحمص، فبلغه خبر موته، فسار إلى دمشق ليتغلّب عليها و بها أخوه نجم الدين أيّوب،

---

(١). اوذا:spU. أرد: P .C.٧۴٠

(٢). مثقال: P .C.٧۴٠

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٥٢

فأنكر عليه أيّوب ذلك و قال: أهلكتنا! و المصلحة أن تعود إلى حلب، فإن كان نور الدين حيّا خدمته فى هذا «١» الوقت، و إن كان قد مات فإنّا فى دمشق نفعل ما نريد من ملكها، فعاد إلى حلب مجدّا، و صعد القلعة، و أجلس نور الدين فى شبّاك يراه النّاس، و كلّمهم، فلمّا رأوه حيّا تفرّقوا عن أخيه أمير أميران، فسار إلى حرّان فملكها.

فلمّا عوفى نور الدين قصد حرّان ليخلّصها «٢»، فهرب أخوه منه، و ترك أولاده بحرّان فى القلعة، فملكها نور الدين، و سلّمها إلى زين الدين علىّ نائب أخيه قطب [الدين]، صاحب الموصل، ثمّ سار نور الدين بعد أخذ حرّان إلى الرّقّة، و بها أولاد أميرك الجاندار، و هو من أعيان الأمراء، و قد توفّى و بقى أولاده، فنازلها، فشفع جماعة من الأمراء فيهم، فغضب من ذلك، و قال: هلّا شفعتم فى أولاد أخى لمّا أخذت منهم حرّان، و كانت الشفاعة فيهم من أحبّ الأشياء إلىّ! فلم يشفّعهم و أخذها منهم.

ذكر عدّة حوادث

فى هـذه السـنة مرض الخليفـة المقتفى لأمر اللّه، و اشـتدّ مرضه، و عوفى فضـربت البشائر ببغـداد، و فرّقت الصـدقات من الخليفة و من أرباب الدولة، و غلق «۳» البلد أسبوعا.

و فيها عاد ترشك إلى بغداد، و لم يشـعر به أحد إلّا و قد ألقى نفسه تحت التاج و معه سـيف و كفن، و كان قد عصـى على الخليفة و التحق بالعجم، فعاد الآن فرضى عنه، و أذن له فى دخول دار الخلافة و أعطى مالا.

---

(۱). هذا.B mo

(۲). حران ليحاصرها.B

(۳). و علق.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۵۳

و فيها، فى جمادى الأولى، أرسل محمّد بن أنز «۱» صاحب قهستان عسكرا إلى بلد الإسماعيليّة ليأخذ منهم الخراج الّذى عليهم، فنزل عليهم الإسـماعيليّة من الجبال، فقتلوا كثيرا من العسـكر، و أسروا الأمير الّذى كان مقدّما عليهم اسمه قيبة، و هو صهر ابن أنز «۲»، فبقى عندهم أسيرا عدّة شهور، حتى زوّج ابنته من رئيس الإسماعيليّة علىّ بن الحسن، و خلص من الأسر.

و فيها توفّى شرف الدين علىّ بن أبى القاسم منصور بن أبى سعد الصاعدى قاضى نيسابور فى شهر رمضان، و كان موته بالرّىّ، و دفن فى مقبرة محمّد ابن الحسن الشيبانىّ، صاحب أبى حنيفة، رضى اللّه عنهما، و كان القاضى حنفيّا أيضا.

---

(۱) بن أنز.A mo

(۲). أنر.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۵۴

۵۵۵ ثمّ دخلت سنة خمس و خمسين و خمسمائة

ذكر مسير سليمان شاه إلى همذان

فى أوائل هذه السنة سار سليمان شاه من الموصل إلى همذان ليتولّى السلطنة، و قد تقدّم سبب قبضه و أخذه إلى الموصل.

و سـبب مسيره إليها أنّ الملك محمّدا [۱] ابن السـلطان محمود بن محمّـد بن ملك شاه لمّا مات أرسل أكابر الأمراء من همـذان إلى أتابك قطب الدين مودود بن زنكى، صاحب الموصل، يطلبون منه إرسال الملك سـليمان شاه ابن السلطان محمّد بن ملك شاه إليهم ليولّوه السـلطنة، فاستقرّت القاعدة بينهم أن يكون سليمان شاه سلطانا و قطب الدين «۱» أتابكه، و جمال الدين وزير قطب الدين وزيرا للملـك سـليمان شـاه، و زين الـدين علىّ أمير العسـاكر الموصـليّة مقـدّم جيش سـليمان شاه، و تحالفوا على هـذا، و جهّز سـليمان شاه بالأموال الكثيرة و البرك و الدوابّ و الآلات و غير ذلك ممّا يصـلح للسـلاطين، و سار و معه زين الدين علىّ فى عسكر الموصل إلى همذان.

فلمّا قاربوا بلاد الجبل أقبلت العساكر إليهم أرسالا كلّ يوم يلقاه طائفة و أمير، فاجتمع مع سليمان شاه عسكر عظيم، فخافهم زين الدين على نفسه لأنّه

---

[۱] محمّد.

---

(۱). الدين مودود.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۵۵

رأى من تسلّطهم على السلطان و اطّراحهم للأدب معه ما أوجب الخوف منه، فعاد إلى الموصل، فحين عاد عنه لم ينتظم أمره، و لم يتمّ له ما أراده، و قبض العسكر عليه بباب همذان فى شوّال سنة ستّ و خمسين [و خمسمائة]، و خطبوا لأرسلان شاه ابن الملك طغرل، و هو الّذى تزوّج إيلدكز بأمّه، و سيذكر مشروحا إن شاء اللّه تعالى «۱».

ذكر وفاة الفائز و ولاية العاضد العلويّين

فى هذه السنة، فى صفر، توفّى الفائز بنصر اللّه أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر، صاحب مصر، و كانت خلافته ستّ سنين و نحو شهرين، و كان له لمّا ولى خمس سنين، كما ذكرناه. و لما مات دخل الصالح بن رزّيك القصر، و استدعى خادما كبيرا، و قال له: من هاهنا يصلح للخلافة؟ فقال: هاهنا جماعة، و ذكر أسماءهم، و ذكر له منهم إنسانا كبير السنّ، فأمر بإحضاره، فقال له بعض أصحابه سرّا: لا يكون عبّاس أحزم منك حيث اختار الصغير و ترك الكبار و استبدّ بالأمر، فأعاد الصالح الرجل إلى موضعه، و أمر حينئذ بإحضار العاضد لدين اللّه أبى محمّد عبد اللّه بن يوسف بن الحافظ، و لم يكن أبوه خليفة، و كان العاضد ذلك الوقت مراهقا قارب البلوغ، فبايع له بالخلافة، و زوّجه الصالح ابنته، و نقل معها من الجهاز ما لا يسمع بمثله، و عاشت بعد موت العاضد و خروج الأمر من العلويّين إلى الأتراك و تزوّجت.

---

(۱)A. taeedsutotni

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۵۶

ذكر وفاة الخليفة المقتفى لأمر اللّه و شىء من سيرته

فى هذه السنة، ثانى ربيع الأوّل، توفّى أمير المؤمنين المقتفى لأمر اللّه أبو عبد اللّه محمّد بن المستظهر باللّه أبى العبّاس أحمد بن المقتدى بأمر اللّه، رضى اللّه عنه، بعلّة التراقى، و كان مولده ثانى عشر ربيع الآخر سنة تسع و ثمانين و أربعمائة، و أمّه أمّ ولد تدعى «۱» ياعى، و كانت خلافته أربعا و عشرين سنة و ثلاثة أشهر و ستّة عشر يوما، و وافق أباه المستظهر باللّه فى علّة التراقى و ماتا جميعا فى ربيع الأوّل.

و كان حليما كريما عادلا حسن السيرة من الرجال ذوى الرأى و العقل الكثير. و هو أوّل من استبدّ بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه من أوّل أيّام الديلم إلى الآن، و أوّل خليفة تمكّن من الخلافة و حكم على عسكره و أصحابه من حين تحكّم المماليك على الخلفاء من عهد المستنصر «۲» إلى الآن، إلّا أن يكون المعتضد، و كان شجاعا مقداما مباشرا للحروب بنفسه، و كان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار فى جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شىء.

ذكر خلافة المستنجد باللّه

و فى هذه السنة بويع المستنجد باللّه أمير المؤمنين، و اسمه يوسف، و أمّه أمّ ولد تدعى طاووس، بعد موت والده، و كان للمقتفى حظيّة، و هى أمّ

(۱). تدعى ست السادة نزهة حبشية.A

(۲). المستنصر بن المتوكل.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۵۷

ولده أبى علىّ، فلمّا اشتدّ مرض المقتفى و أيست منه أرسلت إلى جماعة من الأمراء و بذلت لهم الإقطاعات الكثيرة و الأموال الجزيلة ليساعدوها على أن يكون ولدها الأمير أبو علىّ خليفة. قالوا: كيف الحيلة مع ولىّ العهد؟

فقالت: إذا دخل على والده قبضت عليه. و كان يدخل على أبيه كلّ يوم.

فقالوا: لا بدّ لنا من أحد من أرباب الدولة، فوقع اختيارهم على أبى المعالى ابن الكيا الهراسى «۱»، فدعوه إلى ذلك، فأجابهم على أن يكون وزيرا، فبذلوا له ما طلب.

فلمّا استقرّت القاعدة بينهم و علمت أمّ أبى علىّ أحضرت عدّة من الجوارى و أعطتهنّ السكاكين، و أمرتهنّ بقتل ولىّ العهد المستنجد باللَّه. و كان له خصىّ صغير يرسله كلّ وقت يتعرّف أخبار والده، فرأى الجوارى بأيديهنّ السكاكين، و رأى بيد أبى علىّ و أمّه سيفين، فعاد إلى المستنجد فأخبره، و أرسلت هى إلى المستنجد تقول له إنّ والده قد حضره الموت ليحضر و يشاهده، فاستدعى أستاذ الدار عضد الدين و أخذه معه و جماعة من الفرّاشين، و دخل الدار و قد لبس الدرع و أخذ بيده السيف، فلمّا دخل ثار به الجوارى، فضرب واحدة منهنّ فجرحها، و كذلك أخرى، فصاح و دخل أستاذ الدار و معه الفرّاشون، فهرب الجوارى، و أخذ أخاه أبا علىّ و أمّه فسجنهما، و أخذ الجوارى فقتل منهنّ، و غرّق منهنّ «۲» و دفع اللَّه عنه.

فلمّا توفّى المقتفى لأمر اللَّه جلس للبيعة، فبايعه أهله و أقاربه، و أوّلهم عمّه أبو طالب، ثمّ أخوه أبو جعفر بن المقتفى، و كان أكبر من المستنجد، ثمّ بايعه الوزير ابن هبيرة، و قاضى القضاة، و أرباب الدولة و العلماء، و خطب له يوم الجمعة، و نثرت الدنانير و الدراهم.

(۱) الهراسA

(۲). و غرق جماعة منهن.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۵۸

حكى عنه الوزير عون الدين بن هبيرة أنّه قال: رأيت رسول اللَّه، صلّى اللَّه عليه و سلّم، فى المنام منذ خمس عشرة سنة، و قال لى: يبقى أبوك فى الخلافة خمس عشرة سنة، فكان كما قال، صلّى اللَّه عليه و سلّم. قال:

ثمّ رأيته قبل موت أبى المقتفى بأربعة أشهر، فدخل بى فى باب كبير، ثمّ ارتقى إلى رأس جبل، و صلّى بى ركعتين، ثمّ ألبسنى قميصا، ثمّ قال لى:

قل اللَّهمّ اهدنى فيمن هديت، و ذكر دعاء القنوت.

و لما ولى الخلافة أقرّ ابن هبيرة على وزارته و أصحاب الولايات على ولاياتهم، و أزال المكوس و الضرائب، و قبض على القاضى ابن المرخّم و قال: و كان بئس الحاكم، و أخذ منه مالا كثيرا، و أخذت كتبه فأحرق منها فى الرحبة ما كان من علوم الفلاسفة، فكان منها: كتاب الشفاء لابن سينا، و كتاب إخوان الصفا، و ما شاكلهما، و قدم عضد الدين بن رئيس الرؤساء، و كان أستاذ الدار يمكنه، و تقدّم إلى الوزير أن يقوم له، و عزل قاضى القضاة أبا الحسن علىّ بن أحمد الدامغانىّ، و رتّب مكانه أبا [۱] جعفر عبد الواحد الثّقفى، و خلع عليه.

ذكر الحرب بين عسكر خوارزم و الأتراك البرزيّة

فى هـذه السـنة، فى ربيع الأول، سار طائفـة من عسـكر خوارزم إلى أجحه، و هجموا على يغمر خان بن أودك و من معه من الأتراك البرزيّة، فأوقعوا بهم، و أكثروا القتل، فانهزم يغمر خان، و قصد السـلطان محمود بن محمّد الخان [و الأتراك الغزّيّة الذين معه و توسّل إليهم بالقرابة، و ظنّ

---

[١] أبو.

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٥٩

يغمر خان] «١» أن اختيار الدين إيثاق هو الّذى هيّج الخوارزميّة عليه، فطلب من الغزّ إنجاده.

ذكر أحوال المؤيّد بخراسان هذه السنة

قد ذكرنا سـنة ثلاث و خمسين [و خمسمائة] عود المؤيّد أى أبه إلى نيسابور، و تمكّنه منها، و أنّ ذلك كان سنة أربع و خمسين، فلمّا دخلت سنة خمس و خمسين و خمسمائة، و رأى المؤيّد تحكّمه فى نيسابور و تمكّنه فى دولته، و كثرة جنده و عسكره، أحسن السيرة فى الرعيّة، لا سيّما أهل نيسابور، فإنّه جبرهم و بالغ فى الإحسان إليهم، و شـرع فى إصـلاح أعمالها و ولاياتها، فسيّر طائفة من عسكره إلى ناحيـة أسـقيل، و كـان بهـا جمع قـد تمرّدوا و أكثروا العيث و الفسـاد فى البلاد، و طال تماديهم فى طغيانهم، فأرسل إليهم المؤيّد يدعوهم إلى ترك الشرّ و الفساد و معاودة الطاعة و الصلاح، فلم يقبلوا، و لم يرجعوا عمّا هم عليه، فسيّر إليهم سريّة كثيرة، فقاتلوهم و أذاقوهم عاقبة ما صنعوا فأكثروا القتل فيهم و خرّبوا حصنهم.

و سـار المؤيّـد من نيسـابور إلى بيهق، فوصـلها رابع عشـر ربيع الآـخر من السـنة، و قصـد منها حصن خسـروجرد، و هو حصن منيع بناه كيخسـرو الملك قبل فراغه من قتل أفراسياب، و فيه رجال شجعان، فامتنعوا على المؤيّد، فحصرهم و نصب عليهم المجانيق، و جدّ فى القتـال، فصبر أهل الحصن حتى نفـد صبرهم، ثمّ ملك المؤيّـد القلعـة و أخرج كلّ من فيها [و رتّب فيها] «٢» من يحفظهـا، و عاد منها إلى نيسابور فى الخامس و العشرين

P .C.(٢ -١)

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٦٠

من جمادى الأولى من السنة.

ثمّ سار إلى هراة، فلم يبلغ منها غرضا، فعاد إلى نيسابور، و قصـد مدينـة كندر، و هى من أعمال طريثيث، و قد تغلّب عليها رجل اسـمه أحمـد كـان خربنـدة، و اجتمع معه جماعـة من الرنود و قطّاع الطريق و المفسـدين، فخرّبوا كثيرا من البلاـد، و قتلوا كثيرا من الخلق، و غنموا من الأموال ما لا يحصى.

و عظمت المصـيبة بهم على خراسان و زاد البلاء، فقصـدهم المؤيّـد، فتحصّنوا بالحصن الّـذى لهم، فقوتلوا أشـدّ قتال، و نصب عليهم العرّادات و المنجنيقات، فأذعن هـذا الخربنـدة أحمد إلى طاعة المؤيّد و الانخراط فى سـلك أصـحابه و أشـياعه، فقبله أحسن قبول، و أحسن إليه و أنعم عليه.

ثمّ إنّه عصـى على المؤيّد، و تحصّن بحصـنه، فأخذه المؤيّد منه قهرا و عنوة، و قيّده، و احتاط عليه، ثمّ قتله و أراح المسلمين منه و من شرّه و فساده.

و قصـد المؤيّـد فى شـره رمضـان ناحيـة بيهق عازما على قتالهم لخروجهم عن طاعته، فلمّا قاربها أتاه زاهـد من أهلها و دعاه إلى العفو عنهم و الحلم عن ذنوبهم، و وعظه و ذكّره، فأجاب إلى ذلك و رحل عنهم، فأرسل السـلطان ركن الدين محمود بن محمّد الخان إلى

المؤيّد بتقرير نيسابور و طوس و أعمالها عليه، و ردّ الحكم فيها إليه، فعاد إلى نيسابور رابع ذى القعدة من السنة، ففرح النّاس بما تقرّر بينه و بين الملك محمود و بين الغزّ من إبقاء نيسابور عليه ليزول الخلف و الفتن عن النّاس.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۶۱

ذكر الحرب بين شاه مازندران و يغمر خان

لمّا قصد يغمر خان الغزّ و توسّل إليهم لينصروه على إيثاق لظنّه أنّه هو الّذى حسّن للخوارزميّة قصده، أجابوه [۱] إلى ذلك، و ساروا معه على طريق نسا و أبيورد، و وصلوا إلى الأمير إيثاق «۱» فلم يجد لنفسه بهم قوّة، فاستنجد شاه مازندران، فجاءه و معه من الأكراد و الديلم و الأتراك و التركمان الذين يسكنون نواحى آبسكون جمع كثير، فاقتتلوا و دامت الحرب بينهم، و انهزم الأتراك الغزّيّة و البرزيّة من شاه مازندران خمس مرّات و يعودون.

و كان على ميمنة شاه مازندران الأمير إيثاق «۲»، فحملت الأتراك الغزّيّة عليه لمّا أيسوا من الظفر بقلب شاه مازندران، فانهزم إيثاق و تبعه باقى العسكر، و وصل شاه مازندران إلى ساريه، و قتل من عسكره أكثرهم.

و حكى أنّ بعض التجّار كفّن و دفن من هؤلاء القتلى سبعة آلاف رجل.

و أمّا إيثاق فإنّه قصد فى هربه خوارزم و أقام بها، و سار الغزّ من المعركة إلى دهستان، و كان الحرب قريبا منها، فنقبوا سورها، و أوقعوا بأهلها و نهبوهم أوائل سنة ستّ و خمسين و خمسمائة، بعد أن خرّبوا جرجان و فرّقوا أهلها فى البلاد و عادوا إلى خراسان.

---

[۱]- فأجابوه.

(۱- ۲). إيتاق.B. إيناق.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۶۲

ذكر وفاة خسرو شاه صاحب غزنة و ملك ابنه بعده

فى هذه السنة، فى رجب، توفّى السلطان خسرو شاه بن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين، صاحب غزنة، و كان عادلا، حسن السيرة فى رعيّته، محبّا للخير و أهله، مقرّبا للعلماء محسنا إليهم راجعا إلى قولهم، و كان ملكه تسع سنين.

[و ملك بعده ابنه ملك شاه] «۱» فلمّا ملك نزل علاء الدين الحسين، ملك الغور، إلى غزنة فحصرها، و كان الشتاء شديدا و الثلج كثيرا، فلم يمكنه المقام عليها، فعاد إلى بلاده فى صفر سنة ستّ و خمسين [و خمسمائة].

ذكر الحرب بين إيثاق و بغراتكين

فى هذه السنة، منتصف شعبان، كان بين الأمير إيثاق و الأمير بغراتكين برغش الجركانىّ «۲» حرب، و كان إيثاق قد سار إلى بغراتكين فى آخر أعمال جوين، فنهبه، و أخذ أمواله و كلّ ما له، و كان ذا نعمة عظيمة و أموال جسيمة، فانهزم بغراتكين عنها و خلّاها فافتتحها إيثاق «۳» و استغنى بها، و قويت نفسه بسببها، و كثرت جموعه، و قصده النّاس. و أمّا بغراتكين فإنّه راسل المؤيّد صاحب نيسابور، و صار فى جملته و معدودا من أصحابه، فتلقّاه المؤيّد بالقبول.

P .C(۱)

(۲). بزعش الحوکانی.diV .nruoJ .sA ۱۸۴۶،II، ۲۶۴.ddoC .raP

(۳). ایناق.A

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۶۳

ذکر وفاهٔ ملک شاه بن محمود

فی هذه السنهٔ توفّی ملک شاه ابن السلطان محمود بن محمّد بن ملک شاه بن ألب أرسلان بأصفهان مسموما، و کان سبب ذلک أنّه لمّا کثر جمعه بأصفهان أرسل إلی بغداد و طلب أن یقطعوا خطبهٔ عمّه سلیمان شاه و یخطبوا له و یعیدوا [۱] القواعد بالعراق إلی ما کانت أوّلا، و إلّا قصدهم، فوضع الوزیر عون الدین بن هبیرهٔ خصیّا کان خصیصا به، یقال له أغلبک الکوهرائینیّ، فمضی إلی بلاد العجم، و اشتری جاریهٔ من قاضی همذان بألف دینار، و باعها من ملک شاه، و کان قد وضعها علی سمّه و وعدها أمورا عظیمهٔ، ففعلت ذلک و سمّته فی لحم مشوی فأصبح میّتا، و جاء الطبیب إلی دکلاـ و شملهٔ فعرفهما أنّه مسموم، فعرفوا أنّ ذلک من فعل الجاریهٔ، فأخذت و ضربت و أقرّت، و هرب أغلبک، و وصل إلی بغداد، و وفی له الوزیر بجمیع ما استقرّ الحال علیه.

و لمّا مات أخرج أهل أصفهان أصحابه من عندهم، و خطبوا لسلیمان شاه و استقرّ ملکه بتلک البلاد، و عاد شملهٔ إلی خوزستان فأخذ ما کان ملک شاه تغلّب علیه منها.

ذکر عدّهٔ حوادث

فی هذه السنهٔ حجّ أسد الدین شیر کوه بن شاذی مقدّم جیوش نور الدین محمود بن زنکی صاحب الشام، و شیر کوه هذا هو الّذی ملک الدیار المصریّهٔ،

---

[۱]- و یخطبون له و یعیدون.

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۶۴

و سیرد ذکره إن شاء اللّه تعالی.

و فیها أرسل زین الدین علیّ نائب قطب الدین، صاحب الموصل، رسولا إلی المستنجد یعتذر ممّا جناه من مساعدهٔ محمّد شاه فی حصار بغداد، و یطلب أن یؤذن له فی الحجّ، فأرسل إلیه یوسف الدمشقیّ، مدرّس النظامیّهٔ، و سلیمان ابن قتلمش یطیّبان قلبه عن الخلیفهٔ و یعرّفانه الإذن فی الحجّ، فحجّ و دخل إلی الخلیفهٔ، فأکرمه و خلع علیه.

و فیها توفّی قایماز الأرجوانیّ أمیر الحاجّ، سقط عن الفرس و هو یلعب بالأکرهٔ، فسال مخّه من منخریه و أذنیه فمات.

و فیها، فی ربیع الأوّل، توفّی محمّد بن یحیی بن علیّ بن مسلم أبو عبد اللّه الزّبیدیّ، من أهل زبید مدینهٔ بالیمن مشهورهٔ، و قدم بغداد سنهٔ تسع و خمسمائهٔ، و کان یأمر بالمعروف و ینهی عن المنکر، و کان نحویّا واعظا، و صحبه الوزیر ابن هبیرهٔ مدّهٔ، و کان موته ببغداد.

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۶۵

۵۵۶ ثم دخلت سنهٔ ست و خمسین و خمسمائهٔ

ذکر الفتنهٔ ببغداد

فى هـذه السـنة، فى ربيع الأوّل، خرج الوزير ابن هبيرة من داره إلى الـديوان، و الغلمـان يطرّقون له، و أرادوا أن يردوا بـاب المدرسـة الكماليّة بدار الخليفة، فمنعهم الفقهاء و ضـربوهم بالآجرّ، فشـهر أصحاب الوزير السيوف و أرادوا ضربهم، فمنعهم الوزير، و مضى إلى الديوان، فكتب الفقهاء مطالعة يشـكون أصحاب الوزير، فأمر الخليفة بضرب الفقهاء و تأديبهم و نفيهم من الدار، فمضى أستاذ الدار و عاقبهم هناك، و اختفى مدرّسهم الشيخ أبو طالب، ثمّ إنّ الوزير أعطى كلّ فقير دينارا، و استحلّ منهم، و أعادهم إلى المدرسة و ظهر مدرّسهم.

ذكر قتل ترشك

فى هـذه الأيّام قصـد جمع من التركمان إلى البنـدنيجين، فأمر الخليفة بتجهيز عسـكر إليهم، و أن يكون مقدّمهم الأمير ترشك، و كان فى أقطاعه بلد اللّحف، فأرسل إليه الخليفة يستدعيه، فامتنع من المجيء إلى بغداد و قال:

يحضـر العسـكر، فأنا أقاتل بهم، و كان عازما على الغدر، فجهّز العسـكر و ساروا إليه، و فيهم جماعة من الأمراء، فلمّا اجتمعوا بترشـك قتلوه، و أرسلوا

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢۶۶

رأسه إلى بغداد، و كان قتل مملوكا للخليفة، فدعا أولياء المقتول، و قيل لهم:

إنّ أمير المؤمنين قد اقتصّ لأبيكم ممّن قتله.

ذكر قتل سليمان شاه و الخطبة لأرسلان

فى هذه السـنة، فى ربيع الآخر، قتل السـلطان سـليمان شاه ابن السلطان محمّد بن ملك شاه، و سبب ذلك أنّه كان فيه تهوّر و خرق، و بلغ به شـرب الخمر حتى إنّه شـربها فى رمضـان نهارا، و كان يجمع المساخر و لا يلتفت إلى الأمراء، فأهمل العسـكر أمره، و صاروا لا يحضـرون بابه، و كان قد ردّ جميع الأمور إلى شرف الدين كردبازو «١» الخادم، و هو «٢» من مشايخ الخدم السّلجوقيّة يرجع إلى دين و عقل و حسن تدبير، فكان الأمراء يشكون إليه و هو يسكنهم.

فاتّفق أنّه شـرب يوما بظاهر همذان فى الكشك فحضـر عنده كردبازو، فلامه على فعله، فأمر سليمان شاه من عنده من المساخرة فعبثوا بكردبازو، حتى إنّ بعضـهم كشف له سوأته، فخرج مغضـبا، فلمّا صـحا سـليمان أرسل إليه يعتـذر، فقبل عـذره، إلّا أنّه تجنّب الحضور عنده، فكتب سليمان إلى إينانج صاحب الرّىّ يطلب منه أن ينجده على كردبازو، فوصل الرسول و إينانج مريض، فأعاد الجواب يقول: إذا أفقت من مرضى [١] حضرت عندك بعسكرى، فبلغ الخبر كردبازو، فازداد استيحاشا، فأرسل إليه سليمان

---

[١]- مرض.

---

(١). كردبازه teكردبازو retn iarutpircstairaV

(٢). VA. qsتدبير daeuqsu و هو A. mo .aedni

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢۶٧

يوما يطلبه، فقال: إذا جاء إينانج حضـرت، و أحضـر الأمراء و استحلفهم على طاعته، و كانوا كارهين لسليمان، فحلفوا له، فأوّل ما عمل أن قتل المساخرة الذين لسليمان، و قال: إنّما أفعل ذلك صيانة لملكك، ثمّ اصطلحا، و عمل كردبازو دعوة عظيمة حضرها السلطان و الأمراء، فلمّا صار السـلطان سـليمان شاه فى داره قبض عليه كردبازو و على وزيره ابن القاسم محمود بن عبـد «١» العزيز الحامدىّ، و

على أصحابه، فى شوّال سنة خمس و خمسين «۲» و خمسمائة، فقتل وزيره و خواصّه، و حبس سليمان شاه فى قلعة، ثمّ أرسل إليه من خنقه، و قيل بل حبسه فى دار مجد الدين العلوىّ رئيس همذان، و فيها قتل، و قيل بل سقى سمّا فمات، و اللَّه أعلم.

و أرسل إلى إيلدكز، صاحب أرّان و أكثر بلاد أذربيجان، يستدعيه إليه ليخطب للملك أرسلان شاه الّذى معه، و بلغ الخبر إلى إينانج صاحب الرّىّ، فسار ينهب البلاد إلى أن وصل إلى همذان، فتحصّن كردبازو، فطلب منه إينانج أن يعطيه مصافّا، فقال: أنا لا أحاربك حتى يصل الأتابك الأعظم إيلدكز.

[و سار إيلدكز] «۳» فى عساكره جميعها يزيد على عشرين ألف فارس، و معه أرسلان شاه بن طغرل بن محمّد بن ملك شاه، فوصل إلى همذان، فلقيهم كردبازو، و أنزله دار المملكة، و خطب لأرسلان شاه بالسلطنة بتلك البلاد، و كان إيلدكز قد تزوّج بأمّ أرسلان شاه، و هى أمّ البهلوان بن إيلدكز، و كان إيلدكز أتابكه، و البهلوان حاجبه، و هو أخوه لأمّه، و كان إيلدكز هذا أحد مماليك السلطان مسعود و اشتراه فى أوّل أمره، فلمّا ملك أقطعه أرّان و بعض أذربيجان، و اتّفق الحروب و الاختلاف، فلم يحضر عنده أحد من

---

(۱) أبى القسم.B. بن عميد الملك عبد.A

(۲) ست و خمسين.A

(۳).C. P

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۶۸

السلاطين السلجوقيّة، و عظم شأنه و قوى أمره، و تزوّج بأم الملك أرسلان شاه، فولدت له أولادا منهم البهلوان محمّد، و قزل أرسلان عثمان.

و قد ذكرنا سبب انتقال أرسلان شاه إليه، و بقى عنده إلى الآن، فلمّا خطب له بهمذان أرسل إيلدكز إلى بغداد يطلب الخطبة لأرسلان شاه أيضا، و أن تعاد القواعد إلى ما كانت عليه أيّام السلطان مسعود، فأهين رسوله و أعيد إليه على أقبح حالة، و أمّا إينانج صاحب الرّىّ فإنّ إيلدكز راسله و لاطفه فاصطلحا و تحالفا على الاتّفاق، و تزوّج البهلوان بن إيلدكز بابنة إينانج و نقلت إليه بهمذان.

ذكر الحرب بن ابن آقسنقر و عسكر إيلدكز

لمّا استقرّ الصلح بين إيلدكز و إينانج أرسل إلى ابن آقسنقر الأحمديلى، صاحب مراغة، يدعوه إلى الحضور فى خدمة السلطان أرسلان شاه، فامتنع من ذلك و قال: إن كففتم عنى، و إلّا فعندى سلطان، و كان عنده ولد محمّد شاه بن محمود، كما ذكرناه، و كان الوزير ابن هبيرة قد كاتبه يطمعه فى الخطبة لولد محمود «۱» شاه، فجهّز إيلدكز عسكرا مع ولده البهلوان، فبلغ الخبر إلى ابن «۲» آقسنقر فأرسل إلى شاه أرمن، صاحب خلاط، و حالفه، و صارا يدا واحدة، فسيّر إليه شاه أرمن عسكرا كثيرا، و اعتذر عن تأخّره بنفسه لأنّه فى «۳» ثغر لا يمكنه مفارقته، فقوى بهم ابن «۴» آقسنقر، و كثر جمعه، و سار نحو البهلوان، فالتقيا على نهر أسبيرود «۵»، فاشتدّ القتال بينهم،.

---

(۱) لولد محمّد.B

(۲). إلى.B. mo. إلى ابن.A. mo

(۳- ۴) ابن teفى.A. mo

(۵). سبيذروذ.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٦٩

فانهزم البهلوان أقبح هزيمة، و وصل هو و عسكره إلى همذان على أقبح صورة، و استأمن أكثر أصحابه إلى ابن «١» آقسنقر، و عاد إلى بلده منصورا.

ذكر الحرب بين إيلدكز و إينانج

لمّا مات ملك شاه ابن السلطان محمود، كما ذكرناه، أخذ طائفة من أصحابه ابنه محمودا و انصرفوا به نحو بلاد فارس، فخرج عليهم صاحبها زنكى بن دكلا السلغرىّ «٢» فأخذه منهم و تركه فى قلعة إصطخر، فلمّا ملك إيلدكز و السلطان أرسلان شاه الّذى معه البلاد «٣»، و أرسل إيلدكز إلى بغداد يطلب الخطبة للسلطان، كما ذكرناه، شرع الوزير عون الدين أبو المظفّر يحيى بن هبيرة، وزير الخليفة، فى إثارة أصحاب الأطراف عليه، و راسل الأحمديلىّ، و كان ما ذكرناه، و كاتب زنكى بن دكلا صاحب بلاد فارس يبذل له أن يخطب للملك الّذى عنده، و هو ابن ملك شاه، و علّق الخطبة له بظفره بإيلدكز، فخطب ابن دكلا للملك الّذى عنده و أنزله من القلعة، و ضرب الطبل على بابه خمس نوب، و جمع عساكره و كاتب إينانج صاحب الرّىّ يطلب منه الموافقة.

و سمع إيلدكز الخبر، فحشد و جمع، و كثر عسكره و جموعه فكانت أربعين ألفا، و سار إلى أصفهان يريد بلاد فارس، و أرسل إلى زنكى بن دكلا يطلب منه الموافقة [على] أن يعود يخطب لأرسلان شاه، فلم يفعل، و قال: إنّ الخليفة قد أقطعنى بلاده و أنا سائر إليه، فرحل إيلدكز، و بلغه أنّ جشيرا

---

(١). ابن.A mo

(٢). دكلا السنقرى.A

(٣). أرسلان الرى البلاد.:C .P .٠۴vte .spU

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٧٠

درسلان بوقا، و هو أمير من أمراء زنكى، و فى اقطاعه أرجان، بالقرب منه، فأنفذ سريّة للغارة عليه، فاتّفق أنّ أرسلان بوقا عزم على تغيير الخيل التى معه لضعفها، و أخذ عوضها من ذلك الجشير، فسار فى عسكره إلى الجشير، فصادف العسكر الّذى سيّره إيلدكز لأخذ دوابّه، فقاتلهم و أخذهم و قتلهم، و أرسل الرءوس إلى صاحبه، فكتب بذلك إلى بغداد و طلب المدد، فوعد بذلك.

و كان الوزير عون الدين أيضا قد كاتب الأمراء الذين مع إيلدكز يوبّخهم على طاعته، و يضعّف رأيهم، و يحرّضهم على مساعدة زنكى ابن دكلا و إينانج، و كان إينانج قد برز من الرّىّ فى عشرة آلاف فارس، فأرسل إليه ابن «١» آقسنقر الأحمديلى خمسة آلاف فارس، و هرب ابن البازدار، صاحب قزوين، و ابن طغيرك و غيرهما، فلحقوا بإينانج و هو فى صحراء ساوة.

و أمّا إيلدكز فإنّه استشار نصحاءه، فأشاروا بقصد إينانج لأنّه أهمّ، فرحل إليه، و نهب زنكى بن دكلا سهيرم «٢» و غيرها، فردّ إيلدكز إليه أميرا فى عشرة آلاف فارس لحفظ البلاد. فسار زنكى إليهم، فلقيهم و قاتلهم، فانهزم عسكر إيلدكز إليه، فتجلّد لذلك و أرسل يطلب عساكر أذربيجان، فجاءته مع ولده قزل أرسلان.

و سيّر زنكى بن دكلا عسكرا كثيرا إلى إينانج، و اعتذر عن الحضور بنفسه عنده لخوفه على بلاده من شملة، صاحب خوزستان، فسار إيلدكز إلى إينانج و تدانى العسكران، فالتقوا تاسع شعبان و جرى بينهم حرب عظيمة أجلت عن هزيمة إينانج، فانهزم أقبح هزيمة و قتلت رجاله و نهبت أمواله،

---

(١). ابن suirp .mO

(۲). سمیرم.B

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۷۱

و دخل الریّ، و تحصّن فی قلعة طبرک، و حصر إیلدکز الرّیّ، ثمّ شرع فی الصلح، و اقترح إینانج اقتراحات، فأجابه إیلدکز إلیها، و أعطاه جرباذقان و غیرها، و عاد إیلدکز إلی همذان، کان ینبغی أن تتأخر هذه الحادثة و التی قبلها، و إنّما قدّمت لتتبع أخواتها.

ذکر وفاة ملک الغور و ملک ابنه محمّد

فی هذه السنة، فی ربیع الآخر، توفّی الملک علاء الدین الحسین بن الحسین الغوری ملک الغور بعد انصرافه عن غزنة، و کان عادلا من أحسن الملوک سیرة فی رعیّته، و لمّا مات ملک بعده ابنه سیف الدین محمّد، و أطاعه النّاس و أحبّوه، و کان قد صار فی بلادهم جماعة من دعاة الإسماعیلیّة، و کثر أتباعهم، فأخرجوا من تلک الدیار جمیعها، و لم یبق فیها منهم أحد، و راسل الملوک و هاداهم، و استمال المؤیّد أی أبه، صاحب نیسابور، و طلب موافقته.

ذکر الفتنة بنیسابور و تخریبها

کان أهل العیث و الفساد بنیسابور قد طمعوا فی نهب الأموال و تخریب البیوت، و فعل ما أرادوا، فإذا نهوا لم ینتهوا، فلمّا کان الآن تقدّم المؤید أی أبه بقبض أعیان نیسابور، منهم نقیب العلویّین أبو القاسم زید بن الحسن الحسینیّ و غیره، و حبسهم فی ربیع الآخر سنة ستّ و خمسین [و خمسمائة]، و قال: أنتم الذین أطمعتم الرنود و المفسدین حتی فعلوا هذه

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۷۲

الفعال، و لو أردتم منعهم لامتنعوا.

و قتل من أهل الفساد جماعة، فخرّبت نیسابور بالکلیّة، و من جملة ما خرّب مسجد عقیل، کان مجمعا لأهل العلم، و فیه خزائن الکتب الموقوفة، و کان من أعظم منافع نیسابور، و خرّب أیضا من مدارس الحنفیّة ثمانی مدارس، و من مدارس الشافعیّة سبع [۱] عشرة مدرسة، و أحرق خمس خزائن للکتب، و نهب سبع خزائن کتب و بیعت بأبخس الأثمان، هذا ما أمکن إحصاؤه سوی ما لم یذکر.

ذکر خلع السلطان محمود و نهب طوس و غیرها من خراسان

فی هذه السنة، فی جمادی الآخرة، قصد السلطان محمود بن محمّد الخان، و هو ابن أخت السلطان سنجر، و قد ذکرنا أنّه ملک خراسان بعده، ففی هذه السنة حصر المؤیّد صاحب نیسابور بشاذیاخ، و کان الغزّ مع السلطان محمود، فدامت الحرب إلی آخر شعبان سنة ستّ و خمسین و خمسمائة.

ثمّ إنّ محمودا أظهر أنّه یرید دخول الحمّام، فدخل إلی شهرستان، آخر شعبان، کالهارب من الغزّ، و أقاموا علی نیسابور «۱» إلی آخر شوّال، ثمّ عادوا راجعین، فعاثوا فی القری و نهبوها، و نهبوا طوس نهبا فاحشا، و حضروا المشهد الّذی لعلیّ بن موسی، و قتلوا کثیرا ممّن فیه و نهبوهم، و لم یعرضوا للقبّة التی فیها القبر.

---

[۱]- سبعة.

---

(۱). بنیسابور:spU. ۰۴vte .P .C

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۷۳

فلمّا دخل السلطان محمود إلى نيسابور أمهله المؤيّد إلى أن دخل رمضان من سنة سبع و خمسين و خمسمائة و أخذه و كحله و أعماه، و أخذ ما كان معه من الأموال و الجواهر و الأعلاق النفيسة، و كان يخفيها خوفا عليها من الغزّ، لمّا كان معهم، و قطع المؤيّد خطبته من نيسابور و غيرها ممّا هو فى تصرّفه، و خطب لنفسه، بعد الخليفة المستنجد باللَّه، و أخذ ابنه جلال الدين محمّدا الّذى كان قد ملّكه الغزّ أمرهم قبل أبيه، و قد ذكرنا ذلك، و سمله أيضا، و سجنهما، و معهما جواريهما و حشمهما، و بقيا فيها فلم تطل أيّامهما، و مات السلطان محمود، ثمّ مات ابنه بعده من شدّة وجده لموت أبيه، و اللَّه أعلم.

ذكر عمارة شاذياخ نيسابور

كانت شاذياخ قد بناها عبد اللَّه بن طاهر بن الحسين، لمّا كان أميرا على خراسان للمأمون، و سبب عمارتها أنّه رأى امرأة جميلة تقود فرسا تريد سقيه، فسألها عن زوجها، فأخبرته به، فأحضره و قال له: خدمة الخيل بالرجال أشبه، فلم تقعد أنت فى دارك و ترسل امرأتك مع فرسك؟ فبكى الرجل، و قال له: ظلمك يحملنا على ذلك. فقال: و كيف؟ قال: لأنّك تنزل الجند معنا فى دورنا، فإن خرجت أنا و زوجتى بقى البيت فارغا، فيأخذ الجندىّ ما لنا فيه، و إن سقيت أنا الفرس فلا آمن على زوجتى من الجندىّ، فرأيت أن أقيم فى البيت و تخدم زوجتى الفرس.

فعظم الأمر عليه و خرج من البلد لوقته، و نزل فى الخيام، و أمر الجند فخرجوا من دور النّاس، و بنى شاذياخ دارا له و لجنده و سكنها و هم معه، ثمّ إنّها دثرت بعد ذلك.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۷۴

فلمّا كان أيّام السلطان ألب أرسلان، ذكرت له هذه القصة فأمر بتجديدها، ثم إنها تشعثت بعد ذلك، فلمّا كان الان و خربت نيسابور، و لم يمكن حفظها، و الغزّ تطرق البلاد و تنهبها، أمر المؤيّد حينئذ بعمل سورها، و سدّ ثلمه و سكناه، ففعل ذلك و سكنها هو و النّاس و خربت حينئذ نيسابور كلّ خراب، و لم يبق بها أنيس.

ذكر قتل الصالح بن رزّيك و وزارة ابنه رزّيك

فى هذه السنة، فى شهر رمضان، قتل الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزّيك الأرمنىّ، وزير العاضد العلوىّ، صاحب مصر، و كان سبب قتله أنّه تحكّم فى الدولة التحكّم العظيم، و استبدّ بالأمر و النّهى و جباية الأموال إليه، لصغر العاضد، و لأنّه هو الّذى ولّاه، و وتر النّاس، فإنّه أخرج كثيرا من أعيانهم و فرّقهم فى البلاد ليأمن وثوبهم عليه، ثمّ إنّه زوّج ابنته من العاضد فعاداه أيضا الحرم من القصر، فأرسلت عمّة العاضد الأموال إلى أمراء المصريّين، و دعتهم إلى قتله.

و كان أشدّهم فى ذلك إنسان يقال له ابن الراعى، فوقفوا له فى دهليز القصر، فلمّا دخل ضربوه بالسكاكين على دهش [منه] فجرحوه جراحات مهلكة، إلّا أنّه حمل إلى داره و فيه حياة، فأرسل إلى العاضد يعاتبه على الرضى بقتله مع أثره فى خلافته، فأقسم العاضد أنّه لا يعلم بذلك، و لم يرض به. فقال: إن كنت بريئا فسلّم عمّتك إلىّ حتى أنتقم منها، فأمر بأخذها، فأرسل إليها فأخذها قهرا، و أحضرت عنده فقتلها و وصى بالوزارة لابنه [۱]

---

[۱]- ابنه.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۷۵

رزّيك و لقّب العادل، فانتقل الأمر إليه بعد وفاة أبيه. و للصالح أشعار حسنة بليغة تدلّ على فضل غزير «۱»، فمنها فى الافتخار:

أبى اللَّه إلّا أن يدوم لنا الدّهرو يخدمنا فى ملكنا العزّ و النّصر

علمنا بأن المال تفنى ألوفهو يبقى لنا من بعده الأجر و الذّكر

خلطنا النّدى بالبأس حتى كأنّناسحاب لديه البرق و الرّعد و القطر

قرانا إذا رحنا إلى الحرب مرّةيرانا و من أضيافنا الذّئب و النّسر

كما أنّنا فى السّلم نبذل جودناو يرتع فى إنعامنا العبد و الحرّ و هى طويلة.

و كان الصالح كريما فيه أدب، و له شعر جيّد، و كان لأهل العلم عنده إنفاق، و يرسل إليهم العطاء الكثير، بلغه أنّ الشيخ أبا محمّد بن الدهّان النحوىّ البغدادى المقيم بالموصل قد شرح بيتا من شعره و هو هذا:

تجنّب سمعى ما يقول العواذلو أصبح لى شغل من الغزو شاغل فجهّز إليه هديّة سنيّة ليرسلها إليه، فقتل قبل إرسالها.

و بلغه أيضا أنّ إنسانا من أعيان الموصل قد أثنى عليه بمكّة، فأرسل إليه كتابا يشكره و معه هديّة.

و كان الصالح إماميّا لم يكن على مذهب العلويّين المصريّين، و لمّا ولى العاضد الخلافة، ركب سمع الصالح ضجّة عظيمة، فقال: ما الخبر؟

فقيل: إنّهم يفرحون بالخليفة. فقال: كأنّى بهؤلاء الجهلة و هم يقولون ما مات الأوّل حتى استخلف هذا، و ما علموا أنّنى كنت من ساعة أستعرضهم استعراض الغنم.

---

(۱). بعد أيام. و للصالح ... على معرفته فضل غزير.A. moiuq

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۷۶

قال عمارة: دخلت إلى الصالح قبل قتله بثلاثة أيّام، فناولنى قرطاسا فيه بيتان من شعره [۱] و هما:

نحن فى غفلة و نوم و للموتعيون يقظانة لا تنام

قد رحلنا إلى الحمام سنينالیت شعرى متى يكون الحمام فكان آخر عهدى به. و قال عمارة أيضا: و من عجيب الاتّفاق أنّنى أنشدت ابنه قصيدة أقول فيها:

أبوك الّذى تسطو اللّيالى بحدّهو أنت يمين إن سطا و شمال

لرتبته العظمى و إن طال عمرهإليك مصير واجب و منال

تخالسك اللّحظ المصون و دونهاحجاب شريف لا انقضا و حجال فانتقل الأمر إليه بعد ثلاثة أيّام.

ذكر الحرب بين العرب و عسكر بغداد

فى هذه السنة، فى شهر رمضان، اجتمعت خفاجة إلى الحلّة و الكوفة، و طالبوا برسومهم من الطعام و التمر و غير ذلك، فمنعهم أمير الحاجّ أرغش، و هو مقطع الكوفة، و وافقه على منعه الأمير قيصر شحنة الحلّة، و هما من مماليك الخليفة، فأفسدت خفاجة، و نهبوا سواد الكوفة و الحلّة، فأسرى [۲] إليهم الأمير قيصر، شحنة الحلّة، فى مائتين و خمسين فارسا، و خرج إليه أرغش

---

[۱]- شعر.

[۲]- فأسرا.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۷۷

فى عسكر و سلاح، فانتزحت خفاجة من بين أيديهم، و تبعهم العسكر إلى رحبة الشام، فأرسل خفاجة يعتذرون و يقولون: قد قنعنا بلبن الإبل و خبز الشعير، و أنتم تمنعوننا رسومنا، و طلبوا الصلح، فلم يجبهم أرغش و قيصر.

و كان قد اجتمع مع خفاجة كثير من العرب، فتصافّوا و اقتتلوا، و أرسلت العرب طائفة إلى خيام العسكر و رحالهم فحالوا بينهم و بينها، و حمل العرب حملة منكرة، فانهزم العسكر، و قتل كثير منهم، و قتل الأمير قيصر، و أسرت جماعة أخرى، و جرح أمير الحاجّ جراحة شديدة، و دخل الرحبة، فحماه شيخها و أخذ له الأمان و سيّره إلى بغداد، و من نجا مات عطشا فى البرّيّة.

و كان إماء العرب يخرجن بالماء يسقين الجرحى، فإذا طلبه منهنّ أحد من العسكر أجهزن عليه، و كثر النوح و البكاء ببغداد على القتلى، و تجهّز الوزير عون الدين بن هبيرة و العساكر معه، فخرج فى طلب خفاجة فدخلوا البرّ و خرجوا إلى البصرة، و لما دخلوا البرّ عاد الوزير إلى بغداد، و أرسل بنو خفاجة يعتذرون و يقولون: بغى علينا، و فارقنا البلاد، فتبعونا و اضطررنا إلى القتال، و سألوا العفو عنهم، فأجيبوا إلى ذلك.

ذكر حصر المؤيّد شارستان

فى هذه السنة حصر المؤيّد أى أبه مدينة شارستان، قرب [١] نيسابور، و قاتله أهلها، و نصب المجانيق و العرّادات، فصبر أهلها خوفا على أنفسهم من المؤيّد، و كان معه جلال الدين المؤيّد الموفقيّ الفقيه الشافعيّ، فبينما هو راكب

---

[١]- قريب.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٧٨

إذ وصل إليه حجر منجنيق فقتله خامس جمادى الآخرة من السنة، و تعدّى الحجر منه إلى شيخ من شيوخ بيهق فقتله، فعظمت المصيبة بقتل جلال الدين على أهل العلم، خصوصا أهل السنّة و الجماعة، و كان فى عنفوان [١] شبابه رحمه اللّه لمّا قتل.

و دام الحصار إلى شعبان سنة سبع و خمسين و خمسمائة، فنزل خواجكى صاحبها بعد ما كثر القتل، و دام الحصر، و كان لهذه القلعة ثلاثة رؤساء هم أرباب النهى و الأمر، و هم الذين حفظوها و قاتلوا عنها، أحدهم خواجكى هذا، و الثانى داعى بن محمّد ابن أخى حرب العلويّ، و الثالث الحسين بن أبى طالب العلويّ الفارسيّ، فنزلوا كلّهم أيضا إلى المؤيّد أى أبه، فيمن معهم من أشياعهم و أتباعهم. فأمّا خواجكى فإنّه أثبت عليه أنّه قتل زوجته ظلما و عدوانا و أخذ مالها، فقتل بها و ملك المؤيّد شارستان، و صفت له، فنهبها عسكره إلّا أنّهم لم يقتلوا امرأة و لا سبوها.

ذكر ملك الكرج مدينة آنى

فى هذه السنة، فى شعبان، اجتمعت الكرج مع ملكهم، و ساروا إلى مدينة آنى من بلاد أرّان، و ملكوها، و قتلوا فيها خلقا كثيرا، فانتدب لهم شاه أرمن بن إبراهيم بن سكمان صاحب خلاط، و جمع العساكر، و اجتمع معه من المتطوّعة خلق كثير، و سار إليهم، فلقوه و قاتلوه، فانهزم المسلمون، و قتل أكثرهم، و أسر كثير منهم، و عاد شاه أرمن مهزوما لم يرجع معه غير أربع مائة فارس من عسكره.

---

[١]- عنوان.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٧٩

ذكر ولاية عيسى مكّة حرسها اللّه تعالى

كان أمير مكّة، هذه السنة، قاسم بن فليتة بن قاسم بن أبى هاشم العلويّ الحسنيّ، فلمّا سمع بقرب الحجّاج من مكة صادر المجاورين و

أعيان أهل مكّة، و أخذ كثيرا من أموالهم، و هرب من مكّة خوفا من أمير الحاجّ أرغش.

و كان قد حجّ هذه السنة زين الدين على بن بكتكين «١»، صاحب جيش الموصل، و معه طائفة صالحة من العسكر، فلمّا وصل أمير الحاجّ إلى مكّة رتّب مكان قاسم بن فليتة عمّه عيسى بن قاسم بن أبى هاشم، فبقى كذلك إلى شهر رمضان، ثمّ إنّ قاسم بن فليتة جمع جمعا كثيرا من العرب أطمعهم فى مال له بمكّة، فاتّبعوه، فسار بهم إليها، فلمّا سمع عمّه عيسى فارقها، و دخلها قاسم فأقام بها أميرا أيّاما، و لم يكن له مال يوصله إلى العرب، ثمّ إنّه قتل قائدا كان معه أحسن السيرة، فتغيّرت نيّات أصحابه عليه، و كاتبوا عمّه عيسى، فقدم عليهم، فهرب و صعد جبل أبى قبيس، فسقط عن فرسه، فأخذه أصحاب عيسى و قتلوه، فعظم عليه قتله، فأخذه و غسّله و دفنه بالمعلّى عند أبيه فليتة، و استقرّ الأمر لعيسى، و اللّه أعلم.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة سار عبد المؤمن، صاحب المغرب، إلى جبل طارق، و هو على ساحل الخليج ممّا يلى الأندلس، فعبر المجاز إليه، و بنى عليه مدينة حصينة، و أقام بها عدّة شهور، و عاد إلى مرّاكش.

---

(١). ابن بلتكين.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٨٠

و فيها، فى المحرّم، ورد نيسابور جمع كثير من تركمان بلاد فارس و معهم أغنام كثيرة للتجارة فباعوها و أخذوا الثمن و ساروا و نزلوا على مرحلتين من طابس كنكلى «١»، و ناموا هناك، فنزل إليهم الإسماعيليّة و كبسوهم ليلا، و وضعوا السيف فيهم، فقتلوا و أكثروا، و لم ينج منهم إلّا الشريد، و غنم الإسماعيليّة جميع ما معهم من مال و عروض، و عادوا إلى قلاعهم.

و فيها كثرت الأمطار فى أكثر البلاد، و لا سيّما خراسان، فإنّ الأمطار توالت فيها من العشرين من المحرّم إلى منتصف صفر لم تنقطع، و لا رأى النّاس فيها شمسا.

و فيها كان بين الكرج و بين الملك صلتق بن علىّ، صاحب أرزن الروم، قتال و حرب انهزم فيه صلتق و عسكره، و أسر هو، و كانت أخته شاه بانوار قد تزوّجها شاه أرمن سكمان بن إبراهيم بن سكمان صاحب خلاط، فأرسلت إلى ملك الكرج هديّة جليلة المقدار، و طلبت منه أن يفاديها بأخيها، فأطلقه، فعاد إلى ملكه.

و فيها «٢» قصد صاحب صيدا من الفرنج نور الدين محمود، صاحب الشام، ملتجئا إليه، فأمّنه و سيّر معه عسكرا يمنعه من الفرنج أيضا، فظهر عليهم فى الطريق كمين للفرنج، فقتلوا من المسلمين جماعة و انهزم الباقون.

و فيها ملك قرا أرسلان، صاحب حصن كيفا، قلعة شاتان، و كانت لطائفة من الأكراد يقال لهم الجونيّة «٣»، فلمّا ملكها خرّبها و أضاف ولايتها إلى حصن طالب.

و فيها توفّى الكمال حمزة بن علىّ بن طلحة صاحب المخزن، كان جليل.

---

(١) طابس كنكلى.B. طبس كيلكى.A

(٢). طالب euqsu da و فيها edni a

(٣). لهم المجوبية.B

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٨١

القدر أيّام المسترشد باللّه، و ولى المقتفى، و بنى مدرسة لأصحاب الشافعىّ بالقرب من داره، ثمّ حجّ و عاد و قد لبس الفوط و زىّ

الصوفيّة و ترک الأعمال، فقال بعض الشعراء فيه:

يا عضد الإسلام يا من سمت‌إلى العلا همّته الفاخرة

كانت لک الدّنيا، فلم ترضهاملکا «۱»فأخلدت إلى الآخرة و بقى منقطعا فى بيته عشرين سنة، و لم يزل محترما يغشاه النّاس كافّة.

---

(۱). ترضها دارا.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۸۲

۵۵۷ ثم دخلت سنة سبع و خمسين و خمسمائة

ذكر فتح المؤيّد طوس و غيرها

فى هذه السنة، فى السابع و العشرين من صفر، نازل المؤيّد أى أبه أبا بكر جاندار بقلعة و سكره خوى من طوس، و كان قد تحصّن بها، و هى حصينة منيعة لا ترام، فقاتله و أعانه أهل طوس على أبى بكر لسوء سيرته فيهم و ظلمه، فلمّا رأى أبو بكر ملازمة المؤيّد و مواصلة القتال عليه خضع و ذلّ و استكان، و نزل من القلعة بالأمان فى العشرين من ربيع الأوّل من السنة، فلمّا نزل منها حبسه المؤيّد و أمر بتقييده.

ثمّ سار منها إلى كرستان، و صاحبها أبو بكر فاخر، فنزل من قلعته، و هى من أمنع الحصون على رأس جبل عال، و صار فى طاعة المؤيّد، و دان له و وافقه، و سيّر جيشا فى جمادى الآخرة منها إلى أسفرايين، فتحصّن رئيسها عبد الرحمن بن محمّد بن علىّ الحاجّ بالقلعة، و كان أبوه كريم خراسان على الإطلاق، و لكن كان عبد الرحمن هذا بئس الخلف [۱]، فلمّا تحصّن أحاط به العسكر المؤيّدىّ، و استنزلوه من الحصن، و حملوه مقيّدا إلى شاذياخ و حبس بها، و قيل فى ربيع الآخر سنة ثمان و خمسين و خمسمائة و ملک المؤيّد أيضا قهندز نيسابور، و استدارت مملكة المؤيّد حول نيسابور و عادت إلى ما كانت عليه قبل، إلّا أنّ أهلها انتقلوا إلى شاذياخ،

---

[۱]- الخلق.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۲۸۳

و خربت المدينة العتيقة.

و سيّر المؤيّد جيشا إلى خواف، و بها عسكر مع بعض الأمراء اسمه أرغش، فكمّن أرغش جمعا فى تلك المضايق و الجبال، و تقدّم إلى عسكر المؤيّد فقاتلهم و طلع الكمين، فانهزم عسكر المؤيّد و قتل منهم جمع، و عاد الباقون إلى المؤيّد بنيسابور.

و سيّر جيشا إلى بوشنج هراة، و هى فى طاعة الملک محمّد بن الحسين الغورىّ، فحصروها، و اشتدّ الحصار عليها، و دام القتال و الزحف، فسيّر الملک محمّد الغورىّ جيشا إليها ليمنع عنها، فلمّا قاربوا هراة فارقها العسكر الّذى يحصرها، و عادوا عنها و صفت تلک الولاية للغوريّة.

ذكر أخذ ابن مردنيش غرناطة من عبد المؤمن و عودها إليه

فى هذه السنة أرسل أهل غرناطة من بلاد الأندلس، و هى لعبد المؤمن، إلى الأمير إبراهيم بن همشک صهر ابن مردنيش، فاستدعوه إليهم ليسلّموا إليه البلد، و كان قد وحّد، و صار من أصحاب عبد المؤمن، و فى طاعته، و ممّن يحرّضه على قصد ابن مردنيش. ففارق

طاعة عبد المؤمن و عاد إلى موافقة ابن مردنيش. فلمّا وصل إليه رسل أهل غرناطة سار معهم إليها، فدخلها و بها جمع من أصحاب عبد المؤمن، فامتنعوا بحصنها، فبلغ الخبر أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن و هو بمدينة مالقة، فجمع الجيش الّذى كان عنده و توجّه إلى غرناطة لنصرة من فيها من أصحابهم، فعلم بذلك إبراهيم بن همشك، فاستنجد ابن مردنيش، ملك البلاد بشرق الأندلس، فأرسل إليه ألفى فارس من أنجاد أصحابه و من الفرنج الذين جندهم معه،

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۸۴

فاجتمعوا بضواحى غرناطة، فالتقوا هم و من بغرناطة من عسكر عبد المؤمن قبل وصول أبى سعيد إليهم، فاشتدّ القتال بينهم، فانهزم عسكر عبد المؤمن، و قدم أبو سعيد، و اقتتلوا أيضا، فانهزم كثير من أصحابه، و ثبت معه طائفة من الأعيان و الفرسان المشهورين، و الرجّالة الأجلاد، حتى قتلوا عن آخرهم و انهزم حينئذ أبو سعيد و لحق بمالقة.

و سمع عبد المؤمن الخبر، و كان قد سار إلى مدينة سلا، فسيّر إليهم فى الحال ابنه أبا يعقوب يوسف فى عشرين ألف مقاتل، فيهم جماعة من شيوخ الموحّدين، فجدّوا المسير، فبلغ ذلك ابن مردنيش، فسار بنفسه و جيشه إلى غرناطة ليعين ابن همشك «۱»، فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير، فنزل ابن مردنيش فى الشريعة بظاهرها، و نزل العسكر الّذى كان أمدّ به ابن همشك «۲» أوّلا- و هم ألفا فارس، بظاهر القلعة الحمراء، و نزل ابن همشك بباطن القلعة الحمراء فيمن معه، و وصل عسكر عبد المؤمن إلى جبل قريب من غرناطة، فأقاموا فى سفحه أيّاما ثمّ سيّروا سريّة أربعة آلاف فارس، فبيّتوا العسكر الّذى بظاهر القلعة الحمراء، و قاتلوهم من جهاتهم، فما لحقوا يركبون، فقتلوهم عن آخرهم.

و أقبل عسكر عبد المؤمن بجملته، فنزلوا بضواحى غرناطة، فعلم ابن مردنيش و ابن همشك أنّهم لا- طاقة لهم بهم، ففرّوا فى اللّيلة الثانية، و لحقوا ببلادهم، و استولى الموحّدون على غرناطة فى باقى السنة المذكورة، و عاد عبد المؤمن من مدينة سلا إلى مرّاكش.

..

(۱) ليمنع ابن همشك.B

(۲). و نزل ابن همشك بظاهر القلعة.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۸۵

ذكر حصر نور الدين حارم

فى هذه السنة جمع نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر، صاحب الشام، العساكر بحلب، و سار إلى قلعة حارم، و هى للفرنج غربىّ حلب، فحصرها و جدّ فى قتالها، فامتنعت عليه بحصانتها، و كثرة من بها من فرسان الفرنج و رجّالتهم و شجعانهم، فلمّا علم الفرنج ذلك جمعوا فارسهم و راجلهم من سائر البلاد، و حشدوا، و استعدّوا، و ساروا نحوه ليرحّلوه عنها، فلمّا قاربوه طلب منهم المصافّ، فلم يجيبوه إليه، و راسلوه، و تلطّفوا الحال معه، فلمّا رأى أنّه لا يمكنه أخذ الحصن، و لا يجيبونه إلى المصافّ، عاد إلى بلاده.

و ممّن كان معه فى هذه الغزوة مؤيّد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ الكنانىّ، و كان من الشجاعة فى الغاية، فلمّا عاد إلى حلب دخل إلى مسجد شيزر، و كان قد دخله فى العام الماضى سائرا إلى الحجّ، فلمّا دخله الآن كتب على حائطه:

لك الحمد يا مولاى كم لك منّةعلىّ و فضلا «۱»لا يحيط به شكرى

نزلت بهذا المسجد العام قافلامن الغزو موفور النّصيب من الأجر

و منه رحلت العيس [۱] فى عامىّ الّذىمضى نحو بيت اللّه و الرّكن و الحجر

فأدّيت مفروضى و أسقطت ثقل ماتحمّلت من وزر الشبيبة عن ظهرى

[۱]- العیش.

---

(۱). علی و فضل.B. کم لک من ید.A

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۸۶

ذکر ملک الخلیفة قلعة الماهکی

فی هذه السنة، فی رجب، ملک الخلیفة المستنجد باللّه قلعة الماهکی، و سبب ذلک أنّ سنقر الهمذانیّ، صاحبها، سلّمها إلی أحد ممالیکه و مضی إلی همذان، فضعف هذا المملوک عن مقاومة من حولها من الترکمان و الأکراد، فأشیر علیه ببیعها من الخلیفة، فراسل فی ذلک، فاستقرّت [۱] [علی] خمسة عشر ألف دینار و سلاح و غیر ذلک من الأمتعة، و عدّة من القری، فسلّمها و تسلّم ما استقرّ له، و أقام ببغداد. و هذه القلعة لم تزل من أیّام المقتدر باللّه بأیدی الترکمان و الأکراد و إلی الآن.

ذکر الحرب بین المسلمین و الکرج

فی هذه السنة، فی شعبان، اجتمعت الکرج فی خلق کثیر یبلغون ثلاثین ألف مقاتل، و دخلوا بلاد الإسلام، و قصدوا مدینة دوین من أذربیجان، فملکوها و نهبوها، و قتلوا من أهلها و سوادها نحو عشرة آلاف قتیل، و أخذوا النساء سبایا، و أسروا کثیرا، و أعروا النساء و قادوهنّ حفاة عراة، و أحرقوا الجوامع [۲] و المساجد، فلمّا وصلوا إلی بلادهم أنکر نساء الکرج ما فعلوا بنساء المسلمین، و قلن لهم: قد أحوجتم المسلمین، إلی أن یفعلوا [۳] بنا مثل ما فعلتم بنسائهم، و کسونهنّ.

---

[۱]- فاستقرّ.

[۲]- الجامع.

[۳]- یفعلون.

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۸۷

و لمّا بلغ الخبر إلی شمس الدین إیلدکز، صاحب أذربیجان و الجبل و أصفهان، جمع عساکره و حشدها، و انضاف إلیه شاه أرمن بن سکمان القطبی، صاحب خلاط، و ابن آقسنقر، صاحب مراغة و غیرها، فاجتمعوا فی عسکر کثیر یزیدون علی خمسین ألف مقاتل، و ساروا إلی بلاد الکرج فی صفر سنة ثمان و خمسین [و خمسمائة] و نهبوها و سبوا النساء و الصبیان، و أسروا الرجال، و لقیهم الکرج، و اقتتلوا أشدّ قتال صبر فیه الفریقان، و دامت الحرب بینهم أکثر من شهر، و کان الظفر للمسلمین، فانهزم الکرج و قتل منهم کثیر و أسر کذلک.

و کان سبب الهزیمة أنّ بعض الکرج حضر عند إیلدکز، فأسلم علی یدیه، و قال له: تعطینی عسکرا حتی أسیر بهم فی طریق أعرفها و أجیء إلی الکرج من ورائهم و هم لا یشعرون! فاستوثق منه، و سیّر معه عسکرا و واعده یوما یصل فیه إلی الکرج، فلمّا کان ذلک الیوم قاتل المسلمون الکرج، فبینما هم فی القتال وصل ذلک الکرجیّ الّذی أسلم و معه العسکر، و کبّروا و حملوا علی الکرج من ورائهم، فانهزموا، و کثر القتل فیهم و الأسر، و غنم المسلمون من أموالهم ما لا یدخل تحت الإحصاء لکثرته، فإنّهم کانوا متیقّنین الظفر لکثرتهم، فخیّب اللّه ظنّهم، و تبعهم المسلمون یقتلون و یأسرون ثلاثة أیّام بلیالیها، و عاد المسلمون منصورین قاهرین.

ذکر عدّة حوادث

فى هـذه السـنة وصل الحجّاج إلى منى، و لم يتمّ الحجّ لأكثر النّاس لصدّهم عن دخول مكّة و الطواف و السـعى، فمن دخل يوم النّحر مكّة و طاف و سعى كمّل حجّه، و من تأخّر عن ذلك منع دخول مكّة لفتنة جرت بين أمير الحاجّ

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٨٨

و أمير مكة. كان سببها ان جماعة من عبيد مكة أفسدوا فى الحاج بمنى، فنفر عليهم بعض أصحاب أمير الحاجّ «١» فقتلوا منهم جماعة، و رجع من سـلم إلى مكّة، و جمعوا جمعا، و أغاروا على جمال الحاجّ، و أخذوا منها قريبا من ألف جمل، فنادى أمير الحاجّ فى جنده، فركبوا بسلاحهم، و وقع القتال بينهم، فقتل جماعة، و نهب جماعة من الحاجّ و أهل مكّة، فرجع أمير الحاجّ و لم يدخل مكّة، و لم يقم بالزاهر غير يوم واحد، و عاد كثير من النّاس رجّالة لقلّة الجمال، و لقوا شدّة.

و ممّن حجّ هذه السـنة جدّتنا أمّ أبينا، ففاتها الطواف و السعى، فاستفتى لها الشيخ الإمام أبو القاسم بن البزرىّ، فقال: تدوم على ما بقى عليها «٢» من إحرامها، و إن أحبّت تفـدى و تحلّ من إحرامها إلى قابل، و تعود إلى مكّة، فتطوف و تسـعى، فتكمّل الحجّة الأولى، ثمّ تحرم إحراما ثانيا، و تعود إلى عرفات، فتقف و ترمى الجمار، و تطوف و تسـعى، فتصـير لها حجّة ثانية، فبقيت على إحرامها إلى قابل، و حجّت و فعلت كما قال، فتمّ حجّها الأوّل و الثّانى.

و فيهـا نزل بخراسـان برد كثير عظيم المقـدار، أواخر نيسان، و كان أكثره بجوين و نيسابور و ما والاهما، فأهلك الغلّات، ثمّ جاء بعـده مطر كثير دام عشرة أيّام «٣».

و فيها، فى جمادى الآخرة، وقع الحريق ببغداد، احترق سوق الطيوريّين و الدور التى تليه مقابله إلى سوق الصّفر الجديد، و الخان الّذى فى الرحبة، و دكاكين البزوريّين، و غيرها.

و فيها «٤» توفّى الكيا الصّباحىّ، صاحب ألموت، مقدّم الإسماعيليّة،

---

(١). أمير الحاج أرعش.B

(٢). تبقى على ما هى عليه.A

(٣). دام عدة.B. دام أياما.A

(٤). إليهم euqsu da و فيها edni a

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٨٩

و قام ابنه مقامه، فأظهر التوبة، و أعاد هو و من معه الصـلوات و صيام شهر رمضان، و أرسلوا إلى قزوين «١» يطلبون من يصلّى [١] بهم، و يعلمهم حدود الإسلام، فأرسلوا إليهم.

و فيها، فى رجب، درّس شـرف الدين يوسف الدمشـقىّ فى المدرسة النظاميّة ببغداد، و فيها توفّى شـجاع الفقيه الحنفى ببغداد، و كان مدرّسا بمدرسة أبى حنيفة، و كان موته فى ذى القعدة.

و فيها «٢» توفّى صدقة بن وزير الواعظ.

و فيهـا، فى المحرّم، توفّى الشـيخ عـدىّ بن مسـافر الزاهـد المقيم ببلـد الهكّاريّة من أعمال الموصل، و هو من الشام، من بلـد بعلبكّ، فانتقل إلى الموصل، و تبعه أهل السواد و الجبال بتلك النواحى و أطاعوه، و حسّنوا الظنّ فيه، و هو مشهور جدّا.

---

[١] يصلّ.

---

(١). قزوين طلبوا أعلاما سودا فأرسلوا.B

(٢).sitioacmenifd aeuqsueroiretsopو فيها a .A .mo .edni

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٩٠

٥٥٨ ثمّ دخلت سنة ثمان و خمسين و خمسمائة

ذكر وزارة شاور للعاضد بمصر ثمّ وزارة الضّرغام بعده

فى هذه السنة، فى صفر، وزر شاور للعاضد لدين اللّه العلوىّ [صاحب مصر، و كان ابتداء أمره و وزارته أنّه كان يخدم الصالح] «١» بن رزّيك و لزمه، فأقبل عليه الصالح و ولاه الصعيد، و هو أكبر الأعمال بعد الوزارة، فلمّا ولى الصعيد ظهرت منه كفاية عظيمة و تقدّم زائد، و استمال الرعيّة و المقدّمين من العرب و غيرهم، فعسر أمره على الصالح، و لم يمكنه عزله، فاستدام استعماله لئلّا يخرج عن طاعته. فلمّا جرح الصالح كان من جملة وصيّته لولده العادل: إنّك لا تغيّر على شاور، فإنّنى أنا أقوى منك و قد ندمت على استعماله، و لم يمكنى عزله، فلا تغيّروا ما به فيكون لكم منه ما تكرهون.

فلمّا توفّى الصالح من جراحته و ولى ابنه العادل الوزارة حسّن له أهله عزل شاور و استعمال بعضهم مكانه، و خوّفوه منه إن أقرّه على عمله، فأرسل إليه بالعزل، فجمع جموعا كثيرة و سار إلى القاهرة بهم، فهرب منه العادل ابن الصالح بن رزّيك فأخذ و قتل، فكانت مدّة وزارته و وزارة أبيه قبله تسع سنين و شهرا و أيّاما، و صار شاور وزيرا، و تلقّب بأمير الجيوش، و أخذ أموال بنى رزّيك و ودائعهم و ذخائرهم، و أخذ منه أيضا طى و الكامل

P .C.(١)

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٢٩١

ابنا شاور «١» شيئا كثيرا، و تفرّق كثير منها، و جحد كثير، و ظهرت عليهم عند انتقال الدولة عن شاور و المصريّين إلى الأتراك.

ثمّ إنّ الضّرغام جمع جموعا كثيرة، و نازع شاور فى الوزارة فى شهر رمضان، و ظهر أمره، و انهزم شاور منه إلى الشام، على ما نذكره سنة تسع و خمسين و خمسمائة، و صار ضرغام وزيرا.

و كان هذه السنة ثلاثة وزراء: العادل بن رزّيك، و شاور، و ضرغام، فلمّا تمكّن ضرغام من الوزارة قتل كثيرا من الأمراء المصريّين لتخلو له البلاد من منازع، فضعفت الدولة بهذا السبب حتى خرجت البلاد عن أيديهم.

ذكر وفاة عبد المؤمن و ولاية ابنه يوسف

فى هذه السنة، فى العشرين من جمادى «٢» الآخرة، توفّى عبد المؤمن بن علىّ، صاحب بلاد المغرب، و إفريقية، و الأندلس، و كان قد سار من مرّاكش إلى سلا، فمرض بها و مات.

و لمّا حضره الموت جمع شيوخ الموحّدين من أصحابه، و قال لهم: قد جرّبت ابنى محمّدا، فلم أره يصلح لهذا الأمر، و إنّما يصلح له ابنى يوسف، و هو أولى بها، فقدّموه لها، و وصّاهم به، و بايعوه و دعى بأمير المؤمنين، و كتموا موت عبد المؤمن، و حمل من سلا فى محفّة بصورة أنّه مريض إلى أن وصل إلى مرّاكش.

و كان ابنه أبو حفص فى تلك المدّة حاجبا لأبيه، فبقى مع أخيه على مثل حاله مع أبيه يخرج فيقول للنّاس: أمير المؤمنين أمر بكذا، و يوسف [لم]

---

(١). أيضا ... شاور.A. mo

(٢). فى العشر من.B. فى جمادى.A

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٩٢

يقعد مقعد أبيه إلى أن كملت المبايعة له فى جميع البلاد، و استقرت قواعد الأمور له، ثمّ أظهر موت أبيه عبد المؤمن، فكانت ولايته ثلاثا [١] و ثلاثين سنة و شهورا، و كان عاقلا حازما، سديد الرأى، حسن السياسة للأمور، كثير البذل للأموال، إلّا أنّه كان كثير السفك لدماء المسلمين على الذنب الصغير.

و كان يعظّم أمر الدين و يقوّيه، و يلزم النّاس فى سائر بلاده بالصلاة، و من رئى وقت الصلاة غير مصلّ قتل، و جمع النّاس بالغرب على مذهب مالك فى الفروع، و على مذهب أبى الحسن الأشعرىّ فى الأصول، و كان الغالب على مجلسه أهل العلم و الدين، المرجع إليهم، و الكلام معهم و لهم.

ذكر ملك المؤيّد أعمال قومس و الخطبة للسلطان أرسلان بخراسان

فى هذه السنة سار المؤيّد أى أبه، صاحب نيسابور، إلى بلاد قومس، فملك بسطام و دامغان، و استناب بقومس مملوكه تنكز «١»، فأقام تنكز بمدينة بسطام، فجرى بين تنكز و بين شاه مازندران اختلاف أدّى إلى الحرب، فجمع كلّ منهما عسكره، و التقوا أوائل ذى الحجّة فى هذه السنة، و اقتتلوا، فانهزم عسكر مازندران، و أخذت أسلابهم، و قتل منهم طائفة كبيرة و لمّا ملك المؤيّد بلاد قومس أرسل إليه السلطان أرسلان بن طغرل بن محمّد بن ملك شاه خلعا نفيسة، و ألوية معقودة، و هديّة جليلة، و أمره أن

---

[١] ثلاثة.

---

(١).qaeteتنكر.B

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٢٩٣

يهتمّ باستيعاب بلاد خراسان و يتولّى ذلك أجمع، و أن يخطب له، فلبس المؤيّد الخلع، فخطب له فى البلاد التى هى بيده.

و كان السبب فى هذا أتابك شمس الدين إيلدكز، فإنّه كان هو الّذى يحكم فى مملكة أرسلان، و ليس لأرسلان غير الاسم، و كان بين إيلدكز و بين المؤيّد مودّة ذكرناها عند قتل المؤيّد، فلمّا أطاع المؤيّد السلطان أرسلان خطب له ببلاده، و هى بلاد قومس و نيسابور و طوس و أعمال نيسابور جميعها، و من نسا إلى طبس كنكلى «١» و كان يخطب لنفسه بعد أرسلان، و كانت الخطبة فى جرجان و دهستان لخوارزم شاه أيل أرسلان بن أتسز، و بعده للأمير إيثاق «٢»، و كانت الخطبة فى مرو و بلخ و هراة و سرخس، و هذه البلاد بيد الغزّ، إلّا هراة فإنّها كانت بيد الأمير ايتكين «٣»، و هو مسالم للغزّ، فكانوا يخطبون للسلطان سنجر فيقولون: اللّهمّ اغفر للسلطان السعيد المبارك على المسلمين سنجر، و بعده للأمير الّذى هو الحاكم فى تلك البلاد.

ذكر قتل الغزّ ملك الغور

فى هذه السنة، فى رجب، قتل سيف الدين محمّد بن الحسين الغورىّ، ملك الغور، قتله الغزّ.

و سبب ذلك أنّه جمع عساكره و حشد فأكثر، و سار من جبال الغور يريد الغزّ و هم ببلخ، و اجتمعوا، و تقدّموا إليه، فاتّفق أنّ ملك الغور خرج من معسكره فى جماعة من خاصّته، جريدة، فسمع به أمراء الغزّ، فساروا يطلبونه مجدّين قبل أن يعود إلى معسكره، فأوقعوا به، فقاتلهم أشدّ قتال

(۱). کلیکیA. B. s. p

(۲). ایناق.A

(۳). الأمیر الکن.A

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۹۴

رآه النّاس، فقتل و معه نفر ممّن کان معه، و أسر طائفة، و هربت طائفة، فلحقوا بمعسکرهم و عادوا إلی بلادهم منهزمین لا یقف الأب علی ابنه و لا الأخ علی أخیه، و ترکوا کلّ ما معهم بحاله و نجوا بنفوسهم.

فکان عمر ملک الغور لمّا قتل نحو عشرین سنة، و کان عادلا حسن السیرة، فمن عدله و خوفه عاقبة الظلم أنّه حاصر أهل هراة، فلمّا ملکها أراد عسکره أن ینهبوها، فنزل علی درب المدینة، و أحضر الأموال و الثیاب، فأعطی جمیع عسکره منها، و قال: هذا خیر لکم من أن تنهبوا أموال المسلمین و تسخطوا اللَّه تعالی، فإنّ الملک یبقی علی الکفر و لا یبقی علی الظلم، و لمّا قتل عاد الغزّ إلی بلخ و مرو و قد غنموا شیئا کثیرا من العسکر الغوریّ لأن أهله ترکوه و نجوا.

ذکر انهزام نور الدین محمود من الفرنج

فی هذه السنة انهزم نور الدین محمود بن زنکی من الفرنج، تحت حصن الأکراد، و هی الوقعة المعروفة بالبقیعة، و سببها أن نور الدین جمع عساکره و دخل بلاد الفرنج و نزل فی البقیعة تحت حصن الأکراد، محاصرا له و عازما علی قصد طرابلس و محاصرتها، فبینما النّاس یوما فی خیامهم، وسط النهار، لم یرعهم إلّا ظهور صلبان الفرنج من وراء الجبل الّذی علیه حصن الأکراد، و ذلک أنّ الفرنج اجتمعوا و اتّفق رأیهم علی کبسة المسلمین نهارا، فإنّهم یکونون آمنین، فرکبوا من وقتهم، و لم یتوقّفوا حتی یجمعوا عساکرهم، و ساروا مجدّین، فلم یشعر بذلک المسلمون إلّا و قد قربوا منهم، فأرادوا منعهم، فلم یطیقوا ذلک، فأرسلوا إلی نور الدین یعرّفونه الحال، فرهقهم

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۲۹۵

الفرنج بالحملة «۱»، فلم یثبت المسلمون، و عادوا یطلبون معسکر المسلمین، و الفرنج فی ظهورهم، فوصلوا معا إلی العسکر النوریّ، فلم یتمکّن المسلمون من رکوب الخیل، و أخذ السلاح، إلّا و قد خالطوهم، فأکثروا القتل و الأسر.

و کان أشدّهم علی المسلمین الدوقس الرومیّ، فإنّه کان قد خرج من بلاده إلی الساحل فی جمع کثیر من الروم، فقاتلوا محتسبین فی زعمهم، فلم یبقوا علی أحد، و قصدوا خیمة نور الدین و قد رکب فیها فرسه و نجا بنفسه، و لسرعته رکب الفرس و الشبحة فی رجله، فنزل إنسان کردیّ قطعها، فنجا نور الدین، و قتل الکردیّ، فأحسن نور الدین إلی مخلّفیه، و وقف علیهم الوقوف.

و نزل نور الدین علی بحیرة قدس بالقرب من حمص، و بینه و بین المعرکة أربعة فراسخ، و تلاحق به من سلم من العسکر، و قال له بعضهم:

لیس من الرأی أن تقیم ها هنا، فإنّ الفرنج ربّما حملهم الطمع علی المجیء إلینا، فتؤخذ «۲» و نحن علی هذا الحال، فوبّخه و أسکته، و قال: إذا کان معی ألف فارس لقیتهم و لا أبالی بهم، و و اللَّه لا أستظلّ بسقف حتّی آخذ بثأری و ثأر الإسلام، ثمّ أرسل إلی حلب و دمشق، و أحضر الأموال و الثیاب و الخیام و السلاح و الخیل، فأعطی اللّباس عوض ما أخذ منهم جمیعه بقولهم، فعاد العسکر کأن لم تصبه هزیمة، و کلّ من قتل أعطی أقطاعه لأولاده.

و أمّا الفرنج فإنّهم کانوا عازمین علی قصد حمص بعد الهزیمة لأنّها أقرب البلاد إلیهم، فلمّا بلغهم نزول نور الدین بینها و بینهم قالوا: لم یفعل هذا إلّا و عنده قوّة یمنعنا بها.

(۱). الفرنج euqsu da بالحملة a .A .mo .edni

(۲) فتؤخذ .A .mo

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۹۶

و لمّا رأى أصحاب نور الدين كثرة خرجه قال له بعضهم: إنّ لك فى بلادك إدرارات و صدقات كثيرة على الفقهاء و الفقراء و الصوفيّة و القراء و غيرهم، فلو استعنت [بها] فى هذا الوقت لكان أصلح، فغضب من ذلك و قال: و اللّه إنّى لا أرجو النصر إلّا بأولئك «۱» فإنّما ترزقون و تنصرون بضعفائكم، كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عنى، و أنا نائم على فراشى، بسهام لا تخطىء، و أصرفها إلى من لا يقاتل عنى إلّا إذا رآنى بسهام قد تصيب و قد تخطىء، و هؤلاء القوم لهم نصيب فى بيت المال كيف يحلّ لى أن أعطيه غيرهم؟

ثمّ إنّ الفرنج راسلوا نور الدين يطلبون منه الصلح، فلم يجبهم، و تركوا عند حصن الأكراد من يحميه و عادوا إلى بلادهم.

ذكر إجلاء بنى أسد من العراق

فى هذه السنة أمر الخليفة المستنجد باللّه بإهلاك بنى أسد أهل الحلّة المزيديّة، لما ظهر من فسادهم، و لما كان فى نفس الخليفة منهم من مساعدتهم السلطان محمّدا لما حصر بغداد، فأمر يزدن بن قماج بقتالهم و إجلائهم من البلاد، و كانوا منبسطين فى البطائح، فلا يقدر عليهم، فتوجّه يزدن إليهم، و جمع عساكر كثيرة من فارس و راجل، و أرسل إلى ابن معروف مقدّم المنتفق، و هو بأرض البصرة، فجاء فى خلق كثير و حصرهم و سكّر عنهم الماء، و صابرهم مدّة، فأرسل الخليفة يعتب على يزدن و يعجّزه و ينسبه إلى موافقتهم فى التشيّع، و كان يزدن يتشيّع، فجدّ هو و ابن معروف فى قتالهم و التضييق عليهم، و سدّ مسالكهم فى الماء، فاستسلموا حينئذ، فقتل منهم أربعة

(۱). بأولئك و كيف .A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۹۷

آلاف قتيل، و نادى فيمن بقى: من وجد بعد هذا فى الحلّة المزيديّة فقد حلّ دمه، فتفرّقوا فى البلاد، و لم يبق منهم بالعراق من يعرف، و سلّمت بطائحهم إلى ابن معروف و بلادهم.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة وقع فى بغداد حريق فى باب درب فراشا إلى مشرعة الصبّاغين من الجانبين.

و فيها، فى رجب، توفّى سديد الدولة أبو عبد اللّه محمّد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم المعروف بابن الأنبارى، كاتب الإنشاء بديوان الخلافة، و كان فاضلا أديبا ذا تقدّم كثير عند الخلفاء و السلاطين، و خدم من سنة ثلاثين و خمسمائة إلى الآن فى ديوان الخلافة، و عاش حتى قارب تسعين سنة.

و توفّى فى رمضان هبة اللّه بن الفضل بن عبد العزيز بن محمّد أبو القاسم المتّوثّى، سمع الحديث، و هو من الشعراء المشهورين، إلّا أنّه كثير الهجو، و من شعره:

يا من هجرت و لا تبالى هل ترجع دولة الوصال

هل أطمع يا عذاب قلبى أن ينعم فى هواك بالى

الطّرف كما عهدت باكو الجسم كما ترين بال

ما ضرّك أن تعلّلينى فى الوصل بموعد المحال

أهواك و أنت حظّ غيرى يا قاتلتى فما احتيالى و هى أكثر من هذا.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۹۸

۵۵۹ ثمّ دخلت سنة تسع و خمسين و خمسمائة

ذكر مسير شيركوه و عساكر نور الدين إلى ديار مصر و عودهم عنها

فى هذه السنة، فى جمادى الأولى، سيّر نور الدين محمود بن زنكى عسكرا كثيرا إلى مصر، و جعل عليهم الأمير أسد الدين شيركوه بن شاذى، و هو مقدّم عسكره، و أكبر أمراء دولته، و أشجعهم، و سنذكر سنة أربع و ستّين [و خمسمائة] سبب اتّصاله بنور الدين و علوّ شأنه عنده إن شاء اللَّه تعالى.

و كان سبب إرسال هذا الجيش أنّ شاور وزير العاضد لدين اللَّه العلوىّ، صاحب مصر، نازعه فى الوزارة ضرغام، و غلب عليها، فهرب شاور منه إلى الشام، ملتجئا إلى نور الدين، و مستجيرا به، فأكرم مثواه، و أحسن إليه، و أنعم عليه، و كان وصوله فى ربيع الأوّل من السنة، و طلب منه إرسال العساكر معه إلى مصر ليعود إلى منصبه، و يكون لنور الدين ثلث دخل البلاد بعد إقطاعات العساكر، و يكون شيركوه مقيما بعساكره فى مصر، و يتصرّف هو بأمر نور الدين و اختياره، فبقى نور الدين يقدّم إلى هذا الغرض رجلا و يؤخّر أخرى، فتارة يحمله رعاية لقصد شاور بابه، و طلب الزيادة فى الملك و التقوّى على الفرنج، و تارة يمنعه خطر الطريق، و أنّ الفرنج فيه، و تخوّف أنّ شاور إن استقرّت قاعدته ربّما لا يفى.

ثمّ قوّى عزمه على إرسال الجيوش، فتقدّم بتجهيزها و إزاحة عللها،

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۲۹۹

و كان هوى أسد الدين فى ذلك، و عنده من الشجاعة و قوّة النفس ما لا يبالى بمخافة، فتجهّز، و ساروا جميعا و شاور فى صحبتهم، فى جمادى الأولى من سنة تسع و خمسين [و خمسمائة]، و تقدّم نور الدين إلى شيركوه أن يعيد شاور إلى منصبه، و ينتقم له ممّن نازعه فيه.

و سار نور الدين إلى طرف بلاد الفرنج ممّا يلى دمشق بعساكره ليمنع الفرنج من التعرّض لأسد الدين و من معه، فكان قصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين، و وصل أسد الدين و العساكر معه إلى مدينة بلبيس، فخرج إليهم ناصر الدين أخو ضرغام بعسكر المصريّين و لقيهم، فانهزم و عاد إلى القاهرة مهزوما.

و وصل أسد الدين فنزل على القاهرة أواخر جمادى الآخرة، فخرج ضرغام من القاهرة سلخ الشهر، فقتل عند مشهد السيّدة نفيسة، و بقى يومين، ثمّ حمل و دفن فى القرافة، و قتل أخوه فارس «۱» المسلمين، و خلع على شاور مستهلّ رجب، و أعيد إلى الوزارة، و تمكّن منها، و أقام أسد الدين بظاهر القاهرة، فغدر به شاور، و عاد عمّا كان قرّره لنور الدين من البلاد المصريّة، و لأسد الدين أيضا، و أرسل إليه يأمره بالعود إلى الشام، فأعاد الجواب بالامتناع، و طلب ما كان قد استقرّ بينهم، فلم يجبه شاور إليه، فلمّا رأى ذلك أرسل نوّابه فتسلّموا مدينة بلبيس، و حكم على البلاد الشرقيّة، فأرسل شاور إلى الفرنج يستمدّهم و يخوّفهم من نور الدين إن ملك مصر.

و كان الفرنج قد أيقنوا بالهلاك إن تمّ ملكه لها، فلمّا أرسل شاور يطلب منهم أن يساعدوه على إخراج أسد الدين من البلاد جاءهم فرج لم يحتسبوه، و سارعوا إلى تلبية دعوته و نصرته و طمعوا فى ملك الديار المصريّة، و كان قد بذل لهم مالا على المسير إليه، و تجهّزوا و ساروا، فلمّا بلغ نور الدين ذلك

(۱). أخوه ناصر.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۰۰

سار بعساكره إلى أطراف بلادهم ليمتنعوا عن المسير، فلم يمنعهم ذلك لعلمهم أنّ الخطر فى مقامهم، إذا ملك أسد الدين مصر، أشدّ، فتركوا فى بلادهم من يحفظها، و سار ملك القدس فى الباقين إلى مصر.

و كان قد وصل إلى الساحل جمع كثير من الفرنج فى البحر لزيارة البيت المقدس، فاستعان بهم الفرنج الساحليّة، فأعانوهم، فسار بعضهم معهم، و أقام بعضهم فى البلاد لحفظها، فلمّا قارب الفرنج مصر فارقها أسد الدين، و قصد مدينة بلبيس، فأقام بها هو و عسكره، و جعلها له ظهرا يتحصّن به، فاجتمعت العساكر المصريّة و الفرنج، و نازلوا أسد الدين شيركوه بمدينة بلبيس، و حصروه بها ثلاثة أشهر، و هو ممتنع بها مع أنّ سورها قصير جدّا، و ليس لها خندق، و لا فصيل يحميها، و هو يغاديهم القتال و يراوحهم، فلم يبلغوا منه غرضا، و لا نالوا منه شيئا.

فبينما هم كذلك إذ أتاهم الخبر بهزيمة الفرنج على حارم و ملك نور الدين حارم و مسيره إلى بانياس، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى، فحينئذ سقط فى أيديهم، و أرادوا العودة إلى بلادهم ليحفظوها، فراسلوا أسد الدين فى الصلح و العود إلى الشام، و مفارقة مصر، و تسليم ما بيده منها إلى المصريّين، فأجابهم إلى ذلك لأنّه لم يعلم ما فعله نور الدين بالشام بالفرنج، و لأن الأقوات و الذخائر قلّت عليه، و خرج من بلبيس فى ذى الحجّة.

فحدّثنى من رأى أسد الدين حين خرج من بلبيس قال: أخرج أصحابه بين يديه، و بقى فى آخرهم و بيده لتّ من حديد يحمى ساقتهم، و المسلمون و الفرنج ينظرون إليه. قال: فأتاه فرنجىّ من الغرباء الذين خرجوا من البحر، فقال له: أما تخاف أن يغدر بك هؤلاء المصريّون و الفرنج، و قد أحاطوا بك و بأصحابك، و لا يبقى لكم بقيّة؟ فقال شيركوه: يا ليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما أفعله، كنت و اللّه أضع السيف، فلا يقتل منّا رجل حتى يقتل منهم

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۰۱

رجالا، و حينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين، و قد ضعفوا و فنى شجعانهم، فنملك بلادهم و يهلك من بقى منهم، و اللّه لو أطاعنى هؤلاء لخرجت إليكم من أوّل يوم، و لكنّهم امتنعوا.

فصلّب على وجهه، و قال: كنّا نعجب من فرنج هذه البلاد و مبالغتهم فى صفتك و خوفهم منك، و الآن فقد عذرناهم، ثمّ رجع عنه.

و سار شيركوه إلى الشام، فوصل سالما، و كان الفرنج قد وضعوا له على مضيق فى الطريق رصدا ليأخذوه أو ينالوا منه ظفرا، فعلم بهم فعاد عن ذلك الطريق، ففيه يقول عمارة «۱»:

أخذتم على الإفرنج كلّ ثنيّةو قلتم لأيدى الخيل مرّى على مرّى

لئن نصبوا فى البرّ جسرا فإنّكمعبرتم ببحر من حديد على الجسر و لفظة «۲» مرّى فى آخر البيت الأوّل اسم ملك الفرنج.

ذكر هزيمة الفرنج و فتح حارم

فى هذه السنة، فى شهر رمضان، فتح نور الدين محمود بن زنكى قلعة حارم من الفرنج، و سبب ذلك أنّ نور الدين لمّا عاد منهزما من البقيعة، تحت حصن الأكراد، كما ذكرناه قبل، فرّق الأموال و السلاح، و غير ذلك من الآلات على ما تقدّم، فعاد العسكر كأنّهم لم يصابوا و أخذوا فى الاستعداد للجهاد و الأخذ بثأره.

و اتّفق مسير بعض الفرنج مع ملكهم إلى مصر، كما ذكرناه، فأراد أن

(۱). عمارة الیمنی.A

(۲). و لفظة.B. mo

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۳۰۲

یقصد بلادهم لیعودوا عن مصر، فأرسل إلی أخیه قطب الدین مودود، صاحب الموصل و دیار الجزیرة، و إلی فخر الدین قرا أرسلان، صاحب حصن کیفا، و إلی نجم الدین ألبی، صاحب ماردین، و غیرهم من أصحاب الأطراف یستنجدهم، فأمّا قطب الدین فإنّه جمع عسکره و سار مجدّا، و فی مقدمته زین الدین علیّ أمیر جیشه، و أمّا فخر الدین، صاحب الحصن، فبلغنی عنه أنّه قال له ندماؤه و خواصّه: علی أیّ شیء عزمت؟ فقال: علی القعود، فإن نور الدین قد تحشّف من کثرة الصوم و الصلاة، و هو یلقی نفسه و الناس معه فی المهالک، فکلّهم وافقه علی هذا الرأی، فلمّا کان الغد أمر بالتجهّز للغزاة، فقال له أولئک: ما عدا ممّا بدا؟ فارقناک أمس علی حالة، فنری الیوم ضدّها؟ فقال: إنّ نور الدین قد سلک معی طریقا إن لم أنجده خرج أهل بلادی عن طاعتی، و أخرجوا البلاد عن یدی، فإنّه قد کاتب زهّادها و عبّادها و المنقطعین عن الدنیا، یذکر لهم ما لقی المسلمون من الفرنج، و ما نالهم من القتل و الأسر، و یستمدّ منهم الدعاء، و یطلب أن یحثّوا المسلمین علی الغزاة، فقد قعد کلّ واحد من أولئک، و معه أصحابه و أتباعه، و هم یقرءون کتب نور الدین، و یبکون و یلعنونی، و یدعون علیّ، فلا بدّ من المسیر إلیه، ثمّ تجهّز و سار بنفسه.

و أمّا نجم الدین فإنّه سیّر عسکرا، فلمّا اجتمعت العساکر سار نحو حارم فحصرها و نصب علیها المجانیق و تابع الزحف إلیها، فاجتمع من بقی بالساحل من الفرنج، فجاءوا فی حدّهم و حدیدهم، و ملوکهم و فرسانهم، و قسّیسیهم و رهبانهم، و أقبلوا إلیه من کلّ حدب ینسلون، و کان المقدّم علیهم البرنس بیمند، صاحب أنطاکیة، و قمص، صاحب طرابلس و أعمالها، و ابن جوسلین، و هو من مشاهیر الفرنج، و الدوک، و هو مقدّم کبیر من الروم، و جمعوا الفارس و الراجل، فلمّا قاربوه رحل عن حارم إلی أرتاح طمعا أن یتبعوه فیتمکّن منهم لبعدهم عن بلادهم إذا لقوة، فساروا، فنزلوا علی

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۳۰۳

غمّر «۱» ثمّ علموا عجزهم عن لقائه، فعادوا إلی حارم، فلمّا عادوا تبعهم نور الدین فی أبطال المسلمین علی تعبئة الحرب.

فلمّا تقاربوا اصطفّوا للقتال، فبدأ الفرنج بالحملة علی میمنة المسلمین، و فیها عسکر حلب و صاحب الحصن، فانهزم المسلمون فیها، و تبعهم الفرنج، فقیل کانت تلک الهزیمة من المیمنة علی اتّفاق و رأی دبّروه، و هو أن یتبعهم الفرنج فیبعدوا عن راجلهم، فیمیل علیهم من بقی من المسلمین بالسیوف فیقتلوهم، فإذا عاد فرسانهم لم یلقوا راجلا یلجئون إلیه، و لا وزرا یعتمدون علیه، و یعود المنهزمون فی آثارهم، فیأخذهم المسلمون من بین أیدیهم و من خلفهم، و عن أیمانهم و عن شمائلهم، فکان الأمر علی ما دبّروه، فإنّ الفرنج لمّا تبعوا المنهزمین عطف زین الدین علیّ فی عسکر الموصل علی راجل الفرنج فأفناهم قتلا- و أسرا، و عاد خیّالتهم، و لم یمنعوا فی الطلب خوفا علی راجلهم، فعاد المنهزمون فی آثارهم، فلمّا وصل الفرنج رأوا رجالهم «۲» قتلی و أسری، فسقط فی أیدیهم، و رأوا أنّهم قد هلکوا و بقوا فی الوسط قد أحدق بهم المسلمون من کلّ جانب، فاشتدّت الحرب، و قامت علی ساق، و کثر القتل فی الفرنج، و تمّت علیهم الهزیمة، فعدل حینئذ المسلمون عن القتل إلی الأسر، فأسروا ما لا یحدّ، و فی جملة الأسری صاحب أنطاکیة و القمّص، صاحب طرابلس، و کان شیطان الفرنج، و أشدّهم شکیمة علی المسلمین، و الدوک مقدّم الروم، و ابن جوسلین، و کانت عدّة القتلی تزید علی عشرة آلاف قتیل.

و أشار المسلمون علی نور الدین بالمسیر إلی أنطاکیة و تملّکها لخلوّها من حام یحمیها و مقاتل یذبّ عنها، فلم یفعل، و قال: أمّا المدینة فأمرها سهل، و أمّا القلعة فمنیعة، و ربّما سلّموها إلی ملک الروم لأنّ صاحبها ابن أخیه

---

(۱). غم.B- علی عمر.A- عمر:te .P .C spU۰۴۷.doCP

(۲). راجلهم.B. و جالتهم.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۰۴

و مجاورة بيمند أحبّ إلىّ من مجاورة صاحب قسطنطينيّة، و بثّ السرايا فى تلك الأعمال فنهبوها و أسروا أهلها و قتلوهم، ثمّ إنّه فادى بيمند البرنس، صاحب أنطاكية، بمال جزيل و أسرى من المسلمين كثيرة أطلقهم.

ذكر ملك نور الدين قلعة بانياس من الفرنج أيضا

فى ذى الحجّة من هذه السنة فتح نور الدين محمود قلعة بانياس، و هى بالقرب من دمشق، و كانت بيد الفرنج من سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة، و لمّا فتح حارم أذن لعسكر الموصل و ديار بكر بالعود إلى بلادهم، و أظهر أنّه يريد طبريّة، فجعل من بقى من الفرنج همّتهم حفظها و تقويتها، فسار محمود «۱» إلى بانياس لعلمه بقلّة من فيها من الحماة الممانعين عنها، و نازلها، و ضيّق عليها و قاتلها، و كان فى جملة عسكره أخوه نصرة الدين أمير أميران، فأصابه سهم فأذهب إحدى عينيه، فلمّا رآه نور الدين قال له: لو كشف لك عن الأجر الّذى أعدّ لك لتمنّيت ذهاب الأخرى. و جدّ فى حصارها، فسمع الفرنج، فجمعوا، فلم تتكامل عدّتهم، حتّى فتحها، على أنّ الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم و أسرهم فملك القلعة، و ملأها ذخائر و عدّة و رجالا، و شاطر الفرنج فى أعمال طبريّة، و قرّروا له على الأعمال التى لم يشاطرهم عليها مالا فى كلّ سنة.

و وصل خبر ملك حارم و حصر بانياس إلى الفرنج بمصر، فصالحوا شيركوه، و عادوا ليدركوا بانياس، فلم يصلوا إلّا و قد ملكها، و لمّا عاد منها إلى دمشق كان بيده خاتم بفصّ ياقوت من أحسن الجوهر، و كان يسمّى الجبل

---

(۱). فسار مجدا.B. فسار محمد.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۰۵

لكبره و حسنه، فسقط من يده فى شعارى بانياس، و هى كثيرة الأشجار ملتفّة الأغصان، فلمّا أبعد عن المكان الّذى ضاع فيه علم به، فأعاد بعض أصحابه فى طلبه و دلّهم على المكان الّذى كان آخر عهده به فيه، و قال: أظنّ هناك سقط، فعادوا إليه فوجدوه، فقال بعض الشعراء الشاميّين أظنّه ابن منير يمدحه و يهنّئه بهذه الغزاة و يذكر الجبل الياقوت:

إن يمتر الشّكّاك فيك بأنّكالمهدىّ مطفى جمرة الدّجّال

فلعودة الجبل الّذى أضللتهبالأمس بين غياطل و جبال

لم يعطها إلّا سليمان و قد «۱»نبت الربا «۲» بموشك الإعجال

رحرحرى لسرير ملككك إنّهكسريره عن كلّ حدّ عال

فلو البحار السبعة استهوينهو أمرتهن قذفنه فى الحال و لمّا فتح الحصن كان معه ولد معين الدين أنز الّذى سلّم بانياس إلى الفرنج، فقال له: للمسلمين بهذا الفتح فرحة واحدة، و لك فرحتان، فقال:

كيف ذاك؟ قال: لأنّ اليوم برّد اللّه جلد والدك من نار جهنّم.

ذكر أخذ الأتراك غزنة من ملك شاه و عوده إليها

فى هذه السنة قصد بلاد غزنة الأتراك المعروفون بغزّ «۳»، و نهبوها و خرّبوها، و قصدوا غزنة و بها صاحبها ملك شاه بن خسروشاه المحمودىّ، فعلم أنّه لا طاقة له بهم، ففارقها و سار إلى مدينة لهاوور، و ملك الغزّ مدينة

---

(۱).A. enigapm enifdaeuqsuaedni .mo

(۲). قلت الربا.B

(۳) المعروفون بقى.B

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۰۶

غزنة. و كان القيّم بأمرهم أمير اسمه زنكى بن علىّ بن خليفة الشيبانىّ، ثمّ إنّ صاحبها ملك شاه جمع و عاد إلى غزنة، ففارقها زنكى و عاد ملكها ملك شاه و دخلها فى جمادى الآخرة سنة تسع و خمسين و خمسمائة و تمكّن فى دار ملكه.

ذكر وفاة جمال الدين الوزير و شىء من سيرته

فى هذه السنة توفّى جمال الدين أبو جعفر محمّد بن علىّ بن أبى منصور الأصفهانىّ، وزير قطب الدين، صاحب الموصل، فى شعبان مقبوضا، و كان قد قبض عليه سنة ثمان و خمسين، فبقى فى الحبس نحو سنة.

حكى لى إنسان صوفىّ يقال له أبو القاسم كان مختصّا بخدمته فى الحبس قال: لم يزل مشغولا فى محبسه بأمر آخرته، و كان يقول: كنت أخشى أن أنقل من الدّست إلى القبر، فلمّا مرض قال لى فى بعض الأيّام: يا أبا القاسم! إذا جاء طائر أبيض إلى الدار فعرّفنى. قال: فقلت فى نفسى قد اختلط عقله، فلمّا كان الغد أكثر السؤال عنه، و إذا [۱] طائر أبيض لم أر مثله قد سقط، فقلت: جاء الطائر، فاستبشر ثمّ قال: جاء الحقّ، و أقبل على الشهادة و ذكر اللَّه تعالى، إلى أن توفّى، فلمّا توفّى طار ذلك الطائر، فعلمت أنّه رأى شيئا فى معناه.

و دفن بالموصل عند فتح الكرامىّ «۱»، رحمة اللَّه عليهما، نحو سنة، ثمّ نقل إلى المدينة، فدفن بالقرب من حرم النبىّ، صلّى اللَّه عليه و سلّم، فى رباط

---

[۱] و إذا.

---

(۱). الكارى.B. فتح الهكارى.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۰۷

بناه لنفسه هناك، و قال لأبى القاسم: بينى و بين أسد الدين شيركوه عهد، من مات منّا قبل صاحبه حمله إلى المدينة فدفنه بها فى التربة التى عملها، فإذا أنا متّ فامض [۱] إليه و ذكّره، فلمّا توفّى سار أبو القاسم إلى شيركوه فى المعنى، فقال له شيركوه: كم تريد؟ فقال: أريد أجرة جمل يحمله و جمل يحملنى و زادى، فانتهره و قال: مثل جمال الدين يحمل هكذا إلى مكّة! و أعطاه مالا صالحا ليحمل معه جماعة يحجّون عن جمال الدين، و جماعة يقرءون عليه بين يدى تابوته إذا حمل، و إذا نزل عن الجمل، و إذا وصل إلى مدينة يدخل أولئك القرّاء ينادون للصلاة عليه، فيصلّى عليه فى كل بلدة يجتاز بها، و أعطاه أيضا مالا للصدقة عنه، فصلّى عليه فى تكريت و بغداد و الحلّة «۱» و فيد و مكّة و المدينة، و كان يجتمع له فى كلّ بلد من الخلق ما لا يحصى، و لمّا أرادوا الصلاة عليه بالحلّة صعد شاب على موضع مرتفع و أنشد بأعلى صوته:

سرى نعشه فوق الرّقاب و طالماسرى جوده فوق الرّكاب و نائله

يمرّ على الوادى فتثنى رماله‌عليه و بالنّادى فتثنى أراملهفلم نر باكيا أكثر من ذلك اليوم، فطافوا به حول الكعبة، و صلّوا عليه بالحرم الشريف، و بين قبره و قبر النبىّ، صلّى اللَّه عليه و سلّم نحو خمسة عشر ذراعا.

و أمّا سيرته فكان، رحمه اللَّه، أسخى النّاس، و أكثرهم بذلا للمال، رحيما بالخلق، متعطّفا عليهم، عادلا فيهم، فمن أعماله الحسنة أنّه

جدّد بناء

---

[۱] فامضى.

---

(۱). و الحلة و الكوفة.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۰۸

مسجد الخيف بمنى، و غرم عليه أموالا جسيمة، و بنى الحجر بجانب الكعبة، و زخرف الكعبة و ذهّبها، و عملها بالرخام، و لمّا أراد ذلك أرسل إلى المقتفى لأمر اللَّه هديّة جليلة، و طلب منه ذلك، و أرسل إلى الأمير عيسى أمير مكّة هديّة كثيرة. و خلعا ستيّة، منها عمامة مشتراها ثلاثمائة دينار. حتى مكّنه من ذلك.

و عمر أيضا المسجد الّذى على جبل عرفات و الدرج التى يصعد فيها إليه، و كان النّاس يلقون شدّة فى صعودهم، و عمل بعرفات [۱] أيضا مصانع للماء، و أجرى الماء إليها من نعمان فى طرق معمولة تحت الأرض، فخرج عليها مال كثير. و كان يجرى الماء فى المصانع كلّ سنة أيّام عرفات، و بنى سورا على مدينة النبيّ، صلّى اللَّه عليه و سلّم، و على فيد، و بنى لها أيضا فصيلا [۲].

و كان يخرج على باب داره، كلّ يوم، للصعاليك و الفقراء مائة دينار أميريّ، هذا سوى الإدرارات و التعهّدات للأئمّة و الصالحين و أرباب البيوتات.

و من أبنيته العجيبة التى لم ير النّاس مثلها الجسر الّذى بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت «۱» و الحديد و الرصاص و الكلس، فقبض قبل أن يفرغ، و بنى عندها أيضا جسرا كذلك على النهر المعروف بالارباد «۲»، و بنى الرّبط، و قصده النّاس من أقطار الأرض، و يكفيه أنّ ابن الخجندىّ، رئيس أصحاب الشافعىّ بأصفهان، قصده و ابن الكافى قاضى همذان، فأخرج

---

[۱] بعرقات.

[۲] فضيلا.

---

(۱). بالحديد المنحوت.A

(۲).C .O .marutp ircstnebahmednae۰۴vte

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۰۹

عليهما مالا عظيما، و كانت صدقاته و صلاته من أقاصى خراسان إلى حدود اليمن.

و كان يشترى الأسرى كلّ سنة بعشرة آلاف دينار، هذا من الشام حسب، سوى ما يشترى من الكرج.

حكى لى والدى عنه قال: كثيرا ما كنت أرى جمال الدين، إذا قدّم إليه الطعام، يأخذ منه و من الحلوى و يتركه فى خبز بين يديه، فكنت أنا و من يراه نظنّ أنّه يحمله إلى أمّ ولده علىّ، فاتّفق أنّه فى بعض السنين جاء إلى الجزيرة مع قطب الدين، و كنت أتولّى ديوانها، و حمل جاريته أمّ ولده إلى دارى لتدخل الحمّام، فبقيت فى الدار أيّاما، فبينما أنا عنده فى الخيام و قد أكل الطعام، فعل كما كان يفعل ثمّ تفرّق النّاس، فقمت، فقال: اقعد.

فقعدت، فلمّا خلا المكان قال لى: قد آثرتك اليوم على نفسى، فإنّنى فى الخيام ما يمكننى أن أفعل ما كنت أفعله، خذ هذا الخبز و احمله أنت فى كمّك فى هذا المنديل، و اترك الحماقة من رأسك، و عد إلى بيتك، فإذا رأيت فى طريقك فقيرا يقع فى نفسك أنّه مستحقّ فاقعد أنت بنفسك و أطعمه هذا الطعام. قال: ففعلت ذلك. و كان معى جمع كثير، ففرّقتهم فى الطريق لئلّا يرونى أفعل

ذلک، و بقیت فی غلمانی، فرأیت فی موضع إنسانا أعمی، و عنده أولاده و زوجته، و هم من الفقر فی حال شدید، فنزلت عن دابّتی إلیهم، و أخرجت الطعام و أطعمتهم إیّاه، و قلت للرجل: تجیء غدا بکرة إلی دار فلان، أعنی داری، و لم أعرّفه نفسی، فإنّنی آخذ لک من صدقة جمال الدین شیئا، ثمّ رکبت إلیه العصر، فلمّا رآنی قال: ما الّذی فعلت فی الّذی قلت لک؟ فأخذت أذکر له شیئا یتعلّق بدولتهم، فقال: لیس عن هذا أسألک إنّما أسألک عن الطعام الّذی سلّمته إلیک، فذکرت له الحال، ففرح ثمّ قال: بقی أنّک لو قلت للرجل یجیء إلیک هو و أهله فتکسوهم و تعطیهم

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۳۱۰

دنانیر، و تجری لهم کلّ شهر دینارا. قال: فقلت له: قد قلت للرجل حتی یجیء إلیّ، فازداد فرحا، و فعلت بالرجل ما قال، و لم یزل یصل إلیه رسمه حتی قبض. و له من هذا کثیر، فمن ذلک أنّه تصدّق بثیابه من علی بدنه فی بعض السنین التی تعذّرت الأقوات فیها.

ذکر إجلاء القارغلیّة «۱» من وراء النهر

کان خان خانان الصینی ملک الخطا قد فوّض ولایة سمرقند و بخاری إلی الخان جغری خان بن حسن تکین، و استعمله علیهما، و هو من بیت الملک، قدیم الأبوّة، فبقی فیها مدبّرا لأمورها، فلمّا کان الآن أرسل إلیه ملک الخطا بإجلاء الأتراک القارغلیّة من أعمال بخاری و سمرقند إلی کاشغر، و أن یترکوا حمل السلاح و یشتغلوا بالزراعة و غیرها من الأعمال، فتقدّم جغری خان إلیهم بذلک، فامتنعوا، فألزمهم و ألحّ علیهم بالانتقال، فاجتمعوا و صارت کلمتهم واحدة، فکثروا، و ساروا إلی بخاری، فأرسل الفقیه محمّد بن عمر ابن برهان الدین عبد العزیز بن مازة، رئیس بخاری، إلی جغری خان یعلمه ذلک و یحثّه علی الوصول إلیهم بعساکره قبل أن یعظم شرّهم، و ینهبوا البلاد.

و أرسل إلیهم ابن مازة یقول لهم: إنّ الکفار بالأمس لمّا طرقوا هذه البلاد امتنعوا عن النهب و القتل، و أنتم مسلمون، غزاة، یقبح منکم مدّ الأیدی إلی الأموال و الدماء، و أنا أبذل لکم من الأموال ما ترضون به لتکفّوا عن النهب و الغارة، فتردّدت الرسل بینهم فی تقریر القاعدة، و ابن مازة یطاول بهم و یمادی الأیّام إلی أن وصل جغری خان، فلم یشعر الأتراک القارغلیّة «۲»

(۱- ۲). الغارلغیة.A

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۳۱۱

إلّا و قد دهمهم جغری خان فی جیوشه و جموعه بغتة و وضع السیف فیهم، فانهزموا و تفرّقوا، و کثر القتل فیهم و النهب، و اختفی طائفة منهم فی الغیاض و الآجام ثمّ ظفر بهم أصحاب جغری خان فقطعوا دابرهم، و دفعوا عن بخاری و نواحیها ضررهم و خلت تلک الأرض منهم.

ذکر استیلاء سنقر علی الطالقان و غرشستان

فی هذه السنة استولی الأمیر صلاح الدین سنقر، و هو من ممالیک السّنجریّة، علی بلاد الطالقان، و أغار علی حدود غرشستان، و تابع الغارات علیها حتی ملکها، فصارت الولایتان له و بحکمه، و له فیهما [۱] حصون منیعة، و قلاع حصینة، و صالح الأمراء الغزّیّة و حمل لهم الإتاوة کلّ سنة.

ذکر قتل صاحب هراة

کان صاحب هراة الأمیر أیتکین بینه و بین الغزّ مهادنة، فلمّا توفّی ملک الغور محمّد طمع فی بلادهم، فغزاهم غیر مرّة، و نهب و أغار،

فلمّا كان فى شهر رمضان من هذه السنة جمع ايتكين جموعه و سار إلى بلاد الغور، و ساروا إلى باميان و إلى ولاية بست «١» و الرّخّج، فقاتله صاحبها طغرل تكين

---

[١] فيها.

---

(١). بشت.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣١٢

برنقش الفلكىّ من قبل الغوريّة، فظهروا إلى باميان، و استولى [على] بست و الرّخّج فسلّمهما إلى بعض أولاد ملوك الغور، و أمّا أيتكين فإنّه توغّل فى بلاد الغور، فأتاه أهلها و قاتلوه و صدوه، و صدقوه القتال، فانهزم عسكره، و قتل هو فى المعركة.

ذكر ملك شاه مازندران قومس و بسطام

قد ذكرنا استيلاء المؤيّد صاحب نيسابور على قومس و بسطام و تلك البلاد، و أنّه استناب بها مملوكه تنكز «١»، فلمّا كان هذه السنة جهّز شاه مازندران جيشا و استعمل عليهم أميرا له يعرف بسابق الدين القزوينى، فسار إلى دامغان فملكها، فجمع تنكز «٢» من عنده من العساكر و سار إليه إلى دامغان، فخرج إليه القزوينىّ، فوصل إلى تنكز على غرّة منه، فلم يشعر هو و عسكره إلّا و قد كبسهم القزوينىّ و وضع السيف فيهم، فتفرّقوا و ولّوا منهزمين، و استولى عسكر شاه مازندران على تلك البلاد، و عاد تنكز إلى المؤيّد صاحب نيسابور، و اشتغل بالغارة على بسطام و بلاد قومس.

ذكر عصيان غمارة «٣» بالمغرب

لمّا تحقّق النّاس موت عبد المؤمن سنة تسع و خمسين [و خمسمائة]، ثارت قبائل غمارة مع مفتاح بن عمرو، و كان مقدّما كبيرا فيهم، و تبعوه

---

(١). تنكر euqibu

(٢). تنكر suipaste .B

(٣). غمازة euqibu

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣١٣

بأجمعهم، و امتنعوا فى جبالهم، و هى معاقل مانعة، و هم أمم جمة، فتجهز إليهم أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، و معه أخواه عمرو و عثمان، فى جيش كبير من الموحّدين و العرب، و تقدّموا إليهم، فاقتتلوا سنة إحدى و ستّين و خمسمائة، فانهزمت غمارة، و قتل منهم كثير، و فيمن قتل مفتاح بن عمرو مقدّمهم، و جماعة من أعيانهم و مقدّميهم، و ملكوا بلادهم عنوة.

و كان هناك قبائل كثيرة يريدون الفتنة، فانتظروا ما يكون من غمارة، فلمّا قتلوا ذلّت تلك القبائل و انقادوا للطاعة، و لم يبق متحرّك لفتنة و معصية «١» فسكنت الدهماء فى جميع المغرب.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة أغار الأمير [١] محمّد بن أنز على بلد الإسماعيليّة بخراسان و أهلها غافلون، فقتل منهم و غنم و أسر و سبى و أكثر و ملأ

أصحابه أيديهم من ذلك.

و فيها توفّى أبو الفضل نصر بن خلف ملك سجستان، و عمره أكثر من مائة سنة، و مدّة ملكه ثمانون سنة، و ملك بعده ابنه شمس الدين أبو الفتح أحمد بن نصر، و كان أبو الفضل ملكا عادلا عفيفا عن رعيّته، و له آثار حسنة فى نصرة السلطان سنجر فى غير موقف.

و فيها «۲» خرج ملك الروم من القسطنطينيّة فى عساكر لا تحصى و قصد بلاد الإسلام التى بيد قلج أرسلان و ابن دانشمند، فاجتمع التركمان فى

---

[۱] أمير.

---

(۱). لفتنة و معصية.B. و عصبية.A

(۲). حصونdaeuqsuو فيهاaedni

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۱۴

تلك البلاد فى جمع كبير، فكانوا يغيرون على أطراف عسكره ليلا، فإذا أصبح لا يرى أحدا.

و كثر القتل فى الروم حتى بلغت عدّة القتلى عشرات ألوف، فعاد إلى القسطنطينيّة، و لمّا عاد ملك المسلمون منه عدّة حصون.

و فيها توفّى الإمام عمر الخوارزمىّ «۱» خطيب بلخ و مفتيها بها، و القاضى أبو بكر المحمودىّ، صاحب التصانيف و الأشعار، و له مقامات بالفارسيّة على نمط مقامات الحريرى بالعربيّة. الكامل فى التاريخ ج۱۱ ۳۱۴ ذكر عدة حوادث ..... ص : ۳۱۳

---

(۱). الكحوارى.B. عمر الكخوارى.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۱۵

۵۶۰ ثمّ دخلت سنة ستين و خمسمائة

ذكر وفاة شاه مازندران و ملك ابنه بعده

فى هذه السنة، ثامن ربيع الأوّل، توفّى شاه مازندران رستم بن علىّ ابن شهريار بن قارن، و لمّا توفّى كتم ابنه علاء الدين الحسن موته أيّاما، حتى استولى على سائر الحصون و البلاد ثمّ أظهره «۱»، فلمّا ظهر خبر وفاته أظهر إيثاق «۲» صاحب جرجان و دهستان المنازعة لولده فى الملك، و لم يرع حقّ أبيه عليه، فإنّه لم يزل يذبّ عنه و يحميه إذا التجأ إليه، و لكن الملك عقيم، و لم يحصل من منازعته على شىء غير سوء السمعة و قبح الأحدوثة.

ذكر حصر عسكر المؤيّد نسا و رحيلهم عنها

كان المؤيّد قد سيّر جيشا إلى مدينة نسا، فحصروها إلى جمادى الأولى فى هذه السنة، فسيّر خوارزم شاه ايل أرسلان بن أتسز جيشا إلى نسا، فلمّا قاربوها رحل عنها عسكر المؤيّد و عادوا إلى نيسابور أواخر جمادى الأولى.

و سار عسكر المؤيّد إلى عسكر خوارزم، لأنّهم توجّهوا إلى نيسابور،

---

(۱). ثمّ أظهر أمره.A

(۲). ایتاق.B. ایناق.A

الکامل فی التاریخ، ج ۱۱، ص: ۳۱۶

فتقدّم العسکر المؤیّدی لیردّهم عنها، فلمّا سمع العسکر الخوارزمیّ بهم عاد عنهم، و صار صاحب نسا فی طاعهٔ خوارزم شاه و الخطبهٔ له فیها.

و سار عسکر خوارزم شاه إلی دهستان، فالتجأ صاحبها الأمیر إیثاق «۱» إلی المؤیّد، صاحب نیسابور، بعد تمکّن الوحشهٔ بینهما، فقبله المؤیّد و سیّر إلیه جیشا کثیفا، فأقاموا عنده حتی دفع الضرر عن نفسه و بلده من جههٔ طبرستان.

و أمّا دهستان فإنّ عسکر خوارزم غلبوا علیها و صار لهم فیها شحنهٔ.

ذکر استیلاء المؤیّد علی هراهٔ

قد ذکرنا قتل صاحب هراهٔ سنهٔ تسع و خمسین [و خمسمائهٔ]، فلمّا قتل تجهّز الأمراء الغزّیّهٔ و ساروا إلی هراهٔ و حصروها، و قد تولّی أمرها إنسان یلقّب أثیر الدین، و کان له میل إلی الغزّ، و هو یحاربهم ظاهرا، و یراسلهم باطنا، فهلک لهذا السبب خلق کثیر من أهل هراهٔ، فاجتمع أهلها فقتلوه، و قام مقامه أبو الفتوح علیّ بن فضل اللّه الطّغرائیّ، فأرسل أهلها إلی المؤیّد أی أبه، صاحب نیسابور، بالطاعهٔ و الانقیاد إلیه، فسیّر إلیهم مملوکه سیف الدین تنکز «۲» فی جیش، و سیّر جیشا آخر أغاروا علی سرخس، و مرو، فأخذوا دوابّ الغزّ و عادوا سالمین. فلمّا سمع الغزّ بذلک رحلوا عن هراهٔ إلی مرو.

---

(۱). إیتاق.B. إیناق.A

(۲). تنکر.B

الکامل فی التاریخ، ج ۱۱، ص: ۳۱۷

ذکر الحرب بین قلج أرسلان و بین ابن دانشمند

فی هذه السنهٔ کانت الفتنهٔ بین الملک قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، صاحب قونیهٔ و ما یجاورها من بلد الروم، و بین یاغی «۱» أرسلان بن دانشمند، صاحب ملطیهٔ و ما یجاورها من بلد الروم، و جری بینهما حرب شدیدهٔ.

و سببها أنّ قلج أرسلان تزوّج ابنهٔ الملک صلیق بن علیّ بن أبی القاسم، فسیّرت الزوجهٔ إلی قلج أرسلان مع جهاز کثیر لا یعلم قدره، و أغار یاغی أرسلان صاحب ملطیهٔ علیه، و أخذ العروس و ما معها و أراد أن یزوّجها بابن أخیه ذی النون بن محمّد بن دانشمند، فأمرها بالردّهٔ عن الإسلام ففعلت لینفسخ النکاح من قلج أرسلان ثمّ عادت إلی الإسلام، فزوّجها من ابن أخیه، فجمع قلج أرسلان عسکره و سار إلی ابن دانشمند، فالتقیا و اقتتلا فانهزم قلج أرسلان، و التجأ إلی ملک الروم، و استنصره، فأرسل إلیه جیشا کثیرا، فمات یاغی أرسلان بن دانشمند فی تلک الأیّام، و ملک قلج أرسلان بعض بلاده، و اصطلح هو و الملک إبراهیم بن محمّد بن دانشمند، لأنّه ملک البلاد بعد عمّه یاغی «۲» أرسلان، و استولی ذو النون بن محمّد بن دانشمند علی مدینهٔ قیساریّهٔ، و ملک شاهان شاه بن مسعود أخو قلج أرسلان علی مدینهٔ انکوریّهٔ و استقرّت القواعد بینهم و اتّفقوا

---

(۱). باغی.A. B. p .s

(۲). باغی.B. باغی.A

الکامل فی التاریخ، ج ۱۱، ص: ۳۱۸

ذكر الفتنة بين نور الدين و قلج أرسلان

فى هذه السنة كانت وحشة متأكدة بين نور الدين محمود بن زنكى، صاحب الشام، و بين قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، صاحب الروم، أدّت إلى الحرب و التضاغن، فلمّا بلغ خبرها إلى مصر كتب الصالح بن رزّيك، وزير صاحب مصر، إلى قلج أرسلان ينهاه عن ذلك و يأمره بموافقته، و كتب فيه شعرا:

نقول و لكن أين من يتفهّمو يعلم وجه الرّأى و الرّأى مبهم

و ما كلّ من قاس الأمور و ساسهايوفّق للأمر الّذى هو أحزم

و ما أحد فى الملك يبقى مخلّداو ما أحد ممّا قضى اللّه يسلم

أمن بعد ما ذاق العدى طعم حربكم[بفيهم و كانت] و هى صاب و علقم

رجعتم إلى حكم التّنافس بينكمو فيكم من الشّحناء نار تضرّم

أما عندكم من يتّقى اللّه وحدهأما فى رعاياكم من النّاس مسلم

تعالوا لعلّ اللّه ينصر دينهإذا ما نصرنا الدّين نحن و أنتم

و ننهض نحو الكافرين بعزمةبأمثالها تحوى البلاد و تقسم و هى أطول من هذا. هكذا ذكر بعض العلماء هذه الحادثة و أنّ الصالح أرسل بهذا الشعر، فإن كان الشعر للصالح فينبغى أن تكون الحادثة قبل هذا التاريخ، لأنّ الصالح قتل سنة ستّ و خمسين [و خمسمائة] فى رمضان، و إن لم يكن الشعر له فالحادثة فى هذا التاريخ، و يحتمل «۱» أن يكون هذا التنافس كان أيّام الصالح فكتب الأبيات ثمّ امتدّ «۲» إلى الآن.

---

(۱). men ifsitipacdaeuqsu.و يحتمل A. mo. aedni

(۲). فكتب ... ثمّ. B. mo

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۱۹

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى صفر، وقع بأصفهان فتنة عظيمة بين صدر الدين عبد اللطيف بن الخجندىّ و بين القاضى و غيره من أصحاب المذاهب، بسبب التعصّب للمذاهب، فدام القتال بين الطائفتين ثمانية أيّام متتابعة قتل فيها خلق كثير، و احترق و هدم كثير من الدور و الأسواق، ثمّ افترقوا على أقبح صورة.

و فيها بنى الإسماعيليّة قلعة بالقرب من قزوين فقيل لشمس الدين إيلدكز عنها، فلم يكن له إنكار لهذه الحال خوفا من شرّهم و غائلتهم، فتقدّموا بعد ذلك إلى قزوين فحصروها، و قاتلهم أهلها أشدّ قتال رآه النّاس.

و حكى لى بعض أصدقائنا بل مشايخنا من الأئمّة الفضلاء قال: كنت بقزوين أشتغل بالعلم، و كان بها إنسان يقود جمعا كبيرا، و كان موصوفا بالشجاعة، و له عصابة حمراء، إذا قاتل عصب بها رأسه، قال: فكنت أحبّه و أشتهى الجلوس معه، قال: فبينما أنا عنده يوما إذا هو يقول:

كأنّى بالملاحدة و قد قصدوا البلد غدا، فخرجنا إليهم و قاتلناهم، فكنت أوّل النّاس و أنا متعصّب بهذه العصابة، فقاتلناهم، فلم يقتل غيرى، ثمّ ترجع الملاحدة، و يرجع أهل البلد.

قال: فو اللّه لمّا كان الغد إذ قد وقع الصوت بوصول الملاحدة، فخرج النّاس، قال: فذكرت قول الرجل، فخرجت و اللّه و ليس لى همّة

إلّا [أن] انظر هل يصحّ ما قال أم لا. قال: فلم يكن إلّا قليل حتى عاد النّاس و هو محمول على أيديهم قتيلا بعصابته الحمراء، و ذكروا أنّه لم يقتل بينهم غيره، فبقيت متعجّبا من قوله كيف صحّ، و لم يتغيّر منه شيء، و من أين له هذا اليقين؟

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٢٠

و لمّا حكى لى هذه الحكاية لم أسأله عن تاريخها، و إنّما كان فى هذه المدّة فى تلك البلاد، فلهذا أثبتها هذه السنة على الظنّ و التخمين.

و فيها قبض المؤيّد أى أبه، صاحب نيسابور، على وزيره ضياء الملك محمّد بن أبى طالب سعد بن أبى القاسم محمود الرازىّ و حبسه، و استوزر بعده نصير الدين أبا بكر محمّد بن أبى نصر محمّد المستوفى، و كان أيّام السلطان سنجر يتولّى إشراف ديوانه، و هو من أعيان الدولة السنجريّة.

و فى هذه السنة وردت الأخبار أنّ النّاس حجّوا سنة تسع و خمسين، و لقوا شدّة، و انقطع منهم خلق كثير فى فيد و الثعلبيّة و واقصة و غيرها، و هلك كثير، و لم يمض الحاجّ إلى مدينة النبىّ، صلّى اللَّه عليه و سلّم، لهذه الأسباب، و لشدّة الغلاء فيها، و عدم ما يقتات، و وقع الوباء فى البادية و هلك منهم عالم لا يحصون، و هلكت مواشيهم، و كانت الأسعار بمكّة غالية.

و فيها، فى صفر، قبض المستنجد باللَّه على الأمير توبة بن العقيلىّ، و كان قد قرب منه قربا عظيما بحيث يخلو معه، و أحبّه المستنجد محبّة كثيرة، فحسده الوزير ابن هبيرة، فوضع كتبا من العجم مع قوم و أمرهم أن يتعرّضوا ليؤخذوا، ففعلوا ذلك و أخذوا و أحضروا عند الخليفة، فأظهروا الكتب بعد الامتناع الشديد، فلمّا وقف الخليفة عليها خرج إلى نهر الملك يتصيّد، و كانت حلل توبة على الفرات [١]، فحضر عنده، فأمر بالقبض عليه، فقبض و أدخل بغداد ليلا و حبس، فكان آخر العهد به، فلم يمتّع الوزير بعده بالحياة بل مات بعد ثلاثة أشهر. و كان توبة من أكمل العرب مروءة و عقلا و سخاء و إجازة، و اجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرّق فى النّاس.

---

[١]- الفراة.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٢١

و فيها، فى ربيع الأوّل، توفّى الشهاب محمود بن عبد العزيز الحامدىّ الهروىّ وزير السلطان أرسلان، و وزير أتابكه شمس الدين إيلدكز.

و فيها توفّى عون الدين الوزير ابن هبيرة، و اسمه يحيى بن محمّد أبو المظفّر، وزير الخليفة، و كان موته فى جمادى الأولى و مولده سنة تسعين و أربعمائة، و دفن بالمدرسة التى بناها للحنابلة بباب البصرة، و كان حنبلىّ المذهب، ديّنا، خيّرا، عالما، يسمع حديث النبىّ، صلّى اللَّه عليه و سلّم، و له فيه التصانيف الحسنة، و كان ذا رأى سديد، و نافق على المقتفى نفاقا عظيما، حتى إنّ المقتفى كان يقول: لم يزر لبنى العبّاس مثله، و لمّا مات قبض على أولاده و أهله.

و توفّى بهذه السنة محمّد بن سعد البغدادىّ بالموصل، و له شعر حسن، فمن قوله:

أفدى الّذى وكّلنى حبّه‌بطول إعلال و إمراض

و لست أدرى بعد ذا كلّه‌أساخط مولاى أم راض و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو القاسم عمر بن عكرمة بن البرزى الشافعىّ «١»، تفقّه على الفقيه «٢» الكيا الهراسى، و كان واحد عصره فى الفقه تأتيه الفتاوى من العراق و خراسان و سائر البلاد، و هو من جزيرة ابن عمر.

---

(١) بن الفقيه الشافعىّ.A

(٢). تفقه على الفقيه.A mo

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٢٢

۵۶۱ ثم دخلت سنة إحدى و ستين و خمسمائة

ذكر فتح المنيطرة من بلد الفرنج

فى هذه السنة فتح نور الدين محمود بن زنكى حصن المنيطرة من الشام، و كان بيد الفرنج، و لم يحشد له، و لا جمع عساكره، و إنّما سار إليه جريدة على غرّة منهم، و علم أنّه إن جمع العساكر حذروا و جمعوا، و انتهز الفرصة و سار إلى المنيطرة و حصره، و جدّ فى قتاله، فأخذه عنوة و قهرا، و قتل من بها و سبى، و غنم غنيمة كثيرة، فإنّ الذين به كانوا آمنين، فأخذتهم خيل اللَّه بغتة و هم لا يشعرون، و لم يجتمع الفرنج لدفعه إلّا و قد ملكه، و لو علموا أنّه جريدة فى قلّة من العساكر لأسرعوا إليه، إنّما ظنّوه أنّه فى جمع كثير، فلمّا ملكه تفرّقوا و أيسوا من ردّه.

ذكر قتل خطلبرس مقطع واسط

فى هذه السنة قتل خطلبرس مقطع واسط، قتله ابن أخى شملة صاحب خوزستان.

و سبب ذلك أنّ ابن سنكا، و هو ابن أخى شملة، كان قد صاهر منكوبرس مقطع البصرة، فاتّفق أنّ المستنجد باللَّه قتل منكوبرس سنة

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۲۳

تسع «۱» و خمسين و خمسمائة، فلمّا قتل قصد ابن سنكا البصرة و نهب قراها، فأرسل من بغداد إلى كمشتكين، صاحب البصرة، بمحاربة ابن سنكا، فقال: أنا عامل لست بصاحب جيش، يعنى أنّه ضامن لا يقدر على إقامة عسكر، فطمع ابن سنكا، و أصعد إلى واسط، و نهب سوادها، فجمع خطلبرس مقطعها جمعا و خرج إلى قتاله.

و كاتب ابن سنكا الأمراء الذين مع خطلبرس، فاستمالهم ثمّ قاتلهم فانهزم عسكره فقتله، و أخذ ابن سنكا علم خطلبرس فنصبه، فلمّا رآه أصحابه ظنّوه باقيا، فجعلوا يعودون إليه، و كلّ من رجع أخذه ابن سنكا فقتله أو أسره.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة خرج الكرج فى جمع كثير و أغاروا على بلدان، حتى بلغوا كنجة، فقتلوا و أسروا و سبوا كثيرا و نهبوا ما لا يحصى «۲».

و فيها توفّى الحسن بن العبّاس بن رستم أبو عبد اللَّه الأصفهانىّ الرستمىّ، الشيخ الصالح، و هو مشهور يروى عن أحمد بن خلف و غيره.

و فيها، فى ربيع الآخر، توفّى الشيخ عبد القادر بن أبى صالح أبو محمّد الجيلىّ المقيم ببغداد، و مولده سنة سبعين و أربعمائة، و كان من الصلاح على حالة كبيرة، و هو حنبلىّ المذهب، و مدرسته و رباطه مشهوران ببغداد.

---

(۱) سنة سبع.A

(۲).V. qsيحصى.A .mo .euqsusit ipacoitinibaedni.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۲۴

۵۶۲ ثم دخلت سنة اثنتين و ستين و خمسمائة

ذكر عود أسد الدين شيركوه إلى مصر

قد ذكرنا سنة تسع و خمسين و خمسمائة مسير أسد الدين شيركوه إلى مصر، و ما كان منه، و قفوله إلى الشام، فلمّا وصل إلى الشام أقام على حاله فى خدمة نور الدين إلى الآن.

و كان بعد عوده منها لا يزال يتحدّث بها و بقصدها، و كان عنده من الحرص على ذلك كثير، فلمّا كان هذه السنة تجهّز و سار فى ربيع الآخر فى جيش قوىّ، و سيّر معه نور الدين جماعة من الأمراء، فبلغت عدّتهم ألفى فارس، و كان كارها لذلك، و لكن لمّا رأى جدّ أسد الدين فى المسير لم يمكنه إلّا أن يسير معه جمعا خوفا من حادث يتجدّد عليهم فيضعف الإسلام، فلمّا اجتمع معه عسكره سار إلى مصر على البرّ، و ترك بلاد الفرنج على يمينه، فوصل الديار المصريّة، فقصد اطفيح، و عبر النيل عندها إلى الجانب الغربىّ، و نزل بالجيزة مقابل مصر، و تصرّف فى البلاد الغربيّة، و حكم عليها، و أقام بيّفا و خمسين يوما.

و كان شاور لمّا بلغه مجىء أسد الدين إليهم قد أرسل إلى الفرنج يستنجدهم، فأتوه على الصعب و الذلول، طمعا فى ملكها، و خوفا أن يملكها أسد الدين فلا يبقى لهم فى بلادهم مقام معه و مع نور الدين، فالرجاء يقودهم، و الخوف يسوقهم، فلمّا وصلوا إلى مصر عبروا إلى الجانب الغربىّ، و كان أسد الدين

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٣٢٥

و عساكره قد ساروا إلى الصعيد، فبلغ مكانا يعرف بالبابين، و سارت العساكر المصريّة و الفرنج وراءه، فأدركوه بها الخامس و العشرين من جمادى الآخرة، و كان أرسل إلى المصريّين و الفرنج جوّاسين، فعادوا إليه و أخبروه بكثرة عددهم و عددهم، و جدّهم فى طلبه، فعزم على قتالهم، إلّا أنّه خاف من أصحابه أن تضعف نفوسهم عن الثّبات فى هذا المقام الخطر الّذى عطبهم فيه أقرب من سلامتهم، لقلّة عددهم و بعدهم عن أوطانهم و بلادهم، و خطر الطريق، فاستشارهم، فكلّهم أشاروا عليه بعبور النيل إلى الجانب الشرقىّ و العود إلى الشام، و قالوا له: إن نحن انهزمنا، و هو الّذى يغلب على الظنّ، فإلى أين نلتجئ، و بمن نحتمى، و كلّ من فى هذه الديار من جندىّ و عامىّ و فلّاح عدوّ لنا؟

فقام أمير من مماليك نور الدين يقال له شرف الدين بزغش، صاحب شقيف، و كان شجاعا، و قال: من يخاف القتل و الأسر فلا يخدم الملوك بل يكون فى بيته مع امرأته، و اللّه لئن عدنا إلى نور الدين من غير غلبة و لا بلاء نعذر فيه ليأخذنّ ما لنا من أقطاع و جامكيّة، و ليعودن علينا بجميع ما أخذناه منذ خدمناه إلى يومنا هذا و يقول: تأخذون أموال المسلمين و تفرّون عن عدوّهم، و تسلّمون مثل مصر إلى الكفّار! و الحقّ بيده.

فقال أسد الدين: هذا الرأى، و به أعمل، و قال ابن أخيه صلاح الدين مثله، و كثر الموافقون لهم، و اجتمعت الكلمة على القتال، فأقام بمكانه حتى أدركه المصريون و الفرنج و هو على تعبئة، و جعل الأثقال فى القلب يتكثّر بها، و لأنّه لم يمكنه أن يتركها بمكان آخر فينهبها أهل البلاد، و جعل صلاح الدين فى القلب، و قال له و لمن معه: إنّ المصريّين و الفرنج يجعلون حملتهم على القلب ظنّا منهم أنّى فيه، فإذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم القتال، و لا تهلكوا نفوسكم، و اندفعوا بين أيديهم فإذا عادوا عنكم فارجعوا فى أعقابهم.

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٣٢٦

و اختار هو من شجعان عسكره جمعا يثق بهم و يعرف صبرهم فى الحرب، و وقف بهم فى الميمنة، فلمّا تقاتل الطائفتان فعل الفرنج ما ذكره، و حملوا على القلب. فقاتلهم من به قتالا يسيرا. و انهزموا بين أيديهم غير متفرّقين و تبعهم الفرنج. فحمل حينئذ أسد الدين فيمن معه على من تخلّف عن الذين حملوا من المسلمين و الفرنج الفارس و الراجل، فهزمهم، و وضع السيف فيهم، فأثخن و أكثر القتل و الأسر. فلمّا عاد الفرنج من المنهزمين رأوا عسكرهم مهزوما. و الأرض منهم فقرا، فانهزموا أيضا، و كان هذا من أعجب ما يؤرّخ أنّ ألفى فارس تهزم عساكر مصر و فرنج الساحل.

ذكر ملك أسد الدين الإسكندريّة و عوده إلى الشام

لمّا انهزم المصريّون و الفرنج من أسد الدين بالبابين سار إلى ثغر الإسكندريّة و جبى ما فى القرى على طريقه من الأموال، و وصل إلى الإسكندريّة، فتسلّمها بمساعدة من أهلها سلّموها إليه، فاستناب بها صلاح الدين ابن أخيه و عاد إلى الصعيد فملكه و جبى أمواله و أقام به حتى صام رمضان.

و أمّا المصريّون و الفرنج فإنّهم عادوا و اجتمعوا على القاهرة، و أصلحوا حال عساكرهم، و جمعوا و ساروا إلى الإسكندريّة، فحصروا صلاح الدين بها، و اشتدّ الحصار، و قلّ الطعام على من بها، فصبر أهلها على ذلك، و سار أسد الدين من الصعيد إليهم، و كان شاور قد أفسد بعض من معه من التركمان، فوصل رسل الفرنج و المصريّين يطلبون الصلح، و بذلوا له خمسين ألف دينار سوى ما أخذه من البلاد، فأجابهم إلى ذلك و شرط [على] الفرنج أن لا يقيموا بالبلاد و لا يتملّكوا منها قريـة واحدة، فأجابوا إلى ذلك، و اصطلحوا و عاد إلى الشام، و تسلّم المصريّون الإسكندريّة فى نصف شوّال، و وصل شيركوه

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٢٧

إلى دمشق ثامن عشر ذى القعدة.

و أمّا الفرنج فإنّهم استقرّ بينهم و بين المصريّين أن يكون لهم بالقاهرة شحنة، و تكون أبوابها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين من إنفاذ عسكر إليهم، و يكون لهم من دخل مصر كلّ سنة مائة ألف دينار. هذا كلّه استقرّ مع شاور، فإنّ العاضد لم يكن له معه حكم [لأنّه] قد حجر عليه و حجبه عن الأمور كلّها، و عاد الفرنج إلى بلادهم بالساحل الشامىّ، و تركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم، و كان الكامل شجاع بن شاور قد أرسل إلى نور الدين مع بعض الأمراء ينهى محبّته و ولاءه، و يسأله الدخول فى طاعته، و ضمن على نفسه أنّه يفعل هذا و يجمع الكلمة بمصر على طاعته، و بذل مالا يحمله كلّ سنة، فأجابه إلى ذلك، و حمل إليه مالا جزيلا، فبقى الأمر على ذلك إلى أن قصد الفرنج مصر سنة أربع و ستّين و خمسمائة، فكان ما نذكره هناك إن شاء اللّه تعالى.

ذكر ملك نور الدين صافيثا و عريمة

فى هذه السنة جمع نور الدين العساكر، فسار إليه أخوه قطب الدين من الموصل و غيره، فاجتمعوا على حمص، فدخل نور الدين بالعساكر بلاد الفرنج، فاجتازوا على حصن الأكراد، فأغاروا و نهبوا و قصدوا عرقة فنازلوها و حصروها و حصروا حلبة «١» و أخذوها و خرّبوها، و سارت عساكر المسلمين فى بلادهم يمينا و شمالا تغير و تخرب البلاد، و فتحوا العريمة، و صافيثا، و عادوا إلى حمص فصاموا بها رمضان.

---

(١). و حصروا جبلة.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٢٨

ثمّ ساروا إلى بانياس، و قصدوا حصن هونين، و هو للفرنج أيضا، من أمنع حصونهم و معاقلهم، فانهزم الفرنج عنه و أحرقوه، فوصل نور الدين من الغد فهدم سوره جميعه، و أراد الدخول إلى بيروت، فتجدّد فى العسكر خلف أوجب التفرّق، فعاد قطب الدين إلى الموصل، و أعطاه نور الدين مدينة الرّقّة على الفرات، و كانت له، فأخذها فى طريقه و عاد إلى الموصل.

ذكر قصد ابن سنكا البصرة

فى هذه السنة عاد ابن سنكا فقصد البصرة، و نهب بلدها و خرّبه من الجهة الشرقيّة، و سار إلى مطارا، فخرج إليه كمشتكين، صاحب البصرة، و واقعه و اقتتلوا قتالا صبر فيه الفريقان ثمّ انهزم كمشتكين إلى واسط فاجتمع بشرف الدين أبى جعفر بن البلدى الناظر فيها، و معهما مقطعهما أرغش، و اتّصلت الأخبار بأنّ ابن سنكا واصل إلى واسط، فخاف النّاس منه خوفا شديدا، فلم يصل إليها.

ذكر قصد شملة العراق

فى هذه السنة وصل شملة صاحب خوزستان إلى قلعة الماهكى، من أعمال بغداد، و أرسل إلى الخليفة المستنجد باللّه يطلب شيئا من البلاد، و يشتطّ فى الطلب، فسيّر الخليفة أكثر عساكره إليه ليمنعوه، و أرسل إليه يوسف الدمشقىّ يلومه و يحذّره عاقبة فعله، فاعتذر بأنّ إيلدكز و السلطان أرسلان شاه أقطعا الملك الّذى عنده، و هو ولد ملك شاه، البصرة و واسط و الحلّة، و عرض التوقيع

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٢٩

بذلك، و قال: أنا أقنع بثلث ذلك، فعاد الدمشقىّ بذلك، فأمر الخليفة بلعنه، و أنّه من الخوارج، و جمعت العساكر و سيّرت إلى أرغش المسترشدى، و كان بالنعمانيّة هو و شرف الدين أبو جعفر بن البلدىّ، ناظر واسط، مقابل شملة.

ثمّ إن شملة أرسل قلج ابن أخيه فى طائفة من العسكر لقتال طائفة من الأكراد، فركب أرغش فى بعض العسكر الّذى عنده و سار إلى قلج فحاربه، فأسر قلج و بعض أصحابه و سيّرهم إلى بغداد، و بلغ شملة، و طلب الصلح، فلم تقع الإجابة إليه، ثمّ إنّ أرغش سقط عن فرسه بعد الوقعة فمات و بقى شملة مقيما مقابل عسكر الخليفة، فلمّا علم أنّه لا قدرة له عليهم رحل و عاد إلى بلاده، و كانت مدّة سفره أربعة أشهر.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة عصى غازى بن حسان المنبجىّ على نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام، و كان نور الدين قد أقطعه مدينة منبج، فامتنع عليه فيها، فسيّر إليهم عسكرا فحصروه و أخذوها منه، و أقطعها نور الدين أخاه قطب الدين ينال بن حسّان، و كان عادلا، خيّرا، محسنا إلى الرعيّة، جميل السيرة، فبقى فيها إلى أن أخذها منه صلاح الدين يوسف بن أيّوب سنة اثنتين و سبعين و خمسمائة.

و فيها توفّى فخر الدين قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا و أكثر ديار بكر، و لما اشتدّ مرضه أرسل إلى نور الدين محمود، صاحب الشام، يقول له: بيننا صحبة فى جهاد الكفّار أريد أن ترعى بها ولدى، ثمّ توفّى، و ملك بعده ولده نور الدين محمّد، فقام نور الدين الشامىّ

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٣٠

بنصرته و الذّبّ عنه، بحيث أنّ أخاه قطب الدين مودودا، صاحب الموصل، أراد قصد بلاده، فأرسل إليه أخوه نور الدين يمنعه، و يقول له: إن قصدته أو تعرّضت إلى بلاده منعتك قهرا، فامتنع من قصده.

و فيها توفّى أبو المعالى محمّد بن الحسين بن حمدون الكاتب ببغداد، و كان على ديوان الزمام، فقبض عليه فمات محبوسا.

و فيها توفّى قماج المسترشدى ولد الأمير يزدن، و هو من أكابر الأمراء ببغداد.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٣١

٥٦٣ ثم دخلت سنة ثلاث و ستين و خمسمائة

ذكر فراق زين الدين الموصل و تحكّم قطب الدين فى البلاد

فى هذه السنة فارق زين الدين علىّ بن بكتكين «١»، النائب عن قطب الدين مودود بن زنكى، صاحب الموصل، خدمة صاحبه بالموصل، و سار إلى إربل، و كان هو الحاكم فى الدولة، و أكثر البلاد بيده، منها إربل، و فيها بيته و أولاده و خزائنه، و منها شهرزور و جميع القلاع التى معها، و جميع بلد الهكّاريّة و قلاعه، منها العماديّة و غيرها، و بلد الحميديّة، و تكريت و سنجار و حرّان، و قلعة

الموصل هو بها، و كان قد أصابه طرش و عمى أيضا، فلمّا عزم على مفارقة الموصل إلى بيته بإربل سلّم جميع ما كان بيده من البلاد إلى قطب الدين مودود، و بقى معه إربل حسب.

و كان شجاعا، عاقلا عادلا حسن السيرة، سليم القلب، ميمون النّقيبة، لم ينهزم من حرب قطّ، و كان كريما كثير العطاء للجند و غيرهم، مدحه الحيص بيص بقصيدة، فلمّا أراد أن ينشده قال: أنا لا أعرف ما يقول، و لكنّى أعلم أنّه يريد شيئا، فأمر له بخمسمائة دينار و فرس و خلعة و ثياب مجموع ذلك ألف دينار، و لم يزل بإربل إلى أن مات بها بهذه السنة.

و لمّا «٢» فارق زين الدين قلعة الموصل سلّمها قطب الدين إلى فخر الدين عبد.

---

(١) بلتكين.A

(٢).aedni .mo .Aلما و men ifsitipacdaeuqsu

المسيح، و حكّمه فى البلاد، فعمر القلعة، و كانت خرابا لأنّ زين الدين كان قليل الالتفات إلى العمارة، و سار عبد المسيح سيرة سديدة و سياسة عظيمة، و هو خصىّ أبيض من مماليك زنكى أتابك عماد الدين.

ذكر الحرب بين البهلوان و صاحب مراغة

فى هذه السنة أرسل آقسنقر الأحمديلى، صاحب مراغة، إلى بغداد يسأل أن يخطب للملك الّذى هو عنده، و هو ولد السلطان محمّد شاه، و يبذل أنّه لا يطأ أرض العراق، و لا يطلب شيئا غير ذلك، و بذل مالا يحمله إذا أجيب إلى ما التمسه، فأجيب بتطييب قلبه.

و بلغ الخبر إيلدكز صاحب البلاد، فساءه ذلك، و جهّز عسكرا كثيفا، و جعل المقدّم عليهم ابنه البهلوان، و سيّرهم إلى آقسنقر، فوقعت بينهم حرب أجلت عن هزيمة آقسنقر و تحصّنه بمراغة. و نازلة البهلوان بها و حصره و ضيّق عليه. ثمّ تردّدت الرسل بينهم، فاصطلحوا، و عاد البهلوان إلى أبيه بهمذان.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة استوزر الخليفة المستنجد باللّه شرف الدين أبا جعفر أحمد بن محمّد بن سعيد المعروف بابن البلدىّ، و كان ناظرا بواسط أبان فى ولايتها عن كفاية عظيمة، فأحضره الخليفة و استوزره، و كان عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء قد تحكّم تحكّما عظيما، فتقدّم الخليفة إلى ابن البلدىّ بكفّ يده و أيدى أهله و أصحابه، ففعل ذلك و وكّل بتاج الدين أخى أستاذ الدار، و طالبه بحساب نهر الملك، لأنّه كان يتولّاه من أيّام المقتفى، و كذلك فعل

بغيره، فحصّل بذلك أموالا جمّة، و خافه أستاذ الدار على نفسه، فحمل مالا كثيرا.

و فى هذه السنة توفّى عبد الكريم بن منصور أبو سعد بن أبى بكر ابن أبى المظفّر السمعانىّ المروزىّ، الفقيه الشافعىّ، و كان مكثرا من سماع الحديث، سافر فى طلبه و سمع منه ما لم يسمعه غيره، و رحل إلى ما وراء النهر و خراسان دفعات، و دخل إلى بلد الجبل و أصفهان و العراق و الموصل و الجزيرة و الشام و غير ذلك من البلاد، و له التصانيف المشهورة منها: ذيل تاريخ بغداد، و تاريخ مدينة مرو، و كتاب النسب، و غير ذلك، أحسن فيها ما شاء، و قد جمع مشيخته فزادت عدّتهم على أربعة آلاف شيخ، و قد ذكره أبو الفرج بن الجوزىّ فقطعه.

فمن جملة قوله فيه أنّه كان يأخذ الشيخ ببغداد و يعبر به إلى فوق نهر عيسى فيقول: حدّثنى فلان بما وراء النهر، و هذا بارد جدّا، فإنّ

الرجل سافر إلى ما وراء النهر حقّا، و سمع فى عامّة بلاده من عامّة شيوخه، فأىّ حاجة به إلى هذا التلبيس البارد؟ و إنّما ذنبه عند ابن الجوزىّ أنّه شافعىّ، و له أسوة بغيره، فإنّ ابن الجوزىّ لم يبق على أحد إلّا مكسرى «١» الحنابلة.

و فيها توفّى قاضى القضاة أبو البركات جعفر بن عبد الواحد الثقفىّ فى جمادى الآخرة.

و فيها توفّى يوسف الدمشقىّ مدرّس النظاميّة بخوزستان، و كان قد سار رسولا إلى شملة.

و فيها توفّى الشيخ أبو النجيب السّهرزورىّ «٢» الصوفىّ الفقيه، و كان من الصالحين المشهورين، و دفن ببغداد.

---

(١) بلتكين.A

(٢). السهروردى.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٣٤

٥٦٤ ثم دخلت سنة أربع و ستين و خمسمائة

ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر

فى هذه السنة ملك نور الدين محمود بن زنكى قلعة جعبر، أخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن علىّ بن مالك العقيلىّ، و كانت بيده و يد آبائه من قبله من أيّام السلطان ملك شاه، و قد تقدّم ذكر ذلك، و هى من أمنع القلاع و أحصنها مطلّة على الفرات [١] من الجانب الشرقىّ.

و أمّا سبب ملكها، فإنّ صاحبها نزل منها يتصيّد، فأخذه بنو كلاب و حملوه إلى نور الدين فى رجب سنة ثلاث و ستّين، فاعتقله و أحسن إليه، و رغّبه فى الإقطاع و المال ليسلّم إليه القلعة، فلم يفعل، فعدل إلى الشدّة «١» و العنف، و تهدّده «٢»، فلم يفعل، فسيّر إليها نور الدين عسكرا مقدّمه الأمير فخر الدين مسعود بن أبى علىّ الزعفرانىّ، فحصرها مدّة، فلم يظفر منها بشىء، فأمدّهم بعسكر آخر، و جعل على الجميع الأمير مجد الدين أبا بكر المعروف بابن الدايه، و هو رضيع نور الدين، و أكبر أمرائه، فحصرها أيضا فلم ير له فيها مطمعا، فسلك مع صاحبها طريق اللّين، و أشار عليه أن يأخذ من نور الدين العوض و لا يخاطر فى حفظها بنفسه، فقبل قوله و سلّمها، فأخذ عوضا

---

[١]- الفراة.

---

(١). يفعل فأخذها بالشدة.A

(٢). و تهدده و توعده.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٣٥

عنها سروج و أعمالها و الملّاحة التى بين بلد حلب «١» و باب بزاعة، و عشرين ألف دينار معجّلة، و هذا إقطاع عظيم جدّا، إلّا أنّه لا حصن فيه.

و هذا آخر أمر بنى مالك بالقلعة و لكلّ أمر أمد و لكلّ ولاية نهاية. بلغنى أنّه قيل لصاحبها: أيّما أحبّ إليك و أحسن مقاما، سروج و الشام أم القلعة؟ فقال: هذه أكثر مالا، و أمّا العزّ ففارقناه بالقلعة.

ذكر ملك أسد الدين مصر و قتل شاور

فى هذه السنة، فى ربيع الأوّل، سار أسد الدين شيركوه بن شاذى إلى ديار مصر، فملكها، و معه العساكر النّوريّة.

و سبب ذلك ما ذكرناه من تمكّن الفرنج من البلاد المصريّة، و أنّهم جعلوا لهم فى القاهرة شحنة و تسلّموا أبوابها، و جعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم و أعيان فرسانهم، و حكموا على المسلمين حكما جائرا، و ركبوهم بالأذى العظيم، فلمّا رأوا ذلك، و أنّ البلاد ليس فيها من يردّهم، أرسلوا إلى ملك الفرنج بالشام، و هو مرّى «۲» و لم يكن للفرنج مذ ظهر بالشام مثله شجاعة و مكرا و دهاء، يستدعونه ليملكها، و أعلموه خلوّها من ممانع، و هوّنوا أمرها عليه، فلم يجبهم إلى ذلك، فاجتمع إليه فرسان الفرنج و ذوو الرأى منهم، و أشاروا عليه بقصدها و تملّكها، فقال لهم: الرأى عندى أنّنا لا نقصدها، فإنّها طعمة لنا، و أموالها تساق إلينا، نتقوّى [۱] بها على نور الدين، و إن نحن قصدناها لنملكها.

---

[۱]- تتقوى.

---

(۱) التى فى حلب.A

(۲). مرى.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۳۶

فإنّ صاحبها و عساكره، و عامّة بلاده و فلّاحيها، لا يسلّمونها إلينا، و يقاتلوننا دونها، و يحملهم الخوف منّا على تسليمها إلى نور الدين، و لئن أخذها و صار له فيها مثل أسد الدين، فهو هلاك الفرنج و إجلاؤهم من أرض الشام، فلم يقبلوا قوله، و قالوا له: إنّها لا مانع فيها و لا حامى، و إلى أن يتجهّز عسكر نور الدين، و يسير إليها، نكون نحن قد ملكناها، و فرغنا من أمرها، و حينئذ يتمنّى نور الدين منّا السلامة.

فسار معهم على كره و شرعوا يتجهّزون و يظهرون أنّهم يريدون قصد مدينة حمص، فلمّا سمع نور الدين شرع أيضا بجمع عساكره، و أمرهم بالقدوم عليه، و جدّ الفرنج فى السير إلى مصر، فقدموها، و نازلوا مدينة بلبيس، و ملكوها قهرا مستهلّ صفر، و نهبوها و قتلوا فيها و أسروا و سبوا.

و كان جماعة من أعيان المصريّين قد كاتبوا الفرنج، و وعدوهم النصرة عداوة منهم لشاور، منهم ابن الخيّاط، و ابن فرجلة «۱»، فقوى جنان الفرنج، و ساروا من بلبيس إلى مصر، فنزلوا على القاهرة عاشر صفر و حصروها، فخاف النّاس منهم أن يفعلوا بهم كما فعلوا بأهل بلبيس، فحملهم الخوف منهم على الامتناع، فحفظوا البلد، و قاتلوا دونه و بذلوا جهدهم فى حفظه، فلو أنّ الفرنج أحسنوا السّيرة فى بلبيس لملكوا مصر و القاهرة، و لكنّ اللَّه تعالى حسّن لهم ما فعلوا ليقضى اللَّه أمرا كان مفعولا.

و أمر شاور بإحراق مدينة مصر تاسع صفر، و أمر أهلها بالانتقال منها إلى القاهرة، و أن ينهب البلد، فانتقلوا، و بقوا على الطرق، و نهبت المدينة و افتقر أهلها، و ذهبت أموالهم و نعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم، خوفا أن يملكها الفرنج، فبقيت النّار تحرقها أربعة و خمسين يوما.

و أرسل الخليفة العاضد إلى نور الدين يستغيث به، و يعرّفه ضعف المسلمين

---

(۱). ابن قرحلة.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۳۷

عن دفع الفرنج، و أرسل فى الكتب شعور النساء و قال: هذه شعور نسائى من قصرى يستغثن بك لتنقذهنّ من الفرنج، فشرع فى تسيير الجيوش.

و أمّا الفرنج فإنّهم اشتدّوا فى حصار القاهرة و ضيّقوا على أهلها، و شاور هو المتولّى للأمر و العساكر و القتال، فضاق به الأمر، و ضعف عن ردّهم، فأخلد إلى إعمال الحيلة، فأرسل إلى ملك الفرنج يذكر له مودّته و محبّته القديمة له، و أنّ هواه معه لخوفه من نور الدين و العاضد، و إنّما المسلمون لا يوافقونه على التسليم إليه، و يشير بالصلح، و أخذ مال لئلّا يتسلّم البلاد نور الدين، فأجابه إلى ذلك على أن يعطوه ألف ألف دينار مصريّة، يعجل البعض، و يمهل بالبعض، فاستقرّت القاعدة على ذلك.

و رأى الفرنج أنّ البلاد قد امتنعت عليهم [۱] و ربّما سلّمت إلى نور الدين، فأجابوا كارهين، و قالوا: نأخذ المال فنتقوّى به، و نعاود البلاد بقوّة لا نبالى معها بنور الدين وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ «۱» فعجل لهم شاور مائة ألف دينار، و سألهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال «۲»، فرحلوا قريبا، و جعل شاور يجمع لهم المال من أهل القاهرة و مصر، فلم يتحصّل له إلّا قدر لا يبلغ خمسة آلاف دينار، و سببه أنّ أهل مصر كانوا قد احترقت دورهم و ما فيها، و ما سلم نهب، و هم لا يقدرون على الأقوات فضلا عن الأقساط.

و أمّا القاهرة فالأغلب على أهلها الجند و غلمانهم، فلهذا تعذّرت عليهم الأموال، و هم فى خلال هذا يراسلون نور الدين بما النّاس فيه، و بذلوا له ثلث بلاد مصر، و أن يكون أسد الدين مقيما عندهم فى عسكر، و أقطاعهم.

---

[۱]- عليه.

---

(۱)، ۳roC.

(۲). و شرع شاور فى جمع المال قدر قريب.B

من البلاد المصريّة أيضا خارجا عن الثّلث الّذى لهم.

و كان نور الدين لمّا وصله كتب العاضد بحلب أرسل إلى أسد الدين يستدعيه إليه، فخرج القاصد فى طلبه، فلقيه على باب حلب، و قد قدمها من حمص و كانت إقطاعه، و كان سبب وصوله أنّ كتب المصريّين وصلته أيضا فى المعنى، فسار أيضا إلى نور الدين، و اجتمع به، و عجب نور الدين من حضوره فى الحال، و سرّه ذلك، و تفاءل به، و أمر بالتجهيز إلى مصر، و أعطاه مائتى ألف دينار سوى الثياب و الدوابّ و الأسلحة و غير ذلك، و حكّمه فى العسكر و الخزائن. و اختار من العسكر ألفى فارس، و أخذ المال، و جمع ستّة آلاف فارس، و سار هو و نور الدين إلى دمشق فوصلها سلخ صفر، و رحل إلى رأس الماء، و أعطى نور الدين كلّ فارس ممّن مع أسد الدين عشرين دينارا معونة غير محسوبة من جامكيّته، و أضاف إلى أسد الدين جماعة أخرى من الأمراء منهم: مملوكة عزّ الدين جورديك، و عزّ الدين قلج، و شرف الدين بزغش، و عين الدولة الياروقىّ، و قطب الدين ينال بن حسّان المنبجىّ، و صلاح الدين يوسف بن أيّوب، أخى شيركوه، على كره منه، وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ «۱» أحبّ نور الدين مسير صلاح الدين، و فيه ذهاب بيته، و كره صلاح الدين المسير، و فيه سعادته و ملكه، و سيرد ذلك عند موت شير كوه، إن شاء اللَّه تعالى.

و سار أسد الدين شيركوه من رأس الماء مجدّا منتصف ربيع الأوّل، فلمّا قارب مصر رحل الفرنج عنها عائدين إلى بلادهم بخفىّ حنين خائبين ممّا أمّلوا، و سمع نور الدين بعودهم، فسرّه ذلك، و أمر بضرب البشائر فى البلاد،

---

(۱). ۲۱۳، ۲roC.

و بثّ رسله فى الآفاق مبشّرين بذلك، فإنّه كان فتحا جديدا لمصر و حفظا لسائر بلاد الشام و غيرها.

فأمّا أسد الدين فإنّه وصل إلى القاهرة سابع جمادى الآخرة، و دخل إليها، و اجتمع بالعاضد لدين اللّه، و خلع عليه و عاد إلى خيامه بالخلعة العاضديّة.

و فرح به أهل مصر، و أجريت عليه و على عسكره الجرايات الكثيرة. و الإقامات الوافرة، و لم يمكن شاور المنع عن ذلك لأنّه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه و هوى العاضد معهم، فلم يتجاسر على إظهار ما فى نفسه، و شرع يماطل أسد الدين فى تقرير ما كان بذل لنور الدين من المال، و إقطاع الجند، و إفراد ثلث البلاد لنور الدين، و هو يركب كلّ يوم إلى أسد الدين و يسير معه و يعده و يمنّيه وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً «۱».

ثمّ إنّه عزم على أن يعمل دعوة يدعو إليها أسد الدين و الأمراء الذين معه و يقبض عليهم، و يستخدم من معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من الفرنج، فنهاه ابنه الكامل، و قال له: و اللّه لئن عزمت على هذا لأعرّفنّ شيركوه.

فقال له أبوه: و اللّه لئن لم نفعل [۱] هذا لنقتلن جميعا. فقال: صدقت و لأن [۲] نقتل و نحن مسلمون و البلاد إسلاميّة، خير من أن نقتل و قد ملكها الفرنج، فإنّه ليس بينك و بين عود الفرنج إلّا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه، و حينئذ لو مشى العاضد إلى نور الدين لم يرسل معه فارسا واحدا و يملكون البلاد، فترك ما كان عزم عليه.

و لما رأى العسكر النورى مطل شاور خافوا شرّه، فاتّفق صلاح الدين

---

[۱]- تفعل.

[۲]- و لئن.

---

(۱). roC.۴ ۱۲۰

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۴۰

يوسف بن أيّوب و عز الدين جورديك و غيرهما على قتل شاور، فأعلموا أسد الدين فنهاهم عنه، فسكتوا و هم على ذلك العزم من قتله، فاتّفق أن شاور قصد عسكر أسد الدين على عادته. فلم يجده فى الخيام، كان قد مضى يزور قبر الشافعىّ، رضى اللّه عنه. فلقيه صلاح الدين يوسف و جورديك فى جمع من العسكر، و خدموه. و أعلموه بأنّ شيركوه فى زيارة قبر الإمام الشافعىّ، فقال: نمضى إليه. فساروا جميعا، فسايره صلاح الدين و جورديك و ألقياه [۱] إلى الأرض عن فرسه. فهرب أصحابه عنه، فأخذ أسيرا، فلم يمكنهم قتله بغير أمر أسد الدين، فتوكّلوا بحفظه، و سيّروا فأعلموا أسد الدين الحال، فحضر، و لم يمكنه إلّا إتمام ما عملوه. و سمع الخليفة العاضد صاحب مصر الخبر، فأرسل إلى أسد الدين يطلب منه إنفاذ رأس شاور. و تابع الرسل بذلك، فقتل و أرسل رأسه إلى العاضد فى السابع عشر من ربيع الآخر.

و دخل أسد الدين القاهرة، فرأى من اجتماع الخلق ما خافهم على نفسه، فقال لهم: أمير المؤمنين، يعنى العاضد، يأمركم بنهب دار شاور، فتفرّق النّاس عنه إليها فنهبوها، و قصد هو قصر العاضد، فخلع عليه خلع الوزارة، و لقب الملك المنصور أمير الجيوش، و سار بالخلع إلى دار الوزارة، و هى التى كان فيها شاور، فلم ير فيها ما يقعد عليه، و استقرّ فى الأمر، و غلب عليه، و لم يبق له مانع و لا منازع، و استعمل على الأعمال من يثق به [۲] من أصحابه و أقطع البلاد لعساكره.

و أمّا الكامل بن شاور فإنّه لما قتل أبوه دخل القصر هو و إخوته معتصمين به، فكان آخر العهد بهم، فكان شير كوه يتأسّف عليه كيف عدم لأنّه بلغه

---

[۱]- و ألقوه.

[۲]- إليه.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۴۱

ما كان منه مع أبيه فى منعه من قتل شيركوه، و كان يقول: وددت أنّه بقى لأحسن إليه جزاء الصنيعة

ذكر وفاة أسد الدين شيركوه

لمّا ثبت قدم أسد الدين، و ظنّ أنّه لم يبق له منازع، أتاه أجله حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً «۱» فتوفّى يوم السبت الثانى و العشرين من جمادى الآخرة سنة أربع و ستّين و خمسمائة، و كانت ولايته شهرين و خمسة أيّام.

و أمّا ابتداء أمره و سبب اتّصاله بنور الدين، فإنّه كان هو و أخوه نجم الدين أيّوب ابنا شاذى من بلد دوين، و أصلهما من الأكراد الرواديّة.

و هذا النّسل هم أشرف الأكراد، فقدما العراق، و خدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد، فرأى من نجم الدين عقلا و رأيا وافرا و حسن سيرة، و كان أكبر من شيركوه، فجعله مستحفظا لقلعة تكريت، و هى له، فسار إليها و معه أخوه شيركوه، فلمّا انهزم أتابك الشهيد زنكى بن آقسنقر بالعراق من قراجه الساقى على ما ذكرناه سنة ستّ و عشرين و خمسمائة، وصل منهزما إلى تكريت، فخدمه نجم الدين، و أقام له السفن فعبر دجلة هناك، و تبعه أصحابه، فأحسن أيّوب صحبتهم و سيّرهم.

ثمّ إنّ شيركوه قتل إنسانا بتكريت لملاحاة جرت بينهما، فأخرجهما بهروز من القلعة، فسارا إلى الشهيد زنكى، فأحسن إليهما، و عرف لهما خدمتهما، و أقطعهما إقطاعا حسنا، فلمّا ملك قلعة بعلبكّ جعل أيّوب مستحفظا

---

(۱). ۴۴، ۶.roC

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۴۲

بها، فلمّا [۱] قتل الشهيد حصر عسكر دمشق بعلبكّ و هو بها، فضاق عليه الأمر، و كان سيف الدين غازى بن زنكى مشغولا عنه بإصلاح البلاد، فاضطرّ إلى تسليمها إليهم. فسلّمها على إقطاع ذكره، فأجيب إلى ذلك، و صار من أكبر الأمراء بدمشق.

و اتّصل أخوه أسد الدين شيركوه بنور الدين محمود بعد قتل زنكى، و كان يخدمه فىّ أيّام والده، فقرّبه و قدّمه، و رأى منه شجاعة يعجز غيره عنها، فزاده حتى صار له حمص و الرّحبة و غيرهما، و جعله مقدّم عسكره، فلمّا أراد نور الدين ملك دمشق أمره فراسل أخاه أيّوب و هو بها، و طلب منه المساعدة على فتحها، فأجاب إلى ما يراد منه على إقطاع ذكره له و لأخيه، و قرى يتملّكانها، فأعطاهما ما طلبا، و فتح دمشق على ما ذكرناه، و وفى [۲] لهما، و صارا أعظم أمراء دولته. فلمّا أراد أن يرسل العساكر إلى مصر، لم ير لهذا الأمر العظيم و المقام الخطير غيره، فأرسله، ففعل ما ذكرناه.

ذكر ملك صلاح الدين مصر

لمّا توفّى أسد الدين شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن أخيه أيّوب ابن شاذى قد سار معه على كره منه للمسير.

حكى لى عنه بعض أصدقائنا ممّن كان قريبا إليه خصيصا به قال: لمّا وردت كتب العاضد على نور الدين يستغيث به من الفرنج، و يطلب إرسال العساكر، أحضرنى و أعلمنى الحال، و قال: تمضى إلى عمّك أسد الدين بحمص

---

[۱]- قلما.

[۲]- و وفا.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۴۳

مع رسولى إليه ليحضر، و يحثه أنت على الإسراع، فما يحتمل الأمر التأخير ففعلت، و خرجنا من حلب، فما كنّا على ميل من حلب حتى لقيناه قادما فى هذا المعنى، فأمره نور الدين بالمسير، فلمّا قال له نور الدين ذلك التفت عمّى إلىّ فقال لى: تجهّز يا يوسف! فقلت: و اللَّه لو أعطيت ملك مصر ما سرت إليها، فلقد قاسيت بالإسكندريّة و غيرها ما لا أنساه أبدا. فقال لنور الدين: لا بدّ من مسيره معى فتأمر به، فأمرنى نور الدين، و أنا أستقيل، و انقضى المجلس.

و تجهّز أسد الدين، و لم يبق غير المسير، قال لى نور الدين: لا بدّ من مسيرك مع عمّك، فشكوت إليه الضائقة و عدم البرك، فأعطانى ما تجهّزت به فكأنّما أساق إلى الموت، فسرت معه و ملكها، ثمّ توفّى فملّكنى اللَّه تعالى ما لم أكن أطمع فى بعضه.

و أمّا كيفيّة ولايته، فإنّ جماعة من الأمراء النوريّة الذين كانوا بمصر طلبوا التقدّم على العساكر، و ولاية الوزارة العاضديّة بعده، منهم: عين الدولة الياروقىّ، و قطب الدين، و سيف الدين المشطوب الهكّارىّ، و شهاب الدين محمود الحارمىّ، و هو خال صلاح الدين، و كلّ واحد من هؤلاء يخطبها «۱»، و قد جمع أصحابه ليغالب عليها، فأرسل العاضد إلى صلاح الدين فأحضره عنده، و خلع عليه، و ولّاه الوزارة بعد عمّه.

و كان الّذى حمله على ذلك أنّ أصحابه قالوا له: ليس فى الجماعة أضعف و لا أصغر سنّا من يوسف، و الرأى أن يولّى، فإنّه لا يخرج من تحت حكمنا، ثمّ نضع على العساكر من يستميلهم إلينا، فيصير عندنا من الجنود من نمنع بهم البلاد، ثمّ نأخذ يوسف أو نخرجه.

---

(۱). هؤلاء يطلبها.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۴۴

فلمّا خلع عليه لقب الملك النّاصر لم يطعه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم، و لا خدموه. و كان الفقيه عيسى الهكّارىّ معه، فسعى مع المشطوب حتى أماله إليه، و قال له: إنّ هذا الأمر لا يصل إليك مع عين الدولة و الحارمىّ و غيرهما، ثمّ قصد الحارمىّ و قال: هذا صلاح الدين هو ابن أختك و عزّه و ملكه لك، و قد استقام له الأمر فلا تكن أوّل من يسعى فى إخراجه عنه و لا يصل إليك، فمال إليه أيضا، ثمّ فعل مثل هذا بالباقين، و كلّهم أطاع غير عين الدولة الياروقىّ فإنّه قال: أنا لا أخدم يوسف، و عاد إلى نور الدين بالشام و معه غيره من الأمراء، و ثبت قدم صلاح الدين، و مع هذا فهو نائب عن نور الدين.

و كان نور الدين يكاتبه بالأمير الاسفهسلار، و يكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما عن أن يكتب اسمه، و كان لا يفرده بكتاب بل يكتب الأمير الاسفهسلار مع صلاح [الدين] و جميع الأمراء بالديار المصريّة يفعلون كذا.

و استمال صلاح الدين قلوب النّاس، و بذل الأموال، فمالوا إليه و أحبّوه و ضعف أمر العاضد، ثمّ أرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل إليه إخوته و أهله، فأرسلهم إليه، و شرط عليهم طاعته و القيام بأمره و مساعدته، و كلّهم فعل ذلك، و أخذ إقطاعات الأمراء المصريّين فأعطاها أهله و الأمراء الذين معه، و زادهم، فازدادوا له حبّا و طاعة.

قد اعتبرت التواريخ، فرأيت كثيرا من التواريخ الإسلاميّة التى يمكن ضبطها، و رأيت كثيرا ممّن يبتدئ الملك تنتقل الدولة عن صلبه إلى بعض أهله و أقاربه، منهم أوّل الإسلام: معاوية بن أبى سفيان، أوّل من ملك من أهل بيته، فنقل الملك عن أعقابه إلى بنى مروان من بنى عمّه، ثمّ من بعده السفّاح أوّل من ملك من بنى العبّاس، انتقل الملك من أعقابه إلى أخيه المنصور، ثمّ السامانيّة أوّل من استبدّ منهم نصر بن أحمد، فانتقل الملك عنه إلى أخيه

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۴۵

إسماعيل بن أحمد و أعقابه، ثمّ يعقوب الصفّار، و هو أوّل من ملك من أهل بيته، فانتقل الملك إلى أخيه عمرو و أعقابه، ثمّ عماد

الدولـة بن بويه أوّل من ملك من أهله انتقل الملك عنه إلى أخويه ركن الدولة و عزّ الدولة، ثمّ خلص فى أعقاب ركن الدولة، و معزّ الدولة «۱»، ثمّ خلص فى أعقاب ركن الدولـة، ثمّ الدولـة السّلجوقيّة أوّل من ملك منهم طغرلبك انتقل الملك إلى أولاد أخيه داود، ثمّ شيركوه هذا كما ذكرناه انتقل «۲» الملك إلى أعقاب أخيه أيّوب، ثمّ إنّ صـلاح الدين لمّا أنشأ الدولة و عظّمها، و صار كأنّه أوّل لها، نقل الملك إلى أعقاب أخيه العادل، و لم يبق بيد أعقابه غير حلب.

و هـذه أعظم الـدول الإسـلاميّة، و لو لا خوف التطويل لـذكرنا أكثر من هذا، و الّذى أظنّه السـبب فى ذلك أنّ الّذى يكون أوّل دولة يكثر «۳» و يأخذ الملك و قلوب من كان فيه متعلّقة به فلهذا يحرمه اللّه أعقابه و من يفعل ذلك من أجلهم عقوبة له.

ذكر وقعة السودان بمصر

فى هـذه السـنة فى أوائـل ذى القعـدة قتل مؤتمن الخلافـة، و هو خصـىّ كان بقصـر العاضـد، إليه الحكم فيه، و التقـدّم على جميع من يحويه، فاتّفق هو و جماعـة من المصـريّين على مكاتبـة الفرنج و اسـتدعائهم إلى البلاد، و التقوّى بهم على صـلاح الدين و من معه، و سيّروا الكتب مع إنسان يثقون به [۱]، و أقاموا.

---

[۱]- إليه.

---

(۱).V. qsالدولةdaeuqsuو معز.aednimoteالدولة و معز الدولة

(۲) حلب وdaeuqsuانتقلaedni

(۳). يكثر القتل.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۴۶

ينتظرون جوابه، و سـار ذلـك القاصـد إلى البئر البيضـاء، فلقيه إنسان تركمانىّ، فرأى معه «۱» نعلين جديـدين، فأخـذهما منه و قال فى نفسه: لو كانا ممّا يلبسه «۲» هذا الرجل لكانا [۱] خلقين، فإنّه «۳» رثّ الهيئة، و ارتاب به و بهما، فأتى بهما صـلاح الدين ففتقهما «۴»، فرأى الكتاب فيهما، فقرأه و سكت عليه.

و كان مقصود مؤتمن الخلافة أن يتحرّك الفرنـج إلى الديار المصـريّة، فإذا وصـلوا إليها خرج صـلاح الدين فى العساكر إلى قتالهم، فيثور مؤتمن الخلافـة بمن معه من المصـريّين على مخلفيهم فيقتلونهم، ثمّ يخرجون بـأجمعهم يتبعون صـلاح الـدين، فيـأتونه من وراء ظهره، و الفرنـج من بين يـديه، فلا يبقى لهم باقيـة. فلمّا قرأ الكتاب سأل عن كاتبه فقيل: رجل يهودىّ، فأحضـر، فأمر بضـربه و تقريره، فابتدأ و أسلم، و أخبره الخبر، و أخفى صلاح الدين الحال.

و استشـعر مؤتمن الخلافة فلازم القصر و لم يخرج منه خوفا، و إذا خرج لم يبعد [و صلاح الدين] لا يظهر له شيئا من الطلب، لئلّا ينكر ذلك، فلمّا طال الأمر خرج من القصـر إلى قرية له تعرف بالحرقانيّة للتنزّه، فلمّا علم به صلاح الدين أرسل إليه جماعة، فأخذوه و قتلوه و أتوه برأسه، و عزل جميع الخـدم الذين يتولّون أمر قصـر الخلافة، و اسـتعمل على الجميع بهاء الدين قراقوش، و هو خصـىّ أبيض، و كان لا يجرى فى القصـر صغير و لا كبير [۲] إلّا بأمره و حكمه، فغضب السودان الـذين بمصـر لقتل مؤتمن الخلافة حميّة، و لأنّه كان يتعصّب لهم، فحشدوا و جمعوا، فزادت عدّتهم على خمسين ألفا،

---

[۱]- لكان.

[۲]- صغيرا و لا كبيرا.

(۱)V. qes هذاdaeuqsu معهA. mo .aedni

(۲). یلبسهما.B

(۳). لکانا ... فإنه.A. mo

(۴). ففتشهما.A

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۳۴۷

و قصدوا حرب الأجناد الصلاحیّة، فاجتمع العسکر أیضا، و قاتلوهم بین القصرین.

و کثر القتل فی الفریقین، فأرسل صلاح الدین إلی محلّتهم المعروفة بالمنصورة، فأحرقها علی أموالهم و أولادهم و حرمهم، فلمّا أتاهم الخبر بذلک ولّوا منهزمین، فرکبهم السیف، و أخذت علیهم أفواه السکک، فطلبوا الأمان بعد أن کثر فیهم القتل، فأجیبوا إلی ذلک، فأخرجوا من مصر إلی الجیزة، فعبر إلیهم شمس الدولة توران شاه أخو صلاح الدین الأکبر فی طائفة من العسکر، فأبادهم بالسیف، و لم یبق منهم إلّا القلیل الشرید، و کفی اللَّه تعالی شرّهم، و اللَّه أعلم.

ذکر ملک شملة فارس و إخراجه [۱] عنها

فی هذه السنة ملک شملة صاحب خوزستان بلاد فارس، و أخرج عنها، و سبب ذلک أنّ زنکی بن دکلا صاحبها أساء السیرة مع عسکره فأرسلوا إلی شملة بخوزستان و حسّنوا له قصد فارس، فجمع عساکره و تجهّز و سار إلیها، فخرج إلیه زنکی بن دکلا، و وقعت بینهم حرب خامر فیها أصحاب زنکی علیه، فانهزم فی شرذمة من عسکره، و نجا بنفسه، و قصد الأکراد الشوانکار و التجأ إلیهم، فأجاره صاحبها، و أحسن ضیافته.

و نزل شملة ببلاد فارس فملکها، فأساء السیرة إلی أهلها، و نهب ابن أخیه ابن سنکا البلاد فتغیّرت بواطن [۲] أهلها علیه، و اجتمع إلی زنکی بعض العسکر الذین خامروا علیه، لما رأوا من سوء سیرة شملة فیهم، فکثر جمعه مع الأکراد

[۱]- و أخرجه.

[۲]- بواطی.

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۳۴۸

الشوانکار و نزل بهم إلی البلاد و کاتب عسکره و وعدهم الإحسان فأقبلوا إلیه فقصد شملة و واقعه فانهزم شملة و استعاد زنکی بلاده و رجع إلی ملکه و عاد شملة إلی بلاد خوزستان.

ذکر ملک إیلدکز الرّیّ

فی هذه السنة ملک إیلدکز مدینة الرّیّ و البلاد التی کانت بید إینانج.

و سبب ذلک أنّ إیلدکز کان قد استقرّ الأمر بینه و بین إینانج علی مال یؤدّیه إلی إیلدکز، فمنعه سنتین، فأرسل إیلدکز یطلب المال فاعتذر بکثرة غلمانه و حاشیته، فتجهّز إیلدکز و قصد الرّیّ، فالتقاه إینانج و حاربه حربا عظیمة، فانهزم إینانج و مضی منهزما، فتحصّن بقلعة طبرک، فحصره إیلدکز فیها و راسل سرّا جماعة من مماالیکه، فأطمعهم فی الإقطاعات و الأموال و الإحسان العظیم لیقتلوا إینانج، فقتلوه، و کانوا جماعة کثیرة، و سلّموا البلد إلی إیلدکز، فرتّب فیه عمر بن علیّ یاغ، و عاد إلی همدان، و لم یف للغلمان الذین قتلوا إینانج و سلّموا البلد إلیه بما وعدهم، و قال: مثل هؤلاء ینبغی أن لا یستخدم، و أبعدهم عنه، فتفرّقوا فی البلاد، فسار بعضهم، و هو

الّذى تولّى قتله، إلى خوارزم شاه، فصلبه خوارزم شاه نكالا بما فعل بصاحبه

.

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٣۴٩

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة رئى فى دار الخليفة المستنجد باللَّه رجل غريب فى الطريق الّذى يركب فيه و فى زنده سكّين صغيرة، و فى يده سكّين أخرى كبيرة، فأخذوه و قرّروه، فقال: أنا من حلب. فحبس و عوقب البوّاب، و لم يعلم من أين دخل.

و فيها قبض ابن البلدىّ وزير الخليفة على الحسين بن محمّد المعروف بابن السيبىّ، و على أخيه الأصغر، و كانا ابنى عمّة عضد الدين أستاذ الدار، و كان الأصغر عامل البيمارستان، فقطعت يده و رجله. قيل كان عنده صنج زائدة يقبض بها و تحمل إلى الديوان بالصّنج الصحيحة، و قيل غير ذلك. و حمل إلى البيمارستان فمات به. و كان شاعرا، فمن شعره و هو محبوس هذه الأبيات:

سلام على أهلى و صحبى و جلّاسىو من فى فؤادى ذكرهم راسب راسى

أعالج فيكم كلّ همّ و لا أرىلداء همومى غير رؤيتكم آسى

لقد أبدت الأيّام لى كلّ شدّةتشيب لها الأكباد فضلا عن الرّاس

فيا ابنة عبد اللَّه صبرا على الّذىلقيت فهذا الحكم من مالك النّاس

فلو أبصرت عيناك ذلّى بكيت لىبدمع سوىّ بالمدامع رجّاس

أقول لقلبى و الهموم تنوشهو قد حدّثته النّفس بالضّرّ و الياس

فلو هم طيف من خيالى يزوركملمانعه دون المغالق حرّاسى

و ما حذرى إلّا على النّفس لا علىسواها لأنّى حلف فقر و إفلاس و فيها توفّى المعمّر بن عبد الواحد بن رجّار أبو أحمد الأصفهانىّ الحافظ، يروى عن أصحاب أبى نعيم، و كان موته بالبادية ذاهبا إلى الحجّ فى ذى القعدة.

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٣۵٠

و فى رجب منها توفّى الشيخ أبو محمّد الفارقىّ المتكلّم على النّاس، و كان أحد الزهّاد، له كرامات كثيرة، و كان يتكلّم على الخاطر، و كلامه مجموع مشهور و فيها مات جعيفر الرقّاص من ندماء دار الخلافة و فى شوّال منها توفّى القاضى أبو الحسن علىّ بن يحيى القرشىّ الدمشقىّ.

و فى ذى الحجّة توفّى نجم الدين بن محمّد بن علىّ بن القاسم الشّهرزورىّ قاضى الموصل، و ولى ابنه حجّة الدين عبد القاهر القضاء.

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٣۵١

۵۶۵ ثم دخلت سنة خمس و ستين و خمسمائة

ذكر حصر الفرنج دمياط

فى هذه السنة، فى صفر، نزل الفرنج على مدينة دمياط من الديار المصريّة و حصروها، و كان الفرنج بالشام، لما ملك أسد الدين شيركوه مصر، قد خافوه، و أيقنوا بالهلاك، و كاتبوا الفرنج الذين بصقلّية و الأندلس و غيرهما [١] يستمدّونهم و يعرّفونهم ما تجدّد من ملك الأتراك مصر، و أنّهم خائفون على البيت المقدّس منهم، فأرسلوا جماعة من القسوس و الرهبان يحرّضونهم على الحركة، فأمدّوهم بالأموال و الرجال و السلاح، و اتّعدوا للنزول على دمياط ظنّا منهم أنّهم يملكونها، و يتّخذونها ظهرا يملكون به الديار

المصريّة وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً «۱» فإلى أن دخلوا كان أسد الدين قد مات و ملك صلاح الدين، فاجتمعوا عليها و حصروها، و ضيّقوا على من بها.

فأرسل إليها صلاح الدين العساكر فى النيل و حشر فيها كلّ من عنده، و أمدّهم بالأموال و السلاح و الذخائر، و أرسل إلى نور الدين يشكو ما هم فيه من المخافة، و يقول: إنّى إن تأخّرت عن [۲] دمياط ملكها الفرنج، و إن سرت

---

[۱]- و غيرها.

[۲]- من.

---

(۱). roC.۳۳، ۲۵

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۵۲

إليها خلفنى المصريّون فى أهلها و أموالها بالشرّ، و خرجوا عن طاعتى، و ساروا فى أثرى، و الفرنج من أمامى، فلا يبقى لنا باقية.

فسيّر نور الدين العساكر إليه أرسالا- يتلو بعضها بعضا، ثمّ سار هو بنفسه إلى بلاد الفرنج الشاميّة، فنهبها، و أغار عليها و استباحها، فوصلت الغارات إلى ما لم تكن تبلغه قبل لخلوّ البلاد من مانع.

فلمّا رأى الفرنج تتابع العساكر إلى مصر، و دخول نور الدين إلى بلادهم و نهبها و تخريبها، رجعوا خائبين لم يظفروا بشىء، و وجدوا بلادهم خرابا، و أهلها بين قتيل و أسير، فكانوا موضع المثل: خرجت النعامة تطلب قرنين رجعت بلا أذنين. و كانت مدّة مقامهم على دمياط خمسين يوما أخرج فيها صلاح الدين أموالا لا تحصى. حكى لى أنّه قال: ما رأيت أكرم من العاضد، أرسل إلىّ مدة لمقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصريّة سوى الثياب و غيرها.

ذكر حصر نور الدين الكرك

فى هذه السنة، فى جمادى الآخرة، سار نور الدين إلى بلد الفرنج، فحصر الكرك، و هو من أمنع المعاقل على طرف البرّ.

و كان سبب ذلك أنّ صلاح الدين أرسل إلى نور الدين يطلب أن يرسل إليه والده نجم الدين أيّوب، فجهّزه نور الدين، و سيّره، و سيّر معه عسكرا، و اجتمع معه من التجّار خلق كثير، و انضاف إليهم من كان له مع صلاح الدين أنس و صحبة، فخاف نور الدين عليهم من الفرنج، فسار فى عساكره إلى الكرك، فحصره و ضيّق عليه و نصب عليه المجانيق، فأتاه الخبر أن

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۵۳

الفرنج قد جمعوا له، و ساروا إليه، و قد جعلوا فى مقدّمتهم إليه ابن هنفرى و قريب بن الرقيق، و هما فارسا الفرنج فى وقتهما، فرحل نور الدين نحو هذين المقدّمين ليلقاهما و من معهما قبل أن يلتحق بهما باقى الفرنج، فلمّا قاربهما رجعا القهقرى و اجتمعا بباقى الفرنج.

و سلك نور الدين وسط بلادهم ينهب و يحرق ما على طريقه من القرى إلى أن وصل إلى بلاد الإسلام، فنزل على عشترا، و أقام ينتظر حركة الفرنج ليلقاهم، فلم يبرحوا من مكانهم، فأقام هو حتى أتاه خبر الزلزلة الحادثة فرحل.

و أمّا نجم الدين أيّوب فإنّه وصل إلى مصر سالما هو و من معه و خرج العاضد الخليفة فالتقاه «۱» إكراما له.

ذكر غزوة لسرية نوريّة

كان شهاب الدين إلياس بن «۲» إيلغازى بن أرتق، صاحب قلعة البيرة، قد سار فى عسكره، و هو فى مائتى فارس، إلى نور الدين و هو

بعشترا، فلمّا وصل إلى قريـة اللّبوة، و هى من عمل بعلبكّ، ركب متصـيدا، فصادف ثلاثمائـة فارس من الفرنـج قد ساروا للإغارة على بلاد الإسـلام سابع عشـر شوّال، فوقع بعضـهم على بعض، و اقتتلوا و اشتدّ القتال، و صبر الفريقان لا سيّما المسلمون، فإنّ ألف فارس لا يصبرون لحملـة ثلاثمائـة فارس إفرنجيّـة، و كثر القتلى بين الطائفتين، فانهزم الفرنـج، و عمّهم القتل و الأسـر، فلم يفلت منهم إلّا من لا يعتدّ به.

..

(۱) لتلقاه.A

(۲). إلياس بن محمد.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۵۴

و سار شـهاب الدين برءوس القتلى و بالأسرى إلى نور الدين، فركب نور الدين و العسكر، فلقوهم، فرأى نور الدين فى الرءوس رأس مقدّم الإسبتار «۱» صاحب حصن الأكراد، و كان من الشجاعة بمحلّ كبير، و كان شجا فى حلوق المسلمين «۲».

ذكر الزلزلة و ما فعلته بالشام

فى هـذه السـنة أيضا، ثانى عشـر شوّال، كانت زلازل عظيمـة متتابعة هائلة لم ير النّاس مثلها، و عمّت أكثر البلاد من الشام و الجزيرة و الموصل و العراق و غيرها من البلاد، و أشدّها كان بالشام، فخرّبت كثيرا من دمشق و بعلبكّ و حمص و حماة و شيزر و بعرين و حلب و غيرها، و تهدّمت أسوارها و قلاعها، و سقطت الدور على أهلها، و هلك منهم ما يخرج عن الحدّ.

فلمّـا أتـاه الخبر سـار إلى بعلبـكّ ليعمر مـا انهـدم من سورهـا و قلعتها، فلمّا وصـلها أتاه خبر باقى البلاد، و خراب أسوارها و قلاعها، و خلوّهـا من أهلها، فجعل ببعلبكّ من يعمرها و يحميها و يحفظها، و سار إلى حمص ففعل مثل ذلك، ثمّ إلى حماة، ثمّ إلى بعرين «۳»، و كان شديـد الحـذر على سائر البلاد من الفرنج، ثمّ أتى مدينة حلب، فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد، فإنّها كانت قـد أتت عليها و بلغ الرعب ممّن نجا كلّ مبلغ، و كانوا لا يقـدرون [أن] يأووا [إلى] مساكنهم خوفا من الزلزلـة، فأقام بظاهرها، و باشـر عمارتها بنفسه، فلم يزل كذلك حتى أحكم أسوار البلاد و جوامعها.

(۱). الاسبيتار.A

(۲). فسر المسلمون بقتله.B

(۳). بارين.B. ثم إلى بعرين.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۵۵

و أمّـا بلاـد الفرنـج فإنّ الزلازل أيضا عملت بها كـذلك فاشـتغلوا بعمارة بلادهم خوفا من نور الـدين عليها، فاشـتغل كلّ منهم بعمارة بلاده خوفا من الآخر.

ذكر وفاة قطب الدين مودود بن زنكى و ملك ابنه سيف الدين غازى

فى هذه السـنة، فى ذى الحجّة «۱»، مـات قطب الـدين مودود بن زنكى، ابن آقسـنقر، صاحب الموصل، بالموصل، و كان مرضه حمى حادّة، و لمّا اشـتدّ مرضه أوصـى بالملك بعـده لابنه الأكبر عماد الـدين زنكى، ثمّ عدل عنه إلى ابنه الآخر سـيف الدين غازى، و إنّما صرف الملك عن ابنه الأكبر عماد الدين زنكى بن مودود لأنّ القيّم بأمور دولته، و المقدّم فيها، كان خادما له يقال له فخر الدين عبد المسيح، و كـان يكره عماد الـدين لأنّه كان طوع عمّه نور الـدين، لكثرة مقامه عنـده، و لأنّه زوج ابنته، و كان نور الـدين يبغض عبد

المسيح، فاتّفق فخر الدين و خاتون ابنة حسام الدين تمرتاش بن إيلغازى، و هى والدة سيف الدين، على صرف الملك عن عماد الدين إلى سيف الدين، فرحل عماد الدين إلى عمّه نور الدين مستنصرا به ليعينه على أخذ الملك لنفسه.

و توفّى قطب الدين و عمره نحو أربعين سنة، و كان ملكه إحدى و عشرين سنة و خمسة أشهر و نصفا، و كان فخر الدين «٢» هو المدبّر للأمور و الحاكم فى الدولة، و كان قطب الدين من أحسن الملوك سيرة و أعفّهم عن أموال رعيّته،

---

(١). فى شوال.A

(٢). و كان فخر المؤمن.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٥٦

محسنا إليهم، كثير الإنعام عليهم، محبوبا إلى كبيرهم و صغيرهم، عطوفا على شريفهم و وضيعهم، كريم الأخلاق، حسن الصحبة لهم، فكأن القائل أراده بقوله:

خلق كماء المزن طيب مذاقةو الرّوضة الغنّاء طيب نسيم

كالسّيف لكن فيه حلم واسععمّن جنى [١] و السّيف غير حليم

كالغيث إلّا أنّ وابل جودهأبدا وجود الغيث غير مقيم

كالدّهر إلّا أنّه ذو رحمةو الدّهر قاسى القلب غير رحيم و كان سريع الانفعال للخير، بطيئا عن الشرّ، جمّ المناقب، قليل المعايب، رحمه اللّه و رضى عنه و عن جميع المسلمين بمنّه و كرمه، إنّه جواد كريم.

ذكر حالة ينبغى للملوك أن يحترزوا من مثلها

حدّثنى والدى، رحمه اللّه، قال: كنت أتولّى جزيرة ابن عمر لقطب الدين، كما علمتم، فلمّا كان قبل موته بيسير أتانا كتاب من الديوان بالموصل يأمرون بمساحة جميع بساتين العقيمة، و هذه العقيمة «١» هى قرية تحاذى الجزيرة بينهما دجلة، و لها بساتين كثيرة بعضها يمسح فيؤخذ منه على كلّ جريب شىء معلوم، و بعضها عليه خراج، و بعضها مطلق من الجميع.

قال: و كان لى فيها ملك، كثير، فكنت أقول: إنّ المصلحة أن لا يغيّر على النّاس شىء، و ما أقول هذا لأجل ملكى، فإنّنى أنا أمسح ملكى، و إنّما

---

[١]- جنا.

---

(١). و هذه العقبة.A. بساتين العقبة.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٥٧

أريد أن يدوم الدعاء من النّاس للدولة. فجاءنى كتاب النائب يقول: لا بدّ من المساحة. قال: فأظهرت الأمر، و كان بها قوم صالحون، لى بهم أنس، و بيننا مودّة، فجاءنى النّاس كلّهم، و أولئك معهم، يطلبون المراجعة، فأعلمتهم أننى رجعت و ما أجبت إلى ذلك، فجاءنى منهم رجلان أعرف صلاحهما، و طلبا منى المعاودة و مخاطبة ثانية، ففعلت، فأصرّوا على المسح، فعرّفتهما الحال.

قال: فما مضى إلّا عدّة أيّام، و إذ قد جائنى الرجلان، فلمّا رأيتهما ظننت أنّهما جاءا يطلبان المعاودة، فعجبت منهما، و أخذت أعتذر إليهما، فقالا: ما جئنا إليك فى هذا، و إنّما جئنا نعرّفك أنّ حاجتنا قضيت. قال:

فظننت أنّهما قد أرسلا إلى الموصل إلى من يشفع لهما. فقلت: من الّذى خاطب فى هذا بالموصل؟ فقالا: إنّ حاجتنا قد قضيت من

السماء، و لكافّة أهل العقيمة.

قال «١»: فظننت أنّ هذا ممّا قد حدّثا به نفوسهما، ثمّ قاما عنّى، فلم يمض غير عشرة أيّام و إذ قد جاءنا كتاب من الموصل يأمرون بإطلاق المساحة و المحبّسين و المكوس، و يأمرون بالصدقة، و يقال: إنّ السلطان، يعنى قطب الدين، مريض، يعنى على حالة شديدة، ثمّ بعد يومين أو ثلاثة جاءنا الكتاب بوفاته، فعجبت من قولهما، و اعتقدته كرامة لهما، فصار والدى بعد ذلك يكثر إكرامهما و احترامهما و يزورهما.

---

(١). العقبة. قال.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٥٨

ذكر الحرب بين عساكر ابن عبد المؤمن و ابن مردنيش

كان محمّد بن سعيد «١» بن مردنيش، ملك شرق الأندلس، قد اتّفق هو و الفرنج، و امتنع على عبد المؤمن و ابنه بعده، فاستفحل أمره، لا سيّما بعد وفاة عبد المؤمن، فلمّا كان هذه السنة جهّز إليه يوسف بن عبد المؤمن العساكر الكثيرة مع أخيه عمر بن عبد المؤمن، فجاسوا بلاده و خرّبوها، و أخذوا مدينتين من بلاده، و أخافوا عساكره و جنوده، و أقاموا ببلاده مدّة يتنقلون فيها و يجبون أموالها.

ذكر وفاة صاحب كرمان و الخلف بين أولاده

فى هذه السنة توفّى الملك طغرل بن قاورت صاحب كرمان، و اختلف أولاده بهرام شاه و أرسلان شاه، و هو الأكبر، و جرى بينهما قتال انهزم فيه بهرام شاه و معه أخ له اسمه تركان شاه، فملك البلاد أرسلان شاه و مضى بهرام شاه إلى خراسان، فدخل على المؤيّد صاحب نيسابور و استنجده، فأنجده بعساكر سار بها إلى كرمان، فجرى بين الأخوين حرب ظفر فيها بهرام شاه، [و هرب أرسلان شاه، فقصد أصفهان مستجيرا بإيلدكز، فأنفذ معه عسكرا، و استنقذوا البلاد من بهرام شاه و سلّموها إلى أخيه أرسلان شاه فعاد] «٢» بهرام شاه إلى نيسابور مستجيرا بالمؤيّد صاحبها، فأقام عنده، فاتّفق أنّ أخاه أرسلان شاه مات، فسار إلى كرمان فملكها، و أقام بها بغير منازع.

---

(١). ابن سعد.B

P .C.(٢)

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٥٩

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كثرت الأذيّة من عبد الملك بن محمّد بن عطاء، و تطرّق بلاد حلوان، و نهب و أفسد، و تطرّق الحجّاج، فأنفذ إليه من بغداد عسكر فنازلوه فى قلاعه و ضايقوه، و نهبوا أمواله و أموال أهله، حتى أذعن بالطاعة، و لا يعاود أذى الحجّاج و لا غيرهم، فعاد العسكر عنه.

و فيها توفّى مجد الدين أبو بكر بن الدايۀ، و هو رضيع نور الدين، و كان أعظم الأمراء منزلة عنده، و له فى أقطاعه حلب و حارم و قلعة جعبر، فلمّا توفّى ردّ نور الدين ما كان له إلى أخيه شمس الدين علىّ بن الدايۀ.

و فيها، فى شعبان، توفّى أحمد بن صالح بن شافع أبو الفضل الجيليّ ببغداد، و هو من مشهورى المحدّثين. الجيليّ بالجيم و الياء تحتها نقطتان.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۶۰

۵۶۶ ثم دخلت سنة ست و ستين و خمسمائة

ذكر وفاة المستنجد باللَّه

فى هذه السنة، تاسع ربيع الآخر، توفّى المستنجد باللَّه أبو المظفّر يوسف ابن المقتفى لأمر اللَّه أبى عبد اللَّه محمّد بن المستظهر باللَّه، و قد تقدّم باقى النسب فى غير موضع، و أمّه أمّ ولد، اسمها طاووس، و قيل نرجس، روميّة، و مولده مستهلّ ربيع الآخر سنة عشر و خمسمائة، و كانت خلافته إحدى عشرة سنة و شهرا و ستّة أيّام، و كان أسمر، تام القامة، طويل اللحية.

و كان سبب موته أنّه مرض و اشتدّ مرضه، و كان قد خافه أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء، و قطب الدين قايماز المقتفوى، و هو حينئذ أكبر أمير ببغداد، فلمّا اشتدّ مرض الخليفة اتّفقا، و وضعا الطبيب على أن يصف له ما يؤذيه، فوصف له دخول الحمّام، فامتنع لضعفه، ثمّ إنّه دخل و أغلق عليه بابه فمات.

و هكذا سمعته من غير واحد ممّن يعلم الحال، و قيل إنّ الخليفة كتب إلى وزيره مع طبيبه ابن صفية يأمره بالقبض على أستاذ الدار و قطب الدين و صلبهما، فاجتمع ابن صفيّة بأستاذ الدار، و أعطاه خطّ الخليفة، فقال له:

تعود و تقول إنّنى أوصلت الخطّ إلى الوزير، ففعل ذلك، و أحضر أستاذ الدار قطب الدين و يزدن و أخاه تنامش، و عرض الخطّ عليهم، فاتّفقوا على قتل الخليفة، فدخل إليه يزدن و قايماز الحميدىّ، فحملاه إلى الحمّام و هو يستغيث

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۶۱

و ألقياه، و أغلقا الباب عليه و هو يصيح إلى أن مات، رحمه اللَّه.

و كان وزيره حينئذ أبا جعفر بن البلدى، و بينه و بين أستاذ الدار عضد الدين عداوة مستحكمة، لأنّ المستنجد باللَّه كان يأمره بأشياء تتعلّق بهما فيفعلها [۱]، فكانا يظنّان أنّه هو الّذى يسعى بهما، فلمّا مرض المستنجد، و أرجف بموته، ركب الوزير و معه الأمراء و الأجناد و غيرهم بالعدة، فلم يتحقّق عنده خبر موته، فأرسل إليه عضد الدين يقول: إنّ أمير المؤمنين قد خفّ ما به من المرض، و أقبلت العافية، فخاف الوزير أن يدخل دار الخلافة بالجند، فربّما أنكر عليه ذلك. فعاد إلى داره و تفرّق النّاس عنه. و كان عضد الدين و قطب الدين قد استعدّا للهرب لمّا ركب الوزير خوفا منه إن دخل الدار أن يأخذهما، فلمّا عاد أغلق أستاذ الدار أبواب الدار، و أظهروا وفاة المستنجد، و أحضر هو و قطب الدين ابنه أبا محمّد الحسن، و بايعاه بالخلافة، و لقّباه المستضىء بأمر اللَّه، و شرطا عليه شروطا «۱» أن يكون عضد الدين وزيرا، و ابنه كمال الدين أستاذ الدار، و قطب الدين أمير العسكر، فأجابهم إلى ذلك.

و لم يتولّ الخلافة من اسمه الحسن إلّا الحسن بن علىّ بن أبى طالب و المستضىء بأمر اللَّه، و اتّفقا فى الكنية و الكرم، فبايعه أهل بيته البيعة الخاصّة يوم توفّى أبوه، و بايعه النّاس من الغد فى التاج بيعة عامّة، و أظهر من العدل أضعاف ما عمل أبوه، و فرّق أموالا جليلة المقدار.

و علم الوزير ابن البلدىّ فسقط فى يده و قرع سنّه ندما على ما فرط فى عوده حيث لا ينفعه، و أتاه من يستدعيه للجلوس للعزاء و البيعة للمستضىء، فمضى إلى دار الخلافة، فلمّا دخلها صرف إلى موضع و قتل و قطع قطعا،

---

[۱] فيفعلهما.

(۱). شروطا منها.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۶۲

و ألقى فى دجلة، رحمه اللّه، و أخذ جميع ما فى داره، فرأيا فيها خطوط المستنجد باللّه يأمره فيها بالقبض عليهما، و خطّ الوزير قد راجعه فى ذلك، و صرفه عنه، فلمّا وقفا عليهما عرفا براءته ممّا كانا يظنّان فيه، فندما حيث فرّطا فى قتله.

و كان المستنجد باللّه من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعيّة، عادلا فيهم، كثير الرّفق بهم، و أطلق كثيرا من المكوس، و لم يترك بالعراق منها شيئا، و كان شديدا على أهل العبث و الفساد و السعاية بالنّاس.

بلغنى أنّه قبض على إنسان كان يسعى بالنّاس، فأطال حبسه، فشفع فيه بعض أصحابه المختصّين بخدمته، و بذلك عنه عشرة آلاف دينار، فقال:

أنا أعطيك عشرة آلاف دينار و تحضر لى إنسانا آخر مثله لأكفّ شرّه عن النّاس، و لم يطلقه. و ردّ كثيرا من الأموال على أصحابها، و قبض على القاضى ابن المرخم، و أخذ منه مالا كثيرا، فأعاده على أصحابه أيضا، و كان ابن المرخم ظالما جائرا فى أحكامه.

ذكر ملك نور الدين الموصل و إقرار سيف الدين عليها

لمّا بلغ نور الدين محمودا [۱] وفاة أخيه قطب الدين مودود، صاحب الموصل، و ملك ولده سيف الدين غازى الموصل و البلاد التى كانت لأبيه، بعد وفاته، و قيام فخر الدين عبد المسيح بالأمر معه، و تحكّمه عليه، أنف لذلك و كبر لديه و عظم عليه، و كان يبغض فخر الدين لما يبلغه عنه من خشونة سياسته،

[۱] محمود.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۶۳

فقال: أنا أولى بتدبير أولاد أخى و ملكهم، و سار عند انقضاء العزاء جريدة فى قلّة من العسكر، و عبر الفرات [۱]، عند قلعة جعبر، مستهلّ المحرّم من هذه السنة، و قصد الرّقّة فحصرها و أخذها.

ثمّ سار إلى الخابور فملكه جميعه، و ملك نصيبين و أقام بها يجمع العساكر، فأتاه بها نور الدين محمّد بن قرا أرسلان بن داود، صاحب حصن كيفا، و كثر جمعه، و كان قد ترك أكثر عساكره بالشام لحفظ ثغوره، فلمّا اجتمعت العساكر سار إلى سنجار فحصرها، و نصب عليها المجانيق و ملكها، و سلّمها إلى عماد الدين ابن أخيه قطب الدين.

و كان قد جاءته كتب الأمراء الذين بالموصل سرّا، يبذلون له الطاعة، و يحثّونه على الوصول إليهم، فسار إلى الموصل فأتى مدينة بلد، و عبر دجلة عندها مخاضة إلى الجانب الشرقى، و سار فنزل شرق الموصل على حصن نينوى، و دجلة بينه و بين الموصل. و من العجب أنّ يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة.

و كان سيف الدين غازى و فخر الدّين قد سيّرا عزّ الدين مسعود بن قطب الدين إلى أتابك شمس الدين إيلدكز، صاحب همذان و بلد الجبل، و أذربيجان، و أصفهان، و الرّىّ و تلك الأعمال يستنجده على عمّه نور الدين، فأرسل إيلدكز رسولا إلى نور الدين ينهاه عن التعرّض إلى الموصل، و يقول له: إنّ هذه البلاد للسلطان، فلا تقصدها، فلم يلتفت إليه، و قال للرسول: قل لصاحبك أنا أصلح لأولاد أخى منك، فلم تدخل نفسك بيننا؟ و عند الفراغ من إصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همذان، فإنّك قد ملكت هذه المملكة العظيمة، و أهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها، و قد بليت أنا، ولى مثل

[۱] الفراة.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۶۴

ربع بلادك، بالفرنج، و هم أشجع العالم، فأخذت معظم بلادهم، و أسرت ملوكهم، و لا يحلّ لى السكوت عنك، فإنّه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت و إزالة الظلم عن المسلمين.

فأقام نور الدين على الموصل، فعزم من بها من الأمراء على مجاهرة «۱» فخر الدين عبد المسيح بالعصيان، و تسليم البلد إلى نور الدين، فعلم ذلك، فأرسل إلى نور الدين فى تسليم البلد إليه على أن يقرّه بيد سيف الدين، و يطلب لنفسه الأمان و لماله، فأجابه إلى ذلك، و شرط أنّ فخر الدين يأخذه معه إلى الشام، و يعطيه عنده إقطاعا يرضيه، فتسلّم البلد ثالث عشر جمادى الأولى من هذه السنة، و دخل القلعة من باب السرّ لأنّه لمّا بلغه عصيان عبد المسيح عليه حلف أن لا يدخلها إلّا من أحصن موضع فيها، و لمّا ملكها أطلق ما بها من المكوس و غيرها من أبواب المظالم، و كذلك فعل بنصيبين و سنجار و الخابور، و هكذا كان جميع بلاده من الشام و مصر.

و وصله، و هو على الموصل يحاصرها، خلعة من الخليفة المستضىء بأمر اللّه، فلبسها، و لمّا ملك الموصل خلعها على سيف الدين ابن أخيه، و أمره و هو بالموصل بعمارة الجامع النوريّ، و ركب هو بنفسه إلى موضعه فرآه، و صعد منارة مسجد أبى حاضر فأشرف منها على موضع الجامع، فأمر أن يضاف إلى الأرض التى شاهدها ما يجاورها من الدور و الحوانيت، و أن لا يؤخذ منها شىء بغير اختيار أصحابه. و ولّى الشيخ عمر الملّا عمارته، و كان من الصالحين الأخيار، فاشترى الأملاك من أصحابها بأوفر الأثمان، و عمره، فخرج عليه أموال كثيرة، و فرغ من عمارته سنة ثمان و ستّين و خمسمائة.

و عاد إلى الشام، و استناب فى قلعة الموصل خصيّا كان له اسمه

---

(۱). على مخامرة.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۶۵

كمشتكين، و لقبه سعد الدين، و أمر سيف الدين أن لا ينفرد عنه بقليل من الأمور و لا بكثير، و حكّمه [فى البلاد] و أقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين، فلمّا فعل ذلك قال كمال الدين بن الشهرزوريّ:

هذا طريق إلى أذى يحصل لبيت أتابك لأنّ عماد الدين كبير لا يرى طاعة سيف الدين، [و سيف الدين] «۱» هو الملك لا يرى الإغضاء لعماد الدين فيحصل الخلف، و يطمع الأعداء، فكان كذلك على ما نذكره سنة سبعين و خمسمائة، و كان مقام نور الدين بالموصل أربعة و عشرين يوما، و استصحب معه فخر الدين عبد المسيح، و غيّر اسمه فسمّاه عبد اللّه، و أقطعه إقطاعا كبيرا.

ذكر غزو صلاح الدين بلاد الفرنج و فتح أيلة

و فى هذه السنة سار صلاح الدين أيضا عن مصر إلى بلاد الفرنج، فأغار على أعمال عسقلان و الرّملة، و هجم على ربض غزّة فنهبه، و أتاه ملك الفرنج فى قلّة من العسكر مسرعين لردّه عن البلاد، فقاتلهم و هزمهم، و أفلت ملك الفرنج بعد أن أشرف أن يؤخذ أسيرا، و عاد إلى مصر، و عمل مراكب مفصّلة، و حملها قطعا على الجمال فى البرّ، و قصد أيلة، فجمع قطع المراكب و ألقاها فى البحر، و حصر أيلة برّا و بحرا و فتحها فى العشر الأوّل من ربيع الآخر، و استباح أهلها و ما فيها و عاد إلى مصر.

---

(۱). ۷۴۰te .P .C

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۶۶

ذكر ما أعتمده صلاح الدين بمصر هذه السنة

كان بمصر دار للشحنة تسمّى دار المعونة يحبس فيها من يريد حبسه، فهدمها صلاح الدين، و بناها مدرسة للشافعيّة، و أزال ما كان فيها [١] من الظلم، و بنى دار العدل مدرسة للشافعيّة أيضا، و عزل قضاة المصريّين، و كانوا شيعة، و أقام قاضيا شافعيّا فى مصر، فاستناب القضاة الشافعيّة فى جميع البلاد فى العشرين من جمادى الآخرة.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اشترى تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين منازل العزّ «١» بمصر، و بناها مدرسة للشافعيّة.

و فيها أغار شمس الدولة توران شاه أخو صلاح الدين أيضا على الأعراب الذين بالصعيد، و كانوا قد أفسدوا فى البلاد، و مدّوا أيديهم، فكفّوا عمّا كانوا يفعلونه.

و فيها مات القاضى ابن الخلّال من أعيان الكتّاب المصريّين و فضلائهم، و كان صاحب ديوان الإنشاء بها.

و فيها وقع حريق ببغداد فى درب المطبخ، و فى خرابة ابن جردة «٢».

---

[١] فيه.

---

(١) P .C.

(٢) جودة: spU. حرابه بن جردة ٧۴٠ خربة ابن جردة. P .C

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣۶٧

و فيها توفّى الأمير نصر بن المستظهر باللَّه، عمّ المستنجد باللَّه و حموه، و هو آخر من مات من أولاد المستظهر باللَّه، و كان موته فى ذى القعدة، و دفن فى الترب بالرّصافة.

و فيها جعل ظهير الدين أبو بكر نصر بن العطّار صاحب المخزن ببغداد، و لقّب ظهير الدين.

و فيها حجّ بالنّاس الأمير طاشتكين المستنجدىّ، و كان نعم الأمير، رحمه اللَّه.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣۶٨

۵۶٧ ثمّ دخلت سنة سبع و ستين و خمسمائة

ذكر إقامة الخطبة العباسيّة بمصر و انقراض الدولة العلويّة

فى هذه السنة، فى ثانى جمعة من المحرّم، قطعت خطبة العاضد لدين اللَّه أبى محمّد الإمام عبد اللَّه بن يوسف بن الحافظ لدين اللَّه أبى الميمون عبد المجيد ابن أبى القاسم محمّد بن المستنصر باللَّه أبى تميم معدّ بن الظاهر لإعزاز دين اللَّه أبى الحسن علىّ بن الحاكم بأمر اللَّه أبى علىّ المنصور بن العزيز باللَّه أبى منصور ابن نزار بن المعزّ لدين اللَّه أبى تميم معدّ بن المنصور باللَّه أبى الظاهر إسماعيل ابن القائم بأمر اللَّه أبى القاسم محمّد بن المهدىّ باللَّه أبى محمّد عبيد اللَّه، و هو أوّل العلويّين من هذا البيت الذين خطب لهم بالخلافة، و خوطبوا بإمرة المؤمنين.

و كان سبب الخطبة العبّاسيّة بمصر أنّ صلاح الدين يوسف بن أيّوب لمّا ثبت قدمه بمصر و زال المخالفون له، و ضعف أمر الخليفة بها العاضد، و صار قصره يحكم فيه صلاح الدين و نائبة قراقوش، و هو خصىّ، كان من أعيان الأمراء الأسديّة، كلّهم يرجعون إليه،

فكتب إليه نور الدين محمود بن زنكى يأمره بقطع الخطبة العاضديّة و إقامة الخطبة المستضيئيّة، فامتنع صلاح الدين، و اعتذر بالخوف من قيام أهل الديار المصريّة عليه لميلهم إلى العلويّين.

و كان صلاح الدين يكره قطع الخطبة لهم، و يريد بقاءهم خوفا من نور الدين، فإنّه كان يخافه أن يدخل إلى الديار المصريّة يأخذها منه، فكان يريد [أن] يكون العاضد معه، حتى إذا قصده نور الدين امتنع به و بأهل مصر عليه،

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۶۹

فلمّا اعتذر إلى نور الدين بذلك لم يقبل عذره، و ألحّ عليه بقطع خطبته، و ألزمه إلزاما لا فسحة له فى مخالفته، و كان على الحقيقة نائب نور الدين، و اتّفق أنّ العاضد مرض هذا الوقت مرضا شديدا، فلمّا عزم صلاح الدين على قطع خطبته استشار أمراءه، فمنهم من أشار به و لم يفكر فى المصريّين، و منهم من خافهم إلّا أنّه ما يمكنه إلّا امتثال أمر نور الدين.

و كان قد دخل إلى مصر إنسان أعجميّ يعرف بالأمير العالم، رأيته أنا بالموصل، فلمّا رأى ما هم فيه من الإحجام، و أنّ أحدا لا يتجاسر [أن] يخطب للعبّاسيّين قال: أنا أبتدئ بالخطبة لهم، فلمّا كان أوّل جمعة من المحرّم صعد المنبر قبل الخطيب و دعا للمستضيء بأمر اللّه فلم ينكر أحد ذلك، فلمّا كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر و القاهرة أن يقطعوا خطبة العاضد و يخطبوا للمستضيء، ففعلوا ذلك فلم ينتطح فيها عنزان، و كتب بذلك إلى سائر بلاد مصر، ففعل. و كان العاضد قد اشتدّ مرضه فلم يعلمه أحد من أهله و أصحابه بقطع الخطبة، و قالوا: إن عوفى فهو يعلم، و إن توفّى فلا ينبغى أن نفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته، فتوفّى يوم عاشوراء و لم يعلم بقطع الخطبة.

و لمّا توفّى جلس صلاح الدين للعزاء، و استولى على قصر الخلافة، و على جميع ما فيه، فحفظه بهاء الدين قراقوش الّذى كان قد رتّبه قبل موت العاضد، فحمل الجميع إلى صلاح الدين، و كان من كثرته يخرج عن الإحصاء، و فيه من الأعلاق النفيسة و الأشياء الغريبة ما تخلو الدنيا عن مثله، و من الجواهر التى لم توجد عند أحد غيرهم، فمنه الجبل الياقوت، وزنه سبعة عشر درهما، أو سبعة عشر مثقالا أنا لا أشكّ، لأنّنى رأيته و وزنته، و اللّؤلؤ الّذى لم يوجد مثله، و منه النصاب الزّمرد الّذى طوله أربع أصابع فى عرض عقد كبير، و وجد فيه طبل كان بالقرب من موضع العاضد، و قد احتاطوا عليه بالحفظ،

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۷۰

فلمّا رأوه ظنّوه عمل لأجل اللّعب به، فسخروا من العاضد، فأخذه إنسان فضرب به فضرط فتضاحكوا منه، ثمّ آخر كذلك، و كان كلّ من ضرب به ضرط، فألقاه أحدهم فكسره فإذا الطبل لأجل قولنج فندموا على كسره لمّا قيل لهم ذلك.

و كان فيه من الكتب النفيسة المعدومة المثل ما لا يعدّ، فباع جميع ما فيه، و نقل أهل العاضد إلى موضع من القصر، و وكّل بهم من يحفظهم، و أخرج جميع من فيه من أمة و عبد، فباع البعض، و أعتق البعض، و وهب البعض، و خلّى القصر من سكّانه كأن لم يغن بالأمس، فسبحان الحىّ الدائم الّذى لا يزول ملكه، و لا تغيّره الدهور و لا يقرب النقص حماه.

و لمّا اشتدّ مرض العاضد أرسل إلى صلاح الدين يستدعيه، فظنّ ذلك خديعة، فلم يمض إليه، فلمّا توفّى علم صدقه، فندم على تخلّفه عنه، و كان يصفه كثيرا بالكرم، و لين الجانب، و غلبة الخير على طبعه، و انقياده، و كان فى نسبه تسعة [۱] خطب لهم بالخلافة و هم:

الحافظ و المستنصر و الظاهر و الحاكم و العزيز و المعزّ و المنصور و القائم و المهدىّ، و منهم من لم يخطب له بالخلافة:

أبوه يوسف بن الحافظ، و جدّ أبيه، و هو الأمير أبو القاسم محمّد بن المستنصر، و بقى من خطب له بالخلافة و ليس من آبائه:

المستعلى، و الآمر، و الظافر، و الفائز، و جميع من خطب له منهم بالخلافة أربعة عشر خليفة منهم بإفريقية:

المهدى، و القائم، و المنصور، و المعزّ، إلى أن سار إلى مصر، و منهم بمصر:

المعزّ المذكور، و هو أوّل من خرج إليها من إفريقية، و العزيز، و الحاكم، و الظاهر، و المستنصر، و المستعلى، و الآمر، و الحافظ، و الظافر، و الفائز، و العاضد، و جميع مدّة ملكهم من حين ظهر المهدى بسجلماسة فى ذى الحجّة من سنة تسع و تسعين و مائتين إلى أن

توفّى العاضد مائتان و اثنتان و سبعون سنة

---

[۱] تسع.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۷۱

و شهر [۱] تقريبا.

و هذا دأب الدنيا لم تعط إلّا و استردّت، و لم تحل إلّا و تمرّرت، و لم تصف إلّا و تكدّرت، بل صفوها لا يخلو من الكدر و كدرها قد يخلو من الصفو.

نسأل اللّه تعالى أن يقبل بقلوبنا إليه و يرينا الدنيا حقيقة، و يزهدنا فيها، و يرغبنا فى الآخرة، إنّه سميع الدعاء قريب من الإجابة.

و لمّا وصلت البشارة إلى بغداد بذلك ضربت البشائر بها عدّة أيّام، و زيّنت بغداد و ظهر من الفرح و الجذل ما لا حدّ عليه. و سيّرت الخلع مع عماد الدين صندل، و هو من خواصّ الخدم المقتفويّة و المقدّمين فى الدولة لنور الدين و صلاح الدين، فسار صندل إلى نور الدين و ألبسه الخلعة، و سيّر الخلعة التى لصلاح الدين و للخطباء بالديار المصريّة، و الأعلام السود، ثمّ إنّ صندلا هذا [۲] صار أستاذ دار الخليفة المستضىء بأمر اللّه ببغداد، و كان يدرى الفقه على مذهب الشافعىّ، و سمع الحديث و رواه، و يعرف أشياء حسنة، و فيه دين، و له معروف كثير، و هو من محاسن بغداد.

ذكر الوحشة بين نور الدين و صلاح الدين باطنا

فى هذه السنة جرت أمور أوجبت أن تأثّر نور الدين من صلاح الدين، و لم يظهر ذلك. و كان سببه أنّ صلاح الدين يوسف بن أيّوب سار عن مصر فى صفر من هذه السنة إلى بلاد الفرنج غازيا، و نازل حصن الشّوبك، و بينه و بين الكرك يوم، و حصره، و ضيّق على من به من الفرنج، و أدام القتال،

---

[۱] و شهرا.

[۲] هذا صندل.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۷۲

و طلبوا الأمان و استمهلوه عشرة أيّام، فأجابهم إلى ذلك.

فلمّا سمع نور الدين بما فعله صلاح الدين سار عن دمشق قاصدا بلاد الفرنج أيضا ليدخل إليها من جهة أخرى، فقيل لصلاح الدين: إن دخل نور الدين بلاد الفرنج، و هم على هذه الحال: أنت من جانب و نور الدين من جانب، ملكها، و متى زال الفرنج عن الطريق و أخذ ملكهم لم يبق بديار مصر مقام مع نور الدين، و إن جاء نور الدين إليك و أنت هاهنا، فلا بدّ لك من الاجتماع به، و حينئذ يكون هو المتحكّم فيك بما شاء، إن شاء تركك، و إن شاء عزلك، فقد لا تقدر على الامتناع عليه، و المصلحة الرجوع إلى مصر.

فرحل عن الشّوبك عائدا إلى مصر، و لم يأخذه من الفرنج، و كتب إلى نور الدين يعتذر باختلال البلاد المصريّة لأمور بلغته عن بعض شيعته العلويّين، و أنّهم عازمون على الوثوب بها، فإنّه يخاف عليها من البعد عنها أن يقوم أهلها على من تخلّف بها فيخرجوهم و تعود ممتنعة، و أطال الاعتذار، فلم يقبلها نور الدين منه، و تغيّر عليه و عزم على الدّخول إلى مصر و إخراجه عنها.

و ظهر ذلك فسمع صلاح الدين الخبر، فجمع أهله، و فيهم أبوه نجم الدين أيّوب، و خاله شهاب الدين الحارمىّ، و معهم سائر الأمراء، و أعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين و حركته إليه، و استشارهم، فلم يجبه أحد بكلمة واحدة، فقام تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين فقال: إذا جاءنا قاتلناه، و منعناه عن البلاد، و وافقه غيره من أهلهم، فشتمهم نجم الدين أيّوب، و أنكر ذلك، و استعظمه، و شتم

تقى الدين و أقعده، و قال لصلاح الدين: أنا أبوك و هذا خالك شهاب الدين، و نحن أكثر محبّة لك من جميع من ترى، و و اللّه لو رأيت أنا و خالك هذا نور الدين، لم يمكنا إلّا أن نقبّل الأرض بين يديه، و لو أمرنا أن نضرب عنقك بالسيف لفعلنا، فإذا كنّا نحن هكذا، فما ظنّك بغيرنا؟

و كلّ من تراه عندك من الأمراء لو رأوا نور الدين وحده لم يتجاسروا على

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٧٣

الثبات على سروجهم، و هذه البلاد له، و نحن مماليكه و نوّابه فيها، فإن أراد عزلك سمعنا و أطعنا، و الرأى أن تكتب كتابا مع نجّاب تقول فيه:

بلغنى أنّك تريد الحركة لأجل البلاد، فأىّ حاجة إلى هذا؟ يرسل المولى نجّابا يضع فى رقبتى منديلا و يأخذنى إليك، و ما هاهنا من يمتنع عليك.

و أقام الأمراء و غيرهم و تفرّقوا على هذا، فلمّا خلا به أيّوب قال له:

بأىّ عقل فعلت هذا؟ أما تعلم أنّ نور الدين إذا سمع عزمنا على منعه و محاربته جعلنا أهمّ الوجوه إليه، و حينئذ لا تقوى به، و أمّا الآن، إذا بلغه ما جرى و طاعتنا له تركنا و اشتغل بغيرنا، و الأقدار تعمل عملها. و و اللّه لو أراد نور الدين قصبة من قصب السكّر لقاتلته أنا عليها حتّى أمنعه أو أقتل [١].

ففعل صلاح الدين ما أشار به، فترك نور الدين قصده و اشتغل بغيره، فكان الأمر كما ظنّه أيّوب، فتوفّى نور الدين و لم يقصده، و ملك صلاح الدين البلاد، و كان هذا من أحسن الآراء و أجودها.

ذكر غزوة إلى الفرنج بالشام

و فى هذه السنة خرج مركبان من مصر إلى الشام فأرسيا بمدينة لاذقيّة، فأخذهما الفرنج، و هما مملوءان من الأمتعة و التجّار، و كان بينهم و بين نور الدين هدنة، فنكثوا و غدروا، فأرسل نور الدين إليهم فى المعنى و إعادة ما أخذوه من أموال التجّار، فغالطوه، و احتجّوا بأمور منها أنّ المركبين كانا قد انكسرا و دخلهما الماء.

و كان الشرط أنّ كلّ مركب ينكسر و يدخله الماء يأخذونه، فلم يقبل

---

[١] و أقتل.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٧٤

مغالطتهم، و جمع العساكر، و بثّ السرايا فى بلادهم بعضها نحو أنطاكية، و بعضها نحو طرابلس، و حصر هو حصن عرقة، و خرّب ربضه، و أرسل طائفة من العسكر إلى حصن صافيثا و عريمة، فأخذهما عنوة، و نهب و خرّب، و غنم المسلمون غنائم كثيرة، و عادوا إليه و هو بعرقة، فسار فى العساكر جميعها إلى أن قارب طرابلس ينهب و يخرّب و يحرق و يقتل.

و أمّا الذين ساروا إلى أنطاكية ففعلوا فى ولايتها مثل ما فعل فى ولاية طرابلس، فراسله الفرنج، و بذلوا إعادة ما أخذوه من المركبين، و تجديد الهدنة معهم، فأجابهم إلى ذلك، و أعادوا ما أخذوا و هم صاغرون، و قد خربت بلادهم و غنمت أموالهم.

ذكر وفاة ابن مردنيش و ملك يعقوب بن عبد المؤمن بلاده

فى هذه السنة توفّى الأمير محمّد بن سعد بن مردنيش، صاحب البلاد بشرق الأندلس، و هى: مرسية و بلنسية و غيرهما، و وصى أولاده أن يقصدوا بعد موته الأمير أبا يوسف يعقوب بن عبد المؤمن، صاحب الغرب و الأندلس، و تسلّموا البلاد و تدخلوا فى طاعته، فلمّا

مات قصدوا يعقوب، و كان قد اجتاز إلى الأندلس فى مائة ألف مقاتل قبل موت ابن مردنيش، فحين رآهم يوسف فرح بهم، و سرّه قدومهم عليه، و تسلّم بلادهم، و تزوّج أختهم، و أكرمهم، و عظّم أمرهم، و وصلهم بالأموال الجزيلة، و أقاموا معه.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٧٥

ذكر عبور الخطا جيحون و الحرب بينهم و بين خوارزم شاه

فى هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون يريدون خوارزم، فسمع صاحبها خوارزم شاه أرسلان بن أتسز، فجمع عساكره و سار إلى آمويّة ليقاتلهم و يصدّهم، فمرض، و أقام بها، و سيّر بعض جيشه مع أمير كبير إليهم، فلقيهم، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم الخوارزميّون، و أسر مقدّمهم، و رجع به الخطا إلى ما وراء النهر، و عاد خوارزم شاه إلى خوارزم مريضا.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اتّخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادى، و هى التى يقال لها المناسيب، و هى تطير من البلاد البعيدة إلى أوكارها، و جعلها فى جميع بلاده.

و سبب ذلك أنّه لمّا اتّسعت بلاده، و طالت مملكته، و عرضت أكنافها، و تباعدت أوائلها عن أواخرها، ثمّ إنّها جاورت بلاد الفرنج، و كانوا ربّما نازلوا حصنا من ثغوره، فإلى أن يصل الخبر، و يسير إليهم [يكونون] قد بلغوا غرضهم منه، فأمر بالحمام ليصل الخبر إليه فى يومه، و أجرى الجرايات على المرتّبين لحفظها و إقامتها، فحصل منها الراحة العظيمة، و النفع الكبير للمسلمين.

و فيها عزل الخليفة المستضىء بأمر اللَّه وزيره عضد الدين أبا الفرج بن رئيس الرؤساء مكرها لأنّ قطب الدين قايماز ألزمه بعزله، فلم يمكنه مخالفته.

و فيها مات أبو محمّد عبد اللَّه بن أحمد الخشّاب اللغوى، و كان قيّما

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٧٦

بالعربيّة و سمع الحديث الكثير إلى أن مات.

و فيها مات البورىّ «١» الفقيه الشافعىّ، تفقّه على محمّد «٢» بن يحيى، و قدم بغداد و وعظ، و كان يذمّ الحنابلة، و كثرت أتباعه، فأصابه إسهال، فمات هو و جماعة من أصحابه، فقيل: إنّ الحنابلة أهدوا له حلواء فمات هو و كلّ من أكل منها.

و فيها مات القرطبىّ أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدىّ، و كان إماما فى القراءة و النحو و غيره من العلوم، زاهدا عابدا، انتفع به النّاس فى الموصل، و فيها كانت وفاته.

---

(١) البردى:spU. اليروى: P .C.٧۴٠

(٢). محمود:C. P. spU. ٠۴٧te

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٧٧

۵۶٨ ثمّ دخلت سنة ثمان و ستين و خمسمائة

ذكر وفاة خوارزم شاه أرسلان و ملك ولده سلطان شاه و بعده ولده الآخر تكش و قتل المؤيّد و ملك ابنه

فى هذه السنة توفّى خوارزم شاه أرسلان بن أتسز «١» بن محمّد بن أنوشتكين، قد عاد من قتال الخطا مريضا، فتوفّى، و ملك بعده

سلطان شاه محمود، و دبّرت والدته المملكة و العساكر.

و كان ابنه الأكبر علاء الدين تكش مقيما فى الجند قد أقطعه أبوه إيّاها، فلمّا بلغه موت أبيه و توليهٔ أخيه الصغير أنف من ذلك، و قصد ملك الخطا، و استمدّه على أخيه، و أطمعه فى الأموال و ذخائر خوارزم، فسيّر معه جيشا كثيفا مقدّمهم قوما، فساروا حتى قاربوا خوارزم، فخرج سلطان شاه و أمّه إلى المؤيّد، فأهدى له هديّهٔ جليلهٔ المقدار، و وعده أموال خوارزم و ذخائرها، فاغترّ بقوله، و جمع جيوشه و سار معه حتى بلغ سوبرنى، بليدهٔ على عشرين فرسخا من خوارزم، و كان تكش قد عسكر بالقرب منها، فتقدّم إليهم، فلمّا تراءى الجمعان انهزم عسكر المؤيد، و كسر المؤيّد و أخذ أسيرا، و جيء به إلى خوارزم شاه تكش، فأمر بقتله، فقتل بين يديه صبرا.

---

(۱)،IIأنسز، ۱۸۴۶.rFC .nrupJ .taisA.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۷۸

و هرب سلطان شاه، و أخذ إلى دهستان، فقصده خوارزم شاه تكش، فافتتح المدينهٔ عنوهٔ، فهرب سلطان شاه و أخذت أمّه فقتلها تكش، و عاد إلى خوارزم.

و لمّا عاد المنهزمون من عسكر المؤيّد إلى نيسابور ملّكوا ابنه طغان شاه أبا بكر بن المؤيّد، و اتّصل به سلطان شاه، ثمّ سار من هناك إلى غياث الدين ملك الغوريّهٔ، فأكرمه و عظّمه و أحسن ضيافته.

و أمّا علاء الدين تكش، فإنّه لمّا ثبّت قدمه بخوارزم اتّصلت به رسل الخطا بالاقتراحات و التحكّم كعادتهم، فأخذته حميّهٔ الملك و الدين، و قتل أحد أقارب الملك، و كان قد ورد إليه و معه جماعهٔ أرسلهم ملكهم فى مطالبهٔ خوارزم شاه بالمال، فأمر خوارزم شاه أعيان «۱» خوارزم، فقتل كلّ واحد منهم رجلا من الخطا، فلم يسلم منهم أحد، و نبذوا إلى ملك الخطا عهده.

و بلغ ذلك سلطان شاه، فسار إلى ملك الخطا و اغتنم الفرصهٔ بهذه الحال و استنجده على أخيه علاء الدين تكش، و زعم له أنّ أهل خوارزم معه يريدونه، و يختارون ملكه عليهم، و لو رأوه لسلّموا البلد إليه، فسيّر معه جيشا كثيرا من الخطا مع قوما أيضا، فوصلوا إلى خوارزم، فحصروها، فأمر خوارزم شاه علاء الدين بإجراء ماء جيحون عليهم فكادوا يغرقون، فرحلوا و لم يبلغوا منها غرضا، و لحقهم الندم حيث لم ينفعهم، و لاموا سلطان شاه و عنّفوه، فقال لقوما: لو أرسلت معى جيشا إلى مرو لاستخلصتها من يد دينار الغزّىّ، و كان قد استولى عليها من حين كانت فتنهٔ الغزّ إلى الآن، فسيّر معه جيشا، فنزل على سرخس على غرّهٔ من أهلها، و هجموا على الغزّ فقتلوا منهم مقتلهٔ عظيمهٔ، فلم يتركوا بها أحدا منهم، و ألقى دينار ملكهم نفسه فى خندق القلعهٔ، فأخرج

---

(۱). فى مطالبته خوارزم شاه بالمال و أمر أعيان.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۷۹

منه، و دخل القلعهٔ و تحصّن بها.

و سار سلطان شاه إلى مرو فملكها، و عاد الخطا إلى ما وراء النهر، و جعل سلطان شاه دأبه قتال الغزّ و قصدهم، و القتل فيهم، و النهب منهم، فلمّا عجز دينار عن مقاومته أرسل إلى نيسابور إلى طغان شاه بن المؤيّد يقول له ليرسل إليه من يسلّم إليه قلعهٔ سرخس، فأرسل إليه جيشا مع أمير اسمه قراقوش، فسلّم إليه دينار القلعهٔ و لحق بطغان‌شاه، فقصد سلطان شاه سرخس و حصر قلعتها، و بلغ ذلك طغان شاه، فجمع جيوشه و قصد سرخس، فلمّا التقى هو و سلطان شاه فرّ طغان شاه إلى نيسابور، و ذلك سنهٔ ستّ و سبعين و خمسمائهٔ، فأخلى قراقوش قلعهٔ سرخس و لحق بصاحبه، و ملكها سلطان شاه، ثمّ أخذ طوس، و الزام، و ضيّق الأمر على طغان شاه بعلوّ همّته، و قلّهٔ قراره، و حرصه على طلب الملك.

و كان طغان شاه يحبّ الدعهٔ و معاقرهٔ الخمر، فلم يزل الحال كذلك إلى أن مات طغان شاه سنهٔ اثنتين و ثمانين و خمسمائهٔ فى

المحرّم، و ملک ابنه سنجر شاه، فغلب علیه مملوک جدّه المؤیّد، اسمه منکلی تکین «۱»، فتفرّق الأمراء أنفة من تحکّمه، و اتّصل أکثرهم بسلطان شاه، و سار الملک دینار إلی کرمان، و معه الغزّ، فملکها.

و أما منکلی تکین «۲» فإنّه أساء السیرة فی الرعیّة، و أخذ أموالهم، و قتل بعض الأمراء، فسمع خوارزم شاه بذلک، فسار إلیه فحصره بنیسابور فی ربیع الأوّل سنة اثنتین و ثمانین و خمسمائة، فحصرها شهرین فلم یظفر بها و عاد إلی خوارزم، ثمّ رجع سنة ثلاث و ثمانین إلی نیسابور فحصرها، و طلبوا منه الأمان، فأمّنهم، فسلّموا البلد إلیه، فقتل منکلی تکین «۳» و أخذ

(۱- ۲- ۳). منکتکین.A

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۳۸۰

سنجر شاه و أکرمه، و أنزله بخوارزم، و أحسن إلیه، فأرسل إلی نیسابور یستمیل أهلها لیعود إلیهم، فسمع به خوارزم شاه، فأخذ سنجر شاه فسمله، و کان قد تزوّج بأمّه و زوّجه بابنته، فماتت، فزوّجه بأخته، و بقی عنده إلی أن مات سنة خمس و تسعین و خمسمائة.

ذکر هذا أبو الحسن بن أبی القاسم البیهقی فی کتاب مشارب التجارب، و قد ذکر غیره من العلماء بالتواریخ هذه الحوادث مخالفة لهذا فی بعض الأمور مع تقدیم و تأخیر، و نحن نوردها، فقال إنّ تکش خوارزم شاه ایل أرسلان أخرج أخاه سلطان شاه من خوارزم، و کان قد ملکها بعد موت أبیه، فجاء إلی مرو فملکها و أزاح الغزّ عنها، فخرجوا أیّاما، ثمّ عادوا علیه فأخرجوه منها، و انتهبوا خزانته، و قتلوا أکثر رجاله، فعبر إلی الخطا فاستنجدهم، و ضمن لهم مالا، و جاء بجیش عظیم فأخرج الغزّ عن مرو و سرخس و نسا و أبیورد و ملکها و ردّ الخطا.

فلمّا أبعدوا کاتب غیاث الدین الغوریّ یطلب منه أن ینزل عن هراة و بوشنج و باذغیس و ما والاها، و یتوعّده إن هو لم ینزل عن ذلک، فأجابه غیاث الدین یطلب منه إقامة الخطبة له بمرو و سرخس و ما ملکه من بلاد خراسان، فلمّا سمع الرسالة سار عن مرو و شنّ الغارات علی باذغیس و بیوار و ما والاها، و حصر بوشنج و نهب الرساتیق، و صادر الرعایا، فلمّا سمع غیاث الدین ذلک لم یرض لنفسه أن یسیر هو بل سیّر ملک سجستان، و کاتب ابن أخته بهاء الدین سام، صاحب بامیان، باللّحاق به، لأنّ أخاه شهاب الدین کان بالهند، و الزمان شتاء، فجاء بهاء الدین ابن أخت غیاث الدین و ملک سجستان و من معهما من العساکر، و وافق ذلک وصول سلطان شاه إلی هراة، فلمّا علم بوصولهم عاد إلی مرو من غیر أن یقاتلها، و أحرق کلّ ما مرّ به من البلاد و نهبه، و أقام بمرو إلی الربیع، و أعاد مراسلة غیاث الدین

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۳۸۱

فی المعنی، فأرسل إلی أخیه شهاب الدین یعرّفه الحال، فنادی فی عساکره الرحیل لساعته، و عاد إلی خراسان، و اجتمع هو و أخوه غیاث الدین و ملک سجستان و غیرهم من العساکر، و قصدوا سلطان شاه، فلمّا علم ذلک جمع عساکره و اجتمع علیه، من الغزّ و المفسدین، و قطّاع الطریق، و من عنده طمع، خلق کثیر، فنزل غیاث الدین و من معه فی الطالقان، و نزل سلطان شاه بمروالروذ، و تقدّم عسکر الغوریّة إلیه، و تواعدوا للمصافّ.

و بقوا کذلک شهرین و الرسل تتردّد بین غیاث الدین و بین سلطان شاه، و شهاب الدین یطلب من أخیه غیاث الدین الإذن فی الحرب، فلا یترکه، و تقرّر الأمر علی أن یسلّم غیاث الدین إلی سلطان شاه بوشنج و باذغیس و قلاع بیوار، و کره ذلک شهاب الدین و بهاء الدین سام، صاحب بامیان، إلّا أنّهما لم یخالفا غیاث الدین، و فی آخر الأمر حضر رسول سلطان شاه عند غیاث الدین، و حضر الأمراء لیکتب العهد، فقال الرسول: إنّ سلطان شاه یطلب أن یحضر شهاب الدین و بهاء الدین هذا الأمر، فأرسل غیاث الدین إلیهما، فأعادا الجواب:

إنّنا مماليکک، و مهما تفعل لا یمکننا مخالفتک.

فبينما النّاس مجتمعون فى تحرير الأمر و إذ قد أقبل مجد الدين العلوىّ الهروىّ، و كان خصيصا بغياث الدين بحيث يفعل فى ملكه ما يختار فلا يخالف، فجاء العلوىّ و يده فى يد ألب غازى ابن أخت غياث الدين، و قد كتبوا الكتاب، و قد أحضر غياث الدين أخاه شهاب الدين و بهاء الدين سام ملك الباميان، فجاء العلوىّ كأنّه يسارّ غياث الدين، و وقف فى وسط الحلقة، و قال للرسول:

يا فلان! تقول لسلطان شاه: قد تمّ لك الصلح من جانب السلطان الأعظم، و من شهاب الدين، و بهاء الدين، و يقول لك العلوىّ خصمك: أنا و مولانا ألب غازى بيننا و بينك السيف، ثمّ صرخ صرخة و مزّق ثيابه، و حثا التراب على رأسه و أقبل على غياث الدين، و قال له: هذا واحد طرده أخوه، و أخرجه

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٨٢

فريدا وحيدا، لم تترك له ما ملكناه بأسيافنا من الغزّ و الأتراك السنجريّة؟

فإذا سمع هذا عنّا يجيء أخوه يطلب منازعته الهند و جميع ما بيدك، فحرّك غياث الدين رأسه و لم يتفوّه بكلمة، فقال ملك سجستان للعلوىّ: اترك الأمر ينصلح.

فلمّا لم يتكلّم غياث الدين مع العلوىّ قال شهاب الدين لجاووشيته:

نادوا فى العسكر بالتجهّز للحرب، و التقدّم إلى مروالروذ، و قام، و أنشد العلوىّ بيتا من الشعر عجميّا «١» معناه: إنّ الموت تحت السيوف أسهل من الرضى بالدّنيّة، فرجع الرسول إلى سلطان شاه و أعلمه الحال، فرتّب عساكره لمصافّ، و التقى الفريقان و اقتتلوا، فصبروا للحرب، فانهزم سلطان شاه و عسكره، و أخذ أكثر أصحابه أسرى، فأطلقهم غياث الدين، و دخل سلطان شاه مرو فى عشرين فارسا، و لحق به من أصحابه نحو ألف و خمسمائة فارس.

و لمّا سمع خوارزم شاه تكش بما جرى لأخيه سار من خوارزم فى ألفى فارس و أرسل إلى جيحون ثلاثة آلاف فارس يقطعون الطريق على أخيه إن أراد الخطا. و جدّ فى السير ليقبض على أخيه قبل أن يقوى، فأتت الأخبار سلطان شاه بذلك، فلم يقدر على عبور جيحون إلى الخطا، فسار إلى غياث الدين و كتب إليه يعلمه قصده إليه، فكتب إلى هراة و غيرها من بلاده بإكرامه و احترامه و حمل الإقامات إليه، ففعل به ذلك، و قدم على غياث الدين، و التقاه، و أكرمه و أنزله معه فى داره، و أنزل أصحاب سلطان شاه كلّ إنسان منهم عند من هو فى طبقته، فأنزل الوزير عند وزيره، و العارض عند عارضه، و كذلك غيرهم، و أقام عنده حتى انسلخ الشتاء فأرسل علاء الدين بن خوارزم شاه إلى غياث الدين يذكّره ما صنعه أخوه سلطان شاه معه من تخريب بلاده، و جمع العساكر عليه، و يشير بالقبض عليه و ردّه إليه، فأنزل الرسول، و إذ قد أتاه كتاب نائبة

---

(١). الشعر علويا.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٨٣

بهراة يخبره أنّ كاتب خوارزم شاه جاءه يتهدّده، فأجابه أنّه لا يظهر لخوارزم شاه أنّه أعلمه بالحال، و أحضر الرسول: و قال له: تقول لعلاء الدين: أمّا قولك إنّ سلطان شاه أخرب البلاد و أراد ملكها، فلعمرى إنّه ملك و ابن ملك، و له همّة عالية، و إذا أراد الملك، فمثله أراده، و للأمور مدبّر يوصلها إلى مستحقّها، و قد التجأ إلىّ، و ينبغى أن تنزاح عن بلاده، و تعطيه نصيبه ممّا خلّف أبوه، و من الأملاك التى خلّف، و الأموال، و أحلف لكما يمينا على المودّة و المصافاة، و تخطب لى بخوارزم و تزوّج أخى شهاب الدين بأختك.

فلمّا سمع خوارزم شاه الرسالة امتعض لذلك و كتب إلى غياث الدين كتابا يتهدّده بقصد بلاده، فجهّز غياث الدين العساكر مع ابن أخت ألب غازى و صاحب سجستان، و سيّرهما مع سلطان شاه إلى خوارزم، و كتب إلى المؤيّد صاحب نيسابور يستنجده، و كان قد صار بينهما مصاهرة: زوّج المؤيّد ابنه طغان شاه بابنة غياث الدين، فجمع المؤيّد عساكره، و أقام بظاهر نيسابور على طريق خوارزم.

و كان خوارزم شاه قد سار عن خوارزم إلى لقاء عسكر الغوريّة الذين مع أخيه سلطان شاه، و قد نزلوا بطرف الرمل، فبينما هو فى مسيره أتاه خبر المؤيّد أنّه قد جمع عساكره، و أنّه على قصد خوارزم إذا فارقها، فسقط فى يديه و عاد فوقع فى قلبه، و عاد إلى خوارزم، فأخذ أمواله و ذخائره و عبر جيحون إلى الخطا، و أخلى [۱] خوارزم فوقع بها خبط عظيم، فحضر جماعة من أعيانها عند ألب غازى و سألوه إرسال أمير معهم يضبط البلد، فخاف أن تكون مكيدة، فلم يفعل.

---

[۱] و أخلا.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۸۴

فبينما هم فى ذلك توفّى سلطان شاه، سلخ رمضان سنة تسع و ثمانين و خمسمائة، فكتب ألب غازى إلى غياث الدين يعلمه الخبر، فكتب إليه يأمره بالعود إليه، فرجع و معه أصحاب سلطان شاه، فأمر غياث الدين بأن يستخدموا، و أقطع الأجناد الإقطاعات الجيّدة، و كلّهم قابل إحسانه بكفران، و سنذكر باقى أخبارهم.

و لمّا سمع خوارزم شاه تكش بوفاة أخيه عاد إلى خوارزم، و أرسل إلى سرخس و مرو شحناء، فجهّز إليهم أمير هراة عمر المرغنىّ «۱» جيشا فأخرجوهم «۲»، و قال «۳»: حتى نستأذن السلطان غياث الدين، و أرسل خوارزم شاه رسولا إلى غياث الدين يطلب الصلح و المصاهرة، و سيّر مع رسوله جماعة من فقهاء خراسان و العلويّين، و معهم وجيه الدين محمد بن محمود، و هو الّذى جعل غياث الدين شافعيّا، و كان له عنده منزلة كبيرة، فوعظوه، و خوّفوه اللّه تعالى، و أعلموه أنّ خوارزم شاه يراسلهم و يتهدّدهم بأنّه يجىء بالأتراك و الخطا و يستبيح حريمهم و أموالهم، و قالوا له: إمّا أن تحضر أنت بنفسك، و تجعل مرو دار ملكك، حتى ينقطع طمع الكافرين عن البلاد و يأمن أهلها، و إمّا أن تصالح خوارزم شاه، فأجاب إلى الصلح و ترك معارضة البلاد.

فلمّا سمع من بخراسان من الغزّ بذلك طمعوا فى البلاد، فعاودوا النهب و الإحراق و التخريب، فسمع خوارزم شاه فجمع عساكره و حضر بخراسان، و دخل مرو و سرخس و نسا و أبيورد و غيرها، و أصلح البلاد، و تطرّق إلى طوس و هى للمؤيّد صاحب نيسابور، فجمع المؤيّد جيوشه و سار إليه، فلمّا سمع خوارزم شاه بمسيره إليه عاد إلى خوارزم، فلمّا وصل إلى الرمل أقام بطرفه، فلمّا سمع المؤيّد بعود خوارزم شاه طمع فيه و تبعه، فلمّا سمع

---

(۱). المرعبى:spU .P .C

(۲). فأخرجهم:spU .P .C

(۳). و قالوا:. ۷۴۰te .P .C

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۸۵

خوارزم شاه بذلك أرسل إلى المناهل التى فى البرّيّة فألقى فيها الجيف و التراب بحيث لم يمكن الانتفاع بها.

فلمّا توسّط المؤيّد البرّيّة طلب الماء فلم يجده، فجاء خوارزم شاه إليه و هو على تلك الحال، و معه الماء على الجمال، فأحاط به، فأمّا عسكره فاستسلموا بأسرهم، و جىء بالمؤيّد أسيرا إلى خوارزم شاه، فأمر بضرب عنقه، فقال له: يا مخنّث هذا فعال النّاس؟ فلم يلتفت إليه، و قتله و حمل رأسه إلى خوارزم.

فلمّا قتل ملك نيسابور ملك ما كان له ابنه طغان شاه. فلمّا كان من قابل جمع خوارزم شاه عساكره و سار إلى نيسابور، فحاصرها و قاتلها، فمنعه طغان شاه فعاد عنه ثمّ رجع إليه، فخرج إليه طغان شاه فقاتله، فأسر طغان شاه و أخذه و زوّجه أخته، و حمله معه إلى خوارزم، و ملك نيسابور و جميع ما كان لطغان شاه من الملك و عظم شأنه و قوى أمره.

هذا الّذى ذكره فى هذه الرواية مخالف لمّا تقدّم، و لو أمكن الجمع بين الروايتين لفعلت، فإن أحدهما قد قدّم ما أخّره الآخر، فلهذا

أوردنا جميع ما قالاه، و لبعد البلاد عنّا لم نعلم أىّ القولين أصحّ لنذكره و نترك الآخر، و إنّما أوردتها فى موضع واحد لأنّ أيّام سلطان شاه لم تطل له و لأعقابه حتى تتفرّق على السنين، فلهذا أوردتها متتابعة.

ذكر غارة الفرنج على بلد حوران و غارة المسلمين على بلد الفرنج

فى هذه السنة، فى ربيع الأوّل، اجتمعت الفرنج و ساروا إلى بلد حوران من أعمال دمشق للغارة عليه، و بلغ الخبر إلى نور الدين و كان قد برز و نزل هو

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۸۶

و عسكره بالكسوة، فسار إليهم مجدّا، و قدم بجموعه عليهم، فلمّا علموا بقربة منهم دخلوا إلى السواد، و هو من أعمال دمشق أيضا، و لحقهم المسلمون فتخطّفوا من فى ساقتهم و نالوا منهم، و سار نور الدين فنزل فى عشترا «۱»، و سيّر منها سريّة إلى أعمال طبريّة، فشنّوا الغارات عليها، فنهبوا و سبوا، و أحرقوا و خرّبوا، فسمع الفرنج ذلك، فرحلوا إليهم ليمنعوا عن بلدهم، فلمّا وصلوا كان المسلمون قد فرغوا من نهبهم و غنيمتهم، و عادوا و عبروا النهر.

و أدركهم الفرنج، فوقف مقابلهم شجعان المسلمين و حماتهم يقاتلونهم، فاشتدّ القتال و صبر الفريقان، الفرنج يرومون أن يلحقوا الغنيمة فيردّوها، و المسلمون يريدون أن يمنعوهم عنها لينجو بها من قد سار معها، فلمّا طال القتال بينهم و أبعدت الغنيمة و سلمت مع المسلمين عاد الفرنج و لم يقدروا [أن] يستردّوا منها شيئا.

ذكر مسير شمس الدولة إلى بلد النّوبة

فى هذه السنة، فى جمادى الأولى، سار شمس الدولة توران شاه بن أيّوب أخو صلاح الدين الأكبر من مصر إلى بلد النّوبة، فوصل إلى أوّل بلادهم ليتغلّب عليه و يتملّكه.

و كان سبب ذلك أنّ صلاح الدين و أهله كانوا يعلمون أنّ نور الدين كان على عزم الدخول إلى مصر و أخذها منهم، فاستقرّ الرأى بينهم أنّهم يتملّكون إمّا بلاد النّوبة أو بلاد اليمن، حتى إذا وصل إليهم نور الدين لقوة و صدّوه

---

(۱). عشترا.B. فى عشيرا.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۸۷

عن البلاد، فإن قووا على منعه أقاموا بمصر، و إن عجزوا عن منعه ركبوا البحر و لحقوا بالبلاد التى قد افتتحوها، فجهّز شمس الدولة و سار إلى أسوان، و منها إلى بلد النّوبة، فنازل قلعة اسمها أبريم، فحصرها، و قاتله أهلها، فلم يكن لهم بقتال العسكر الإسلامىّ قوّة، لأنّهم ليس لهم جنّة تقيهم [۱] السهام و غيرها من آلة الحرب، فسلموها، فملكها و أقام بها، و لم ير للبلاد دخلا يرغب فيه و تحتمل المشقّة لأجله، و قوتهم الذّرة، فلمّا رأى عدم الحاصل، و قشف العيش مع مباشرة الحروب و معاناة التعب و المشقّة، تركها و عاد إلى مصر بما غنم، و كان عامّة غنيمتهم العبيد و الجوارى.

ذكر ظفر لمليح بن ليون بالروم

فى هذه السنة، فى جمادى الأولى، هزم مليح بن ليون الأرمنىّ، صاحب بلاد الدروب المجاورة لحلب، عسكر الروم من القسطنطينيّة.

و سبب ذلك أنّ نور الدين كان قد استخدم مليحا المذكور، و أقطعه إقطاعا سنيّا، و كان ملازم الخدمة لنور الدين، و مشاهدا لحروبه مع الفرنج، و مباشرا لها، و كان هذا من جيّد الرأى و صائبه، فإنّ نور الدين لمّا قيل له فى معنى استخدامه و إعطائه الأقطاع من بلاد

الإسلام قال: أستعين به على قتال أهل ملّته، و أريح طائفة من عسكرى تكون بإزائه لتمنعه من الغارة على البلاد [٢] المجاورة له.

و كان مليح أيضا يتقوّى بنور الدين على من يجاوره من الأرمن و الروم،

---

[١] تقيمهم.

[٢] بلاد.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٨٨

و كانت مدينة أدنة و المصّيصة و طرسوس بيد ملك الروم، صاحب القسطنطينيّة، فأخذها مليح منهم لأنّها تجاور بلاده، فسيّر إليه ملك الروم جيشا كثيفا، و جعل عليهم بعض أعيان البطارقة من أقاربه، فلقيهم مليح و معه طائفة من عسكر نور الدين فقاتلهم، و صدقهم القتال، و صابرهم [١]، فانهزمت الروم، و كثر فيهم القتل و الأسر، و قويت شوكة مليح، و انقطع أمل الروم من تلك البلاد.

و أرسل مليح إلى نور الدين كثيرا من غنائمهم و من الأسرى ثلاثين رجلا من مشهوريهم و أعيانهم، فسيّر نور الدين بعض ذلك إلى الخليفة المستضىء بأمر اللَّه، و كتب يعتدّ بهذا الفتح لأن بعض جنده فعلوه.

ذكر وفاة إيلدكز

فى هذه السنة توفّى أتابك إيلدكز بهمذان، و ملك بعده ابنه محمّد البهلوان، و لم يختلف عليه أحد، و كان إيلدكز هذا مملوكا للكمال السّميرمىّ «١»، وزير السلطان محمود، فلمّا قتل الكمال، كما ذكرناه، صار إيلدكز إلى السلطان محمود، فلمّا ولى السلطان مسعود السلطنة ولّاه أرّانيّة، فمضى إليها، و لم يعد يحضر عند السلطان مسعود و لا غيره، ثمّ ملك أكثر أذربيجان و بلاد الجبل و همذان و غيرها، و أصفهان و الرىّ و ما والاهما من البلاد، و خطب بالسلطنة لابن امرأته أرسلان شاه بن طغرل، و كان عسكره خمسين

---

[١] و صبرهم.

---

(١). السيرمى:spU. ٠۴٧te .P .C

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٨٩

ألف فارس سوى الأتباع، و اتّسع ملكه من باب تفليس إلى كرمان، و لم يكن للسلطان أرسلان شاه معه حكم إنّما كان له جراية تصل إليه.

و بلغ من تحكّمه عليه أنّه شرب ليلة، فوهب ما فى خزانته، و كان كثيرا، فلمّا سمع إيلدكز بذلك استعاده جميعه، و قال له: متى أخرجت المال فى غير وجهه، أخذته أيضا من غير وجهه، و ظلمت الرعيّة.

و كان إيلدكز عاقلا، حسن السيرة، يجلس بنفسه للرعيّة، و يسمع شكاويهم، و ينصف بعضهم من بعض.

ذكر وصول الترك إلى إفريقية و ملكهم طرابلس و غيرها

فى هذه السنة سار طائفة من الترك من ديار مصر مع قراقوش مملوك تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين يوسف بن أيّوب، إلى جبال نفوسة، و اجتمع به مسعود بن زمام المعروف بمسعود البلّاط، و هو من أعيان أمراء العرب هناك، و كان خارجا عن طاعة عبد المؤمن و أولاده، فاتّفقا، و كثر جمعهما، و نزلا على طرابلس الغرب فحاصراها و ضيّقا على أهلها، ثمّ فتحت فاستولى عليها قراقوش، و

أسكن أهله قصرها، و ملك كثيرا من بلاد إفريقية ما خلا المهديّة و سفاقس و قفصة و تونس و ما والاها من القرى و المواضع.
و صار مع قراقوش عسكر كثير، فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب بما جبلت عليه من التخريب و النهب، و الإفساد بقطع الأشجار و الثمار، و غير ذلك، فجمع بها أموالا عظيمة و جعلها بمدينة قابس، و قويت نفسه و حدّثته بالاستيلاء على جميع إفريقية لبعد أبى يعقوب بن عبد المؤمن صاحبها عنها، و كان ما سنذكره إن شاء اللّه.
الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٩٠

ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالأندلس

فى هذه السنة جمع أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عساكره و سار من إشبيلية إلى الغزو، فقصد بلاد الفرنج، و نزل على مدينة رندة، و هى بالقرب من طليطلة شرقا منها، و حصرها، و اجتمعت الفرنج على ابن الأذفونش ملك طليطلة فى جمع كثير، فلم يقدموا على لقاء المسلمين.
فاتّفق أنّ الغلاء اشتدّ على المسلمين، و عدمت الأقوات عندهم، و هم فى جمع كثير، فاضطرّوا إلى مفارقة بلاد الفرنج، فعادوا إلى إشبيلية، و أقام أبو يعقوب بها إلى سنة إحدى و سبعين و خمسمائة، و هو فى ذلك يجهّز العساكر و يسيّرها إلى غزو بلاد الفرنج فى كلّ وقت، فكان فيها عدّة وقائع و غزوات ظهر فيها من العرب من الشجاعة ما لا يوصف، و صار الفارس من العرب يبرز بين الصفّين و يطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج، فلا يبرز إليه أحد، ثمّ عاد أبو يعقوب إلى مرّاكش.

ذكر نهب نهاوند

فى هذه السنة نهب عسكر شملة نهاوند. و سبب ذلك أنّ شملة كان أيّام إيلدكز لا يزال يطلب منه نهاوند لكونها مجاورة لبلاده، و يبذل فيها الأموال، فلا يجيبه إلى ذلك، فلمّا مات إيلدكز، و ملك بعده ولده محمّد البهلوان، و سار إلى أذربيجان لإصلاحها أنفذ [١] شملة ابن أخيه ابن سنكا لأخذ نهاوند،

---

[١] نفذ.
الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٣٩١
و بلغ أهل البلد الخبر، فتحصّنوا، و حصرهم، و قاتلهم و قاتلوه، و أفحشوا فى سبّه، فلمّا علم أنّه لا طاقة له بهم رجع إلى تستر، و هى قريبة منها، و أرسل أهل نهاوند إلى البهلوان يطلبون منه نجدة، فتأخّرت عنهم، فلمّا اطمأنّوا خرج ابن سنكا من تستر فى خمس مائة فارس جريدة، و سار يوما و ليلة فقطع أربعين فرسخا حتى وصل إلى نهاوند، و ضرب البوق و أظهر أنّه من أصحاب البهلوان، لأنّه جاءهم من ناحيته، ففتح أهل البلد له الأبواب فدخله، فلمّا توسّط قبض على القاضى و الرؤساء و صلبهم، و نهب البلد و أحرقه، و قطع أنف الوالى و أطلقه، و توجّه نحو ماسبذان قاصدا للعراق.

ذكر قصد نور الدين بلاد قلج أرسلان

فى هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكى إلى مملكة عزّ الدين قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، و هى ملطية و سيواس و أقصرا و غيرها، عازما على حربه و أخذ بلاده منه.
و كان سبب ذلك أنّ ذا النون بن دانشمند صاحب ملطية و سيواس قصده قلج أرسلان و أخذ بلاده، و أخرجه عنها طريدا فريدا، فسار إلى نور الدين مستجيرا به و ملتجئا إليه، فأكرم نزله، و أحسن إليه، و حمل له ما يليق أن يحمل إلى الملوك و وعده النصرة و السعى

فى ردّ ملكه إليه.

ثمّ إنّه أرسل إلى قلج أرسلان يشفع إليه فى إعادة بلاد ذى النّون إليه، فلم يجبه إلى ذلك، فسار نور الدين إليه، فابتدأ بكيسون و بهنسى و مرعش و مرزبان، فملكها و ما بينها، و كان ملكه لمرعش أوائل ذى القعدة، و الباقى بعدها، فلمّا ملكها سيّر طائفة من عسكره إلى سيواس فملكوها.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۹۲

و كان قلج أرسلان لمّا سار نور الدين إلى بلاده قد سار من طرفها الّذى يلى الشام إلى وسطها، و راسل نور الدين يستعطفه و يسأله الصلح، فتوقّف نور الدين عن قصده رجاء أن ينصلح الأمر بغير حرب، فأتاه عن الفرنج ما أزعجه، فأجابه إلى الصلح، و شرط عليه أن ينجده بعساكر إلى الغزاة، و قال له: أنت مجاور الروم و لا تغزوهم، و بلادك قطعة كبيرة من بلاد الإسلام، و لا بدّ من الغزاة معى. فأجابه إلى ذلك، و تبقى سيواس على حالها بيد نوّاب نور الدين و هى لذى النّون، فبقى العسكر بها فى خدمة ذى النّون إلى أن مات نور الدين، فلمّا مات رحل عسكره عنها، و عاد قلج أرسلان و ملكها، و هى بيد أولاده إلى الآن سنة عشرين «۱» و ستّمائة.

و لمّا كان نور الدين فى هذه السفرة جاءه رسول كمال الدين أبى الفضل محمّد بن عبد اللّه بن الشّهرزورىّ من بغداد و معه منشور من الخليفة بالموصل و الجزيرة و بإربل و خلاط و الشام و بلاد قلج أرسلان و ديار مصر.

ذكر رحيل صلاح الدين من مصر إلى الكرك و عوده عنها

فى هذه السنة، فى شوّال، رحل صلاح الدين يوسف بن أيّوب من مصر بعساكرها جميعها إلى بلاد الفرنج يريد حصر الكرك، و الاجتماع مع نور الدين عليه، و الاتّفاق على قصد بلاد الفرنج من جهتين كلّ واحد منهما فى جهة بعسكره.

و سبب ذلك أنّ نور الدين لمّا أنكر على صلاح الدين عوده من بلاد الفرنج

---

(۱). اثنتين و عشرين.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۳۹۳

فى العام الماضى، و أراد نور الدين قصد مصر و أخذها منه، أرسل يعتذر، و يعد من نفسه بالحركة على ما يقرّره نور الدين، فاستقرّت القاعدة بينهما أنّ صلاح الدين يخرج من مصر و يسير نور الدين من دمشق، فأيّهما سبق صاحبه يقيم إلى أن يصل الآخر إليه، و تواعدا على يوم معلوم يكون وصولهما فيه، فسار صلاح الدين عن مصر لأنّ طريقه أصعب و أبعد و أشقّ، و وصل إلى الكرك و حصره.

و أمّا نور الدين فإنّه لمّا وصل إليه كتاب صلاح الدين برحيله من مصر فرّق الأموال، و حصّل الأزواد، و ما يحتاج إليه، و سار إلى الكرك فوصل إلى الرّقيم، و بينه و بين الكرك مرحلتان [۱]. فلمّا سمع صلاح الدين بقربة خافه هو و جميع أهله، و اتّفق رأيهم على العود إلى مصر، و ترك الاجتماع بنور الدين، لأنّهم علموا أنّه إن اجتمعا كان عزله على نور الدين سهلا.

فلمّا عاد أرسل الفقيه عيسى إلى نور الدين يعتذر عن رحيله بأنّه كان قد استخلف أباه نجم الدين أيّوب على ديار مصر، و أنّه مرض شديد المرض، و يخاف أن يحدث عليه حادث الموت فتخرج البلاد عن أيديهم، و أرسل معه [من] التحف و الهدايا ما يجلّ عن الوصف، فجاء الرسول إلى نور الدين و أعلمه ذلك فعظم عليه و علم المراد من العود، إلّا أنّه لم يظهر للرسول تأثّرا بل قال له:

حفظ مصر أهمّ عندنا من غيرها.

و سار صلاح الدين إلى مصر فوجد أباه قد قضى نحبه و لحق بربّه، و ربّ كلمة تقول لقائلها دعنى. و كان سبب موت نجم الدين أنّه ركب يوما فرسا بمصر، فنفر به الفرس نفرة شديدة، فسقط عنه فحمل إلى قصره وقيذا، و بقى أيّاما، و مات فى السابع و العشرين من

ذى الحجّة، و كان خيّرا، عاقلا،

---

[۱] مرحلتين.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۹۴

حسن السيرة كريما جوادا كثير الإحسان إلى الفقراء و الصوفيّة، و المجالسة لهم. و قد تقدّم من ذكره و ابتداء أمره و أمر أخيه شيركوه ما لا حاجة إلى إعادته.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة زادت دجلة زيادة كثيرة أشرفت [بها] بغداد على الغرق فى شعبان، و سدّوا أبواب الدروب، و وصل الماء إلى قبّة أحمد بن حنبل و وصل إلى النظاميّة و رباط شيخ الشيوخ، و اشتغل النّاس بالعمل فى القورج، ثمّ نقص و كفى النّاس شرّه.

و فيها وقعت النّار ببغداد من درب بهروز إلى باب جامع القصر، و من الجانب الآخر من حجر الناس إلى دار أمّ الخليفة.

و فيها أغار بنو حزن من خفاجة على سواد العراق، و سبب ذلك أنّ الحماية كانت لهم لسواد العراق، فلمّا تمكّن يزدن من البلاد و تسلّم الحلّة أخذها منهم، و جعلها لبنى كعب من خفاجة. و أغار بنو حزن على السواد، فسار يزدن فى عسكر و معه الغضبان الخفاجىّ، و هو من بنى كعب، لقتال بنى حزن، فبينما هم سائرون ليلا رمى بعض الجند الغضبان بسهم فقتله لفساده، و كان فى السواد، فلمّا قتل عاد العسكر إلى بغداد و أعيدت خفارة السواد إلى بنى حزن.

و فيها خرج برجم الإيوائى فى جمع من التركمان، فى حياة إيلدكز «۱»، و تطرّق أعمال همذان، و نهب الدّينور، و استباح الحريم.

---

(۱). فى ... إيلدكز.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۹۵

و سمع إيلدكز الخبر و هو بنقجوان، فسار مجدّا فيمن خفّ معه من عسكره، فقصده، فهرب برجم إلى أن قارب بغداد، و تبعه إيلدكز فظنّ الخليفة أنّها حيلة ليصل إلى بغداد فجأة، فشرع فى جمع العساكر و عمل السور، فأرسل إلى إيلدكز الخلع و الألقاب الكبيرة، فاعتذر أنّه لم يقصد إلّا كفّ فساد هؤلاء، و لم يتعدّ قنطرة خانقين و عاد، و فيها توفّى، الأمير يزدن، و هو من أكابر أمراء بغداد، و كان يتشيّع، فوقع بسببه فتنة بين السنّة و الشيعة بواسط لأنّ الشيعة جلسوا له للعزاء و أظهر السنّة الشماتة به فآل الأمر إلى القتال فقتل بينهم جماعة.

و لمّا مات أقطع أخوه تنامش ما كان لأخيه و هو مدينة واسط، و لقب علاء الدين.

و فيها أرسل نور الدين محمود بن زنكى رسولا- إلى الخليفة، و كان الرسول القاضى كمال الدين أبا الفضل محمّد بن عبد اللّه الشّهرزورىّ، قاضى بلاده جميعها مع الوقوف و الديوان، و حمّله رسالة مضمونها الخدمة للديوان، و ما هو عليه من جهاد الكفّار، و فتح بلادهم، و يطلب تقليدا بما بيده من البلاد، مصر و الشام و الجزيرة و الموصل، و بما فى طاعته كديار بكر و ما يجاور ذلك كخلاط و بلاد قلج أرسلان، و أن يعطى من الأقطاع بسواد العراق ما كان لأبيه زنكى و هو: صريفين و درب هارون، و التمس أرضا على شاطئ دجلة يبنيها مدرسة للشافعيّة، و يوقف عليها صريفين و درب هارون، فأكرم كمال الدين إكراما لم يكرم به رسول قبله، و أجيب إلى ما التمسه، فمات نور الدين قبل الشروع فى بناء المدرسة، رحمه اللّه.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۹۶

۵۶۹ ثمّ دخلت سنة تسع و ستين و خمسمائة

ذكر ملك شمس الدولة زبيد و عدن و غيرهما من بلاد اليمن

قد ذكرنا قبل أنّ صلاح الدين يوسف بن أيّوب، صاحب مصر، و أهله كانوا يخافون من نور الدين محمود أن يدخل إلى مصر فيأخذها منهم، فشرعوا فى تحصيل مملكة يقصدونها و يتملّكونها تكون عدّة لهم إن أخرجهم نور الدين من مصر ساروا إليها و أقاموا بها، فسيّروا شمس الدولة توران شاه بن أيّوب، و هو أخو صلاح الدين الأكبر، إلى بلد النّوبة، فكان ما ذكرناه.

فلمّا عاد إلى مصر استأذنوا نور الدين فى أن يسير إلى اليمن لقصد عبد النبى، صاحب زبيد [و أخذ بلده] لأجل قطع الخطبة العبّاسيّة، فأذن فى ذلك.

و كان بمصر شاعر اسمه عمارة من أهل اليمن، فكان يحسّن لشمس الدولة قصد اليمن، و يصف البلاد له، و يعظم ذلك فى عينه، فزاده قوله رغبة فيها، فشرع يتجهّز و يعدّ الأزواد و الروايا و السلاح و غيره من الآلات، و جنّد الأجناد، فجمع و حشد، و سار عن مصر مستهلّ رجب، فوصل إلى مكّة، أعزّها اللّه تعالى، و منها إلى زبيد، و فيها صاحبها المتغلّب عليها المعروف بعبد النبىّ، فلمّا قرب منها رآه أهلها، فاستقلّوا [۱] من معه، فقال لهم عبد النبىّ:

كأنّكم بهؤلاء و قد حمى عليهم الحرّ فهلكوا و ما هم إلّا أكلة رأس، فخرج

---

[۱]- فاستقلّ.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۹۷

إليهم بعسكره، فقاتلهم شمس الدولة و من معه، فلم يثبت أهل زبيد و انهزموا، و وصل المصريّون إلى سور زبيد، فلم يجدوا عليه من يمنعهم، فنصبوا السلام، و صعدوا السور، فملكوا البلد عنوة و نهبوه و أكثروا النهب، و أخذوا عبد النبىّ أسيرا و زوجته المدعوة بالحرّة، و كانت امرأة صالحة كثيرة الصدقة لا- سيّما إذا حجّت، فإنّ فقراء الحاجّ كانوا يجدون عندها صدقة دارّة، و خيرا كثيرا، و معروفا عظيما، [و سلّم شمس الدولة عبد النبىّ] «۱» إلى بعض أمرائه، يقال له سيف الدولة مبارك بن كامل من بنى منقذ، أصحاب شيزر، و أمره أن يستخرج منه الأموال، فأعطاه منها شيئا كثيرا، ثمّ إنّه دلّهم على قبر كان قد صنعه لوالده، و بنى عليه بنية عظيمة، و له هناك دفائن كثيرة، فأعلمهم بها، فاستخرجت الأموال من هناك و كانت جليلة المقدار، و أمّا الحرّة فإنّها أيضا كانت تدلّهم على ودائع لها، فأخذ منها مالا كثيرا.

و لمّا ملكوا زبيد و استقرّ الأمر لهم بها، و دان أهلها، و أقيمت فيها الخطبة العبّاسيّة، أصلحوا حالها، و ساروا إلى عدن، و هى على البحر، و لها مرسى عظيم، و هى فرضة الهند و الزّنج و الحبشة، و عمان و كرمان، و كيش، و فارس، و غير ذلك، و هى من جهة البرّ من أمنع البلاد و أحصنها، و صاحبها إنسان اسمه ياسر، فلو أقام بها و لم يخرج عنها لعادوا خائبين، و إنّما حمله جهله و انقضاء مدّته على الخروج إليهم و مباشرة قتالهم، فسار إليهم و قاتلهم، فانهزم ياسر و من معه، و سبقهم بعض عسكر شمس الدولة، فدخلوا البلد قبل أهله، فملكوه، و أخذوا صاحبه ياسرا أسيرا، و أرادوا نهب البلد، فمنعهم شمس الدولة، و قال: ما جئنا لنخرب البلاد، و إنّما جئنا لنملكها

P .C.(۱)

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۹۸

و نعمرها و ننتفع بدخلها، فلم ينهب أحد منها شيئا، فبقيت على حالها و ثبت ملكه و استقرّ أمره.

و لمّا مضى إلى عدن كان معه عبد النبيّ صاحب زبيد مأسورا، فلمّا دخل إلى عدن قال: سبحان اللّه! كنت قد علمت أنّنى أدخل إلى عدن فى موكب كبير «۱» فأنا أنتظر ذلك و أسرّ به، و لم أكن أعلم أنّنى أدخلها على هذه الحال.

و لمّا فرغ شمس الدولة من أمر عدن عاد إلى زبيد، و حصر ما فى الجبل من الحصون، فملك قلعة تعزّ، و هى من أحصن القلاع، و بها تكون خزائن صاحب زبيد، و ملك أيضا قلعة التّعكر و الجند «۲» و غيرها من المعاقل و الحصون، و استناب بعدن عزّ الدين عثمان بن الزّنجيليّ، و بزبيد سيف الدولة مبارك ابن منقذ، و جعل فى كلّ قلعة نائبا من أصحابه، و ألقى ملكهم باليمن جرانه «۳» و دام، و أحسن شمس الدولة إلى أهل البلاد، و استصفى طاعتهم بالعدل و الإحسان، و عادت زبيد إلى أحسن أحوالها من العمارة و الأمن.

ذكر قتل جماعة من المصريّين أرادوا الوثوب بصلاح الدين

فى هذه السنة، ثانى رمضان، صلب صلاح الدين يوسف بن أيّوب جماعة ممّن أراد الوثوب به بمصر من أصحاب الخلفاء العلويّين.

و سبب ذلك أنّ جماعة من شيعة العلويّين منهم عمارة بن أبى الحسن اليمنى الشاعر، و عبد الصمد الكاتب، و القاضى العويرس «۴»، و داعى الدعاة و غيرهم

---

(۱). عدن ... كبير.A. mo

(۲). و الحمد:C. P. ۰۴۷te. spU

(۳). حرابه:C. P. ۰۴۷. te. spU

(۴). العوريين.B. و القاضى العويرس.A. mo- العوريس euqibU

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۳۹۹

من جند المصريّين و رجّالتهم السودان، و حاشية القصر، و وافقهم جماعة من أمراء صلاح الدين و جنده، و اتّفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلّيّة، و من ساحل الشام إلى ديار مصر على شىء بذلوه لهم من المال و البلاد، فإذا قصدوا البلاد، فإن خرج صلاح الدين بنفسه إليهم ثاروا هم فى القاهرة و مصر و أعادوا الدولة العلويّة، و عاد من معه من العسكر الذين وافقوهم عنه، فلا يبقى له مقام مقابل الفرنج، و إن كان صلاح الدين يقيم و يرسل العساكر إليهم ثاروا به، و أخذوه أخذا باليد لعدم النّاصر له و المساعد، و قال لهم عمارة، و أنا قد أبعدت أخاه إلى اليمن خوفا أن يسدّ مسدّه و تجتمع الكلمة عليه بعده.

و أرسلوا إلى الفرنج بصقلّيّة و الساحل فى ذلك، و تقرّرت القاعدة بينهم، و لم يبق إلّا رحيل الفرنج، و كان من لطف اللّه بالمسلمين أنّ الجماعة المصريّين أدخلوا معهم فى هذا الأمير زين الدين علىّ بن نجا الواعظ، المعروف بابن نجيّة، و رتّبوا الخليفة و الوزير و الحاجب و الداعى و القاضى، إلّا أنّ بنى رزّيك قالوا: يكون الوزير منّا، و بنى شاور قالوا: يكون الوزير منّا، فلمّا علم ابن نجا الحال حضر عند صلاح الدين، و أعلمه حقيقة الأمر، فأمر بملازمتهم، و مخالطتهم، و مواطأتهم على ما يريدون أن يفعلوه، و تعريفه ما يتجدّد أوّلا بأوّل، ففعل ذلك و صار يطالعه بكلّ ما عزموا عليه.

ثمّ وصل رسول من ملك الفرنج بالساحل الشامىّ إلى صلاح الدّين بهديّة و رسالة، و هو فى الظاهر إليه، و الباطن إلى أولئك الجماعة، و كان يرسل إليهم بعض النصارى و تأتيه رسلهم، فأتى الخبر إلى صلاح الدين من بلاد الفرنج بجليّة الحال، فوضع صلاح الدين على الرسول بعض من يثق به [۱] من النصارى، و داخله، فأخبره الرسول بالخبر على حقيقته، فقبض حينئذ على

---

[۱]- إليه.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۰۰

المقدمين فى هذه الحادثة منهم: عمارة و عبد الصمد و العويرس «۱» و غيرهم و صلبهم.

و قيل فى كشف أمرهم إنّ عبد الصمد المذكور كان إذا لقى القاضى الفاضل الكاتب الصلاحىّ يخدمه و يتقرّب إليه بجهده و طاقته، فلقيه يوما، فلم يلتفت إليه، فقال القاضى الفاضل: ما هذا إلّا لسبب. و خاف أن يكون قد صار له باطن من صلاح الدين، فأحضر علىّ بن نجا الواعظ و أخبره الحال، و قال:

أريد أن تكشف لى الأمر، فسعى فى كشفه فلم ير له من جانب صلاح الدين شيئا، فعدل إلى الجانب الآخر، فكشف الحال، و حضر عند القاضى الفاضل و أعلمه، فقال: تحضر الساعة عند صلاح الدين و تنهى الحال إليه، فحضر عند صلاح الدين و هو فى الجامع، فذكر له الحال، فقام و أخذ الجماعة و قرّرهم، فأقرّوا، فأمر بصلبهم.

و كان عمارة بينه و بين الفاضل عداوة من أيّام العاضد و قبلها، فلمّا أراد صلبه قام القاضى الفاضل و خاطب صلاح الدين فى إطلاقه، و ظنّ عمارة أنّه يحرّض على هلاكه، فقال لصلاح الدين: يا مولانا لا تسمع منه فى حقّى، فغضب الفاضل و خرج، و قال صلاح الدين لعمارة: إنّه كان يشفع فيك، فندم، ثمّ أخرج عمارة ليصلب، فطلب أن يمرّ به على مجلس الفاضل، فاجتازوا به عليه، فأغلق بابه و لم يجتمع به، فقال عمارة:

عبد الرّحيم قد احتجبإنّ الخلاص هو العجب ثمّ صلب هو و الجماعة، و نودى فى أجناد المصريّين بالرحيل من ديار مصر و مفارقتها إلى أقاصى الصعيد، و احتيط على من بالقصر من سلالة العاضد و غيره من أهله.

---

(۱). و العرويس.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۰۱

و أمّا الذين نافقوا على صلاح الدين من جنده فلم يعرض لهم، و لا أعلمهم أنّه علم بحالهم، و أمّا الفرنج، فإنّ فرنج صقلّيّة قصدوا الإسكندريّة على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى، لأنّهم لم يتّصل بهم ظهور الخبر عند صلاح الدين، و أمّا فرنج الساحل الشامىّ فإنّهم لم يتحرّكوا لعلمهم بحقيقة الحال. و كان عمارة شاعرا مفلقا، فمن شعره: الكامل فى التاريخ ج ۱۱ ۴۰۱ ذكر قتل جماعة من المصريين أرادوا الوثوب بصلاح الدين ..... ص : ۳۹۸

لو أن قلبى يوم كاظمة [۱] معىلملكته و كظمت [۲] فيض الأدمع

قلب كفاك من الصّبابة أنّهلبّى نداء الظاعنين و ما دعى

ما القلب أوّل غادر فألومههى شيمة الأيّام مذخلقت معى

و من الظّنون الفاسدات توهّمىبعد اليقين بقاءه فى أضلعى و له أيضا:

[لى] فى هوى الرّشاء العذرىّ إعذارلم يبق لى مذ أقرّ الدّمع إنكار

لى فى القدود [۳] و فى لثم الخدود و فىضمّ النّهود لبانات [۴] و أوطار

هذا اختيارى فوافق إن رضيت بهأو لا فدعنى و ما أهوى و أختار و له ديوان شعر مشهور فى غاية الحسن و الرقّة و الملاحة.

---

[۱]- كاضمة.

[۲]- و كضمت.

[۳]- القدوم.

[۴]- لبنات.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۰۲

ذكر وفاة نور الدين محمود بن زنكى، رحمه اللَّه

فى هذه السنة توفّى نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر، صاحب الشام و ديار الجزيرة و مصر، يوم الأربعاء حادى عشر شوّال، بعلّة الخوانيق، و دفن بقلعة دمشق، و نقل منها إلى المدرسة التى أنشأها بدمشق، عند سوق الخوّاصين.

و من عجيب الاتّفاق أنّه ركب ثانى شوّال و إلى جانبه بعض الأمراء الأخيار، فقال له الأمير: سبحان من يعلم هل نجتمع هنا فى العام المقبل أم لا؟ فقال نور الدين: لا تقل هكذا، بل سبحان من يعلم هل نجتمع بعد شهر أم لا؟

فمات نور الدين، رحمه اللَّه، بعد أحد عشر يوما، و مات الأمير قبل الحول، فأخذ كلّ منهما بما قاله.

و كان قد شرع يتجهّز للدخول إلى مصر لأخذها من صلاح الدين يوسف ابن أيّوب، فإنّه رأى منه فتورا فى غزو الفرنج من ناحيته، و كان يعلم أنّه إنّما يمنع صلاح الدين من الغزو الخوف منه و من الاجتماع به، فإنّه يؤثر كون الفرنج فى الطريق ليمتنع بهم على نور الدين، فأرسل إلى الموصل و ديار الجزيرة و ديار بكر يطلب العساكر للغزاة، و كان عزمه أن يتركها مع ابن أخيه سيف الدين غازى، صاحب الموصل بالشّام، و يسير هو بعساكره إلى مصر، فبينما هو يتجهّز لذلك أتاه أمر اللَّه الّذى لا مردّ له.

حكى لى طبيب يعرف بالطبيب الرحبىّ و هو كان يخدم نور الدين، و هو من حذّاق الأطباء، قال: استدعانى نور الدين فى مرضه الّذى توفّى فيه مع غيرى من الأطباء، فدخلنا إليه و هو فى بيت صغير بقلعة دمشق، و قد تمكّنت الخوانيق منه، و قارب الهلاك، فلا يكاد يسمع صوته، و كان يخلو فيه للتعبّد، فابتدأ به المرض، فلم ينتقل عنه، فلمّا دخلنا و رأينا ما به قلت له:

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۰۳

كان ينبغى أن لا تؤخّر إحضارنا إلى أن يشتدّ بك المرض الآن، و ينبغى أن تعجل الانتقال من هذا الموضع إلى مكان فسيح مضىء، فله أثر فى هذا المرض. و شرعنا فى علاجه، و أشرنا بالفصد، فقال: ابن ستّين لا يفتصد، و امتنع منه، فعالجناه بغيره، فلم ينجع فيه الدواء، و عظم الداء، و مات، رحمه اللَّه و رضى عنه.

و كان أسمر، طويل القامة، ليس له لحية إلّا فى حنكه، و كان واسع الجبهة، حسن الصورة، حلو العينين، و كان قد اتّسع ملكه جدّا، و خطب له بالحرمين الشريفين و باليمن لمّا دخلها شمس الدولة بن أيّوب و ملكها، و كان مولده سنة إحدى عشرة و خمسمائة، و طبّق ذكره الأرض بحسن سيرته و عدله. و قد طالعت سير الملوك المتقدّمين، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين و عمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته، و لا أكثر تحريا منه للعدل.

و قد أتينا على كثير من ذلك فى كتاب الباهر من أخبار دولتهم، و لنذكر هاهنا نبذة مختصرة لعلّ يقف عليها من له حكم فيقتدى به، فمن ذلك زهده و عبادته و علمه، فإنّه كان لا يأكل و لا يلبس [و لا يتصرّف] «۱» فى الّذى يخصّه [إلّا] «۲» من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة و من الأموال المرصدة لصالح المسلمين، و لقد شكت إليه زوجته من الضائقة، فأعطاها ثلاث دكاكين فى حمص كانت له، منها يحصل له فى السنة نحو عشرين دينارا، فلمّا استقلّتها قال: ليس لى إلّا هذا، و جميع ما بيدى أنا فيه خازن للمسلمين لا أخونهم فيه، و لا أخوض نار جهنّم لأجلك.

و كان يصلّى كثيرا باللّيل، و له فيه أوراد حسنة، و كان كما قيل:

جمع الشّجاعة و الخشوع لربّما أحسن المحراب فى المحراب.

---

te .P .C(۱)

te .P .C(۲)

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۰۴

و كان عارفا بالفقه على مذهب أبى حنيفة، ليس عنده فيه تعصّب، و سمع الحديث، و أسمعه طلبا للأجر.

و أمّا عدله، فإنّه لم يترك فى بلاده، على سعتها، مكسا و لا عشرا بل أطلقها جميعها فى مصر و الشام و الجزيرة و الموصل، و كان يعظم الشريعة، و يقف عند أحكامها، و أحضره إنسان إلى مجلس الحكم، فمضى معه إليه، و أرسل إلى القاضى كمال الدين بن الشّهرزورى يقول: قد جئت محاكما، فاسلك معى ما تسلك مع الخصوم، و ظهر الحقّ له، فوهبه الخصم الّذى أحضره، و قال: أردت أن أترك له ما يدّعيه، إنّما خفت أن يكون الباعث لى على ذلك الكبر و الأنفة من الحضور إلى مجلس الشريعة، فحضرت، ثمّ وهبته ما يدعيه.

و بنى دار العدل فى بلاده، و كان يجلس هو و القاضى فيها ينصف المظلوم، و لو أنّه يهودىّ، من الظالم و لو أنّه ولده أو أكبر أمير عنده.

و أمّا شجاعته، فإليها النهاية، و كان فى الحرب يأخذ قوسين و تركشين ليقاتل بها، فقال له القطب النّشاوىّ الفقيه: باللَّه عليك لا تخاطر بنفسك و بالإسلام و المسلمين، فإن أصبت فى معركة لا يبقى من المسلمين أحد «١» إلّا أخذه السيف. فقال له نور الدين: و من محمود حتى يقال له هذا؟ من قبلى من حفظ البلاد و الإسلام؟ ذلك اللَّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلَّا هُوَ.

و أمّا ما فعله من المصالح، فإنّه بنى أسوار مدن الشام جميعها و قلاعها، فمنها دمشق و حمص و حماة و حلب و شيزر و بعلبكّ و غيرها، و بنى المدارس الكثيرة للحنفيّة و الشافعيّة، و بنى الجامع النّورىّ بالموصل، و بنى البيمارستانات و الخانات فى الطرق، و بنى الخانكاهات للصوفيّة فى جميع البلاد، و وقف على الجميع الوقوف الكثيرة. سمعت أنّ حاصل وقفه كلّ شهر تسعة آلاف دينار

---

(١). يبقى أحد.B. يبقى لمسلمين أحد.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٤٠٥

صورىّ. و كان يكرم العلماء و أهل الدين و يعظّمهم و يعطيهم و يقوم إليهم و يجلسهم معه، و ينبسط معهم، و لا يردّ لهم قولا، و يكاتبهم بخطّ يده، و كان وقورا مهيبا مع تواضعه، و بالجملة فحسناته كثيرة و مناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب.

ذكر ملك ولده الملك الصالح

لمّا توفّى نور الدين قام ابنه الملك الصالح إسماعيل بالملك بعده. و كان عمره إحدى عشرة سنة، و حلف له الأمراء و المقدّمون بدمشق، و أقام بها، و أطاعه النّاس بالشام و صلاح الدين بمصر، و خطب له بها، و ضرب السكّة باسمه، و تولّى تربيته الأمير شمس [الدين] محمّد بن عبد الملك المعروف بابن المقدّم، و صار مدبّر دولته، فقال له كمال الدين بن الشّهرزورىّ و لمن معه من الأمراء: قد علمتم أنّ صلاح الدّين صاحب مصر هو من مماليك نور الدّين و نوّابه أصحاب نور الدين، و المصلحة أن نشاوره فى الّذى نفعله، و لا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعتنا، و يجعل ذلك حجّة علينا، و هو أقوى منّا، لأنّه قد انفرد اليوم بملك مصر، فلم يوافق هذا القول أغراضهم، و خافوا أن يدخل صلاح الدين و يخرجهم، فلم يمض غير قليل حتى وردت كتب صلاح الدين إلى الملك الصالح يعزّيه و يهنّئه بالملك، و أرسل دنانير مصريّة عليها اسمه و يعرّفه أنّ الخطبة و الطاعة له كما كانت لأبيه.

فلمّا سار سيف الدين غازى، صاحب الموصل، و ملك البلاد الجزريّة، على ما نذكره، أرسل صلاح الدين أيضا إلى الملك الصالح يعتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده و أخذها، ليحضر فى خدمته و يكفّ سيف الدين، و كتب إلى كمال الدين و الأمراء يقول: لو أنّ نور الدين يعلم أن فيكم من

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٤٠٦

يقوم مقامى، أو يثق به مثل ثقته بى لسلّم إليه مصر التى هى أعظم ممالكه و ولاياته، و لو لم يعجل عليه الموت لم يعهد إلى أحد

بتربيـة ولـده و القيام بخـدمته غيرى، و أراكم قـد تفرّدتم بمولاى و ابن مولاى دونى، و سوف أصل إلى خدمته، و أجازى إنعام والده بخدمة يظهر أثرها، و أجازى كلّا منكم على سوء صنيعة فى ترك الذّبّ عن بلاده.

و تمسّك ابن المقدّم و جماعة الأمراء بالملك الصالح، و لم يرسلوه إلى حلب، خوفا أن يغلبهم عليه شمس الدين علىّ بن الدايـة، فإنّه كـان أكـبر الأـمراء النوريّـة، و إنّمـا منعه من الاتّصـال به و القيـام بخـدمته مرض لحقه، و كـان هـو و إخـوته بحلب، و أمرهـا إليهم، و عساكرها معهم فى حياة نور الـدين و بعـده، و لمّا عجز عن الحركة أرسل إلى الملك الصالح يدعوه إلى حلب ليمنع به البلاد الجزيرة من سيف الدين ابن عمّه قطب الدين، فلم يمكّنه الأمراء الذين معه من الانتقال إلى حلب لما ذكرناه.

ذكر ملك سيف الدين البلاد الجزريّة

كان نور الـدين قبل أن يمرض قـد أرسل إلى البلاد الشـرقيّة، الموصل و ديار الجزيرة و غيرها، يسـتدعى العساكر منها للغزاة، و المراد غيرهـا، و قـد تقـدّم ذكره، فسار سـيف الـدين غازى بن قطب الـدين مودود بن زنكى، صاحب الموصل، فى عساكره، و على مقـدّمته الخادم سـعد الدين كمشـتكين الّذى كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سـيف الدين، فلمّا كانوا ببعض الطريق وصلت الأخبار بوفاة نور الدين، فأمّا سعد الدين فإنّه كان فى المقدّمة، فهرب جريدة.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٤٠٧

و أمّـا سـيف الـدين فأخـذ كـلّ ما كان له من برك و غيره، و عاد إلى نصـيبين فملكها، و أرسل الشـحن إلى الخابور فاسـتولوا عليه، و أقطعه، و سار هو إلى حرّان فحصـرها عدّة أيّام، و بها مملوك لنور الدين يقال له قايماز الحرّانىّ، فامتنع بها، و أطاع بعد ذلك على أن تكون حرّان له، و نزل إلى خدمـة سـيف الـدين، فقبض عليه و أخـذ حرّان منه، و سـار إلى الرّهـا فحصـرها و ملكهـا، و كان بها خادم خصـىّ أسود لنور الـدين فسـلّمها و طلب عوضـها قلعـة الزعفران من أعمـال جزيرة ابن عمر، فأعطيها، ثمّ أخـذت منه، ثمّ صار إلى أن يستعطى ما يقوته.

و سيّر سـيف الـدين إلى الرّقّـة فملكها، و كذلك سـروج، و اسـتكمل ملك جميع بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر، فإنّها كانت منيعة، و سوى رأس عين، فإنّها كانت لقطب الدين، صاحب ماردين، و هو ابن خال سيف الدين، فلم يتعرّض إليها.

و كان شـمس الـدين علىّ بن الدايـة، و هو أكبر الأمراء النوريّة، بحلب مع عساكرها، فلم يقدر على العبور إلى سـيف الدين ليمنعه من أخـذ البلاـد، لفالـج كـان به، فأرسـل إلى دمشق يطلب الملـك الصالـح، فلم يرسـل إليه، لما ذكرناه، و لمّا ملك سـيف الـدين الـدّيار الجزريّة قال له فخر الدين عبد المسيح، و كان قد وصل إليه من سيواس بعد موت نور الدين، و هو الّذى أقرّ له الملك بعد أبيه قطب الـدين، فظنّ أنّ سـيف الـدين يرعى له ذلـك، فلم يجن ثمرة مـا غرس، و كـان عنـده كبعض الأمراء، قال له: الرأى أن تعبر إلى الشام فليس به مانع، فقال له أكبر أمرائه، و هو أمير يقال له عزّ الدين محمود المعروف بزلفندار: قد ملكت أكثر ما كان لأبيك، و المصـلحة أن تعود، فرجع إلى قوله، و عاد إلى الموصل لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٤٠٨

ذكر حصر الفرنج بانياس و عودهم عنها

لمّـا مات نور الـدين محمود، صاحب الشام، اجتمعت الفرنـج و ساروا إلى قلعـة بانياس من أعمال دمشق فحصـروها [١]، فجمع شمس الدين محمّد بن المقدّم العسكر عنده بدمشق، فخرج عنها، فراسلهم، و لاطفهم، ثمّ أغلظ لهم فى القول، و قال لهم: إن أنتم صالحتمونا و عـدتم عن بانيـاس، فنحن على مـا كنّا عليه، و إلّـا فنرسل إلى سـيف الـدين، صاحب الموصل، و نصالحه، و نسـتنجده، و نرسل إلى صلاـح الـدين بمصـر فنسـتنجده، و نقصـد بلاـدكم من جهاتها كلّها، و لا تقومون لنا. و أنتم تعلمون أنّ صـلاح الـدين كان يخاف أن

يجتمع بنور الـدين، و الآـن فقـد زال ذلـك الخوف، و إذا طلبنـاه إلى بلادكم فلا يمتنع. فعلموا صـدقه، فصالحوه على شـىء من المال أخذوه و أسرى أطلقوا لهم كانوا عند المسلمين و تقرّرت الهدنة.

فلمّا سـمع صـلاح الدين بذلك أنكره و اسـتعظمه، و كتب إلى الملك الصالح و الأمراء الذين معه يقبّح لهم ما فعلوه و يبذل من نفسه قصـد بلاـد الفرنـج و مقارعتهم و إزعاجهم عن قصـد شـىء من بلاد الملك الصالـح، و كان قصـده أن يصـير له طريق إلى بلاد الشام ليتملّك البلاد، و الأمراء الشاميّون إنّما صالحوا الفرنـج خوفا منه و من سـيف الـدين غازى، صاحب الموصل، فإنّه كان قـد أخذ البلاد الجزريّة، و خافوا منه أن يعبر إلى الشام، فرأوا صـلح الفرنج أصلح من أن يجىء هذا من الغرب، و هذا من الشرق، و هم مشغولون عن ردّهم.

---

[۱]- فحصرها.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۰۹

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى المحرّم، وقع الحريق ببغداد فاحترق أكثر الظّفريّة و مواضع غيرها، و دام الحريق إلى بكرة و طفئت النّار.

و فيهـا، فى شـعبان، بنى ابن سـنكا، و هو ابن أخى شـملة صاحب خوزسـتان، قلعـة بالقرب من الماهكى ليتقوّى بها على الاستيلاء على تلك الأعمال، فسيّر إليه الخليفة العساكر من بغداد لمنعه، فالتقوا و حمل بنفسه على الميمنة فهزمها، و اقتتل النّاس قتالا عظيما، و أسـر ابن أخى شملة، و حمل رأسه إلى بغداد، فعلّق بباب النّوبى، و هدمت القلعة.

و فيهـا، فى رمضـان، توالت الأمطـار فى ديار بكر و الجزيرة و الموصل، فـدامت أربعين يوما ما رأينا الشـمس فيها غير مرّتين، كلّ مرّة مقدار لحظة، و خربت المساكن و غيرها، و كثر الهدم، و مات تحته كثير من النّاس، و زادت دجلة زيادة عظيمة، و كان أكثرها ببغداد، فإنّها زادت على كلّ زيادة تقدّمت منذ بنيت بغداد بذراع و كسر، و خاف النّاس الغرق، و فارقوا البلد، و أقاموا على شاطئ دجلة خوفا من انفتاح القورج و غيره، و كانوا كلّما انفتـح موضع [۱] بادروا بسـدّه، و نبع الماء فى البلاليع، و خرّب كثيرا من الـدور، و دخل الماء إلى البيمارستان العضدىّ، و دخلت السفن من الشبابيك التى له، فإنّها كانت قد تقلّعت، فمنّ اللَّه تعالى على النّاس بنقص الماء بعد أن أشرفوا على الغرق.

و فيها، فى جمادى الأولى، كانت الفتنـة ببغداد بين قطب الدين قايماز و الخليفة، و سـببها أنّ الخليفة أمر بإعادة عضد الدين بن رئيس الرؤساء إلى

---

[۱]- موضعا.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۱۰

الوزارة، فمنع منه قطب الـدين، و أغلق باب النوبى و باب العامّـة، و بقيت دار الخليفـة كالمحاصـرة، فأجاب الخليفـة إلى ترك وزارته، فقال قطب الدين:

لا أقنع إلّا بإخراج عضد الدين من بغداد، فأمر بالخروج منها، فالتجأ [۱] إلى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل، فأخذه إلى رباطه و أجاره، و نقله إلى دار الوزير بقطفتا، فأقام بها، ثمّ عاد إلى بيته فى جمادى الآخرة.

و فيها سقط الأمير أبو العبّاس أحمد بن الخليفة، و هو الّذى صار خليفة، من قبّة عالية إلى أرض التاج و معه غلام له اسمه نجاح، فألقى نفسه بعده، و سـلم ابن الخليفة و نجاح [۲]، فقيل لنجاح: لم ألقيت نفسك؟ فقال: ما كنت أريـد البقاء بعـد مولاى، فرعى [۳] له الأمير

أبو العبّاس ذلك، فلمّا صار خليفة جعله شرابيّا، و صارت الدولة جميعها بحكمه، و لقبه الملك الرحيم عزّ الدين، و بالغ فى الإحسان إليه و التقديم له، و خدمه جميع الأمراء بالعراق و الوزراء و غيرهم.

و فيها، فى رمضان، وقع ببغداد برد كبار ما رأى النّاس مثله، فهدم الدور، و قتل جماعة من النّاس و كثيرا من المواشى، فوزنت بردة منها فكانت سبعة أرطال، و كان عامّته كالنارنج يكسّر الأغصان. هكذا ذكره أبو الفرج بن الجوزى فى تاريخه، و العهدة عليه.

و فيها كانت وقعة عظيمة بين المؤيّد، صاحب نيسابور، و بين شاه مازندران، قتل فيها كثير من الطائفتين، فانهزم شاه مازندران، و دخل المؤيّد بلد الدّيلم و خرّبه و فتك بأهله و عاد عنه.

و فيها وقعت وقعة كبيرة بين أهل باب البصرة و أهل باب الكرخ، و سببها

---

[۱]- فالتجى.

[۲]- و نجا.

[۳]- فرعا.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۱۱

أنّ الماء لمّا زاد سكّر أهل الكرخ سكرا ردّ الماء عنهم، فغرق مسجد فيه شجرة، فانقلعت، فصاح أهل الكرخ: انقلعت الشجرة، لعن اللّه العشرة! فقامت الفتنة، فتقدّم الخليفة إلى علاء الدين تنامش بكفّهم، فمال على أهل باب البصرة لأنّه كان شيعيّا، و أراد دخول المحلّة، فمنعه أهلها، و أغلقوا الأبواب و وقفوا على السور، و أراد إحراق الأبواب، فبلغ ذلك الخليفة فأنكره أشدّ إنكار، و أمر بإعادة تنامش، فعاد، و دامت الفتنة أسبوعا، ثمّ انفصل الحال من غير توسّط سلطان.

و فيها عبر ملك الروم خليج القسطنطينيّة و قصد بلاد قلج أرسلان، فجرى بينهما حرب استظهر فيها المسلمون، فلمّا رأى ملك الروم عجزه عاد إلى بلده، و قد قتل من عسكره و أسر جماعة كثيرة.

و فيها، فى جمادى الأولى، مات أحمد بن علىّ بن المعمّر بن محمّد بن عبد اللّه أبو عبد اللّه العلوىّ الحسينىّ نقيب العلويّين ببغداد، و كان يلقّب الظاهر، و سمع الحديث الكثير و رواه، و كان حسنة أهل بغداد.

و فيها توفّى الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمّد العطّار الهمدانىّ، سافر الكثير فى طلب الحديث و قراءة القرآن و اللغة، و كان من أعيان المحدّثين فى زمانه، و كان له قبول عظيم ببلده عند العامّة و الخاصّة.

و فيها توفّى أبو محمّد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهّان النحوىّ البغدادى بالموصل، و كان إماما فى النحو، له التصانيف المشهورة منها الغرّة و غيرها.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۱۲

۵۷۰ ثم دخلت سنة سبعين و خمسمائة

ذكر وصول أسطول صقلّيّة إلى مدينة الإسكندرية و انهزامه عنها

فى هذه السنة، فى المحرّم، ظفر أهل الإسكندريّة و عسكر مصر بأسطول الفرنج من صقلّيّة، و كان سبب ذلك ما ذكرناه من [إرسال] أهل مصر إلى ملك الفرنج بساحل الشام، و إلى صاحب صقلّيّة، ليقصدوا ديار مصر ليثوروا بصلاح الدين و يخرجوه من مصر، فجهّز صاحب صقلّيّة أسطولا كثيرا، عدّته مائتا شينى تحمل الرجّالة، و ستّ و ثلاثون طريدة تحمل الخيل، و ستّة مراكب كبار تحمل آلة الحرب، و أربعون مركبا تحمل الأزواد، و فيها من الراجل خمسون ألفا، و من الفرسان ألف و خمسمائة، منها خمسمائة تركبلّى «۱».

و كان المقدّم عليهم ابن عمّ صاحب صقلّيّة، و سيّره إلى الإسكندريّة من ديار مصر، فوصلوا إليها فى السادس و العشرين من ذى الحجّة سنة تسع و ستّين، على حين غفلة من أهلها و طمأنينة، فخرج أهل الإسكندريّة بسلاحهم و عدّتهم ليمنعوهم من النّزول، و أبعدوا عن البلد، فمنعهم الوالى عليهم من ذلك، و أمرهم بملازمة السور، و نزل الفرنج إلى البرّ ممّا يلى البحر و المنارة و تقدّموا إلى المدينة و نصبوا عليها الدبابات و المجانيق و قاتلوا أشدّ قتال،

---

(۱). ۷۴۰ بركلى.spU .Cte .P. تركيلى:

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۱۳

و صبر لهم أهل البلد، و لم يكن عندهم من العسكر إلّا القليل، و رأى الفرنج من شجاعة أهل الإسكندريّة و حسن سلاحهم ما راعهم. و سيّرت الكتب بالحال إلى صلاح الدين يستدعونه لدفع العدوّ عنهم، و دام القتال أوّل يوم إلى آخر النهار، ثمّ عاود الفرنج القتال اليوم الثانى، و جدّوا، و لازموا الزحف، حتى وصلت الدبّابات إلى قرب السور، و وصل ذلك اليوم من العساكر الإسلاميّة كلّ من كان فى أقطاعه، و هو قريب من الإسكندريّة، فقويت بهم نفوس أهلها، و أحسنوا القتال و الصبر، فلمّا كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد و خرجوا منه على الفرنج من كلّ جانب، و هم غارّون، و كثر الصياح من كلّ الجهات، فارتاع الفرنج و اشتدّ القتال، فوصل المسلمون إلى الدبّابات فأحرقوها، و صبروا للقتال فأنزل اللّه نصره عليهم، و ظهرت أماراته، و لم يزالوا مباشرين القتال إلى آخر النهار، و دخل أهل البلد إليه و هم فرحون مستبشرون بما رأوا من تباشير الظفر و قوّتهم، و فشل الفرنج و فتور حربهم، و كثرة القتل و الجراح فى رجّالتهم.

و أمّا صلاح الدين فإنّه لمّا وصله الخبر سار بعساكره، و سيّر مملوكا له و معه ثلاث [۱] جنائب ليجدّ السير عليها إلى الإسكندريّة يبشّر بوصوله، و سيّر طائفة من العسكر إلى دمياط خوفا عليها، و احتياطا لها، فسار ذلك المملوك، فوصل الإسكندريّة من يومه وقت العصر، و النّاس قد رجعوا من القتال، فنادى فى البلد بمجيء صلاح الدين و العساكر مسرعين، فلمّا سمع النّاس ذلك عادوا إلى [القتال، و قد] «۱» زال ما بهم من تعب و ألم الجراح، و كلّ منهم يظنّ أنّ صلاح الدين معه، فهو يقاتل قتال من يريد أن يشاهد قتاله.

---

[۱]- ثلاثة.

---

(۱). ۷۴۰te .P .C

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۱۴

و سمع الفرنج بقرب صلاح الدين فى عساكره، فسقط فى أيديهم، و ازدادوا تعبا و فتورا، فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام، و وصلوا إلى خيامهم فغنموها بما فيها من الأسلحة الكثيرة و التحملات العظيمة، و كثر القتل فى رجّالة الفرنج، فهرب كثير منهم إلى البحر، و قرّبوا شوانيهم إلى الساحل ليركبوا فيها، فسلم بعضهم و ركب، و غرق بعضهم، و غاص بعض المسلمين فى الماء و خرق بعض شوانى الفرنج فغرقت، فخاف الباقون من ذلك، فولّوا هاربين، و احتمى ثلاثمائة من فرسان الفرنج على رأس تلّ، فقاتلهم المسلمون إلى بكرة، و دام القتال إلى أن أضحى النهار، فغلبهم أهل البلد و قهروهم فصاروا بين قتيل و أسير، و كفى اللّه المسلمين شرّهم و حاق بالكافرين مكرهم.

ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر

و فى أوّل هذه السنة خالف الكنز بصعيد مصر، و اجتمع إليه من رعيّة البلاد و السودان و العرب و غيرهم خلق كثير، و كان هناك أمير

من الصلاحيّة فى أقطاعه، و هو أخو الأمير أبى الهيجاء السمين، فقتله الكنز، فعظم قتله على أخيه، و هو من أكبر الأمراء و أشجعهم، فسار إلى قتال الكنز، و سيّر معه صلاح الدين جماعة من الأمراء، و كثيرا من العسكر، و وصلوا إلى مدينة طود، فاحتمت عليهم، فقاتلوا من بها، و ظفروا بهم، و قتلوا منهم كثيرا، و ذلّوا بعد العزّ و قهروا و استكانوا.

ثمّ سار العسكر بعد فراغهم من طود إلى الكنز، و هو فى طغيانه يعمه، فقاتلوه، فقتل هو و من معه من الأعراب و غيرهم، و أمنت بعده البلاد و اطمأنّ أهلها.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۱۵

ذكر ملك صلاح الدين دمشق

فى هذه السنة، سلخ ربيع الأوّل، ملك صلاح الدين يوسف بن أيّوب مدينة دمشق. و سبب ذلك أنّ نور الدين لمّا مات و ملك ابنه الملك الصالح بعده كان بدمشق، و كان سعد الدين كمشتكين قد هرب من سيف الدين غازى إلى حلب، كما ذكرناه، فأقام بها عند شمس الدين بن الداية، فلمّا استولى سيف الدين على البلاد الجزريّة خاف ابن الداية أن يغير إلى حلب فيملكها، فأرسل سعد الدين إلى دمشق ليحضر الملك الصالح و معه العساكر إلى حلب، فلمّا قارب دمشق سيّر إليه شمس الدين محمّد بن المقدّم عسكرا فنهبوه، و عاد منهزما إلى حلب، فأخلف عليه ابن الداية عوض ما أخذ منه، ثمّ إنّ الأمراء الذين بدمشق نظروا فى المصلحة، فعلموا أنّ مسيره إلى حلب أصلح للدولة من مقامه بدمشق، فأرسلوا إلى ابن الداية يطلبون إرسال سعد الدين ليأخذ الملك الصالح، فجهّزه و سيّره و على نفسها «۱» براقش تجنى، فسار إلى دمشق فى المحرّم من هذه السنة، و أخذ الملك الصالح و عاد إلى حلب، فلمّا وصلوا إليها قبض سعد الدين على شمس الدين بن الداية و إخوته، و على رئيس بن الخشّاب رئيس حلب و مقدّم الأحداث بها، و لو لا مرض شمس الدين بن الداية لم يتمكّن من ذلك.

و استبدّ سعد الدين بتدبير الملك الصالح، فخافه ابن المقدّم و غيره من الأمراء الذين بدمشق و قالوا: إذا استقرّ أمر حلب أخذ الملك الصالح و سار به إلينا، و فعل مثل ما فعل بحلب، و كاتبوا سيف الدين غازى صاحب الموصل ليعبر الفرات إليهم ليسلّموا إليه دمشق، فلم يفعل و خاف أن تكون مكيدة

---

(۱). نفسها:spU. ۰۴۷.te .P .C

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۱۶

عليه ليعبر الفرات و يسير إلى دمشق فيمنع عنها و يقصده ابن عمّه و عسكر حلب من وراء ظهره فيهلك. أشار عليه بهذا زلفندار عزّ الدين، و الجبان يقدّر البعيد من الشرّ قريبا، و يرى الجبن حزما، كما قال:

يرى الجبناء أنّ الجبن حزمو تلك طبيعة الرّجل الجبان فلمّا أشار عليه بهذا الرأى زلفندار قبله و امتنع من قصد دمشق، و راسل سعد الدين و الملك الصالح و صالحهما على ما أخذه من البلاد، فلمّا امتنع عن العبور إلى دمشق عظم خوفهم، و قالوا: حيث صالحهم سيف الدين لم يبق لهم مانع عن المسير إلينا، فكاتبوا حينئذ صلاح الدين يوسف بن أيّوب، صاحب مصر، و استدعوه ليملّكوه عليهم، و كان كبيرهم فى ذلك شمس الدين ابن المقدّم، و من أشبه أباه فما ظلم، و قد ذكرنا مخامرة أبيه فى تسليم سنجار سنة أربع و أربعين و خمسمائة.

فلمّا وصلت الرسل إلى صلاح الدين بذلك لم يلبث، و سار جريدة فى سبع مائة فارس و الفرنج فى طريقه، فلم يبال بهم، فلمّا وطئ أرض الشام قصد بصرى، و كان [بها] حينئذ صاحبها و هو من جملة من كاتبه، فخرج و لقيه، فلمّا رأى قلّة من معه خاف على نفسه، و اجتمع بالقاضى الفاضل و قال: ما أرى معكم عسكرا، و هذا بلد عظيم لا يقصد بمثل هذا العسكر، و لو منعكم من به ساعة من النهار

أخذكم أهل السواد، فإن كان معكم مال سهل الأمر. فقال: معنا مال كثير يكون خمسين ألف دينار، فضرب صاحب بصرى على رأسه و قال: هلكتم و أهلكتمونا، و جميع ما كان معهم عشرة آلاف دينار.

ثمّ سار صلاح الدين إلى دمشق فخرج كلّ من بها من العسكر إليه، فلقوه و خدموه، و دخل البلد، و نزل فى دار والده المعروفة بدار العقيقى، و كانت

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ۴١٧

القلعة بيد خادم اسمه ريحان، فأحضر صلاح الدين كمال الدين بن الشّهرزورى و هو قاضى البلد و الحاكم فى جميع أموره من الديوان و الوقف و غير ذلك، و أرسله إلى ريحان ليسلّم القلعة إليه، و قال: أنا مملوك الملك الصالح، و ما جئت إلّا لأنصره و أخدمه، و أعيد البلاد التى أخذت منه إليه، و كان يخطب له فى بلاده كلّها، فصعد كمال الدين إلى ريحان، و لم يزل معه حتى سلّم القلعة، فصعد صلاح الدين إليها، و أخذ ما فيها من الأموال، و أخرجها و اتّسع بها و ثبت قدمه، و قويت نفسه، و هو مع هذا يظهر طاعة الملك الصالح، و يخاطبه بالمملوك، و الخطبة و السكّة باسمه.

ذكر ملك صلاح الدين مدينتى حمص و حماة

لمّا استقرّ ملك صلاح الدين لدمشق، و قرّر أمرها، استخلف بها أخاه سيف الإسلام طغدكين بن أيّوب، و سار إلى مدينة حمص مستهلّ جمادى الأولى، و كانت حمص و حماة و قلعة بعرين و سلميّة و تلّ خالد و الرّها من بلد الجزيرة فى أقطاع الأمير فخر الدين مسعود الزعفرانىّ، فلمّا مات نور الدين لم يمكنه المقام بها لسوء سيرته فى أهلها، و لم يكن له فى قلاع هذه البلاد حكم إنّما فيها ولاة لنور الدين. و كان بقلعة حمص وال يحفظها، فلمّا نزل صلاح الدين على حمص، حادى عشر الشهر المذكور، راسل من فيها بالتسليم، فامتنعوا، فقاتلهم من الغد، فملك البلد و أمّن أهله، و امتنعت عليه القلعة و بقيت ممتنعة إلى أن عاد من حلب، على ما نذكره إن شاء اللّه، و ترك بمدينة حمص من يحفظها، و يمنع من بالقلعة من التصرّف، و أن تصعد إليهم ميرة.

و سار إلى مدينة حماة، و هو فى جميع أحواله لا يظهر إلّا طاعة الملك

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ۴١٨

الصالح بن نور الدين، و أنّه إنّما خرج لحفظ بلاده [١] عليه من الفرنج، و استعادة ما أخذه سيف الدين صاحب الموصل من البلاد الجزريّة، فلمّا وصل إلى حماة ملك المدينة مستهلّ جمادى الآخرة، و كان بقلعتها الأمير عزّ الدين جورديك، و هو من المماليك النوريّة، فامتنع من التسليم إلى صلاح الدين، فأرسل إليه صلاح الدين يعرّفه ما هو عليه من طاعة الملك الصالح، و إنّما يريد حفظ بلاده عليه، فاستحلفه جورديك على ذلك فحلف و سيّره إلى حلب فى اجتماع الكلمة على طاعة الملك الصالح، و فى إطلاق شمس الدين علىّ و حسن و عثمان أولاد الداية من السجن، فسار جورديك إلى حلب، و استخلف بقلعة حماة أخاه ليحفظها، فلمّا وصل جورديك إلى حلب قبض عليه كمشتكين و سجنه، فلمّا علم أخوه بذلك سلّم القلعة إلى صلاح الدين فملكها.

ذكر حصر صلاح الدين حلب و عوده عنها و ملكه قلعة حمص و بعلبكّ

لمّا ملك صلاح الدين حماة سار إلى حلب فحصرها ثالث جمادى الآخرة، فقاتله أهلها، و ركب الملك الصالح، و هو صبىّ عمره اثنتا [٢] عشرة سنة، و جمع أهل حلب و قال لهم: قد عرفتم إحسان أبى إليكم و محبّته لكم و سيرته فيكم، و أنا يتيمكم، و قد جاء هذا الظالم الجاحد إحسان والدى إليه يأخذ بلدى و لا يراقب اللّه تعالى، و لا الخلق، و قال من هذا كثيرا و بكى فأبكى النّاس، فبذلوا له الأموال و الأنفس، و اتّفقوا على القتال دونه، و المنع عن بلده، و جدّوا فى القتال، و فيهم شجاعة، قد ألفوا الحرب و اعتادوها،

[١]- بلاد.

[٢]- اثنا.

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ۴١٩

حيث كان الفرنج بالقرب منهم، فكانوا يخرجون و يقاتلون صلاح الدين عند جبل حوشن، فلا يقدر على القرب من البلد.

و أرسل سعد الدين كمشتكين إلى سنان مقدّم الإسماعيليّة، و بذل له أموالا كثيرة ليقتلوا صلاح الدين، فأرسلوا جماعة منهم إلى عسكره، فلمّا وصلوا رآهم أمير اسمه خمارتكين، صاحب قلعة أبى قبيس، فعرفهم لأنّه جارهم فى البلاد، كثير الاجتماع بهم و القتال لهم، فلمّا رآهم قال لهم: ما الّذى أقدمكم و فى أىّ شىء جئتم؟ فجرحوه جراحات مثخنة، و حمل أحدهم على صلاح الدين ليقتله، فقتل دونه، و قاتل الباقون من الإسماعيليّة، فقتلوا جماعة ثمّ قتلوا.

و بقى صلاح الدين محاصرا لحلب إلى سلخ جمادى الآخرة، و رحل عنها مستهلّ رجب، و سبب رحيله أنّ القمّص ريمند الصّنجيلى، صاحب طرابلس، كان قد أسره نور الدين على حارم سنة تسع و خمسين و خمسمائة، و بقى فى الحبس إلى هذه السنة، فأطلقه سعد الدين بمائة ألف و خمسين ألف دينار صوريّة و ألف أسير، فلمّا وصل إلى بلده اجتمع الفرنج عليه يهنّئونه بالسلامة، و كان عظيما فيهم من أعيان شياطينهم، فاتّفق أنّ مرّى ملك الفرنج، لعنه اللّه، مات أوّل هذه السنة، و كان أعظم ملوكهم شجاعة و أجودهم رأيا و مكرا و مكيدة، فلمّا توفّى خلّف ابنا مجذوما عاجزا عن تدبير الملك، فملّكه الفرنج صورة لا معنى تحتها، و تولّى القمّص ريمند تدبير الملك، و إليه الحلّ و العقد، عن أمره يصدرون، فأرسل إليه من بحلب يطلبون منه أن يقصد بعض البلاد التى بيد صلاح الدين ليرحل عنهم، فسار إلى حمص و نازلها سابع رجب، فلمّا تجهّز لقصدها سمع صلاح الدين الخبر فرحل عن حلب، فوصل إلى حماة ثامن رجب، بعد نزول الفرنج على حمص بيوم، ثمّ رحل إلى الرّستن، فلمّا سمع الفرنج بقربة رحلوا عن حمص، و وصل صلاح الدين إليها، فحصر

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ۴٢٠

القلعة إلى أن ملكها فى الحادى و العشرين من شعبان من السنة، فصار أكثر الشام بيده.

و لمّا ملك صلاح الدين دمشق و حمص و حماة كتب الملك الصالح إسماعيل ابن نور الدين إلى ابن عمّه سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود، يستنجده على صلاح الدين، و يطلب أن يعبر إليه ليقصدوا صلاح الدين و يأخذوا البلاد منه، فجمع سيف الدين عساكره، و كاتب أخاه عماد الدين زنكى، صاحب سنجار، يأمره أن ينزل إليه بعساكره ليجتمعا على المسير إلى الشام، فامتنع من ذلك.

و كان صلاح الدين قد كاتب عماد الدين و أطمعه فى الملك لأنّه هو الكبير، فحمله الطمع على الامتناع على أخيه، فلمّا رأى سيف الدين امتناعه جهّز أخاه عزّ الدين مسعودا فى عسكر كثير، هو معظم عسكره، و سيّره إلى الشام، و جعل المقدّم على العسكر مع أخيه عزّ الدين محمود، و يلقّب أيضا زلفندار، و جعله المدبّر للأمر، و سار سيف الدين إلى سنجار فحصرها فى شهر رمضان و قاتلها، و جدّ فى القتال، و امتنع عماد الدين بها، و أحسن حفظها و الذّبّ عنها، فدام الحصار عليها، فبينما هو يحاصرها أتاه الخبر بانهزام عسكره

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ۴٢١

الّذى مع أخيه عزّ الدين مسعود من صلاح الدين، فراسل حينئذ أخاه عماد الدين، و صالحه على ما بيده، و رحل إلى الموصل، و ثبت

قدم صلاح الدين بعد هذه الهزيمة، و خافه النّاس، و تردّدت الرسل بينه و بين سيف الدين غازى فى الصلح «١»، فلم يستقرّ حال.

ذكر انهزام عسكر سيف الدين من صلاح الدين و حصره مدينة حلب

فى هذه السنة سار عسكر سيف الدين مع أخيه عزّ الدين و عزّ الدين زلفندار إلى حلب، و اجتمع معهما عساكر حلب، و ساروا كلّهم إلى صلاح الدين ليحاربوه، فأرسل صلاح الدين إلى سيف الدين يبذل تسليم حمص و حماة، و أن يقرّ بيده مدينة دمشق، و هو فيها نائب الملك الصالح، فلم يجب إلى ذلك، و قال: لا بدّ من تسليم جميع ما أخذ من بلاد الشام و العود إلى مصر.

و كان صلاح الدين يجمع عساكره و يتجهّز للحرب، فلمّا امتنع سيف الدين من إجابته إلى ما بذل سار فى عساكره إلى عزّ الدين مسعود و زلفندار «٢»، فالتقوا تاسع عشر رمضان، بالقرب من مدينة حماة، بموضع يقال له قرون حماة، و كان زلفندار جاهلا بالحروب و القتال، غير عالم بتدبيرها، مع جبن فيه، إلّا أنّه قد رزق سعادة و قبولا من سيف الدين، فلمّا التقى الجمعان لم يثبت العسكر السيفىّ، و انهزموا لا يلوى أخ على أخيه، و ثبت عزّ الدين أخو سيف الدين بعد انهزام أصحابه، فلمّا رأى صلاح الدين ثباته قال: إمّا أنّ هذا أشجع النّاس، أو أنّه لا يعرف الحرب، و أمر أصحابه بالحملة عليه، فحملوا

---

(١). غازى ... الصلح.A. mo

(٢).qesteو زلفائدار.A

فأزالوه عن موقفه، و تمّت الهزيمة عليهم.

و تبعهم صلاح الدين و عسكره حتى جازوا معسكرهم، و غنموا منهم غنائم كثيرة، و آلة، و سلاحا عظيما، و دوابّ فارهة، و عادوا بعد طول البيكار مستريحين، و عاد المنهزمون إلى حلب، و تبعهم صلاح الدين، فنازلهم بها محاصرا لها و مقاتلا، و قطع حينئذ خطبة الملك الصالح بن نور الدين، و أزال اسمه عن السكّة فى بلاده، و دام محاصرا لهم، فلمّا طال الأمر عليهم راسلوه فى الصلح على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام و لهم ما بأيديهم منها، فأجابهم إلى ذلك، و انتظم [١] الصلح و رحل عن حلب فى العشر الأوّل من شوّال و وصل إلى حماة، و وصلت إليه [٢] بها خلع الخليفة مع رسوله.

ذكر ملك صلاح الدين قلعة بعرين

فى هذه السنة، فى العشر الأوّل من شوّال، ملك صلاح الدين قلعة بعرين من الشام، و كان [صاحبها] فخر الدين مسعود بن الزعفرانىّ، و هو من أكابر الأمراء النوريّة، فلمّا رأى قوّة صلاح الدين نزل منها، و اتّصل بصلاح الدين، و ظنّ أنه يكرمه و يشاركه فى ملكه، و لا ينفرد عنه بأمر مثل ما كان مع نور الدين، فلم ير من ذلك شيئا، ففارقه، و لم يكن بقى له من إقطاعه الّذى كان له فى الأيّام النوريّة غير بعرين و نائبة بها، فلمّا صالح صلاح الدين الملك الصالح بحلب، عاد إلى حماة و سار منها إلى بعرين، و هى قريبة منها، فحصرها و نصب عليها المجانيق، و أدام قتالها، فسلّمها و اليها بالأمان،

---

[١]- و انتضم.

[٢]- إليها.

فلمّا ملكها عاد إلى حماة، فأقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمىّ، و أقطع حمص ناصر الدين محمّد ابن عمّه شيركوه،

و سار منها إلى دمشق فدخلها أواخر شوّال من السنة.

ذكر ملك البهلوان مدينة تبريز

فى هذه السنة ملك البهلوان بن إيلدكز مدينة تبريز، و هى من جملة بلاد آقسنقر الأحمديلى، و سبب ذلك أنّ البهلوان سار إلى مراغة و حصرها، و كان بن آقسنقر الأحمديلى صاحبها قد مات، و وصّى بالملك لابنه فلك الدين، فقصده البهلوان، و نزل على قلعة رويين‌دز و حصرها فامتنعت عليه، فتركها، و حصر مراغة، و سيّر أخاه قزل أرسلان فى جيش إلى مدينة تبريز فحصرها أيضا.
و كان البهلوان يقاتل أهل مراغة، فظفروا بطائفة من عسكره، فخلع عليهم صدر الدين قاضى مراغة، و أطلقهم، فحسن ذلك عند البهلوان، و شرع القاضى فى الصلح على أن يسلّموا تبريز إلى البهلوان، فأجيب إلى ذلك، و استقرّت القاعدة عليه، و حلف كلّ واحد منهما لصاحبه، و تسلّم البهلوان تبريز و أعطاها أخاه قزل أرسلان، و رحل عن مراغة.

ذكر وفاة شملة

فى هذه السنة مات شملة التركمانى، صاحب خوزستان، و كان قد كثرت ولايته، و عظم شأنه، و بنى عدّة حصون، و بقى كذلك زيادة على عشرين سنة.
الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۲۴
و كان سبب موته أنّه قصد بعض التركمان، فعلموا بذلك، فاستعانوا بشمس الدين البهلوان بن إيلدكز، صاحب عراق العجم، فسيّر إليهم جيشا، فاقتتلوا فأصاب شملة سهم، ثمّ أخذ أسيرا و ولده و ابن أخيه، و توفّى بعد يومين، و هو من التركمان الأقشريّة، و لمّا مات ملك ابنه بعده.

ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد

فى هذه السنة، فى شوّال، سيّر علاء الدين تنامش، و هو من أكابر الأمراء ببغداد، و هو ابن أحمد قطب الدين قايماز زوج أخته، عسكرا إلى الغرّاف، فنهبوا أهله، و بالغوا فى أذاهم، فجاء منهم جماعة إلى بغداد و استغاثوا، فلم يغاثوا لضعف الخليفة مع قايماز و تنامش، و تحكّمهما عليه، فقصدوا جامع القصر و استغاثوا فيه، و منعوا الخطيب، و فاتت الصلاة أكثر النّاس، فأنكر الخليفة ما جرى، فلم يلتفت قطب الدين و تنامش إلى ما فعل، و احتقروه، فلا جرم لم يمهلهم اللّه تعالى لاحتقارهم الدعاء و ازدرائهم أهله.
فلمّا كان خامس ذى القعدة قصد قطب الدين قايماز أذى ظهير الدين بن العطّار، و كان صاحب المخزن، و هو خاص الخليفة، و له به عناية تامّة، فلم يراع [۱] الخليفة فى صاحبه، فأرسل إليه يستدعيه ليحضر عنده، فهرب، فأحرق قطب الدين داره، و حالف الأمراء على المساعدة و المظاهرة له، و جمعهم، و قصد دار الخليفة لعلمه أنّ ابن العطّار فيها، فلمّا علم الخليفة ذلك و رأى الغلبة صعد إلى سطح داره و ظهر للعامّة و أمر خادما فصاح و استغاث، و قال للعامّة: مال قطب الدين لكم و دمه لى، فقصد الخلق كلّهم دار قطب الدين

---

[۱]- يراعى.
الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۲۵
للنهب، فلم يمكنه المقام لضيق الشوارع و غلبة العامّة، فهرب من داره من باب فتحه فى ظهرها، لكثرة الخلق على بابها، و خرج من بغداد و نهبت داره، و أخذ منها من الأموال ما لا يحدّ و لا يحصى، فرئى فيها من التنعّم ما ليس لأحد مثله، فمن جملة ذلك أنّ بيت الطهارة الّذى كان له فيه سلسلة ذهب من السقف إلى محاذى وجه القاعد على الخلا، و فى أسفلها كرة كبيرة ذهب، مخرّمة، محشوّة

بالمسک و العنبر لیشمّها إذا قعد، فتشبّث بها إنسان و قطعها و أخذها، و دخل بعض الصعالیک فأخذ عدّة أکیاس مملوءة دنانیر.

و کان الأقویاء قد وقفوا علی الباب یأخذون ما یخرج به النّاس، فلمّا أخذ ذلک الصعلوک الأکیاس قصد المطبخ فأخذ منه قدرا مملوءة طبیخا، و ألقی الأکیاس فیها و حملها علی رأسه و خرج بها، و النّاس یضحکون منه، فیقول:

أنا أرید شیئا أطعمه عیالی الیوم، فنجا بما معه، فاستغنی بعد ذلک، فظهر المال، و لم یبق من نعمة قطب الدین فی ساعة واحدة قلیل و لا کثیر.

و لمّا خرج من البلد تبعه تنامش و جماعة من الأمراء، فنهبت دورهم أیضا، و أخذت أموالهم و أحرق أکثرها، و سار قطب الدین إلی الحلّة و معه الأمراء، فسیّر الخلیفة إلیه صدر الدین شیخ الشیوخ، فلم یزل به یخدعه حتی سار عن الحلّة إلی الموصل علی البرّ، فلحقه و من معه عطش عظیم فهلک أکثرهم من شدّة الحرّ و العطش، و مات قطب الدین قبل وصوله إلی الموصل فحمل و دفن بظاهر باب العمادی و قبره مشهور هناک.

و هذا عاقبة عصیان الخلیفة، و کفران الإحسان، و الظلم، و سوء التدبیر، فإنّه ظلم أهل العراق، و کفر إحسان الخلیفة الّذی کان قد غمره، و لو أقام بالحلّة و جمع العساکر و عاود بغداد لاستولی علی الأمور کلّها کما کان، فإنّ عامّة بغداد کانوا یریدونه، و کان قوی بالاستیلاء علی البلاد فأطاعوه.

و لمّا مات فی ذی الحجّة وصل علاء الدین تنامش إلی الموصل، فأقام

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۴۲۶

مدیدة، ثمّ أمره الخلیفة بالقدوم إلی بغداد، فعاد إلیها، و بقی بها إلی أن مات بغیر إقطاع، و کان هذا آخر أمرهم.

و لمّا أقام قطب الدین بالحلّة امتنع الحاجّ من السفر، فتأخّروا إلی أن رحل عنها، فدخلوا من الکوفة إلی عرفات فی ثمانیة عشر یوما، و هذا ما لم یسمع بمثله، و فات کثیرا [۱] منهم الحجّ.

و لمّا هرب قطب الدین خلع الخلیفة علی عضد الدین الوزیر و أعید [إلی] الوزارة. قال بعض الشعراء فی قطب الدین و تنامش هذه الأبیات:

إن کنت معتبرا بملک زائلو حوادث عنقیّة الإدلاج

فدع العجائب و التّواریخ الأولیو انظر إلی قایماز و ابن قماج

عطف الزّمان علیهما فسقاهمامن کأسه صرفا بغیر مزاج

فتبدّلوا بعد القصور و ظلّهاو نعیمها بمهامه و فجاج

فلیحذر الباقون من أمثالهانکبات دهر خائن مزعاج و کان قطب الدین کریما، طلق الوجه، محبّا للعدل و الإحسان، کثیر البذل للمال. و الّذی کان جری منه إنّما کان یحمله علیه تنامش و لم یکن بإرادته.

ذکر عدّة حوادث

فی هذه السنة مات زعیم الدین صاحب المخزن، و اسمه یحیی بن عبد اللّه ابن محمّد بن المعمّر بن جعفر أبو الفضل، و حجّ بالنّاس عدّة سنین، و إلیه الحکم فی الطریق، و ناب عن الوزارة، و تنقّل فی هذه الأعمال أکثر من عشرین سنة، و کان یحفظ القرآن.

---

[۱] کثیر.

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۴۲۷

٥٧١ ثم دخلت سنة إحدى و سبعين و خمسمائة

ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين

فى هذه السنة، عاشر شوّال، كان المصافّ بين سيف الدين غازى بن مودود و بين صلاح الدين يوسف بن أيّوب بتلّ السلطان، على مرحلة من حلب، على طريق حماة، و انهزم سيف الدين.

و سبب ذلك أنّه لمّا انهزم أخوه عزّ الدين مسعود من صلاح الدين فى العام الماضى و صالح سيف الدين أخاه عماد الدين صاحب سنجار، عاد [إلى] الموصل، و جمع عساكره [١]، و فرّق فيهم الأموال، و استنجد صاحب حصن كيفا، و صاحب ماردين و غيرهما، فاجتمعت معه عساكر كثيرة بلغت عدّتهم ستّة آلاف فارس، فسار إلى نصيبين فى ربيع الأوّل من هذه السنة، و أقام بها فأطال المقام حتى انقضى الشتاء و هو مقيم، فضجر العسكر و نفدت نفقاتهم، و صار العود إلى بيوتهم مع الهزيمة أحبّ إليهم من الظفر لما يتوقّعونه، إن ظفروا، من طول المقام بالشام بعد هذه المدّة.

ثمّ سار إلى حلب، فنزل إليه سعد الدين كمشتكين الخادم، مدبّر دولة الملك الصالح، و معه عساكر حلب، و كان صلاح الدين فى قلّة من العساكر لأنّه كان صالح الفرنج فى المحرّم من هذه السنة، على ما نذكره إن شاء اللَّه،

---

[١] عساكر.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٤٢٨

و قد سيّر عساكره [١] إلى مصر، فأرسل يستدعيها، فلو عاجلوه [٢] لبلغوا غرضهم منه، لكنّهم تريّثوا و تأخّروا عنه، فجاءته عساكره، فسار من دمشق إلى ناحية حلب ليلقى سيف الدين، فالتقى العسكران بتلّ السلطان، و كان سيف الدين قد سبقه، فلمّا وصل صلاح [الدين] كان وصوله العصر، و قد تعب هو و أصحابه و عطشوا، فألقوا نفوسهم إلى الأرض ليس فيهم حركة، فأشار على سيف الدين جماعة بقتالهم و هم على هذا الحال، فقال زلفندار: ما بنا هذه الحاجة إلى قتال هذا الخارجىّ فى هذه الساعة، غدا بكرة نأخذهم كلّهم، فترك القتال إلى الغد.

فلمّا أصبحوا اصطفّوا للقتال، فجعل زلفندار، و هو المدبّر للعسكر السيفىّ، أعلامهم فى وهدة من الأرض، لا يراها إلّا من هو بالقرب منها، فلمّا لم يرها النّاس ظنّوا أنّ السلطان قد انهزم، فلم يثبتوا و انهزموا، و لم يلو أخ على أخيه، و لم يقتل بين الفريقين مع كثرتهم غير رجل واحد، و وصل سيف الدين إلى حلب، و ترك بها أخاه عزّ الدين مسعودا فى جمع من العسكر، و لم يقم هو، و عبر الفرات، و سار إلى الموصل، و هو لا يصدّق أنّه ينجو.

و ظنّ أنّ صلاح الدين يعبر الفرات و يقصده بالموصل، فاستشار وزيره جلال الدين و مجاهد الدين قايماز، فى مفارقة الموصل و الاعتصام بقلعة عقر الحميديّة، فقال له مجاهد الدين: أ رأيت إن ملكت الموصل عليك، أ تقدر أن تمتنع ببعض أبراج الفصيل؟ فقال: لا- فقال: برج فى الفصيل خير من العقر، و ما زال الملوك ينهزمون و يعاودون الحرب، و اتّفق هو و الوزير على شدّ أزره، و تقوية قلبه، فثبت ثمّ أعرض عن زلفندار و عزله و استعمل مكانه على إمارة الجيوش مجاهد الدين قايماز، على ما نذكره إن شاء اللَّه.

---

[١] عساكر.

[٢] عالجوه.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٤٢٩

و قد ذكر العماد الكاتب فى كتاب البرق الشامىّ فى تاريخ الدولة الصلاحيّة أنّ سيف الدين كان عسكره فى هذه الوقعة عشرين ألف

فارس، و لم يكن كذلك، إنّما كان على التحقيق يزيد على ستّة آلاف فارس أقلّ من خمسمائة، فإنّنى وقفت على جريدة العرض، و ترتيب العسكر للمصافّ ميمنة و ميسرة و قلبا، و جاليشية، و غير ذلك، و كان المتولّى لذلك و الكاتب له أخى مجد الدين أبا السعادات المبارك بن محمّد بن عبد الكريم، رحمه اللّه، و إنّما قصد العماد أن يعظم أمر صاحبه بأنّه هزم بستّة آلاف عشرين ألفا، و الحقّ أحقّ أن يتّبع، ثمّ يا ليت شعرى كم هى الموصل و أعمالها إلى الفرات حتى يكون لها و فيها عشرون [١] ألف فارس؟

ذكر ما ملكه صلاح الدين بعد الكسرة من بلاد الصالح بن نور الدين

لمّا انهزم سيف الدين و عسكره و وصلوا إلى حلب عاد سيف الدين إلى الموصل كما ذكرناه، و ترك بحلب أخاه عزّ الدين مسعودا فى طائفة من العسكر نجدة للملك الصالح، و أمّا صلاح الدين فإنّه لمّا استولى على أثقال العسكر الموصلىّ هو و عسكره، و غنموها و اتّسعوا بها و قووا، سار إلى بزاعة فحصرها، و قاتله من بالقلعة، ثمّ تسلّمها و جعل فيها من يحفظها، و سار إلى مدينة منبج فحصرها آخر شوّال، و بها صاحبها قطب الدين ينّال بن حسّان المنجىّ، و كان شديد العداوة لصلاح الدين و التحريض عليه، و الإطماع فيه، و الطعن فيه، فصلاح الدين حنق عليه متهدّد له، فأمّا المدينة فملكها، و لم تمتنع عليه، و بقى القلعة و بها صاحبها قد جمع إليها الرجال و السلاح و الذخائر،

---

[١] عشرين.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٤٣٠

فحصره صلاح الدين و ضيّق عليه و زحف إلى القلعة، فوصل النقّابون إلى السور فنقبوها و ملكوها عنوة، و غنم العسكر الصلاحىّ كلّ ما فيها، و أخذ صاحبها ينّال أسيرا، فأخذ صلاح الدين كلّ ماله و أصبح فقيرا لا يملك نقيرا، ثمّ أطلقه صلاح الدين فسار إلى الموصل، فأقطعه سيف الدين غازى مدينة الرّقّة.

و لمّا فرغ صلاح [الدين] من منبج سار إلى قلعة إعزاز فنازلها ثالث ذى القعدة من السنة، و هى من أحصن القلاع و أمنعها، فنازلها و حصرها، و أحاط بها و ضيّق على من فيها و نصب عليها المجانيق، و قتل عليها كثير من العسكر، فبينما صلاح الدين يوما فى خيمة لبعض أمرائه يقال له جاولى، و هو مقدّم الطائفة الأسديّة، إذ وثب عليه باطنىّ فضربه بسكّين فى رأسه فجرحه، فلو لا أنّ المغفر الزرد كان تحت القلنسوة لقتله، فأمسك صلاح الدين يد الباطنىّ بيده، إلّا أنّه لا يقدر على منعه من الضرب بالكلّيّة، إنّما يضرب ضربا ضعيفا، فبقى الباطنىّ يضربه فى رقبته بالسكّين، و كان عليه كزاغند فكانت الضربات تقع فى زيق الكزاغند فتقطعه، و الزرد يمنعها من الوصول إلى رقبته لبعد أجله، فجاء أمير من أمرائه اسمه يازكش «١»، فأمسك السكّين بكفّه، فجرحه الباطنىّ، و لم يطلقها من يده إلى أن قتل الباطنىّ، و جاء آخر من الإسماعيليّة فقتل أيضا، و ثالث فقتل، و ركب صلاح الدين إلى خيمته كالمذعور لا يصدّق بنجاته، ثمّ اعتبر جنده، فمن أنكره أبعده، و من عرفه أقرّه على خدمته، و لازم حصار إعزاز ثمانية و ثلاثين يوما، كلّ يوم أشدّ قتالا ممّا قبله، و كثرت النقوب فيها، فأذعن من بها، و سلّموا القلعة إليه، فتسلّمها حادى عشر ذى الحجّة.

---

(١). اسمه يارلج.A. mo

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٤٣١

ذكر حصر صلاح الدين مدينة حلب و الصلح عليها

لمّا ملك صلاح الدين قلعة إعزاز رحل إلى حلب فنازلها منتصف ذى الحجّة و حصرها، و بها الملك الصالح و من معه من العساكر،

و قد قام العامّة فى حفظ البلد القيام المرضى، بحيث أنّهم منعوا صلاح الدين من القرب من البلد، لأنّه كان إذا تقدّم للقتال خسر هو و أصحابه، و كثر الجراح فيهم و القتل، و كانوا يخرجون و يقاتلونه ظاهر البلد، فترك القتال و أخلد للمطاولة.

و انقضت سنة إحدى و سبعين و دخلت سنة اثنتين و سبعين، و هو محاصر لها، ثمّ تردّدت الرسل بينهم فى الصلح فى العشرين من المحرّم، فوقعت الإجابة إليه من الجانبين، لأنّ أهل حلب خافوا من طول الحصار، فإنّهم ربّما ضعفوا «۱»، و صلاح الدين رأى أنّه لا يقدر على الدنوّ من البلد، و لا على قتال من به، فأجاب أيضا، و تقرّرت القاعدة فى الصلح للجميع، للملك الصالح، و لسيف الدين صاحب الموصل، و لصاحب الحصن، و لصاحب ماردين، و تحالفوا و استقرّت القاعدة أن يكونوا كلّهم و عونا على الناكث الغادر.

فلمّا انفصل الأمر و تمّ الصّلح رحل صلاح الدّين عن حلب بعد أن أعاد قلعة إعزاز إلى الملك الصالح، فإنّه أخرج [إلى] صلاح الدين أختا له صغيرة طفلة، فأكرمها صلاح الدين و حمل لها شيئا كثيرا، و قال لها: ما تريدين؟ قالت:

أريد قلعة إعزاز، و كانوا قد علّموها ذلك، فسلّمها إليهم، و رحل إلى بلد الإسماعيليّة.

---

(۱). ربما ضعفوا و عجزوا.B

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۳۲

ذكر الفتنة بمكّة و عزل أميرها و إقامة غيره

فى هذه السنة، فى ذى الحجّة، كان بمكّة حرب شديدة بين أمير الحاجّ طاشتكين و بين الأمير مكثر أمير مكّة، و كان الخليفة قد أمر أمير الحاجّ بعزل مكثر و إقامة أخيه داود مقامه.

و سبب ذلك أنّه كان قد بنى قلعة على جبل أبى قبيس، فلمّا سار الحاجّ عن عرفات لم يبيتوا بالمزدلفة، و إنّما اجتازوا بها، فلم يرموا الجمار، إنّما بعضهم رمى بعضها و هو سائر، و نزلوا الأبطح فخرج إليهم ناس من أهل مكّة فحاربوهم، و قتل من الفريقين [۱] جماعة، و صاح النّاس: الغزاة إلى مكّة، فهجموا عليها، فهرب أمير مكّة مكثر، فصعد إلى القلعة التى بناها على جبل أبى قبيس فحصروه بها، ففارقها و سار عن مكّة، و ولى أخوه داود الإمارة، و نهب كثير [۲] من الحاجّ مكّة و أخذوا من أموال التجّار المقيمين بها شيئا كثيرا، و أحرقوا دورا كثيرة.

و من أعجب ما جرى فيها أنّ إنسانا زرّاقا ضرب دارا بقارورة نفط فأحرقها، و كانت لأيتام، فأحرقت ما فيها، ثمّ أخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكانا آخر، فأتاه حجر فأصاب القارورة فكسرها، فاحترق هو بها، فبقى ثلاثة أيّام يعذّب بالحريق «۱» ثمّ مات.

---

[۱] الفارقين.

[۲] كثيرا.

---

(۱). بالخل يق:C. P. spU

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۳۳

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى شهر رمضان، انكسفت الشمس جميعها، و أظلمت الأرض حتى بقى الوقت كأنّه ليل مظلم، و ظهرت الكواكب، و كان ذلك ضحوة النهار يوم الجمعة التاسع و العشرين منه، و كنت حينئذ صبيّا بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلماء أقرأ عليه

الحساب، فلمّا رأيت ذلك خفت خوفا شديدا، و تمسّكت به، فقوّى قلبى، و كان عالما بالنجوم أيضا، و قال لى: الآن ترى هذا جميعه، فانصرف سريعا.

و فيها ولّى الخليفة المستضىء بأمر اللَّه حجابة [۱] الباب أبا طالب نصر بن علىّ النّاقد، و كان يلقّب فى صغره قنبرا، فصاروا [۲] يصيحون به ذلك إذا خرج، فأمر الخليفة أن يركب معه جماعة من الأتراك و يمنعوا [۳] النّاس من ذلك، فامتنعوا، فلمّا كان قبل العيد خلع عليه ليركب فى الموكب، فاشترى جماعة من أهل بغداد من القنابر شيئا كثيرا، و عزموا على إرسالها فى الموكب إذا رأوا ابن الناقد، فأنهى ذلك إلى الخليفة، و قيل له يصير الموكب ضحكة، فعزله و ولّى ابن المعوّج.

و فيها، فى ذى الحجّة، يوم العيد، وقعت فتنة ببغداد بين العامّة و بعض الأتراك بسبب أخذ جمال النّحر، فقتل بينهم جماعة و نهب شىء كثير من الأموال، ففرّق الخليفة أموالا جليلة فيمن نهب ماله.

و فيها زلزلت بلاد العجم من حدّ العراق إلى ما وراء الرّىّ، و هلك فيها خلق كثير، و تهدّمت دور كثيرة، و أكثر ذلك كان بالرّىّ و قزوين.

---

[۱] حجبة.

[۲] فصار.

[۳] و يمنعون.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۳۴

و فيها، فى ربيع الآخر، استوزر سيف الدين غازى، صاحب الموصل، جلال الدين أبا الحسن علىّ بن جمال الدين محمّد بن علىّ، و كان أبوه جمال الدين وزير البيت الأتابكىّ، و قد تقدّمت أخباره، و هو المشهور بالجود و الإفضال، و لمّا ولى جلال الدين الوزارة ظهرت منه كفاية عظيمة، و معرفة تامّة بقوانين الوزارة، و له مكاتبات و عهود حسنة مدوّنة مشهورة، و كان جوادا فاضلا خيّرا، عمره، لمّا ولى الوزارة، خمس و عشرون [۱] سنة.

و فيها، فى ذى الحجّة، استناب سيف الدين أيضا عنه بقلعة الموصل مجاهد الدين قايماز، و فوّض إليه الأمور، و كان قبل ذلك [فوّض] إليه الأمر بمدينة إربل و أعمالها، و كان، رحمه اللَّه، من صالحى الأمراء و أرباب المعروف، بنى كثيرا من الجوامع و الخانات فى الطرق، و القناطر على الأنهار و الرّبط و غير ذلك من أبواب البرّ، و كان دائم الصدقة، كثير الإحسان، عادل السيرة، رحمه اللَّه.

و فيها قبض الخليفة على عماد الدّين صندل المقتفوىّ، أستاذ الدار، و رتّب مكانه أبا الفضل هبة اللَّه بن علىّ بن هبة اللَّه بن الصاحب و فيها، فى رمضان، قدم شمس الدولة توران شاه بن أيّوب الّذى ملك اليمن إلى دمشق لمّا سمع أنّ أخاه صلاح الدين ملكها، حنّ إلى الوطن و الأتراب، ففارق اليمن و سار إلى الشام، و أرسل من الطريق إلى أخيه يعلمه بوصوله، و كتب فى الكتاب شعرا من قول ابن المنجّم المصرى:

و إلى صلاح الدّين أشكو أنّنىمن بعده مضنى الجوانح مولع

جزعا لبعد الدّار منه و لم أكنلو لا هواه لبعد دار أجزع

فلأركبنّ إليه متن عزائمىو يخبّ بى ركب الغرام و يوسع

---

[۱] خمسا و عشرين.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۳۵ و لأقطعنّ من النّهار هواجراقلب النّهار بحرّها يتقطّع

و لأسرين اللّيل لا يسرى بهطيف الخيال و لا البروق اللّمع

و أقدّمنّ إليه قلبى مخبراأنّى بجسمى من قريب أتبع

حتّى أشاهد منه أسعد طلعةمن أفقها صبح السّعادة يطلع و فى هذه السنة، فى المحرّم، برز صلاح الدين من دمشق، و قد عظم شأنه بما ملكه من بلاد الشام، و بكسره عسكر الموصل، فخافه الفرنج و غيرهم، و عزم على دخول بلدهم و نهبه و الإغارة عليه، فأرسلوا إليه يطلبون الهدنة معه، فأجابهم إليها و صالحهم، فأمر العساكر المصريّة بالعود إلى مصر و الاستراحة إلى أن يعاود طلبهم، و شرط عليهم أنّه متى أرسل يستدعيهم لا يتأخّرون، فساروا إليها و أقاموا بها إلى أن استدعاهم للحرب مع سيف الدين على ما نذكره.

و فيها مات أبو الحسن علىّ بن عساكر البطائحىّ المقرئ، و كان قد سمع الحديث الكثير و رواه، و كان نحويّا جيّدا.

و فى ذى الحجّة منها توفّى أبو سعد محمّد بن سعيد بن محمّد بن الرزّاز، سمع الحديث و رواه، و له شعر جيّد، فمن ذلك أنّه كتب إليه بعض أصدقائه مكاتبة و ضمّنها شعرا، فأجابه:

يا من أياديه تغنى من يعدّدهاو ليس يحصى مداها من لها يصف

عجزت عن شكر ما أوليت من كرمو صرت عبدا ولى فى ذلك الشّرف

أهديت منظوم شعر كلّه دررفكلّ ناظم عقد دونه يقف

إذا أتيت بيت منه كان لناقصرا و درّ المعانى فوقه شرف

و إن أتيت أنا بيتا يناقضهأتيت لكن ببيت سقفه يكف

ما كنت منه و لا من أهله أبداو إنّما حين أدنو منه أقتطف و قيل كانت وفاته سنة اثنتين و سبعين و خمسمائة و هو الصّحيح.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۴۳۶

۵۷۲ ثم دخلت سنة اثنتين و سبعين و خمسمائة

ذكر نهب صلاح الدين بلد الإسماعيليّة

لمّا رحل صلاح الدين من حلب، على ما ذكرناه قبل، قصد بلاد الإسماعيليّة فى المحرّم ليقاتلهم بما فعلوه به من الوثوب عليه و إرادة قتله، فنهب بلدهم و خرّبه و أحرقه، و حصر قلعة مصياب [١]، و هى أعظم حصونهم، و أحصن قلاعهم، فنصب عليها المجانيق، و ضيّق على من بها، و لم يزل كذلك، فأرسل سنان مقدّم الإسماعيليّة إلى شهاب الدين الحارمىّ، صاحب حماة و هو خال صلاح الدين، يسأله أن يدخل بينهم و يصلح الحال و يشفع فيهم، و يقول له: إن لم تفعل قتلناك و جميع أهل صلاح الدين و أمرائه، فحضر شهاب عند صلاح الدّين و شفع فيهم و سأل الصفح عنهم، فأجابه إلى ذلك، و صالحهم، و رحل عنهم.

و كان عسكره قد ملّوا من طول البيكار، و قد امتلأت أيديهم من غنائم عسكر الموصل، و نهب بلد الإسماعيليّة، فطلبوا العود إلى بلادهم للاستراحة، فأذن لهم، و سار هو إلى مصر مع عسكرها، لأنّه كان قد طال عهده عنها، و لم يمكنه المضى إليها فيما تقدّم خوفا على بلاد الشام، فلمّا انهزم سيف الدين، و حصر هو حلب، و ملك بلادها، و اصطلحوا، أمن على البلاد، فسار إلى مصر، فلمّا وصل إليها أمر ببناء سور على مصر فى الشّعارى و الغياض و القاهرة

---

[١] مصياث.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۴۳۷

و القلعة التى على جبل المقطّم، دوره تسعة و عشرون ألف ذراع و ثلاثمائة ذراع بالذراع الهاشمىّ، و لم يزل العمل فيه إلى أن مات صلاح الدين.

ذكر ظفر للمسلمين بالفرنج و للفرنج بالمسلمين

كان شمس الدين محمّد بن عبد الملك بن المقدّم صاحب بعلبكّ، فأتاه خبر أنّ جمعا من الفرنج قد قصدوا البقاع من أعمال بعلبكّ، و أغاروا عليها، فسار إليهم، و كمن لهم فى الشّعارى و الغياض، و أوقع بهم، و قتل فيهم و أكثر، و أسر نحو مائتى رجل منهم و سيّرهم إلى صلاح الدين.

و كان شمس الدولة توران شاه أخو صلاح الدين، و هو الّذى ملك اليمن، قد وصل إلى دمشق، كما ذكرناه، و هو فيها، فسمع أنّ طائفة من الفرنج قد خرجوا من بلادهم إلى أعمال دمشق، فسار إليهم و لقيهم [عند عين الجرّ فى تلك المروج، فلم يثبت لهم، و انهزم عنهم، فظفروا] «۱» بجمع من أصحابه، فأسروهم «۲»، منهم سيف الدين أبو بكر بن السلار، و هو من أعيان الجند الدمشقيّين، و اجترأ الفرنج بعدها، و انبسطوا فى تلك الولاية، و جبروا الكسر الّذى ناله منهم ابن المقدّم.

ذكر عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين و عوده إلى طاعته

فى هذه السنة عصى شهاب الدين محمّد بن بزان، صاحب شهرزور، على سيف الدين غازى و كان فى طاعته و تحت حكمه.

---

(۱) te .P .C

(۲). أسروهم:spU. ۰۴vte .P .C

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۳۸

و كان سبب ذلك أنّ مجاهد الدين قايماز كان متولّيا مدينة إربل، و كان بينه و بين ابن بزان عداوة محكمة، فلمّا استناب سيف الدين مجاهد الدين بالموصل خاف ابن بزان أن يناله منه أذى، فأظهر الامتناع من النزول إلى الخدمة، فأرسل إليه جلال الدين وزير سيف الدين كتابا يأمره بمعاودة الطاعة، و يحذّره عاقبة المخالفة، و هو من أحسن الكتب و أبلغها فى هذا المعنى، و لو لا خوف التطويل لذكرته، فيطلب من مكاتباته، فلمّا وصل إليه الكتاب و الرسول بادر إلى حضور الخدمة بالموصل و زال الخلف.

ذكر فرج بعد شدّة يتعلّق بالتأريخ

بالقرب من جزيرة ابن عمر حصن منيع من أمنع المعاقل اسمه فنك، و هو على رأس جبل عال، و هو للأكراد البشنوية، له بأيديهم نحو ثلاثمائة سنة، و كان صاحبه هذه السنة أمير منهم اسمه إبراهيم، و له أخ اسمه عيسى، قد خرج منه، و هو لا يزال يسعى فى أخذه من أخيه إبراهيم. فأطاعه بعض بطانة إبراهيم، و فتح باب السرّ ليلا، و أصعد منه إلى رأس القلعة نيّفا و عشرين رجلا من أصحاب عيسى، فقبضوا على إبراهيم و من عنده، و لم يكن عنده إلّا نفر من خواصّه، و هذه قلّة على صخرة كبيرة مرتفعة عن سائر القلعة ارتفاعا [۱] كثيرا، و بها يسكن الأمير و أهله و خواصّه، و باقى الجند فى القلعة تحت القلّة، فلمّا قبضوا إبراهيم جعلوه فى خزانة، و ضربه بعضهم بسيف فى يده على عاتقه، فلم يصنع شيئا، فلمّا جعل فى الخزانة وكّل به رجلان [۲]، و صعد الباقون إلى سطح القلّة، و لا يشكّون أنّ القلعة لهم لا مانع عنها.

---

[۱]- ارتفاما.

[۲]- رجلين.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۳۹

و وصل من الغد بكرة الأمير عيسى ليتسلّم القلعة، و بينهما دجلة، و كانت امرأة الأمير إبراهيم فى خزانة أخرى، و فيها شبّاك حديد ثقيل يشرف على القلعة، فجذبته بيدها فانقلع، و جند زوجها فى القلعة لا يقدرون على شىء، فلمّا قلعت الشّبّاك أرادت أن تدلى حبلا ترفع به الرجال إليها، فلم يكن عندها غير ثياب خام، فوصّلت بعضها ببعض و دلّتها إلى القلعة، و شدّت [١] طرفيها عندها فى عود فأصعدت إليها عشرة رجال، و لم يكن يراهم الذين على السطح.

و رأى الأمير عيسى، و هو على جانب دجلة، الرجال يصعدون، فصاح هو و من معه إلى أولئك الذين على السطح ليحذروا، و كانوا كلّما صالحوا صاح أهل القلعة لتختلف الأصوات فلا يفهم الذين على السطح، فينزلون و يمنعون من ذلك، فلمّا اجتمع عندها عشرة رجال أرسلت مع خادم عندها إلى زوجها قدح شراب و أمرته أن يقرب منه كأنّه يسقيه الشراب و يعرّفه الحال، ففعل ذلك، و جلس بين يديه ليسقيه، و عرّفه الحال، فقال: ازدادوا من الرجال، فأصعدت عشرين رجلا، و خرجوا من عندها، فمدّ إبراهيم يده إلى الرجلين الموكّلين به، فأخذ شعورهما، و أمر الخادم بقتلهما، و كان عنده، فقتلهما بسلاحهما، فخرج و اجتمع بأصحابه و أرادوا فتح القلعة ليصعد إليه أصحابه من القلعة، فلم يجد المفاتيح، و كانت مع أولئك الرجال الذين على السطح، فاضطرّوا إلى الصعود إلى سطح القلّة ليأخذوا أصحاب عيسى، فعلموا الحال، فجاءوا و وقفوا على رأس الممرق فلم يقدر أحد [أن] يصعد، فأخذ بعض أصحاب إبراهيم ترسا و جعله على رأسه، و حصل فى الدرجة، و صعد و قاتل القوم على رأس الممرق، حتى صعد أصحابه فقتلوا الجماعة و بقى منهم رجل ألقى نفسه من السطح، فنزل إلى أسفل الجبل فتقطّع.

---

[١]- و شدّدت.

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ۴۴۰

فلمّا رأى عيسى ما حلّ بأصحابه عاد خائبا ممّا أمله، و استقرّ الأمير إبراهيم فى قلعته على حاله.

ذكر نهب البندنيجين

فى هذه السنة وصل الملك الّذى بخوزستان عند شملة، و هو ابن ملك شاه ابن محمود، إلى البندنيجين، فخرّبها و نهبها و فتك فى النّاس، و سبى حريمهم، و فعل كلّ قبيح.

و وصل الخبر إلى بغداد فخرج الوزير عضد الدين و عرض العسكر، و وصل عسكر الحلّة و واسط مع طاشتكين أمير الحاجّ و غرغلى «١»، و ساروا نحو العدوّ، فلمّا سمع بوصولهم فارق مكانه و عاد، و كان معه من التركمان جمع كثير، فنهبهم عسكر بغداد، و رجعوا من غير أمر بالعود، فأنكر عليهم ذلك، و أمروا بالعود إلى مواقفهم، فعادوا لأوائل شهر رمضان، و قد رجع الملك فنهب من البندنيجين ما كان سلم من النّهب الأوّل، و وقعت بينهم و بين الملك وقعة، ثمّ افترقوا، فمضى الملك و فارق ولاية العراق و عاد عسكر بغداد.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى جمادى الأولى، أقيمت الجمعة فى الجامع الّذى بناه فخر الدولة بن المطّلب بقصر المأمون غربىّ بغداد.

و فيها أمر صلاح الدين ببناء المدرسة التى على قبر الشافعىّ، رضى اللّه عنه،

---

(١) غراغلى.P .C

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ۴۴۱

بمصر، و عمل بالقاهرة بيمارستان، و وقف عليهما الوقوف العظيمة الكبيرة.

و فيها رأيت بالموصل خروفين ببطن واحد و رأسين و رقبتين و ظهرين و ثمانى قوائم كأنّهما خروفان ببطن واحد، وجه أحدهما إلى وجه الآخر، و هذا من العجائب.

و فيها انقضّ كوكب أضاءت له الأرض إضاءة كثيرة، و سمع له صوت عظيم و بقى أثره فى السماء مقدار ساعة و ذهب.

و فيها توفّى تاج الدين أبو علىّ الحسن بن عبد اللَّه بن المظفّر بن رئيس الرؤساء أخو الوزير عضد الدين وزير الخليفة.

و فيها، فى المحرّم، توفّى القاضى كمال الدين أبو الفضل محمّد بن عبد اللَّه ابن القاسم الشهرزورىّ، قاضى دمشق و جميع الشام، و إليه الوقوف بها و الديوان، و كان جوادا فاضلا رئيسا ذا عقل و معرفة فى تدبير الدول، رحمه اللَّه و رضى عنه.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۴۲

۵۷۳ ثم دخلت سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة

ذكر انهزام صلاح الدين بالرملة

فى هذه السنة، أواخر جمادى الأولى، سار صلاح الدين يوسف بن أيّوب من مصر إلى ساحل الشام لقصد غزاة بلاد الفرنج، و جمع معه عساكر كثيرة و جنودا غزيرة، فلم يزالوا يجدّون السير حتى وصلوا إلى عسقلان فى الرابع و العشرين منه، فنهبوا و أسروا و قتلوا و أحرقوا و تفرّقوا فى تلك الأعمال مغيرين.

فلمّا رأوا أنّ الفرنج لم يظهر لهم عسكر و لا اجتمع لهم من يحمى البلاد من المسلمين، طمعوا، و انبسطوا، و ساروا فى الأرض آمنين مطمئنين، و وصل صلاح الدين إلى الرملة، عازما على أن يقصد بعض حصونهم ليحصره، فوصل إلى نهر، فازدحم النّاس للعبور، فلم يرعهم إلّا و الفرنج قد أشرفت عليهم باطلابها و أبطالها، و كان مع صلاح الدين بعض العسكر، لأنّ أكثرهم تفرّقوا فى طلب الغنيمة، فلمّا رآهم وقف لهم فيمن معه، و تقدّم بين يديه تقىّ الدّين عمر بن محمّد ابن أخى صلاح الدين، فباشر القتال بنفسه بين يدى عمّه، فقتل من أصحابه جماعة، و كذلك من الفرنج، و كان لتقى الدين ولد اسمه أحمد، و هو من أحسن الشباب أوّل ما تكاملت لحيته، فأمره [۱] أبوه بالحملة عليهم، فحمل عليهم و قاتلهم و عاد سالما قد أثّر فيهم أثرا كثيرا، فأمره بالعودة إليهم ثانية، فحمل عليهم فقتل شهيدا، و مضى حميدا، رحمه اللَّه و رضى عنه.

---

[۱]- فأمر.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۴۳

و كان أشدّ النّاس قتالا ذلك اليوم الفقيه عيسى، رحمه اللَّه، و تمّت الهزيمة على المسلمين، و حمل بعض الفرنج على صلاح الدين فقاربه حتى كاد يصل إليه، فقتل الفرنجىّ بين يديه، و تكاثر الفرنج عليه، فمضى منهزما، يسير قليلا و يقف ليلحقه العسكر إلى أن دخل اللّيل، فسلك البريّة إلى أن مضى فى نفر يسير إلى مصر، و لقوا فى طريقهم مشقّة شديدة و قلّ عليهم القوت و الماء، و هلك كثير من دوابّ العسكر جوعا و عطشا و سرعة سير.

و أمّا العسكر الّذى كانوا دخلوا بلاد الفرنج فى الغارة، فإنّ أكثرهم ذهب ما بين قتيل و أسير. و كان من جملة من أسر الفقيه عيسى الهكّارىّ، و هو من أعيان الأسديّة، و كان جمع العلم و الدين و الشجاعة، و أسر أيضا أخوه الظهير، و كانا قد سارا منهزمين فضلّا الطريق، فأخذا و معهما جماعة من أصحابهما، و بقوا سنين فى الأسر، فافتدى صلاح الدين الفقيه عيسى بستّين ألف دينار و جماعة كثيرة من الأسرى.

و وصل صلاح الدين إلى القاهرة نصف جمادى الآخرة، و رأيت كتابا كتبه صلاح الدين بخطّ يده إلى أخيه شمس الدولة توران شاه

و هو بدمشق، يذكر الوقعة، و فى أوّله:

ذكرتك و الخطىّ يخطر بيننا و قد نهلت منّا المثقّفة السّمر و يقول فيه: لقد أشرفنا على الهلاك غير مرّة، و ما أنجانا اللَّه سبحانه منه إلّا لأمر يريده سبحانه:

و ما ثبتت إلّا و فى نفسها أمر

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۴۴

ذكر حصر الفرنج مدينة حماة

فى هذه السنة، فى جمادى الأولى، حصر الفرنج أيضا مدينة حماة.

و سبب ذلك أنّه وصل من البحر إلى الساحل الشامىّ كند كبير من الفرنج من أكبر طواغيتهم، فرأى صلاح الدين بمصر قد عاد منهزما، فاغتنم خلوّ البلاد، لأنّ شمس الدولة بن أيّوب كان بدمشق ينوب عن صلاح الدين، و ليس عنده كثير من العسكر، و كان أيضا كثير الانهماك فى اللّذات مائلا إلى الراحات، فجمع ذلك الكند الفرنجىّ من بالشام من الفرنج، و فرّق فيهم الأموال، و سار إلى مدينة حماة فحصرها و بها صاحبها شهاب الدين محمود الحارمىّ، خال صلاح الدين، و هو مريض شديد المرض، و كان طائفة من العسكر الصلاحىّ بالقرب منها، فدخلوا إليها و أعانوا من بها.

و قاتل الفرنج على البلد قتالا شديدا و هجموا بعض الأيّام على طرف منه، و كادوا يملكون البلد قهرا و قسرا، فاجتمع أهل البلد مع العسكر إلى تلك الناحية و اشتدّ القتال، و عظم الخطب على الفريقين، و استقلّ المسلمون و حاموا عن الأنفس و الأهل و المال، فأخرجوا الفرنج من البلد إلى ظاهره، و دام القتال ظاهر البلد ليلا و نهارا، و قويت نفوس المسلمين حين أخرجوهم من البلد، و طمعوا فيهم، و أكثروا فيهم القتل، فرحل الفرنج حينئذ خائبين، و كفى اللَّه المسلمين شرّهم، فساروا إلى حارم فحصروها، و كان مقامهم على حماة أربعة أيّام، و لمّا رحل الفرنج عن حماة مات صاحبها شهاب الدين الحارمىّ، و كان له ابن من أحسن الشّباب مات قبله بثلاثة أيّام.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۴۵

ذكر قتل كمشتكين و حصر الفرنج حارم

فى هذه السنة قبض الملك الصالح بن نور الدين على سعد الدين كمشتكين، و كان المتولّى لأمر دولته و الحاكم فيها، و سبب قبضه أنّه كان بحلب إنسان من أعيان أهلها، يقال له أبو صالح بن العجمىّ، و كان مقدّما عند نور الدين محمود، فلمّا مات نور الدين تقدّم أيضا فى دولة ولده الملك الصالح، و صار بمنزلة الوزير الكبير المتمكّن لكثرة أتباعه بحلب و لأنّ كلّ من كان يحسد كمشتكين انضمّ إلى صالح، و قوّوا جنانه، و كثّروا سواده، و كان عنده إقدام و جرأة فصار واحد الدولة بحلب، و من يصدر الجماعة عن رأيه و أمره.

فبينما هو فى بعض الأيّام فى الجامع وثب به الباطنيّة فقتلوه و مضى شهيدا، و تمكّن بعده سعد الدين و قوى حاله، فلمّا قتل أحال الجماعة قتله على سعد الدين، و قالوا: هو وضع الباطنيّة عليه حتى قتلوه، و ذكروا ذلك للملك الصالح، و نسبوه إلى العجز، و أنّه ليس له حكم، و أنّ سعد الدين قد تحكّم عليه و احتقره و استصغره، و قتل وزيره، و لم يزالوا به حتى قبض عليه.

و كانت قلعة حارم لسعد الدين قد أقطعه إيّاها الملك الصالح، فامتنع من بها بعد قبضه، و تحصّنوا فيها، فسيّر سعد الدين إليها تحت الاستظهار ليأمر أصحابه بتسليمها إلى الملك الصالح، فأمرهم بذلك، فامتنعوا، فعذّب كمشتكين و أصحابه يرونه و لا يرحمونه، فمات فى العذاب، و أصرّ أصحابه على الامتناع و العصيان.

فلمّا رأى الفرنج ذلك ساروا إلى حارم من حماة فى جمادى الأولى، على ما نذكره، ظنّا منهم أنّهم لا ناصر لهم، و أنّ الملك الصالح صبىّ قليل العسكر،

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۴۴۶

و صلاح الدين بمصر، فاغتنموا هذه الفرصة و نازلوها و أطالوا المقام عليها مدّة أربعة أشهر، و نصبوا عليها المجانيق و السلالم، فلم يزالوا كذلك إلى أن بذل لهم الملك الصالح مالا، و قال لهم: إنّ صلاح الدين واصل إلى الشام، و ربّما سلّم القلعة من بها إليه، فأجابوه حينئذ إلى الرحيل عنها، فلمّا رحلوا عنها سيّر إليها الملك الصالح جيشا فحصروها، و قد بلغ الجهد منهم بحصار الفرنج، و صاروا كأنّهم طلائع، و كان قد قتل من أهلها و جرح كثير، فسلّموا القلعة إلى الملك الصالح، فاستناب بها مملوكا كان لأبيه اسمه سرخك.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى المحرّم، خطب للسلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل ابن محمّد بن ملك شاه المقيم عند إيلدكز بهمذان، و كان أبوه أرسلان قد توفّى.

و فيها، سابع شوّال، هبّت ببغداد ريح عظيمة، فزلزلت الأرض، و اشتدّ الأمر على النّاس حتى ظنّوا أنّ القيامة قد قامت، فبقى ذلك ساعة ثمّ انجلت، و قد وقع كثير من الدور، و مات فيها جماعة كثيرة.

و فيها، رابع ذى القعدة، قتل عضد الدين أبو الفرج محمّد بن عبد اللّه بن هبة اللّه بن المظفّر بن رئيس الرؤساء أبى القاسم بن المسلمة وزير الخليفة، و كان قد عزم على الحجّ فعبر دجلة ليسير، و عبر معه أرباب مناصب، و هو فى موكب عظيم، و تقدّم إلى أصحابه أن لا يمنعوا عنه أحدا، فلمّا وصل إلى باب قطفتا لقيه كهل فقال: أنا مظلوم، و تقدّم ليسمع الوزير كلامه، فضربه بسكّين فى خاصرته، فصاح الوزير: قتلنى! و وقع من الدابّة، و سقطت

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۴۴٧

عمامته، فغطى رأسه بكمّه، و ضرب الباطنىّ بسيف، و عاد إلى الوزير فضربه، و أقبل حاجب الباب ابن المعوّج لينصر الوزير، فضربه الباطنىّ بسكّين و قيل بل ضربه رفيق كان للباطنىّ، ثمّ قتل الباطنىّ و رفيقه، و كان لهما رفيق ثالث، فصاح و بيده سكّين فقتل و لم يعمل شيئا، و أحرقوا ثلاثتهم و حمل الوزير إلى دار له هناك، و حمل حاجب الباب مجروحا إلى بيته، فمات هو و الوزير، و حمل الوزير فدفن عند أبيه بمقبرة الرباط عند جامع المنصور.

و كان الوزير قد رأى فى المنام أنّه معانق عثمان بن [عفّان]، و حكى عنه ولده أنّه اغتسل قبل خروجه، و قال: هذا غسل الإسلام، و أنا مقتول بلا شكّ، و كان مولده فى جمادى الأولى سنة أربع عشرة و خمسمائة، و كان أبوه أستاذ دار المقتفى لأمر اللّه، فلمّا مات ولى هو مكانه، فبقى كذلك إلى أن مات المقتفى، فأقرّه المستنجد على ذلك و رفع قدره، فلمّا ولى المستضىء استوزره، و كان حافظا للقرآن، سمع الحديث، و له معروف كثير، و كانت داره مجمعا للعلماء، و ختمت أعماله بالشهادة و هو على قصد الحجّ.

و فيها كانت فتنة ببغداد، و سببها أنّه حضر قوم من مسلمى المدائن إلى بغداد، فشكوا من يهودها، و قالوا: لنا مسجد نؤذن فيه و نصلّى، و هو مجاور الكنيسة، فقال لنا اليهود: قد آذيتمونا بكثرة الأذان، فقال المؤذن:

ما نبالى بذلك، فاختصموا، و كانت فتنة استظهر فيها اليهود، فجاء المسلمون يشكون منهم، فأمر ابن العطّار، و هو صاحب المخزن، بحبسهم، ثمّ أخرجوا، فقصدوا جامع القصر، و استغاثوا قبل صلاة الجمعة، فخفّف الخطيب الخطبة و الصلاة، فعادوا يستغيثون، فأتاهم جماعة من الجند و منعوهم، فلمّا رأى العامّة ما فعل بهم غضبوا نصرة للإسلام، فاستغاثوا، و قالوا أشياء قبيحة، و قلعوا طوابيق الجامع، و رجموا الجند فهربوا، ثمّ قصد [١] العامّة دكاكين

[۱]- قصدوا.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۴۸

المخلطين، لأنّ أكثرهم يهود، فنهبوها، و أراد حاجب الباب منعهم، فرجموه فهرب منهم، و انقلب البلد، و خرّبوا الكنيسة التى عند دار البساسيرى، و أحرقوا التوراة فاختفى اليهود، و أمر الخليفة أن تنقض [۱] الكنيسة التى بالمدائن و تجعل مسجدا، و نصب بالرحبة أخشاب ليصلب عليها قوم من المفسدين، فظنّها العامّة نصبت تخويفا لهم لأجل ما فعلوا، فعلّقوا عليها فى اللّيل جرذانا [۲] ميتة، و أخرج جماعة من الحبس لصوص فصلبوا عليها.

و فيها، فى شعبان، قبض سيف الدين غازى، صاحب الموصل، على وزيره جلال الدين علىّ بن جمال الدين بغير جرم و لا عجز، و لا لتقصير، بل لعجز سيف الدين، فإنّ جلال الدين كان بينه و بين مجاهد الدين قايماز مشاحنة، فقال مجاهد الدين لسيف الدين: لا بدّ من قبض الوزير، فقبض عليه كارها لذلك، ثمّ شفع فيه ابن نيسان رئيس آمد لصهر بينهما، فأخرج، و سار إلى آمد فمرض بها، و عاد إلى دنيسر، فمات سنة أربع و سبعين [و خمسمائة] و عمره سبع و عشرون سنة، و حمل إلى مدينة النبىّ، صلّى اللَّه عليه و سلّم، فدفن عند والده فى الرباط الّذى بناه بها.

و كان، رحمه اللَّه، من محاسن الدنيا، جمع كرما، و علما، و دينا، و عفّة، و حسن سيرة، و استحلفه سيف الدين أنّه لا يمضى إلى صلاح الدين لأنّه خاف أن يمضى إليه للمودّة التى كانت بين جمال الدين و بين نجم الدين أيّوب و أسد الدين شيركوه، فبلغنى أنّ صلاح الدين طلبه فلم يقصده لليمين.

و فيها اجتمع طائفة من الفرنج و قصدوا أعمال حمص فنهبوها و غنموا،

[۱]- تنقص.

[۲]- جردانا.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۴۹

و أسروا و سبوا، فسار ناصر الدين محمّد بن شير كوه، صاحب حمص، و سبقهم و وقف على طريقهم، و كمن لهم، فلمّا وصلوا إليه خرج إليهم هو و الكمين، و وضعوا السيف فيهم، فقتل أكثرهم و أسر جماعة من مقدّمتهم، و من سلم منهم لم يفلت إلّا و هو مثخن بالجراح، و استردّ منهم جميع ما غنموا فردّه على أصحابه.

و فيها، فى ربيع الآخر، توفّى صدقة بن الحسين الحدّاد، الّذى ذيّل تاريخ ابن الزغونىّ ببغداد.

و فيها، فى جمادى الأولى، توفّى محمّد بن أحمد بن عبد الجبّار الفقيه الحنفىّ المعروف بالمشطّب ببغداد.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۵۰

۵۷۴ ثم دخلت سنة أربع و سبعين و خمسمائة

ذكر قصد الفرنج مدينة حماة أيضا

فى هذه السنة، فى ربيع الأوّل، سار جمع كثير من الفرنج بالشام إلى مدينة حماة، و كثر جمعهم من الفرسان و الرجّالة طمعا فى النهب و الغارة، فشنّوا الغارة، و نهبوا، و خرّبوا القرى، و أحرقوا، و أسروا، و قتلوا، فلمّا سمع العسكر المقيم بحماة ساروا إليهم، و هم قليل، متوكّلين على اللَّه تعالى، فالتقوا و اقتتلوا، و صدق المسلمون القتال، فنصرهم اللَّه تعالى، و انهزم الفرنج، و كثر القتل و الأسر فيهم، و

استردّوا منهم ما غنموه من السواد.

و كان صلاح الدين قد عاد من مصر إلى الشام فى شوّال من السنة المتقدّمة، و هو نازل بظاهر حمص، فحملت الرءوس و الأسرى و الأسلاب إليه، فأمر بقتل الأسرى فقتلوا.

ذكر عصيان ابن المقدّم على صلاح الدين و حصر بعلبكّ و أخذ البلد منه

فى هذه السنة عصى شمس الدين محمّد بن عبد الملك المقدّم على صلاح الدين ببعلبكّ، و كانت له قد سلّمها إليه صلاح الدين لمّا فتحها جزاء له حيث

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۵۱

عليه إليه ابن المقدّم دمشق، على ما سبق ذكره، فلم تزل بيده إلى الآن، فطلب شمس الدولة بن أيّوب أخو صلاح الدين منه بعلبكّ، و ألح عليه فى طلبها لأن تربيته و منشأه كان بها، و كان يحبّها، و يختارها على غيرها من البلاد، و كان الأكبر، فلم يمكن صلاح الدين مخالفته، فأمر شمس الدين بتسليمها إلى أخيه ليعوضه عنها، فلم يجب إلى ذلك، و ذكّره العهود التى له، و ما أعتمده معه من تسليم البلاد إليه، فلم يصغ إليه و لجّ عليه فى أخذها، و سار ابن المقدّم إليها، و اعتصم بها، فتوجّه إليه صلاح الدين، و حصره بها مدّة «۱»، ثمّ رحل عنها من غير أن يأخذها، و ترك عليه عسكرا يحصره، فلمّا طال عليه الحصار أرسل إلى صلاح الدين يطلب العوض عنها ليسلّمها إليه، فعوّضه عنها و سلّمها، فأقطعها صلاح الدين أخاه شمس الدولة.

ذكر الغلاء و الوباء العامّ

فى هذه السنة انقطعت الأمطار بالكليّة فى سائر البلاد الشاميّة و الجزيرة و البلاد العراقيّة، و الديار بكريّة، و الموصل و بلاد الجبل، و خلاط، و غير ذلك، و اشتدّ الغلاء، و كان عامّا فى سائر البلاد، فبيعت غرارة الحنطة بدمشق، و هى اثنا عشر مكّوكا بالموصلىّ، بعشرين دينارا صوريّة عتقا [۱]، و كان الشعير بالموصل كلّ ثلاثة [۲] مكاكى بدينار أميرى، و فى سائر البلاد ما يناسب ذلك.

---

[۱]- عتق.

[۲]- ثلاث.

---

(۱). فلم:tidda .spU

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۵۲

و استسقى النّاس فى أقطار الأرض، فلم يسقوا، و تعذّرت الأقوات، و أكلت الناس الميتة و ما ناسبها، و دام كذلك إلى آخر سنة خمس و سبعين [و خمسمائة]، ثمّ تبعه بعد ذلك وباء شديد عامّ أيضا، كثر فيه الموت، و كان مرض النّاس شيئا واحدا، و هو السرسام، و كان النّاس لا يلحقون يدفنون الموتى، إلّا أنّ بعض البلاد كان أشدّ من البعض.

ثمّ إنّ اللَّه تعالى رحم العباد و البلاد و الدوابّ و أرسل الأمطار، و أرخص الأسعار.

و من عجيب ما رأيت أنّنى قصدت رجلا من العلماء الصالحين بالجزيرة لأسمع عليه شيئا من حديث النبىّ، عليه السلام، فى شهر رمضان سنة خمس و سبعين [و خمسمائة]، و النّاس فى أشدّ ما كانوا غلاء و قنوطا من الأمطار، و قد توسّط الربيع و لم تجىء قطرة واحدة من المطر، فبينا أنا جالس و معى جماعة ننتظر الشيخ، إذ أقبل إنسان تركمانىّ قد أثر عليه الجوع، و كأنّه قد أخرج من قبر، فبكى و شكا الجوع، فأرسلت من يشترى له خبزا، فتأخّر إحضاره لعدمه، و هو يبكى و يتمرّغ على الأرض و يشكو الجوع، فلم يبق فينا

إلّا من بكى رحمة له و للنّاس، ففى الحال تغيّمت السماء و جاءت نقط من المطر متفرّقة، فضجّ النّاس و استغاثوا، ثمّ جاء الخبز، فأكل التركمانىّ بعضه، و أخذ الباقى و مشى و اشتدّ المطر و دام المطر من تلك الساعة.

ذكر غارات الفرنج على بلاد المسلمين

فى هذه السنة، فى ذى القعدة، اجتمع الفرنج و ساروا إلى بلد دمشق مع ملكهم، فأغاروا على أعمالها فنهبوها و أسروا و قتلوا و سبوا، فأرسل

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۵۳

صلاح الدين فرخ شاه، ولد أخيه، فى جمع من العسكر إليهم، و أمره أنّه إذا قاربهم يرسل إليه يخبره على جناح طائر ليسير إليه، و تقدّم إليه أن يأمر أهل البلاد بالانتزاح من بين يدى الفرنج، فسار فرخ شاه فى عسكره يطلبهم، فلم يشعر إلّا و الفرنج قد خالطوه، فاضطرّ إلى القتال، و فاقتتلوا أشدّ قتال رآه النّاس، و ألقى فرخ شاه نفسه عليهم، و غشى الحرب و لم يكلها إلى سواه، فانهزم الفرنج و نصر المسلمون عليهم، و غشى الحرب و لم يكلها إلى سواه، فانهزم الفرنج و نصر المسلمون عليهم، و قتل من مقدّميهم جماعة و منهم هنفرى، و ما أدراك ما هنفرى؟ به كان يضرب المثل فى الشجاعة و الرأى فى الحرب، و كان بلاء صبّه اللَّه على المسلمين، فأراح اللَّه من شرّه. و قتل غيره من أضرابه، و لم يبلغ عسكر فرخ شاه ألف فارس.

و فيها أيضا أغار البرنس صاحب أنطاكية و لاذقيّة على جشير المسلمين بشيزر و أخذه، و أغار صاحب طرابلس على جمع كثير من التركمان، فاحتجف أموالهم، و كان صلاح الدين على بانياس، على ما نذكره إن شاء اللَّه، فسيّر ولد أخيه تقى الدين عمر إلى حماة و ابن عمّه ناصر الدين محمّد بن شيركوه إلى مصر، و أمرهما بحفظ البلاد، و حياطة أطرافها من العدوّ، دمّرهم اللَّه تعالى.

ذكر عدّة حوادث

ليلة النصف من ربيع الآخر انكسف القمر نحو ثلث اللّيل الأخير و غاب منكسفا [۱].

و فيها أيضا، فى التاسع و العشرين، انكسفت الشمس وقت العصر، فغربت منكسفة.

---

[۱]- مكسفا.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۵۴

و فى هذه السنة، فى شعبان، توفّى الحيص بيص الشاعر، و اسمه سعد ابن محمّد بن سعد أبو الفوارس، و كان قد سمع الحديث، و مدح الخلفاء و السلاطين و الأكابر. و شعره مشهور، فمنه قوله:

كلّما أوسعت حلمى جاهلاأوسع الفحش له فحش المقال

و إذا شاردة فهت بهاسبقت مرّ النّعامى و الشّمال

لا تلمنى «۱»فى شقائى بالعلىرغد العيش لربّات الحجال

سيف عزّ زانه رونقهفهو بالطّبع غنىّ عن صقال و فى المحرّم ماتت شهدة بنت أحمد بن عمر بن الإبرىّ الكاتبة، و سمعت الحديث من السرّاج و طرّاد و غيرهما، و عمّرت حتى قاربت مائة سنة، و سمع عليها خلق كثير الحديث لعل إسنادها.

---

(۱)- يلمنى.P .C

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۵۵

۵۷۵ ثم دخلت سنة خمس و سبعين و خمسمائة

ذكر تخريب الحصن الّذى بناه الفرنج عند مخاضة الأحزان

كان الفرنج قد بنوا حصنا منيعا يقارب بانياس، عند بيت يعقوب، عليه السلام، بمكان يعرف بمخاضة الأحزان، فلمّا سمع صلاح الدين بذلك سار من دمشق إلى بانياس، و أقام بها، و بثّ الغارات على بلاد الفرنج، ثمّ سار إلى الحصن و حصره ليخبره ثمّ يعود إليه عند اجتماع العساكر، فلمّا نازل الحصن قاتل من به من الفرنج، ثمّ عاد عنه، فلمّا دخلت سنة خمس و سبعين لم يفارق بانياس بل أقام بها و خيله تغير على بلاد العدوّ.

و أرسل جماعة من عسكره مع جالبى الميرة، فلم تشعر إلّا و الفرنج مع ملكهم قد خرجوا عليهم، فأرسلوا إلى صلاح الدين يعرّفونه الخبر [فسار] «۱» فى العساكر مجدّا [حتى] «۲» وافاهم و هم فى القتال، فقاتل الفرنج قتالا شديدا، و حملوا على المسلمين عدّة حملات كادوا يزيلونهم عن مواقفهم، ثمّ أنزل اللّه نصره على المسلمين، و هزم المشركين، و قتلت منهم مقتلة كثيرة، و نجا ملكهم فريدا و أسر منهم كثير منهم ابن بيرزان «۳» صاحب الرملة و نابلس، و هو أعظم الفرنج محلّا بعد الملك، و أسروا أيضا أخا صاحب جبيل، و صاحب طبريّة، و مقدّم الداويّة، و مقدّم الاسباتاريّة، و صاحب جينين و غيرهم

---

(۱) P .C.

(۲). فوافاهم:C. P. spU

(۳). سردان.B. ابن بيران.A

من مشاهير فرسانهم و طواغيتهم، فأمّا ابن بيرزان فإنّه فدى [۱] نفسه بمائة ألف و خمسين ألف دينار صوريّة، و إطلاق ألف أسير من المسلمين، و كان أكثر العمل فى هذا اليوم لعزّ الدين فرخ شاه ابن أخى صلاح الدين، و حكى عنه أنّه قال: ذكرت فى تلك الحال بيتى المتنبّى و هما:

فإن تكن الدّولات قسما فإنّهالمن يرد الموت الزّؤام تؤول

و من هوّن الدّنيا على النّفس ساعةو للبيض فى هام الكماة صليل فهان الموت فى عينى، فألقيت نفسى إليه، و كان ذلك سبب الظّفر، ثمّ عاد صلاح الدين إلى بانياس من موضع المعركة، و تجهّز للدخول إلى ذلك الحصن و محاصرته، فسار إليه فى ربيع الأوّل، و أحاط به، و قوّى طمعه بالهزيمة المذكورة فى فتحه، و بثّ العساكر فى بلد الفرنج للإغارة، ففعلوا ذلك، و جمعوا من الأخشاب و الزّرجون شيئا كثيرا ليجعله متارس للمجانيق، فقال له جاولى الأسدىّ، و هو مقدّم الأسديّة و أكابر الأمراء: الرأى أنّنا نجرّبهم بالزحف أوّل مرّة، و نذوق قتال من به، و ننظر الحال معهم، فإن استضعفناهم، و إلّا فنصب المجانيق ما يفوت.

فقبل رأيه، و أمر فنودى بالزحف إليه، و الجد فى «۱» قتاله، فزحفوا و اشتدّ القتال، و عظم الأمر، فصعد إنسان من العامّة بقميص خلق فى باشورة الحصن و قاتل على «۲» السور لمّا علاه و تبعه غيره من أضرابه، و لحق بهم الجند فملكوا الباشورة، فصعد الفرنج حينئذ منها إلى أسوار الحصن ليحموا نفوسهم و حصنهم إلى أن يأتيهم المدد.

---

[۱]- فدا.

---

(۱). إليه و اتخذ فى.B

(۲). و تبعه غيره من أعلى الصور و قاتل.B

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۵۷

و كان الفرنج قد جمعوا بطبريّة، فألحّ المسلمون فى قتال الحصن، خوفا من وصول الفرنج إليهم و إزاحتهم عنه، و أدركهم اللّيل، فأمر صلاح الدين بالمبيت بالباشورة إلى الغد، ففعلوا، فلمّا كان الغد أصبحوا و قد نقبوا الحصن، و عمّقوا النقب، و أشعلوا النيران فيه، و انتظروا سقوط السور، فلم يسقط لعرضه، فإنّه كان تسعة أذرع بالنّجارى، يكون الذراع ذراعا و نصفا، فانتظروه يومين فلم يسقط، فأمر صلاح الدين بإطفاء النّيار التى فى النقب، فحمل الماء و ألقى عليها فطفئت، و عاد النقّابون فنقبوا، و خرقوا السور، و ألقوا فيه النّار، فسقط يوم الخميس لستّ بقين من ربيع الأوّل، و دخل المسلمون الحصن عنوة و أسروا كلّ من فيه، و أطلقوا من كان به من أسارى المسلمين، و قتل صلاح الدين كثيرا من أسرى الفرنج، و أدخل الباقين إلى دمشق، و أقام صلاح الدين بمكانه حتى هدم الحصن، و عفّى أثره، و ألحقه بالأرض، و كان قد بذل الفرنج ستّين ألف دينار مصريّة ليهدموه بغير قتال، فلم يفعلوا ظنّا منهم أنّه إذا بقى بناؤه [۱] تمكّنوا به من كثير من بلاد الإسلام، و أمّا الفرنج فاجتمعوا بطبريّة ليحموا الحصن، فلمّا أتاهم الخبر بأخذه فتّ فى أعضادهم، فتفرّقوا إلى بلادهم، و أكثر الشعراء فيه، فمن ذلك قول صديقنا النّشو بن نفاذة «۱»، رحمة اللّه:

هلاك الفرنج أتى عاجلا و قد أن تكسير صلبانها

و لو لم يكن قد دنا حتفهالما عمّرت بيت أحزانها و قول علىّ بن محمّد الساعاتى الدمشقىّ:

---

[۱]- فرغوا بناه.

---

(۱). نفادة:C. P. spU

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۵۸ أ تسكن أوطان النّبيّين عصبةتمين [۱] لدى أيمانها «۱»و هى تحلف

نصحتكم و النّصح للدّين واجبذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

ذكر الحرب بين عسكر صلاح الدين و عسكر قلج أرسلان

فى هذه السنة كانت الحرب بين عسكر صلاح الدين يوسف بن أيّوب و مقدّمهم ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيّوب، و بين عسكر الملك قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، صاحب بلاد قونية، و أقصرا.

و سببها أنّ نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر، رحمه اللّه، كان قد أخذ قديما من قلج أرسلان حصن رعبان، و كان بيد شمس الدين بن المقدّم إلى الآن، فطمع فيه قلج أرسلان بسبب أنّ الملك الصالح بحلب بينه و بين صلاح الدين، فأرسل إليه من يحصره، فاجتمع عليه جمع كثير، يقال: كانوا عشرين ألفا، فأرسل إليهم صلاح الدين تقى الدين فى ألف فارس، فواقعهم و قاتلهم و هزمهم، و أصلح حال تلك الولاية، و عاد إلى صلاح الدين، و لم يحضر معه تخريب حصن الأحزان، فكان يفتخر و يقول: هزمت بألف مقاتل عشرين ألفا.

---

[۱]- تميز.

---

(۱). يمين أرى ايمانها:C. P. spU

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۵۹

ذكر وفاة المستضىء بأمر اللّه و خلافة الناصر لدين اللّه

فى هذه السنة، فى ثانى ذى القعدة، توفّى الإمام المستضىء بأمر اللّه أمير المؤمنين أبو محمّد الحسن بن يوسف «۱» المستنجد، رضى اللّه عنه، و أمّه أمّ ولد أرمنيّة تدعى غضّة، و كانت خلافته نحو تسع سنين و سبعة أشهر، و كان مولده سنة ستّ و ثلاثين و خمسمائة، و كان عادلا حسن السيرة فى الرعيّة، كثير البذل للأموال، غير مبالغ فى أخذ ما جرت العادة بأخذه، و كان النّاس معه فى أمن عام و إحسان شامل، و طمأنينة و سكون، لم يروا مثله، و كان حليما، قليل المعاقبة على الذنوب، محبّا للعفو و الصفح عن المذنبين، فعاش حميدا، و مات سعيدا، رضى اللّه عنه، فلقد كانت أيّامه كما قيل:

كأنّ أيّامه من حسن سيرتهمواسم الحجّ و الأعياد و الجمع و وزر له عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء إلى أن قتل فى ذى القعدة سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة، و لمّا قتل حكم فى الدولة ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطّار، و كان خيّرا، حسن السيرة، كثير العطاء، و تمكّن تمكّنا كثيرا، فلمّا مات المستضىء شرع ظهير الدين ابن العطّار فى أخذ البيعة لولده النّاصر لدين اللّه، أمير المؤمنين، فلمّا تمّت البيعة صار الحاكم فى الدولة أستاذ الدار مجد الدين أبو الفضل بن الصاحب.

و فى سابع ذى القعدة قبض على ابن العطّار ظهير الدين، و وكّل عليه فى داره، ثمّ نقل إلى التاج، و قيّد و وكّل به، و طلبت ودائعه و أمواله، و فى ليلة الأربعاء ثامن عشر ذى القعدة أخرج ميّتا على رأس حمّال سرّا، فغمز به بعض النّاس، فثار به العامّة، فألقوه على رأس الحمّال، و كشفوا

---

(۱). يوسف بن أبى نصرB

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۶۰

سوأته، و شدّوا فى ذكره حبلا و سحبوه فى البلد، و كانوا يضعون [۱] بيده مغرفة يعنى أنّها قلم و قد غمسوها فى العذرة و يقولون [۲] وقّع لنا يا مولانا، إلى غير هذا من الأفعال الشنيعة، ثمّ خلّص من أيديهم و دفن.

هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم و كفّه عن أموالهم و أعراضهم، و سيّرت الرّسل إلى الآفاق لأخذ البيعة، فسيّر صدر الدين شيخ الشيوخ إلى البهلوان، صاحب همذان و أصفهان و الرّىّ و غيرها، فامتنع من البيعة، فراجعه صدر الدين، و أغلظ له فى القول، حتى إنّه قال لعسكره فى حضرته: [ليس] لهذا عليكم طاعة ما لم يبايع أمير المؤمنين، بل يجب عليكم أن تخلعوه من الإمارة، و تقاتلوه، فاضطرّ إلى البيعة و الخطبة، و أرسل إلى رضى الدين القزوينىّ مدرّس النظاميّة إلى الموصل لأخذ البيعة، فبايع صاحبها، و خطب للخليفة النّاصر لدين اللّه أمير المؤمنين.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة هبّت ريح سوداء مظلمة بالديار الجزريّة و العراق و غيرها، و عمّت أكثر البلاد من الظهر إلى أن مضى من اللّيل ربعه، و بقيت الدنيا مظلمة يكاد الإنسان لا يبصر صاحبه، و كنت حينئذ بالموصل، فصلّينا العصر و المغرب و العشاء الآخرة على الظن و التخمين، و أقبل النّاس على التضرّع و التوبة و الاستغفار، و ظنّوا أن القيامة قد قامت، فلمّا مضى مقدار ربع اللّيل زال ذلك الظلام و العتمة التى غطّت السماء، فنظرنا فرأينا النجوم، فعلمنا مقدار ما مضى من اللّيل، لأنّ الظلام لم يزدد بدخول اللّيل، و كان كلّ

---

[۱]- يضعوا.

[۲]- و يقول.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۴۶١

من يصل من جهة من الجهات يخبر بمثل ذلك.

و فيها، فى ذى القعدة، نزل شمس الدولة أخو صلاح الدين عن بعلبكّ، و طلب عوضا عنها الإسكندريّة، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك و أقطع بعلبكّ لعز الدين فرخ شاه ابن أخيه، فسار إليها، و جمع أصحابه، و أغار على بلاد الفرنج، حتى وصل إلى قلعة صفد، و هى مطلّة على طبريّة، فسبى و أسر و غنم و خرّب و فعل فى الفرنج أفاعيل عظيمة.

و أمّا شمس الدولة فإنّه سار إلى مصر و أقام بالإسكندريّة، و إذا أراد اللّه أن يقبض رجلا بأرض جعل له إليها حاجة، فإنّه أقام بها إلى أن مات بها.

و فيها قارب الجامع الّذى بناه مجاهد الدين قايماز بظاهر الموصل من جهة باب الجسر الفراغ، و أقيمت فيه الصلوات الخمس و الجمعة، و هو من أحسن الجوامع.

و فيها توفّى أحمد بن عبد الرحمن الصوفى شيخ رباط الزّوزنى، و سمع الحديث و كان يصوم الدهر، و عبد الحقّ بن عبد الخالق بن يوسف، سمع الحديث و رواه، و هو من بيت الحديث، و القاضى عمر بن علىّ بن الخضر أبو الحسن الدمشقىّ، سمع الحديث و رواه، و ولى قضاء الحريم، و علىّ بن أحمد الزيدى، سمع الحديث الكثير، و له وقف كتب كثيرة ببغداد، و كان زاهدا، خيّرا، صالحا، و محمّد بن علىّ بن حمزة أبو علىّ الأقساسى نقيب العلويّين بالكوفة، و كان ينشد كثيرا:

ربّ قوم فى خلائقهمعرر قد صيّروا غررا

ستر المال القبيح لهمسترى إن زال ما سترا و محمّد بن محمّد بن عبد الكريم المعروف بابن سديد الدولة الأنبارى، كاتب الإنشاء بعد أبيه، و أبو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الدامغانىّ الفقيه، كان مناظرا أحسن المناظرة، كثير العبادة، و دفن عند قبر أبى حنيفة.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۴۶٢

۵٧۶ ثم دخلت سنة ست و سبعين و خمسمائة

ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل و ولاية أخيه عزّ الدين بعده

فى هذه السنة، ثالث صفر، توفّى سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى، صاحب الموصل و ديار الجزيرة، و كان مرضه السلّ، و طال به، ثمّ أدركه فى آخره سرسام، و مات.

و من عجيب ما يحكى أنّ النّاس خرجوا سنة خمس و سبعين يستسقون لانقطاع الغيث و شدّة الغلاء، و خرج سيف الدين فى موكبه، فثار به النّاس و قصدوه بالاستغاثة، و طلبوا منه أن يأمر بالمنع من بيع الخمر، فأجابهم إلى ذلك، فدخلوا البلد و قصدوا مساكن الخمّارين، و خرّبوا أبوابها، و دخلوها، و نهبوها، و أراقوا ما بها من خمور، و كسروا الظروف، و عملوا ما لا يحلّ، فاستغاث أصحاب الدور إلى نوّاب السلطان، و خصّوا بالشكوى رجلا من الصالحين يقال له أبو الفرج الدّقاق، و لم يكن له يد فى الّذى فعله العامّة من النّهب، و ما لا يجوز فعله، إنّما هو أراق الخمور، و نهى العامّة عن النهب، و ما لا يجوز فعله، إنما هو أراق الخمور، و نهى العامة عن الّذى يفعلونه، فلم يسمعوا منه، فلمّا شكا الخمّارون منه أحضر بالقلعة، و ضرب على رأسه، فسقطت عمامته، فلمّا أطلق لينزل من القلعة نزل مكشوف الرأس، فأرادوا تغطيته بعمامته، فلم يفعل، و قال: و اللّه لا غطّيت رأسى حتى ينتقم اللّه لى ممّن ظلمنى! فلم يمض غير أيّام حتى توفّى الدزدار

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۴۶٣

الّذى تولّى أذاه، ثمّ بعقبه مرض سيف الدين، و استمرّ إلى أن مات، و عمره حينئذ نحو ثلاثين سنة. و كانت ولايته عشر سنين و ثلاثة

أشهر، و كان حسن الصورة، مليح الشباب، تام القامة، أبيض اللّون، و كان عاقلا وقورا، قليل الالتفات إذا ركب و إذا جلس، عفيفا لم يذكر عنه ما ينافى العفّة.

و كان غيورا شديد الغيرة لا يدخل دوره غير الخدم الصغار، فإذا كبر أحدهم منعه، و كان لا يحبّ سفك الدماء، و لا أخذ الأموال على شحّ فيه و جبن.

و لمّا اشتدّ مرضه أراد أن يعهد بالملك لابنه معزّ الدين سنجر شاه، و كان عمره حينئذ اثنتى عشرة [۱] سنة، فخاف على الدولة من ذلك لأنّ صلاح الدين يوسف بن أيّوب كان قد تمكّن بالشام، و قوى أمره، و امتنع أخوه عزّ الدين مسعود بن مودود من الإذعان لذلك و الإجابة إليه، فأشار الأمراء الأكابر و مجاهد الدين قايماز بأن يجعل الملك بعده فى عزّ الدين أخيه، لما هو عليه من كبر السنّ و الشجاعة و العقل و قوّة النفس، و أن يعطى ابنيه بعض البلاد، و يكون مرجعهما إلى عزّ الدين عمّهما و المتولّى لأمرهما مجاهد الدين قايماز، ففعل ذلك، و جعل الملك فى أخيه، و أعطى جزيرة ابن عمر و قلاعها لولده سنجر شاه، و قلعة عقر الحميديّة لولده الصغير ناصر الدين كسك «۱».

فلمّا توفّى سيف الدين ملك بعده الموصل و البلاد أخوه عزّ الدين، و كان المدبّر للدولة مجاهد الدين، و هو الحاكم فى الجميع، و استقرّت الأمور و لم يختلف اثنان.

---

[۱] اثنى عشر.

---

(۱). ككP .C.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۶۴

ذكر مسير صلاح الدين لحرب قلج أرسلان

فى هذه السنة سار صلاح الدين يوسف بن أيّوب من الشام إلى بلاد قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، و هى ملطية و سيواس و ما بينهما، و قونية ليحاربه.

و سبب ذلك أنّ نور الدين محمّد بن قرا أرسلان بن داود، صاحب حصن كيفا و غيره من ديار بكر، كان قد تزوّج ابنة قلج أرسلان المذكور، و بقيت عنده مدّة، ثمّ إنّه أحبّ مغنيّة، فتزوّجها، و مال إليها، و حكمت فى بلاده و خزائنه، و أعرض عن ابنة قلج أرسلان، و تركها نسيا منسيّا، فبلغ أباها الخبر، فعزم على قصد نور الدين و أخذ بلاده، فأرسل نور الدين إلى صلاح الدين يستجير به و يسأله كفّ يد قلج أرسلان عنه، فأرسل صلاح الدين إلى قلج أرسلان فى المعنى، فأعاد الجواب: إنّنى كنت قد سلّمت إلى نور الدين عدّة حصون مجاورة بلاده لمّا تزوّج ابنتى، فحيث آل الأمر معه إلى ما تعلمه [۱]، فأنا أريد أن يعيد إليّ ما أخذه منى.

و تردّدت الرسل بينهما، فلم يستقرّ حال فيها، فهادن صلاح الدين الفرنج، و سار فى عساكره، و كان الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها، فتركها ذات اليسار، و سار على تلّ باشر إلى رعبان، فأتاه بها نور الدين محمّد و أقام عنده، فلمّا سمع قلج أرسلان بقربة منه أرسل إليه أكبر أمير عنده، و يقول له: إنّ هذا الرجل فعل مع ابنتى كذا، و لا بدّ من قصد بلاده، و تعريفه محلّ نفسه. فلمّا وصل الرسول، و اجتمع

---

[۱]- يعلمه.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۶۵

بصلاح الدين، و أدّى الرسالة، امتعض صلاح الدين لذلك و اغتاظ، و قال للرسول: قل لصاحبك و اللّه الّذى لا إله إلّا هو لئن لم يرجع لأسيرنّ إلى ملطية و بينى و بينها يومان، و لا أنزل عن فرسى إلّا فى البلد، ثمّ أقصد جميع بلاده و آخذها منه.

فرأى الرسول أمرا شديدا، فقام من عنده، و كان قد رأى العسكر و ما هو عليه من القوّة و التجمّل، و كثرة السلاح و الدوابّ و غير ذلك، و ليس عنده ما يقاربه، فعلم أنّه إن قصدهم أخذ بلادهم، فأرسل إليه من الغد يطلب أن يجتمع به، فأحضره فقال له: أريد أن أقول شيئا من عندى ليس رسالة عن صاحبى، و أحبّ أن تنصفنى. فقال له: قل! قال: يا مولانا ما هو قبيح بمثلك، و أنت من أعظم السلاطين و أكبرهم شأنا، أن تسمع النّاس عنك أنّك صالحت الفرنج، و تركت الغزو و مصالح المملكة، و أعرضت عن كلّ ما فيه صلاح لك و لرعيّتك و للمسلمين عامّة، و جمعت العساكر من أطراف البلاد البعيدة و القريبة، و سرت و خسرت أنت و عساكرك الأموال العظيمة لأجل قحبة مغنّية؟ ما يكون عذرك عند اللّه تعالى، ثمّ عند الخليفة و ملوك الإسلام و العالم كافّة؟ و أحسب أنّ أحدا ما يواجهك بهذا، أما يعلمون «۱» أن الأمر هكذا؟ ثمّ أحسب أنّ قلج أرسلان مات، و هذه ابنته قد أرسلتنى إليك تستجير بك، و تسألك أن تنصفها من زوجها، فإن فعلت، فهو الظنّ بك أن لا تردّها.

فقال: و اللّه الحقّ بيدك، و إنّ الأمر لكما تقول، و لكن هذا الرجل دخل علىّ و تمسّك بى و يقبح بى تركه، لكنّك أنت اجتمع به، و أصلح الحال بينكم على ما تحبّون، و أنا أعينكم عليه و أقبّح فعله عنده، و وعد من نفسه بكلّ جميل، فاجتمع الرسول بصاحب الحصن، و تردّد القول بينهم، فاستقرّ

---

(۱). و ما يعلم.B. تعلمون.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۶۶

أنّ صاحب الحصن يخرج المغنّية عنه بعد سنة، و إن كان لا يفعل ينزل صلاح الدين عن نصرته، و يكون هو و قلج أرسلان عليه، و اصطلحوا على ذلك، و عاد صلاح الدين عنه إلى الشام، و عاد نور الدين إلى بلاده، فلمّا انقضت المدّة أخرج نور الدين المغنّية عنه، فتوجّهت إلى بغداد، و أقامت بها إلى أن ماتت.

ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن ليون «۱» الأرمنىّ

و فيها قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الأرمنى بعد فراغه من أمر قلج أرسلان، و سبب ذلك أنّ ابن ليون الأرمنىّ كان قد استمال قوما من التركمان و بذل لهم الأمان، فأمرهم أن يرعوا مواشيهم فى بلاده، و هى بلاد حصينة كلّها حصون منيعة، و الدخول إليها صعب، لأنّها مضايق و جبال وعرة، ثمّ غدر بهم و سبى [۱] حريمهم، و أخذ أموالهم، و أسر رجالهم بعد أن قتل منهم من حان أجله.

و نزل صلاح الدين على النهر الأسود، و بثّ الغارات على بلاده، فخاف ابن ليون على حصن له على رأس جبل أن يؤخذ فخرّبه و أحرقه، فسمع صلاح الدين بذلك، فأسرع السير إليه، فأدركه قبل أن ينقل ما فيه من ذخائر و أقوات، فغنمها، و انتفع المسلمون بما غنموه، فأرسل ابن ليون يبذل إطلاق من عنده من الأسرى و السبى و إعادة أموالهم على أن يعودوا عن بلاده، فأجابه

---

[۱]- و سبا.

---

(۱). ابن لاون.A qste

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۶۷

صلاح الدين إلى ذلك و استقرّ الحال، و أطلق الأسرى و أعيدت أموالهم، و عاد صلاح الدين عنه فى جمادى الآخرة.

ذكر ملك يوسف بن عبد المؤمن مدينة قفصة بعد خلاف صاحبها عليه

فى هذه السنة سار أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى إفريقية، و ملك قفصة.

و كان سبب ذلك أنّ صاحبها علىّ بن المعزّ بن المعتزّ لمّا رأى دخول الترك إلى إفريقية و استيلاءهم على بعضها، و انقياد العرب إليهم، طمع أيضا فى الاستبداد و الانفراد عن يوسف و كان فى طاعته، فأظهر ما فى نفسه و خالفه و أظهر العصيان، و وافقه أهل قفصة، فقتلوا كلّ من كان عندهم من الموحّدين أصحاب أبى يعقوب، و كان ذلك فى شوّال سنة اثنتين و سبعين و خمسمائة، فأرسل والى بجاية إلى يوسف بن عبد المؤمن يخبره باضطراب أمور البلاد، و اجتماع كثير من العرب إلى قراقوش التركىّ الّذى دخل إلى إفريقية و قد تقدّم ذكر ذلك و ما جرى فى قفصة من قتل الموحّدين و مساعدة أهل قفصة صاحبهم على ذلك، فشرع فى سدّ الثغور التى يخافها بعد مسيره، فلمّا فرغ من جميع ذلك تجهّز العسكر و سار إلى إفريقية سنة خمس و سبعين، و نزل على مدينة قفصة و حصرها ثلاثة أشهر، و هى بلدة [۱] حصينة، و أهلها أنجاد، و قطع شجرها.

فلمّا اشتدّ الأمر على صاحبها و أهلها، خرج منها مستخفيا لم يعرف به

---

[۱]- بلد.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۶۸

أحد من أهل قفصة و لا من عسكره، و سار إلى خيمة يوسف، و عرّف حاجبه أنّه قد حضر إلى أمير المؤمنين يوسف، فدخل الحاجب و أعلم يوسف بوصول صاحب قفصة إلى باب خيمته، فعجب منه كيف أقدم على الحضور عنده بغير عهد، و أمر بإدخاله عليه، فدخل و قبّل يده، و قال: قد حضرت أطلب عفو أمير المؤمنين عنى و عن أهل بلدى، و أن يفعل ما هو أهله، و اعتذر، فرق له يوسف فعفا [۱] عنه و عن أهل البلد، و تسلّم المدينة أوّل سنة ستّ و سبعين و سيّر علىّ بن المعزّ صاحبها إلى بلاد المغرب، فكان فيها مكرّما عزيزا، و أقطعه ولاية كبيرة، و رتّب يوسف لقفصة طائفة من أصحابه الموحّدين، و حضر مسعود بن زمام أمير العرب عند يوسف أيضا، فعفا [۱] عنه و سيّره إلى مرّاكش، و سار يوسف إلى المهديّة، فأتاه بها رسول ملك الفرنج، صاحب صقلّيّة، يلتمس منه الصلح، فهادنه عشر سنين، و كانت بلاد إفريقية مجدبة [۲] فتعذّر على العسكر القوت و علف الدوابّ، فسار إلى المغرب مسرعا، و اللّه أعلم.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى شمس الدولة توران شاه بن أيّوب، أخو صلاح الدين الأكبر، بالإسكندريّة، و كان قد أخذها من أخيه إقطاعا، فأقام بها فتوفّى، و كان له أكثر بلاد اليمن، و نوّابه هنالك يحملون إليه الأموال من زبيد، و عدن، و ما بينهما من البلاد و المعاقل، و كان أجود النّاس و أسخاهم كفّا

---

[۱]- فعفى.

[۲]- مجذبة.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۶۹

يخرج كلّ ما يحمل إليه من أموال اليمن، و دخل الإسكندريّة، و حكمه فى بلاد أخيه صلاح الدين و أمواله نافذ، و مع هذا، فلمّا مات كان عليه نحو مائتى ألف دينار مصريّة دينا، فوفاها أخوه صلاح الدين عنه لمّا دخل إلى مصر، فإنّه لمّا بلغه خبر وفاته سار إلى مصر فى شعبان من السنة، و استخلف بالشام عزّ الدين فرخ شاه ابن أخيه شاهنشاه، و كان عاقلا حازما شجاعا.

و فيها توفّى الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمّد بن سلفة الأصفهانىّ بالإسكندريّة، و كان حافظ الحديث و عالما به سافر فى طلب الكثير.

و توفّى أيضا فى المحرّم علىّ بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللغوى ببغداد، و سمع الحديث و كان من أصحاب ابن الجواليقىّ.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۷۰

۵۷۷ ثم دخلت سنة سبع و سبعين و خمسمائة

ذكر غزاة إلى بلد الكرك من الشام

فى هذه السنة سار فرخ شاه نائب صلاح الدين بدمشق إلى أعمال كرك و نهبها.

و سبب ذلك أنّ البرنس أرناط «۱»، صاحب الكرك، كان من شياطين الفرنج و مردتهم، و أشدّهم عداوة للمسلمين، فتجهّز، و جمع عسكره و من أمكنه الجمع، و عزم على المسير فى البرّ إلى تيماء، و منها إلى مدينة النّبى، صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم، للاستيلاء على تلك النواحى الشريفة، فسمع عزّ الدين فرخ شاه ذلك، فجمع العساكر الدمشقيّة و سار إلى بلده و نهبه و خرّبه، و عاد إلى طرف بلادهم، و أقام بها ليمنع البرنس من بلاد الإسلام، فامتنع بسببه من مقصده، فلمّا طال مقام كلّ واحد منهما فى مقابلة الآخر علم البرنس أنّ المسلمين لا يعودون حتى يفرّق جمعه، ففرّقهم و انقطع طمعه من الحركة، فعاد فرخ شاه إلى دمشق، و كفى اللَّه المؤمنين شرّ الكفار.

---

(۱). أرباط A. B .sitcnupenis

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۷۱

ذكر تلبيس ينبغى أن يحتاط من مثله

كان سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ الكنانىّ ينوب عن شمس الدولة أخى صلاح الدين باليمن و تحكّم فى الأموال و البلاد بعد أن فارقها شمس الدولة، كما ذكرنا، و كان هواه بالشام لأنّه وطنه، فأرسل إلى شمس الدولة يطلب الإذن له فى المجىء إليه، فأذن له فى المجىء، فاستناب بزبيد أخاه حطّان ابن كامل بن منقذ الكنانىّ، و عاد إلى شمس الدولة، و كان معه بمصر، فمات شمس الدولة، و بقى مع صلاح الدين فقيل عنه: إنّه أخذ أموال اليمن و ادّخرها، و سعى به أعداؤه، فلم يعارضه صلاح الدين.

فلمّا كان هذه السنة و صلاح الدين بمصر اصطنع سيف الدولة طعاما و عمل دعوة كبيرة، و دعا [۱] إليها أعيان الدولة الصلاحيّة بقرية تسمّى العدويّة، و أرسل أصحابه يتجهّزون من البلد، و يشترون ما يحتاجون إليه من الأطعمة و غيرها، فقيل لصلاح الدين إنّ ابن منقذ يريد الهرب، و أصحابه يتزوّدون له، و متى دخل اليمن أخرجه عن طاعتك، فأرسل صلاح الدين فأخذه و النّاس عنده و حبسه، فلمّا سمع صلاح الدين جليّة الحال علم أنّ الحيلة تمّت لأعدائه فى قبضه، فخفّف [۲] ما كان عنده عليه، و سهّل أمره و صانعه على ثمانين ألف دينار مصريّة، سوى ما لحقها من الحمل لإخوة صلاح الدين و أصحابه و أطلقه و أعاده إلى منزلته، و كان أديبا شاعرا.

---

[۱]- و دعى.

[۲]- فخف.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۷۲

ذكر إرسال صلاح الدين العساكر إلى اليمن

فى هذه السنة سيّر صلاح الدين جماعة من أمرائه منهم صارم الدين قتلغ «١» أبه، والى مصر، إلى اليمن، للاختلاف الواقع بها بين نوّاب أخيه شمس الدولة، و هم عزّ الدين عثمان بن الزنجيلىّ، والى عدن، و حطّان بن منقذ [والى] «٢» زبيد و غيرهما، فإنّهم لمّا بلغهم وفاة صاحبهم اختلفوا و جرت بين عزّ الدين، عثمان و بين حطّان حرب، و كلّ واحد منهما يروم أن يغلب الآخر على ما بيده، و اشتدّ الأمر، فخاف صلاح الدين أن يطمع أهل البلاد فيها بسبب الاختلاف بين أصحابه و أن يخرجوهم من البلاد، فأرسل هؤلاء الأمراء إليها، و استولى قتلغ أبه على زبيد و أزال حطّان عنها.

ثمّ مات قتلغ أبه، فعاد حطّان إلى إمارة زبيد، و أطاعه النّاس لجوده و شجاعته.

ذكر وفاة الملك الصالح و ملك ابن عمّه عزّ الدين مسعود مدينة حلب «٣»

فى هذه السنة، فى رجب، توفّى الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها، و عمره نحو تسع عشرة سنة، و لمّا اشتدّ مرضه وصف له الأطبّاء شرب الخمر للتداوى، فقال: لا أفعل حتى أستفتى الفقهاء، فاستفتى، فأفتاه فقيه من مدرّسى الحنفيّة بجواز ذلك، فقال له: أ رأيت إن قدّر اللّه تعالى

---

(١). الدين إبراهيم بن حمزة قتلغ.B

(٢). C .P .te٧۴٠

(٣).tsemutidda٠۴٧te .P .Ce ,tseed .spUnidouq ,tupaccoH

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ۴٧٣

بقرب [١] الأجل أ يؤخّره شرب الخمر؟ فقال [له] «١» الفقيه: لا! فقال: و اللّه لا لقيت اللّه سبحانه و قد استعملت ما حرّمه علىّ، و لم يشربها.

فلمّا أيس من نفسه، أحضر الأمراء، و سائر الأجناد، و وصّاهم بتسليم البلد إلى ابن عمّه عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى، و استحلفهم على ذلك، فقال له بعضهم: إنّ عماد [الدين] ابن عمّك أيضا، و هو زوج أختك، و كان والدك يحبّه و يؤثره، و هو تولّى تربيته، و ليس له غير سنجار، فلو أعطيته البلد لكان أصلح، و عزّ الدين له [من البلاد] «٢» من الفرات إلى همذان، و لا حاجة به إلى بلدك، فقال له: إنّ هذا لم يغب عنى، و لكن قد علمتم أنّ صلاح الدين قد تغلّب على عامّة بلاد الشام سوى ما بيدى، و متى سلّمت حلب إلى عماد الدين يعجز عن حفظها و إن «٣» ملكها صلاح الدين لم يبق لأهلنا معه مقام، و إن «۴» سلّمتها إلى عزّ الدين أمكنه حفظها بكثرة عساكره و بلاده.

فاستحسنوا قوله و عجبوا من جودة فطنته «۵» مع شدّة مرضه و صغر سنّه.

ثمّ مات، و كان حليما «۶» كريما، عفيف اليد و الفرج و اللّسان، ملازما للدين، لا يعرف له شىء ممّا يتعاطاه الملوك و الشباب من شرب خمر أو غيره، حسن السيرة فى رعيّته عادلا فيهم.

و لمّا قضى [٢] نحبه أرسل الأمراء إلى أتابك عزّ الدين يستدعونه إلى حلب، فسار هو و مجاهد الدين قايماز إلى الفرات، و أرسل فأحضر الأمراء عنده من حلب، فحضروا، و ساروا جميعا إلى حلب، و دخلها فى العشرين من شعبان،

---

[١] يقرب.

[۲] قضا.

---

(۱) ۷۴۰.

(۲) ۷۴۰.

(۳) و متى: ۷۴۰.

(۴) و متى: ۷۴۰.

(۵) رأيه: ۷۴۰.

(۶) جوادا: ۷۴۰.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۷۴

و كان صلاح الدين حينئذ بمصر، و لو لا ذلك لزاحمهم عليها و قاتلهم، فلمّا اجتاز فى طريقه إليها من الفرات كان تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين بمدينة منبج، فسار عنها هاربا «۱» إلى حماة، و ثار أهل حماة، و نادوا بشعار عزّ الدين، فأشار عسكر حلب على عزّ الدين بقصد دمشق، و أطمعوه فيها و فى غيرها من بلاد الشام، و أعلموه محبّة أهلها له و لأهل بيته، فلم يفعل، و قال: بيننا يمين فلا نغدر به، و أقام بحلب عدّة شهور، ثمّ سار عنها إلى الرّقة.

ذكر تسليم حلب إلى عماد الدين و أخذ سنجار عوضا عنها

لمّا وصل عزّ الدين إلى الرّقّة جاءته رسل أخيه عماد الدين، صاحب سنجار، يطلب أن يسلّم إليه حلب و يأخذ عوضا عنها مدينة سنجار، فلم يجبه إلى ذلك، و لجّ عماد الدين، و قال: إن سلّمتم [۱] إلىّ حلب، و إلّا سلّمت أنا سنجار إلى صلاح الدين، فأشار حينئذ جماعة من الأمراء بتسليمها إليه، و كان أشدّهم فى ذلك مجاهد الدين قايماز، فلم يمكن عزّ الدين مخالفته لتمكّنه فى الدولة، و كثرة عساكره و بلاده، و إنّما حمل مجاهد الدين على ذلك خوفه من عزّ الدين، لأنّه عظم فى نفسه، و كثر معه العسكر.

و كان الأمراء الحلبيّون لا يلتفتون إلى مجاهد الدين، و لا يسلكون معه من الأدب ما يفعله عسكر الموصل، فاستقرّ الأمر على تسليم حلب إلى عماد الدين

---

[۱]- سلتم.

---

(۱). ۷۴۰ مفارقا:

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۷۵

و أخذ سنجار عوضا عنها، فسار عماد الدين فتسلّمها، و سلّم «۱» سنجار إلى أخيه «۲»، و عاد إلى الموصل.

و كان صلاح الدين بمصر قد بلغه خبر ملك عزّ الدين حلب، فعظم الأمر عليه، و خاف أن يسير منها إلى دمشق و غيرها، و يملك الجميع، و أيس من حلب «۳»، فلمّا بلغه خبر ملك عماد الدين لها برز من يومه و سار إلى الشام، و كان من الوهن على دولة عزّ الدين ما نذكره إن شاء اللّه.

ذكر حصر صاحب ماردين قلعة البيرة و مصير صاحبها مع صلاح الدين

كانت قلعة البيرة، و هى مطلّة على الفرات [۱] من أرض الجزيرة، لشهاب الدين الأرتقىّ، و هو ابن عمّ قطب الدين إيلغازى بن ألبى

بن تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق صاحب ماردين، و كان فى طاعة نور الدين محمود بن زنكى، صاحب الشام، فمات شهاب الدين و ملك القلعة بعده ولده «۴» و صار فى طاعة عزّ الدين مسعود صاحب الموصل.

فلمّا كان هذه السنة أرسل صاحب ماردين إلى عزّ الدين يطلب منه أن يأذن له فى حصر البيرة و أخذها، فأذن له فى ذلك، فسار فى عسكره إلى قلعة سميساط، و هى له، و نزل بها و سيّر العسكر إلى البيرة، فحصرها، فلم

---

[۱]- الفراة.

---

(۱). فسار عماد الدين إلى حلب و سلمA

(۲) عز الدينA. dda(الى ابن أخيه.B

(۳) من الموصلA

(۴).oucavoitapsmucاسمهC.doC۰۴۷.spUte tnudda ولدهtsoP

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۷۶

يظفر منها بطائل، إلّا أنّهم لازموا الحصار، فأرسل صاحبها إلى صلاح الدين و قد خرج من ديار مصر، على ما نذكره، يطلب منه أن ينجده و يرحّل العسكر الماردينى عنه، و يكون هو فى خدمته، كما كان أبوه فى خدمة نور الدين، فأجابه إلى ذلك، و أرسل رسولا إلى صاحب ماردين يشفع فيه، و يطلب أن يرحّل عسكره عنه، فلم يقبل شفاعته.

و اشتغل صلاح الدين بما نذكره من الفرنج، فلمّا رأى صاحب ماردين طول مقام عسكره على البيرة، و لم يبلغوا منها غرضا، أمرهم بالرحيل عنها، و عاد إلى ماردين، فسار صاحبها إلى صلاح الدين، و كان معه حتى عبر معه الفرات [۱]، على ما نذكره إن شاء اللَّه تعالى.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كثرت المنكرات ببغداد فأقام حاجب الباب جماعة لإراقة الخمور، و أخذ المفسدات، فبينما امرأة منهنّ فى موضع، علمت بمجيء أصحاب حاجب الباب، فاضطجعت، و أظهرت أنّها مريضة، و ارتفع أنينها، فرأوها على تلك الحال، فتركوها و انصرفوا، فاجتهدت بعدهم أن تقوم، فلم تقدر، و جعلت [۲] تصيح: الكرب الكرب، إلى أن ماتت. و هذا من أعجب ما يحكى.

و فيها، عاشر ذى الحجّة، توفّى الأمير همام الدين تتر «۱»، صاحب قلعة

---

[۱]- الفراة.

[۲]- و حملت.

---

(۱). ۷۴۰ تتر:spU .

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۷۷

تكريت بالمزدلفة، كان قد استخلف الأمير عيسى ابن أخى مودود و حجّ، فتوفّى، و دفن بالمعلّى مقبرة مكّة.

و فيها، فى شعبان، توفّى عبد الرحمن بن محمّد بن أبى سعيد أبو البركات النحوىّ المعروف بابن الأنبارى ببغداد، و له تصانيف حسنة فى النحو، و كان فقيها صالحا.

و فيها توفّى إبراهيم بن محمّد بن مهران الفقيه الشافعىّ بجزيرة ابن عمر، و كان فاضلا كثير الورع.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۷۸

۵۷۸ ثم دخلت سنة ثمان و سبعين و خمسمائة

ذكر مسير صلاح الدين إلى الشام و إغارته على الفرنج

فى هذه السنة، خامس المحرّم، سار صلاح الدين عن مصر إلى الشام، و من عجيب ما يحكى من التطيّر أنّه لمّا برز من القاهرة أقام بخيمته حتى تجتمع العساكر و النّاس عنده، و أعيان دولته و العلماء و أرباب الآداب، فمن بين مودّع له و سائر معه، و كلّ منهم يقول شيئا فى الوداع و الفراق، و ما هم بصدده من السفر، و فى الحاضرين معلّم لبعض أولاده، فأخرج رأسه من بين الحاضرين و أنشد:

تمتّع من شميم عرار نجدفما بعد العشيّة من عرار فانقبض صلاح الدين بعد انبساطه و تطيّر، و تنكّد المجلس على الحاضرين، فلم يعد إليها إلى أن مات مع طول المدّة.

ثمّ سار عن مصر و تبعه من التجّار و أهل البلاد، و من كان قصد مصر من الشام بسبب الغلاء بالشام و غيره، عالم كثير، فلمّا سار جعل طريقه على أيلة فسمع أنّ الفرنج قد جمعوا له ليحاربوه و يصدّوه عن المسير، فلمّا قارب بلادهم سيّر الضعفاء و الأثقال مع أخيه تاج الملوك بورى إلى دمشق، و بقى هو فى العساكر المقاتلة لا غير، فشنّ الغارات بأطراف بلادهم، و أكثر ذلك

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۷۹

ببلد الكرك و الشَّوبك، فلم يخرج إليه منهم أحد، و لا أقدم [۱] على الدنوّ منه، ثمّ سار فأتى دمشق، فوصلها حادى عشر صفر من السنة.

ذكر ملك المسلمين شقيفا من الفرنج

فى هذه السنة أيضا، فى صفر، فتح المسلمون بالشام شقيفا من الفرنج، يعرف بحبس جلدك «۱»، و هو من أعمال طبريّة، مطلّ على السواد.

و سبب فتحه أنّ الفرنج لمّا بلغهم مسير صلاح الدين من مصر إلى الشام جمعوا له، و حشدوا الفارس و الراجل، و اجتمعوا بالكرك، بالقرب من الطريق، لعلّهم ينتهزون فرصة، أو يظفرون بنصرة «۲»، و ربّما عاقوا المسلمين عن المسير بأن يقفوا على بعض المضايق، فلمّا فعلوا ذلك خلت بلادهم من ناحية الشام، فسمع فرخ شاه الخبر، فجمع من عنده من عساكر الشام، ثمّ قصد بلاد الفرنج و أغار عليها، و نهب دبّوريّة و ما يجاورها من القرى، و أسر الرجال و قتل فيهم و أكثر و سبى النساء، و غنم الأموال، و فتح منهم الشقيف، و كان على المسلمين منه أذى شديد، ففرح المسلمون بفتحه فرحا عظيما، و أرسل إلى صلاح الدين بالبشارة، فلقيه فى الطريق، ففتّ ذلك فى عضد الفرنج، و انكسرت شوكتهم.

---

[۱]- قدم.

---

(۱) بحسس خلدكBبحبيس جلدكA

(۲). يظفرون بمصرهA

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۸۰

ذكر إرسال سيف الإسلام إلى اليمن و تغلّبه عليه

فى هذه السنة سيّر صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طغدكين إلى بلاد اليمن، و أمره بتملّكها و قطع الفتن بها، و فوّض إليه أمرها، و كان بها حطّان بن منقذ، كما ذكرناه قبل. و كتب عزّ الدين عثمان الزنجيلى متولّى عدن إلى صلاح الدين يعرّفه باختلال البلاد، و يشير بإرسال بعض أهله إليها، لأنّ حطّان كان قوى عليه، فخافه عثمان، فجهّز صلاح الدين أخاه سيف الإسلام و سيّره إلى بلاد اليمن، فوصل إلى زبيد، فخافه حطّان ابن منقذ و استشعر منه، و تحصّن فى بعض القلاع، فلم يزل به سيف الإسلام يؤمّنه و يهدى إليه و يتلطّفه حتى نزل إليه، فأحسن صحبته، و اعتمد معه ما لم يكن يتوقّعه من الإحسان، فلم يثق حطّان به، و طلب منه دستورا ليقصد الشام، فامتنع من إجابته إظهارا للرغبة فى كونه عنده، فلم يزل حطّان يراجعه حتى أذن له، فأخرج أثقاله، و أمواله، و دوابّه، و أهله، و أصحابه، و كلّ ما له، و سيّر الجميع بين يديه.

فلمّا كان الغد دخل على سيف الإسلام ليودّعه، فقبض عليه و استرجع جميع ماله فأخذه عن آخره لم يسلم منه قليل و لا كثير، ثمّ سجنه فى بعض القلاع، و كان آخر العهد به، فقيل إنّه قتله، و كان فى جملة ما أخذ منه من الأموال الذهب العين فى سبعين غلافا [۱] زرديّة مملوءة عينا.

و أمّا عزّ الدين عثمان الزنجيلىّ فإنّه لمّا سمع ما جرى على حطّان خاف فسار نحو الشام خائفا يترقّب، و سيّر معظم أمواله فى البحر، فصادفهم مراكب

---

[۱]- غلاف.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۸۱

فيها أصحاب سيف الإسلام، فأخذوا كلّ ما لعزّ الدين، و لم يبق له إلّا ما صحبه فى الطريق، و صفت زبيد و عدن و ما معهما من البلاد لسيف الإسلام.

ذكر إغارة صلاح الدين على الغور و غيره من بلاد الفرنج

لمّا وصل صلاح الدين إلى دمشق، كما ذكرناه، أقام أيّاما يريح و يستريح هو و جنده، ثمّ سار إلى بلاد الفرنج فى ربيع الأوّل، فقصد طبريّة، فنزل بالقرب منها، و خيّم فى الأقحوانة من الأردنّ، و جاءت الفرنج بجموعها فنزلت بطبريّة، فسيّر صلاح الدين فرخ شاه ابن أخيه إلى بيسان، فدخلها قهرا، و غنم ما فيها، و قتل و سبى، و جحف الغور غارة شعواء، فعمّ أهله قتلا و أسرا، و جاءت العرب فأغارت على جينين و اللّجون و تلك الولاية، حتى قاربوا مرج عكّا.

و سار الفرنج من طبريّة، فنزلوا تحت جبل كوكب، فتقدّم صلاح الدين إليهم، و أرسل العساكر عليهم يرمونهم بالنشاب، فلم يبرحوا، و لم يتحركوا لقتال، فأمر ابنى أخيه تقى الدين عمر و عزّ الدين فرخ شاه، فحملا على الفرنج فيمن معهما، فقاتلوا قتالا شديدا، ثمّ إنّ الفرنج انحازوا على حاميتهم «۱»، فنزلوا غفربلا «۲»، فلمّا رأى صلاح الدين ما قد أثخن فيهم و فى بلادهم عاد عنهم إلى دمشق.

---

(۱) حامتهم:

(۲). عقربلا: ۷۴۰ عقربلا.C. P

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۸۲

ذكر حصر بيروت

ثمّ إنّه سار عن دمشق إلى بيروت، فنهب بلدها، و كان قد أمر الأسطول المصرى بالمجيء فى البحر إليها، فساروا و نازلوها، و أغاروا عليها و على بلدها، و سار صلاح الدين فوافاهم و نهب ما لم يصل الأسطول إليه، و حصرها عدّة أيّام. و كان عازما على ملازمتها إلى أن يفتحها، فأتاه الخبر و هو عليها أن البحر قد ألقى بطسة للفرنج فيها جمع عظيم منهم إلى دمياط، كانوا قد خرجوا لزيارة البيت المقدّس، فأسروا من بها إلى أن غرق منهم كثير فكان عدّة الأسرى ألفا و ستّمائة و ستّة [۱] و سبعين أسيرا، فضربت بذلك البشائر.

ذكر عبور صلاح الدين الفرات [۲] و ملكه ديار الجزيرة

فى هذه السنة عبر صلاح الدين الفرات [۲] إلى الديار الجزريّة [۳] و ملكها.

و سبب ذلك أنّ مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين علىّ بن بكتكين «۱»، و هو مقطع حرّان كان قد أقطعه إيّاها عزّ الدين أتابك، المدينة و القلعة، ثقة به و اعتمادا عليه، أرسل إلى صلاح الدين و هو يحاصر بيروت يعلمه أنّه معه محبّ لدولته، و وعده النصرة له إذا عبر الفرات [۲]، و يطمعه فى البلاد و يحثّه على

---

[۱]- و ست.

[۲]- الفراة.

[۳]- الجرزية.

---

(۱). بلتكين.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۸۳

الوصول إليها، فسار صلاح الدين عن بيروت، و رسل مظفّر الدين تترى إليه يحثّه على المجيء، فجدّ صلاح الدين السير مظهرا أنّه يريد حصر حلب سترا للحال.

فلمّا قارب الفرات [۱] سار إليه مظفّر الدين فعبر الفرات [۱] و اجتمع به و عاد معه فقصد البيرة، و هى قلعة منيعة على الفرات [۱] من الجانب الجزرى، و كان صاحبها قد سار مع صلاح الدين، و فى طاعته، و قد ذكرنا سبب ذلك قبل، فعبر هو و عسكره الفرات [۱] على الجسر الّذى عند البيرة.

و كان عزّ الدين صاحب الموصل و مجاهد الدين لمّا بلغهما وصول صلاح الدين إلى الشام قد جمعا العسكر و سارا إلى نصيبين ليكونا على أهبة و اجتماع لئلّا يتعرّض صلاح الدين إلى حلب، ثمّ تقدّما إلى دارا، فنزلا عندها، فجاءهما أمر لم يكن فى الحساب، فلمّا بلغهما عبور صلاح الدين الفرات [۱] عادا إلى الموصل و أرسلا إلى الرّها عسكرا يحميها و يمنعها، فلمّا سمع صلاح الدين ذلك قوى طمعه فى البلاد، و لمّا عبر صلاح الدين الفرات [۱] كاتب الملوك أصحاب الأطراف و وعدهم، و بذل لهم البذول على نصرته، فأجابه نور الدين محمّد ابن قرا أرسلان، صاحب الحصن، إلى ما طلب منه، لقاعدة كانت استقرّت بينهما لمّا كان نور الدين عنده بالشام، فإنّه استقرّ الحال أنّ صلاح الدين يحصر آمد و يملكها، و يسلّمها إليه.

و سار صلاح الدين إلى مدينة الرّها، فحصرها فى جمادى الأولى، و قاتلها أشدّ قتال. فحدّثنى بعض من كان بها من الجند أنّه عدّ فى غلاف رمح أربعة عشر خرقا و قد خرقته السهام.

و والى الزحف عليها، و كان بها حينئذ مقطعها، و هو الأمير فخر الدين

---

[۱]- الفراة.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۸۴

مسعود بن الزعفرانىّ، فحيث رأى شدّة القتال أذعن إلى التسليم، و طلب الأمان و سلّم البلد، و صار فى خدمة صلاح الدين، فلمّا ملك المدينة زحف إلى القلعة، فسلّمها إليه الدزدار الّذى بها على مال أخذه، فلمّا ملكها سلّمها إلى مظفّر الدين مع حرّان، ثمّ سار عنها، على حرّان، إلى الرّقّة، فلمّا وصل إليها، كان بها مقطعها قطب الدين ينّال بن حسّان المنبجى، فسار عنها إلى عزّ الدين أتابك، و ملكها صلاح الدين، و سار إلى الخابور، قرقيسيا، و ماكسين و عرابان، فملك جميع ذلك.

فلمّا استولى على الخابور جميعه سار إلى نصيبين، فملك المدينة لوقتها، و بقيت القلعة، فحصرها عدّة أيّام، فملكها أيضا، و أقام بها ليصلح شأنها، ثمّ أقطعها أميرا كان معه يقال له أبو الهيجاء السمين، و سار عنها و معه نور الدين صاحب الحصن.

و أتاه الخبر أنّ الفرنج قصدوا دمشق، و نهبوا القرى، و وصلوا إلى داريّا، و أرادوا تخريب جامعها، فأرسل النائب بدمشق إليهم جماعة من النصارى يقول لهم: إذا خرّبتم الجامع جدّدنا عمارته، و خرّبنا كلّ بيعة لكم فى بلادنا، و لا نمكن أحدا من عمارتها، فتركوه. و لمّا وصل الخبر إلى صلاح الدين بذلك أشار عليه من يتعصّب لعزّ الدين بالعود، فقال: يخرّبون قرى و نملك عوضها بلادا، و نعود نعمرها، و نقوى على قصد بلادهم، و لم يرجع، فكان كما قال.

ذكر حصر صلاح الدين الموصل

لمّا ملك صلاح الدين نصيبين، جمع أمراءه و أرباب المشورة عنده، و استشارهم بأىّ البلاد يبدأ، و أيّها يقصد، بالموصل أم بسنجار أم بجزيرة ابن

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۸۵

عمر، فاختلفت آراؤهم، فقال له مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين:

لا ينبغى أن يبدأ بغير الموصل، فإنّها فى أيدينا لا مانع لها، فإنّ عزّ الدين و مجاهد الدين متى سمعا بمسيرنا إليها تركاها و سارا عنها إلى بعض القلاع الجبليّة.

و وافقه ناصر الدين محمّد بن عمّه شيركوه، و كان قد بذل لصلاح الدين مالا كثيرا ليقطعه الموصل إذا ملكها، و قد أجابه صلاح الدين إلى ذلك، فأشار بهذا الرأى لهواه، فسار صلاح الدين إلى الموصل، و كان عزّ الدين صاحبها و مجاهد الدين قد جمعا بالموصل العساكر الكثيرة ما بين فارس و راجل، و أظهرا من السلاح و آلات الحصار ما حارت له الأبصار، و بذلا الأموال الكثيرة، و أخرج مجاهد الدين من ماله كثيرا، و اصطلى الأمور بنفسه، فأحسن تدبيرها، و شحنوا ما بقى بأيديهم من البلاد، كالجزيرة و سنجار و إربل و غيرها من البلاد، بالرجال و السلاح و الأموال.

و سار صلاح الدين حتى قارب الموصل و ترك عسكره، و انفرد هو و مظفّر الدين و ابن عمّه ناصر الدين بن شيركوه، و معهما نفر من أعيان دولته، و قربوا من البلد، فلمّا قربوا رآه و حقّقه، فرأى ما هاله و ملأ صدره و صدور أصحابه، فإنّه رأى بلدا عظيما كبيرا، و رأى السور و الفصيل قد ملئا من الرجال، و ليس فيه شرّافة إلّا و عليها رجل يقاتل سوى من عليه من عامّة البلد المتفرّجين، فلمّا رأى ذلك علم أنّه لا يقدر على أخذه، و أنّه يعود خائبا، فقال لناصر الدين ابن عمّه: إذا رجعنا إلى المعسكر فاحمل ما بذلت من المال فنحن معك على القول. فقال ناصر الدين: قد رجعت عمّا بذلت من المال، فإنّ هذا البلد لا يرام. فقال له و لمظفّر الدين: غررتمانى و أطمعتمانى فى غير مطمع، و لو قصدت غيره قبله لكان أسهل أخذا بالاسم و الهيبة التى حصلت لنا، و متى نازلناه، و عدنا منه، ينكسر ناموسنا و يفلّ حدّنا و شوكتنا.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۸۶

ثمّ رجع إلى معسكره و صبّح البلد، و كان نزوله عليه فى رجب، فنازله و ضايقه، و نزل محاذى باب كندة، و أنزل صاحب الحصن

بباب الجسر، و أنزل أخاه تاج الملوک عند الباب العمادیّ، و أنشب القتال، فلم یظفر، و خرج إلیه یوما بعض العامّیة، فنالوا منه، و لم یمکّن عزّ الدین و مجاهد الدین أحدا من العسکر [أن] یخرجوا لقتال بل ألزموا الأسوار، ثمّ إن تقی الدین أشار علی عمّه صلاح الدین بنصب منجنیق، فقال: مثل هذا البلد لا ینصب علیه منجنیق، و متی نصبناه أخذوه، و لو خرّبنا برجا و بدنة من یقدر علی الدخول للبلد و فیه هذا الخلق الکثیر؟ فألحّ تقی الدین و قال: نجرّبهم به، فنصب منجنیقا، فنصب علیه من البلد تسعة مجانیق، و خرج جماعة من العامّیة فأخذوه و جری عنده قتال کثیر، فأخذ بعض العامّة لالکة من رجلیه، فیها المسامیر الکثیرة، و رمی بها أمیرا یقال له جاولی الأسدیّ، مقدّم الأسدیّة و کبیرهم، فأصاب صدره، فوجد لذلک ألما شدیدا، و أخذ اللالکة و عاد عن القتال إلی صلاح الدین و قال: قد قاتلنا أهل الموصل بحماقات ما رأینا بعد مثلها، و ألقی اللالکة، و حلف أنّه لا یعود یقاتل علیها أنفة حیث ضرب بهذه.

ثمّ إن صلاح الدین رحل من قرب البلد، و نزل متأخّرا، خوفا من البیات، فإنّه لقربه کان لا یأمن ذلک، و کان سببه أیضا أنّ مجاهد الدین أخرج فی بعض اللیالی جماعة من باب السرّ الّذی للقلعة، و معهم المشاعل، فکان أحدهم یخرج من الباب و ینزل إلی دجلة، ممّا یلی عین الکبریت، و یطفئ المشعل، فرأی العسکر النّاس یخرجون، فلم یشکّوا فی الکبسة، فحملهم ذلک علی الرحیل و التأخّر لیتعذّر البیات علی أهل الموصل.

و کان صدر الدین شیخ الشیوخ، رحمه اللَّه، قد وصل إلیه، قبل نزوله علی الموصل، و معه بشیر الخادم، و هو من خواصّ الخلیفة الناصر لدین اللَّه، فی الصلح، فأقاما معه علی الموصل، و تردّدت الرسل إلی عزّ الدین و مجاهد

الکامل فی التاریخ، ج ۱۱، ص: ۴۸۷

الدین فی الصلح، فطلب عزّ الدین إعادة البلاد التی أخذت منهم، فأجاب صلاح الدین إلی ذلک بشرط أن تسلّم إلیه حلب، فامتنع عزّ الدین و مجاهد الدین، ثمّ نزل عن ذلک، و أجاب إلی تسلیم البلاد بشرط أن یترکوا إنجاد صاحب حلب علیه، فلم یجیبوه إلی ذلک أیضا، و قال عزّ الدین: هو أخی و له العهود و المواثیق و لا یسعنی نکثها.

و وصلت أیضا رسل قزل أرسلان صاحب أذربیجان، و رسل شاه أرمن صاحب خلاط، فی المعنی، فلم ینتظم أمر و لا تمّ صلح، فلمّا رأی صلاح الدین أنّه لا ینال من الموصل غرضا، و لا یحصل علی غیر العناء و التعب، و أنّ من بسنجار من العساکر الموصلیّة یقطعون طریق من یقصدونه من عساکره و أصحابه، سار من الموصل إلیها.

ذکر ملکه مدینة سنجار

لمّا سار صلاح الدین عن الموصل إلی سنجار، سیّر مجاهد الدین إلیها عسکرا قوّة لها و نجدة، فسمع بهم صلاح الدین، فمنعهم من الوصول إلیها، و أوقع بهم، و أخذ سلاحهم و دوابّهم و سار إلیها و نازلها، و کان بها شرف الدین أمیر أمیران هندو أخو عزّ الدین، صاحب الموصل، فی عسکر معه، فحصر البلد و ضایقه، و ألحّ فی قتاله، فکاتبه بعض أمراء الأکراد الذین به من الزرزاریّة، و خامر معه، و أشار بقصده من الناحیة التی هو بها لیسلّم إلیه البلد، فطرقه صلاح الدین لیلا، فسلّم إلیه ناحیته، فملک الباشورة لا غیر.

فلمّا سمع شرف الدین الخبر استکان و خضع، و طلب الأمان، فأمّن، و لو قاتل علی تلک الناحیة لأخرج العسکر الصلاحیّ عنها، و لو امتنع بالقلعة لحفظها و منعها، و لکنّه عجز، فلمّا طلب الأمان أجابه صلاح الدین إلیه،

الکامل فی التاریخ، ج ۱۱، ص: ۴۸۸

فأمّنه و ملک البلد.

و سار شرف الدین و من معه إلی الموصل، و استقرّ جمیع ما ملکه صلاح الدین بملک سنجار، فإنّه کان قصد أن یستردّه المواصلة إذا فارقه، لأنّه لم یکن فیه حصن غیر الرّها، فلمّا ملک سنجار صارت علی الجمیع کالسور، و استناب بها سعد الدین بن معین الدین أنز «۱»، و کان من أکابر الأمراء و أحسنهم صورة و معنی.

ذكر عود صلاح الدين إلى حرّان

لمّا ملك صلاح الدين سنجار و قرّر قواعدها سار إلى نصيبين، فلقيه أهلها شاكين من أبى الهيجاء السمين، باكين من ظلمه، متأسّفين على دولة عزّ الدين و عدله فيهم، فلمّا سمع ذلك أنكر على أبى الهيجاء ظلمه، و عزله عنهم، و أخذه معه، و سار إلى حرّان، و فرّق عساكره ليستريحوا، و بقى جريدة فى خواصّه و ثقات أصحابه، و كان وصوله إليها أوائل ذى القعدة من السنة

ذكر اجتماع عزّ الدين و شاه أرمن

فى هذه السنة، فى ذى الحجّة، اجتمع أتابك عزّ الدين، صاحب الموصل، و شاه أرمن صاحب خلاط، على قتال صلاح الدين.

و سبب ذلك أن رسل عزّ الدين تردّدت إلى شاه أرمن يستنجده و يستنصره

---

(۱). أنر.C. P

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۸۹

على صلاح الدين، فأرسل شاه أرمن إلى صلاح الدين عدّة رسل فى الشفاعة إليه بالكفّ عن الموصل و ما يتعلّق بعزّ الدين، فلم يجبه إلى ذلك، و غالطه، فأرسل إليه أخيرا مملوكه سيف الدين بكتمر الّذى ملك خلاط بعد شاه أرمن، فأتاه و هو يحاصر سنجار يطلب إليه أن يتركها و يرحل عنها، و قال له: إن رحل عنها و إلّا فتهدّده بقصده و محاربته، فأبلغه بكتمر الشفاعة، فسوّفه فى الجواب رجاء أن يفتحها، فلمّا رأى بكتمر ذلك أبلغه الرسالة الثانية بالتهديد، و فارقه غضبان، و لم يقبل منه خلعة و لا صلة، و أخبر صاحبه الخبر، و خوّفه عاقبة الإهمال و التوانى عن صلاح الدين، فسار شاه أرمن من خلاط، و كان مخيما بظاهرها، و سار إلى ماردين، و صاحبها حينئذ قطب الدين بن نجم الدين ألتى «۱»، و هو ابن أخت شاه أرمن، و ابن خال عزّ الدين و حموه، لأنّ عزّ الدين كان قد زوّج ابنته [۱] قطب الدين، و حضر مع شاه أرمن دولة شاه صاحب بدليس و أرزن، و سار أتابك عزّ الدين من الموصل فى عسكره جريدة من الأثقال.

و كان صلاح الدين قد ملك سنجار، و سار عنها إلى حرّان، و فرّق عساكره، فلمّا سمع باجتماعهم سيّر إلى تقى الدين ابن أخيه، و هو بحماة، يستدعيه، فوصل إليه مسرعا، و أشار عليه بالرحيل «۲» و حذّره منه آخرون، و كان هوى صلاح الدين فى الرحيل، فرحل إلى راس عين، فلمّا سمعوا برحيله تفرّقوا، فعاد شاه أرمن إلى خلاط، و اعتذر بأنّنى أجمع العساكر و أعود، و رجع عز الدين إلى الموصل، و أقام قطب الدين بماردين، و سار صلاح الدين فنزل بحرزم تحت ماردين عدّة أيّام.

---

[۱]- ابنة.

---

(۱) فخر الدين بن النبىA

(۲). بالرحيل إليهمB

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۹۰

ذكر الظفر بالفرنج فى بحر عيذاب

فى هذه السنة عمل البرنس صاحب الكرك أسطولا، و فرغ منه بالكرك، و لم يبق إلّا جمع قطعه بعضها إلى بعض، و حملها إلى بحر

أيلة، و جمعها فى أسرع وقت.

و فرغ منها و شحنها بالمقاتلة و سيّرها، فساروا فى البحر، و افترقوا فرقتين:

فرقة أقامت على حصن أيلة و هو للمسلمين يحصرونه، و يمنع أهله من ورود الماء، فنال أهله شدّة شديدة و ضيق عظيم، و أمّا الفرقة الثانية فإنّهم ساروا نحو عيذاب، و أفسدوا فى السواحل، و نهبوا، و أخذوا ما وجدوا من المراكب الإسلاميّة و من فيها من التجّار، و بغتوا النّاس فى بلادهم على حين غفلة منهم، فإنّهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجيّا قطّ لا تاجرا و لا محاربا.

و كان بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيّوب ينوب عن أخيه صلاح الدين، فعمّر أسطولا و سيّره، و فيه جمع كثير من المسلمين، و مقدّمهم حسام الدين لؤلؤ، و هو متولّى الأسطول بديار مصر، و كان مظفّرا فيه، شجاعا، كريما، فسار لؤلؤ مجدّا فى طلبهم، فابتدأ بالذين على أيلة فانقضّ عليهم انقضاض العقاب على صيدها، فقاتلهم، فقتل بعضهم، و أسر الباقى، و سار من وقته بعد الظفر يقصّ أثر الذين قصدوا عيذاب، فلم يرهم، و كانوا قد أغاروا على ما وجدوه بها، و قتلوا من لقوة عندها، و ساروا إلى غير ذلك المرسى ليفعلوا كما فعلوا فيه، و كانوا عازمين على الدخول إلى الحجاز مكّة و المدينة، حرسهما اللّه تعالى، و أخذ الحاجّ و منعهم عن البيت الحرام، و الدخول بعد ذلك إلى اليمن.

فلمّا وصل لؤلؤ إلى عيذاب و لم يرهم سار يقفو أثرهم، فبلغ رابغ

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۹۱

و ساحل الجوزاء و غيرهما، فأدركهم بساحل الجوزاء، فأوقع بهم هناك، فلمّا رأوا العطب و شاهدوا الهلاك خرجوا إلى البرّ، و اعتصموا ببعض تلك الشعاب «۱»، فنزل لؤلؤ من مراكبه إليهم، و قاتلهم أشدّ قتال، و أخذ خيلا من الأعراب الذين هناك، فركبها، و قاتلهم فرسانا و رجّالة، فظفر بهم و قتل أكثرهم، و أخذ الباقين أسرى، و أرسل بعضهم إلى منى لينحروا بها عقوبة لمن رام إخافة حرم اللّه تعالى و حرم رسوله، صلّى اللّه عليه و سلّم، و عاد بالباقين إلى مصر، فقتلوا جميعهم.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة، فى جمادى الأولى، توفّى عزّ الدين فرخ شاه ابن أخى صلاح الدين، و كان ينوب عنه بدمشق، و هو ثقته من أهله، و كان اعتماده عليه أكثر من جميع أهله و أمرائه، و كان شجاعا، كريما، فاضلا، عالما بالأدب و غيره، و له شعر جيّد من بين أشعار الملوك.

و كان ابتداء مرضه أنّه خرج من دمشق إلى غزو الفرنج، فمرض، و عاد مريضا، فمات، و وصل خبر موته إلى صلاح الدين، و قد عبر الفرات [۱] إلى الديار الجزريّة، فأعاد شمس الدين محمّد بن المقدّم إلى دمشق ليكون مقدّما على عسكرها.

و فيها مات فخر الدولة أبو المظفّر بن الحسن بن هبة اللّه بن المطّلب.

---

[۱]- الفراة.

---

(۱). تلك الشعارى.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۹۲

كان أبوه وزير الخليفة، و أخوه أستاذ الدار، فتصوّف هو من زمن الصبا، و بنى مدرسة و رباطا ببغداد عند عقد المصطنع، و بنى جامعا بالجانب الغربىّ منها. الكامل فى التاريخ ج۱۱ ۴۹۲ ذكر عدة حوادث ..... ص : ۴۹۱

و فيها توفّى الأمير أبو منصور هاشم ولد المستضىء بأمر اللّه و دفن [۱] عند أبيه.

و فيها توفّى أبو العبّاس أحمد بن علىّ «۱» بن الرفيعى من سواد واسط، و كان صالحا ذا قبول عظيم عند النّاس، و له من التلامذة ما لا يحصى.

---

[۱]- و دفلا.

---

(۱). على بن أحمد.B

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۹۳

۵۷۹ ثم دخلت سنة تسع و سبعين و خمسمائة

ذكر ملك صلاح الدين آمد و تسليمها إلى صاحب الحصن

قد ذكرنا نزول صلاح الدين بحرزم، تحت ماردين، فلم ير لطمعه وجها، و سار عنها إلى آمد، على طريق البارعيّة، و كان نور الدين محمّد بن قرا أرسلان يطالبه فى كلّ وقت بقصدها و أخذها و تسليمها إليه، على ما استقرّت القاعدة بينهما، فوصل إلى آمد سابع عشر ذى الحجّة من سنة ثمان و سبعين و نازلها، و أقام يحاصرها.

و كان المتولّى لأمرها و الحاكم فيها بهاء الدين بن نيسان، و كان صاحبها ليس له من الأمر شىء مع ابن نيسان، فلمّا نازلها صلاح الدين أساء ابن نيسان التدبير، و لم يعط النّاس من الذخائر شيئا، و لا فرّق فيهم دينارا و لا قوتا، و قال لأهل البلد: قاتلوا عن نفوسكم. فقال له بعض أصحابه: ليس العدوّ بكافر حتى يقاتلوا عن نفوسهم. فلم يفعل شيئا. و قاتلهم صلاح الدين، و نصب المجانيق، و زحف إليها، و هى الغاية فى الحصانة و المنعة، بها و بسورها يضرب المثل، و ابن نيسان على حاله من الشحّ بالمال، و تصرّفه تصرّف من ولّت سعادته و أدبرت دولته، فلمّا رأى النّاس ذلك منه تهاونوا بالقتال، و جنحوا إلى السلامة.

و كانت أيّام ابن نيسان قد طالت، و ثقلت على أهل البلد لسوء صنيعهم و ملكتهم و تضييقهم عليهم فى مكاسبهم، فالنّاس كارهون لها، محبّون لانقراضها.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۴۹۴

و أمر صلاح الدين أن يكتب على السهام إلى أهل البلد يعدهم الخير و الإحسان إن أطاعوه، و يتهدّدهم إن قاتلوه، فزادهم ذلك تقاعدا و تخاذلا و أحبّوا ملكه و تركوا القتال، فوصل النقّابون إلى السور، فنقبوه و علّقوه، فلمّا رأى الجند و أهل البلد ذلك طمعوا فى ابن نيسان و اشتطّوا فى المطالب.

فحين صارت الحال كذلك أخرج ابن نيسان نساءه إلى القاضى الفاضل، وزير صلاح الدين، يسأله أن يأخذ له الأمان و لأهله و ماله، و أن يؤخره ثلاثة أيّام حتى ينقل ما له بالبلد من الأموال و الذخائر، فسعى له الفاضل فى ذلك، فأجابه صلاح الدين إليه، فسلّم البلد فى العشر الأوّل من المحرّم هذه السنة، و أخرج خيمه إلى ظاهر البلد، و رام نقل ماله، فتعذّر ذلك عليه لزوال حكمه عن أصحابه، و اطّراحهم أمره و نهيه، فأرسل إلى صلاح الدين يعرّفه الحال، و يسأله مساعدته على ذلك، فأمدّه بالدوابّ و الرجال، فنقل البعض و سرق البعض و انقضت الأيّام الثلاثة [۱] قبل الفراغ فمنع من الباقى.

و كانت أبراج المدينة مملوءة من أنواع الذخائر، فتركها بحالها، و لو أخرج البعض منها لحفظ البلد و سائر نعمه و أمواله، لكن إذا أراد اللّه أمرا هيّأ أسبابه، فلمّا تسلّمها صلاح الدين سلّمها نور الدين إلى صاحب الحصن، فقيل له قبل تسليمها: إن هذه المدينة فيها من الذخائر ما يزيد على ألف ألف دينار، فلو أخذت ذلك و أعطيته جندك و أصحابك، و سلّمت البلد إليه فارغا، لكان راضيا، فإنّه لا

يطمع فى غيره. فامتنع من ذلك، و قال: ما كنت لأعطيه الأصل و أبخل بالفرع، فلمّا تسلّم نور الدين البلد اصطنع دعوة عظيمة، و دعا إليها صلاح الدين و أمراءه، و لم يكن دخل البلد، و قدّم له و لأصحابه من التحف و الهدايا أشياء كثيرة.

---

[۱]- الثلاث.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۹۵

ذكر ملك صلاح الدين تلّ خالد و عين تاب من أعمال الشام

لمّا فرغ صلاح الدين من أمر آمد سار إلى الشام، و قصد تلّ خالد، و هى من أعمال حلب، فحصرها و رماها بالمنجنيق، فنزل أهلها و طلبوا الأمان فأمّنهم، و تسلّمها فى المحرّم أيضا.

ثمّ سار منها إلى عين تاب فحصرها و بها ناصر الدين محمّد، و هو أخو الشيخ إسماعيل الّذى كان خازن نور الدين محمود بن زنكى و صاحبه، و كان قد سلّمها إليه نور الدين، فبقيت معه إلى الآن. فلمّا نازلهٔ صلاح الدين أرسل إليه يطلب أن يقرّ الحصن بيده و ينزل إلى خدمته و يكون تحت حكمه و طاعته، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك، و حلف له عليه، فنزل إليه، و صار فى خدمته، و كان أيضا فى المحرّم من هذه السنة.

ذكر وقعتين مع الفرنج فى البحر و الشام

فى هذه السنة، فى العاشر من المحرّم، سار أسطول المسلمين من مصر فى البحر، فلقوا بطسة فيها نحو ثلاثمائة من الفرنج بالسلاح التامّ، و معهم الأموال و السلاح إلى فرنج الساحل، فقاتلوهم، و صبر الفريقان، و كان الظفر للمسلمين، و أخذوا الفرنج أسرى، فقتلوا بعضهم و أبقوا بعضهم أسرى، و غنموا ما معهم و عادوا إلى مصر سالمين.

و فيها أيضا سارت عصابة كبيرة من الفرنج من نواحى الداروم إلى نواحى مصر ليغيروا و ينهبوا، فسمع بهم المسلمون، فخرجوا إليهم على طريق

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۹۶

صدر «۱» و أيلة، فانتزح الفرنج من بين أيديهم فنزلوا بماء يقال له العسيلة، و سبقوا المسلمين إليه، فأتاهم المسلمون و هم عطاش قد أشرفوا على الهلاك، فرأوا الفرنج قد ملكوا الماء، فأنشأ اللَّه، سبحانه و تعالى، بلطفه سحابة عظيمة، فمطروا منها حتى رووا، و كان الزمان قيظا، و الحرّ شديدا [۱] فى برّ مهلك، فلمّا رأوا ذلك قويت نفوسهم، و وثقوا بنصر اللَّه لهم، و قاتلوا الفرنج، فنصرهم اللَّه عليهم فقتلوهم، و لم يسلم منهم إلّا الشريد الفريد، و غنم المسلمون ما معهم من سلاح و دوابّ، و عادوا منصورين قاهرين بفضل اللَّه.

ذكر ملك صلاح الدين حلب

و فى هذه السنة سار صلاح الدين من عين تاب إلى حلب، فنزل عليها فى المحرّم أيضا، فى الميدان الأخضر، و أقام به عدّة أيّام، ثمّ انتقل إلى جبل جوشن فنزل بأعلاه، و أظهر أنّه يريد [أن] يبنى مساكن له و لأصحابه و عساكره، و أقام عليها أيّاما و القتال بين العسكرين كلّ يوم.

و كان صاحب حلب عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى، و معه العسكر النورىّ، و هم مجدّون فى القتال، فلمّا رأى كثرة الخرج، كأنّه شحّ بالمال، فحضر يوما عنده بعض أجناده، و طلبوا منه شيئا، فاعتذر بقلّة المال عنده، فقال له بعضهم: من يريد [أن] يحفظ مثل حلب يخرج الأموال، و لو باع حلىّ نسائه، فمال حينئذ إلى تسليم حلب و أخذ العوض منها، و أرسل مع

[۱]- شدید.

(۱). صدر:spU. ۰۴vte .P .C

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۴۹۷

الأمیر طمان الیاروقیّ، و کان یمیل إلی صلاح الدین و هواه معه، فلهذا أرسله فقرّر قاعدة الصّلح علی أن یسلّم عماد الدین حلب إلی صلاح الدین و یأخذ عوضها سنجار، و نصیبین، و الخابور، و الرّقّة، و سروج، و جرت الیمین علی ذلک و باعها بأوکس الأثمان، أعطی حصنا مثل حلب، و أخذ عوضها قری و مزارع، فنزل عنها ثامن عشر صفر، و تسلّمها صلاح الدین، فعجب النّاس کلّهم من ذلک، و قبّحوا ما أتی، حتی إنّ بعض عامّة حلب أحضر اجّانة و ماء و ناداه: أنت لا یصلح لک الملک، و إنّما یصلح لک أن تغسل الثیاب، و أسمعوه المکروه.

و استقرّ ملک صلاح الدین بملکها، و کان مزلزلا، فثبت قدمه بتسلیمها و کان علی شفا جرف هار، و إذا أراد اللّه أمرا فلا مردّ له.

و سار عماد الدین إلی البلاد التی أعطیها عوضا عن حلب فتسلّمها، و أخذ صلاح الدین حلب، و استقرّ الحال بینهما: إنّ عماد الدین یحضر فی خدمة صلاح الدین بنفسه و عسکره، إذا استدعاه لا یحتجّ [۱] بحجّة، و من الاتّفاقات العجیبة أنّ محیی الدین بن الزکی، قاضی دمشق، مدح صلاح الدین بقصیدة منها:

و فتحکم حلبا بالسّیف فی صفرمبشّر بفتوح القدس فی رجب فوافق فتح القدس فی رجب سنة ثلاث و ثمانین و خمسمائة، علی ما نذکره إن شاء اللّه تعالی.

و ممّا کتبه القاضی الفاضل فی المعنی عن صلاح الدین: فأعطیناه عن حلب کذا و کذا، و هو صرف علی الحقیقة أخذنا فیه الدّنانیر و أعطیناه الدراهم، و نزلنا عن القری، و أحرزنا العواصم.

[۱]- یحتاج.

الکامل فی التاریخ، ج۱۱، ص: ۴۹۸

و کتب أیضا: أعطیناه ما لم یخرج عن الید، یعنی انه متی شاء أخذه لعدم حصانته.

و کان فی جملة من قتل علی حلب تاج الملوک بوری، أخو صلاح الدین الأصغر، و کان فارسا شجاعا، کریما حلیما، جامعا لخصال الخیر، و محاسن الأخلاق، طعن فی رکبته فانفکّت، فمات منها بعد أن استقرّ الصلح بین عماد الدین و صلاح الدین علی تسلیم حلب قبل أن یدخلها صلاح الدین، فلمّا استقرّ أمر الصلح حضر صلاح الدین عند أخیه یعوده، و قال له: هذه حلب قد أخذناها، و هی لک، فقال: ذلک لو کان و أنا حیّ. و و اللّه لقد أخذتها غالیة حیث تفقد مثلی. فبکی صلاح الدین و أبکی.

و لمّا خرج عماد الدین إلی صلاح الدین، و قد عمل له دعوة احتفل فیها، فبینما هم فی سرور إذ جاء إنسان فأسرّ إلی صلاح الدین بموت أخیه، فلم یظهر هلعا، و لا جزعا، و أمر بتجهیزه سرّا، و لم یعلم عماد الدین و من معه فی الدعوة، و احتمل الحزن وحده لئلّا یتنکّر ما هم فیه، و کان هذا من الصبر الجمیل.

ذکر فتح صلاح الدین حارم

لمّا ملک صلاح الدین حلب «۱» کان بقلعة حارم، و هی من أعمال حلب، بعض الممالیک النوریّة، و اسمه سرخک، و ولّاه علیها الملک الصالح عماد الدین «۲»، فامتنع من تسلیمها إلی صلاح الدین، فراسله صلاح الدین فی التسلیم، و قال له: اطلب من الإقطاع ما

أردت، و وعده الإحسان، فاشتطّ فى الطلب،

---

(۱). حارمP. spU.

(۲). عماد الدين tePCnitnuseD ۷۴۰

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۴۹۹

و تردّدت الرسل بينهما [۱]، فراسل الفرنج ليحتمى بهم، فسمع من معه من الأجناد أنّه يراسل الفرنج، فخافوا أن يسلّمها إليهم، فوثبوا عليه و قبضوه و حبسوه، و راسلوا صلاح الدين الذين يطلبون منه الأمان و الإنعام، فأجابهم إلى ما طلبوا، و سلّموا إليه الحصن فرتّب به دزدارا بعض خواصّه.

و أمّا باقى قلاع حلب، فإنّ صلاح الدين أقرّ عين تاب بيد صاحبها، كما تقدّم، و أقطع تلّ خالد لأمير يقال له داروم الياروقىّ، و هو صاحب تلّ باشر.

و أمّا قلعة إعزاز، فإنّ عماد الدين إسماعيل كان قد خرّبها، فأقطعها صلاح الدين لأمير يقال له دلدرم سليمان بن جندر، فعمرها. و أقام صلاح الدين بحلب إلى أن فرغ من تقرير قواعدها و أحوالها و ديوانها، و أقطع أعمالها، و أرسل منها «۱» فجمع العساكر من جميع بلاده.

ذكر القبض على مجاهد الدين و ما حصل من الضرر بذلك

فى هذه السنة، فى جمادى الأولى، قبض عز الدين مسعود، صاحب الموصل «۲»، على نائبة مجاهد الدين قايماز، و كان إليه الحكم فى جميع البلاد، و اتّبع فى ذلك هوى من أراد المصلحة «۳» لنفسه، و لم ينظر فى مضرّة صاحبه.

و كان الّذى أشار بذلك عزّ الدين محمود زلفندار «۴»، و شرف الدين أحمد ابن أبى الخير «۵» الّذى كان أبوه صاحب الغرّاف، و هما من أكابر الأمراء،

---

[۱]- بينهم.

---

(۱) و أرسل إليهاA

(۲) صاحب العراقB

(۳). فى مصلحة صاحبهB

(۴) زلف اندارA

(۵) الجبر.C. P

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۰۰

فلمّا أراد القبض عليه لم يقدم على ذلك لقوّة مجاهد الدين، فأظهر أنّه مريض، و انقطع عن الركوب عدّة أيّام، فدخل إليه مجاهد الدين وحده، و كان خصيّا لا يمتنع من الدخول على النساء، فلمّا دخل عليه قبض عليه، و ركب لوقته إلى القلعة، فاحتوى على الأموال التى لمجاهد الدين و خزائنه، و ولّى زلفندار قلعة الموصل بعد مجاهد الدين، و جعل ابن صاحب الغرّاف أمير حاجب و حكّمهما فى دولته.

و كان تحت حكم مجاهد الدين حينئذ إربل و أعمالها، و معه فيها زين الدين يوسف بن زين الدين علىّ، و هو صبىّ صغير ليس له

من الحكم شىء و الحكم و العسكر إلى مجاهد الدين، و تحت حكمه أيضا جزيرة ابن عمر، و هى لمعزّ الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود، و هو أيضا صبىّ، و الحكم و النوّاب و العسكر لمجاهد الدين، و بيده أيضا شهرزور و أعمالها، و نوّابه فيها، و دقوقا، و نائبة فيها، و قلعة عقر الحميديّة، و نائبة فيها، و لم يبق لعزّ الدين مسعود بعد أن أخذ صلاح الدين [البلاد] الجزريّة سوى الموصل و قلعتها بيد مجاهد الدين، و هو على الحقيقة الملك و اسمه لعزّ الدين، فلمّا قبض عليه امتنع صاحب إربل من طاعة عزّ الدين، و استبدّ، و كذلك أيضا صاحب جزيرة ابن عمر، و أرسل الخليفة إلى دقوقا فحصرها و أخذها، و لم يحصل لعزّ الدين مسعود غير شهرزور و العقر، و صارت إربل و الجزيرة أضرّ شىء على صاحب الموصل، و أرسل صاحبها إلى صلاح الدين بالطاعة له، و الكون فى خدمته.

و كان الخليفة الناصر لدين اللّه قد أرسل صدر الدين شيخ الشيوخ، و معه بشير الخادم الخاص، إلى صلاح الدين فى الصلح مع عزّ الدين، صاحب الموصل، و سيّر عزّ الدين معه القاضى محيى الدين أبا حامد بن الشّهرزورى فى المعنى، فأجاب صلاح الدين إلى ذلك و قال: ليس لكم مع الجزيرة و إربل حديث،

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٠١

فامتنع محيى الدين عن ذلك و قال: هما لنا، فلم يجب صلاح الدين إلى الصلح إلّا بأن تكون إربل و الجزيرة معه، فلم يتم أمره، و قوى طمع صلاح الدين فى الموصل بقبض مجاهد الدين، فلمّا رأى صاحب الموصل الضرر بقبض مجاهد الدين قبض على شرف الدين أحمد بن صاحب الغرّاف «١» و زلفندار، عقوبة لهما، ثمّ أخرج مجاهد الدين، على ما نذكره إن شاء اللّه.

ذكر غزو بيسان

لمّا فرغ صلاح الدين من أمر حلب جعل فيها ولده الملك الظاهر غازى، و هو صبىّ، و جعل معه الأمير سيف الدين يازكج «٢»، و كان أكبر الأمراء الأسديّة، و سار إلى دمشق، و تجهّز للغزو، و معه عساكر الشام و الجزيرة، و ديار بكر، و سار إلى بلد الفرنج، فعبر نهر الأردنّ تاسع جمادى الآخرة من السنة، فرأى أهل تلك النواحى قد فارقوها خوفا، فقصد بيسان فأحرقها و خرّبها، و أغار على ما هناك، فاجتمع الفرنج، و جاءوا إلى قبالته، فحين رأوا كثرة عساكره لم يقدموا عليه، فأقام عليهم، و قد استندوا إلى جبل هناك، و خندقوا عليهم، فأحاط بهم، و عساكر الإسلام ترميهم بالسهام، و تناوشهم القتال، فلم يخرجوا و أقاموا كذلك خمسة أيّام، و عاد المسلمون عنهم سابع عشر الشهر، لعلّ الفرنج يطمعون و يخرجون، فيستدرجونهم ليبلغوا منهم غرضا، فلمّا رأى الفرنج ذلك لم يطمعوا أنفسهم فى غير السلامة.

و أغار المسلمون على تلك الأعمال يمينا و شمالا، و وصلوا فيها إلى ما لم يكونوا يطمعون فى الوصول إليه و الإقدام عليه، فلمّا كثرت الغنائم معهم

---

(١) صاحب العراقB

(٢). يازكوخB

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٠٢

رأوا العود إلى بلادهم بما غنموا مع الظفر أولى، فعادوا إلى بلادهم على عزم الغزو «١».

ذكر غزو الكرك و ملك العادل حلب

لمّا عاد صلاح الدين و المسلمون من غزوة بيسان تجهّزوا لغزو الكرك، فسار إليه فى العساكر، و كتب إلى أخيه العادل أبى بكر بن

أيّوب، و هو نائبة بمصر، يأمره بالخروج بجميع العساكر إلى الكرك. و كان العادل قد أرسل إلى صلاح الدين يطلب منه مدينة حلب و قلعتها، فأجابه إلى ذلك، و أمره أن يخرج معه بأهله و ماله، فوصل صلاح الدين إلى الكرك فى رجب، و وافاه أخوه العادل فى العسكر المصرى، و كثر جمعه، و تمكّن من حصره، [و صعد] «۲» المسلمون إلى ربضه و ملكه، و حصر الحصن من الربض، و تحكّم عليه فى القتال، و نصب عليه سبعة [۱] مجانيق لا تزال ترمى بالحجارة ليلا و نهارا.

و كان صلاح الدين يظنّ أنّ الفرنج لا يمكنونه من حصر الكرك، و أنّهم يبذلون جهدهم فى ردّه عنهم، فلم يستصحب معه من آلات الحصار ما يكفى لمثل ذلك الحصن العظيم و المعقل المنيع، فرحل عنه منتصف شعبان، و سيّر «۳» تقى الدين ابن أخيه إلى مصر نائبا عنه ليتولّى ما كان أخوه العادل يتولّاه، و استصحب أخاه العادل معه إلى دمشق، و أعطاه مدينة حلب و قلعتها و أعمالها، و مدينة منبج و ما يتعلّق بها، و سيّره إليها فى شهر رمضان من السنة، و أحضر ولده الظاهر منها إلى دمشق.

---

[۱]- سبع.

---

(۱) عزم العودA

(۲)te .P .C

(۳). و كان قد سيرB

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۰۳

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فتح الرباط الّذى بنته أمّ الخليفة بالمأمونيّة.

و فيها، فى ذى الحجّة، توفّى مكرم بن بختيار أبو الخير الزاهد ببغداد.

روى الحديث، و كان كثير البكاء.

و فى جمادى الآخرة توفّى محمّد بن بختيار بن عبد اللّه أبو عبد المولد الشاعر و يعرف بالأبله، فمن جملة شعره:

أراق دمعى لا بل أراق دمىظلما بظلم من ريقه الشّبم [۱]

ذو قامة كالقضيب ناضرةو ناظر من سقامه سقمى

حصلت من وعده «۱»على أصدقالوعد و من وصله على التّهم

---

[۱]- الشيم.

---

(۱). أبيت من هجره.C .P

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۰۴

۵۸۰ ثم دخلت سنة ثمانين و خمسمائة

ذكر إطلاق مجاهد الدين من الحبس و انهزام العجم

فى هذه السنة، فى المحرّم، أطلق أتابك عزّ الدين، صاحب الموصل، مجاهد الدين قايماز من الحبس بشفاعة شمس الدين البهلوان، صاحب همذان و بلاد الجبل، و سيّره إلى البهلوان و أخيه قزل يستنجدهما على صلاح الدين، فسار إلى قزل أوّلا، و هو صاحب أذربيجان، فلم يمكنه من المضى إلى البهلوان، و قال: ما تختاره أنا أفعله، و جهّز معه عسكرا كثيرا نحو ثلاثة آلاف فارس، و ساروا نحو إربل ليحصروها، فلمّا قاربوها أفسدوا [١] فى البلاد و خرّبوها، و نهبوا و سبوا، و أخذوا النساء قهرا، و لم يقدر مجاهد الدين على منعهم، فسار إليهم زين الدين يوسف، صاحب إربل، فى عسكره، فلقيهم و هم متفرّقون فى القرى ينهبون و يحرقون، فانتهز الفرصة فيهم بتفرّقهم، و ألقى بنفسه و عسكره على أوّل من لقيه منهم، فهزمهم، و تمّت الهزيمة على الجميع، و غنم الإربليّون أموالهم و دوابّهم و سلاحهم، و عاد العجم إلى بلادهم منهزمين، و عاد صاحب إربل إلى بلده مظفّرا غانما، و عاد مجاهد الدين إلى الموصل، فكان يحكى: إنّنى ما زلت أنتظر العقوبة من اللّه تعالى على سوء أفعال العجم، فإنّنى رأيت منهم ما لم أكن أظنّه يفعله مسلم بمسلم، و كنت أنهاهم فلا يسمعون، حتى كان من الهزيمة ما كان.

---

[١]- فسدوا.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٠٥

ذكر وفاة يوسف بن عبد المؤمن و ولاية ابنه يعقوب

فى هذه السنة سار أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى بلاد الأندلس، و جاز البحر إليها فى جمع عظيم من عساكر المغرب، فإنّه جمع و حشد الفارس و الراجل، فلمّا عبر الخليج قصد غربىّ البلاد، فحصر مدينة شنترين، و هى للفرنج، شهرا، فأصابه بها مرض فمات منه فى ربيع الأوّل، و حمل فى تابوت إلى مدينة إشبيلية من الأندلس.

و كانت مدّة ملكه اثنتين و عشرين سنة و شهرا، و مات عن غير وصيّة بالملك لأحد من أولاده، فاتّفق رأى قوّاد الموحّدين و أولاد عبد المؤمن [على تمليك ولده أبى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن] «١» فملّكوه من الوقت الّذى مات فيه أبوه لئلّا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من العدوّ، فقام فى ذلك أحسن قيام، و أقام راية الجهاد، و أحسن السيرة فى النّاس. و كان ديّنا مقيما للحدود فى الخاصّ و العام، فاستقامت له الدولة و انقادت إليه بأسرها مع سعة أقطارها، و رتّب ثغور الأندلس و شحنها بالرجال، و رتّب المقاتلة فى سائر بلادها، و أصلح أحوالها و عاد إلى مرّاكش.

و كان أبوه يوسف حسن السيرة، و كان طريقه ألين من طريق أبيه مع النّاس، يحبّ العلماء و يقرّبهم و يشاورهم، و هم أهل خدمته و خاصّته. و أحبّه النّاس و مالوا إليه، و أطاعه من البلاد ما امتنع على أبيه، و سلك فى جباية الأموال ما كان أبوه يأخذه، و لم يتعدّه إلى غيره، و استقامت له البلاد بحسن فعله مع أهلها، و لم يزل كذلك إلى أن توفّى، رحمه اللّه تعالى.

P .C.(١)

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٠٦

ذكر غزو صلاح الدين الكرك

فى هذه السنة، فى ربيع الآخر، سار صلاح الدين من دمشق يريد الغزو، و جمع عساكره، فأتته من كلّ ناحية، و ممّن أتاه نور الدين محمّد بن قرا أرسلان، صاحب الحصن. و كتب إلى مصر ليحضر عسكرها عنده على الكرك، فنازل الكرك و حصره، و ضيّق على من به، و أمر بنصب المجانيق على ربضه، و اشتدّ القتال، فملك المسلمون الربض، و بقى الحصن، و هو و الربض على سطح جبل

واحد، إلّا أنّ بينهما خندقا عظيما عمقه نحو ستّين ذراعا، فأمر صلاح الدين بإلقاء الأحجار و التراب فيه ليطمّه، فلم يقدر أحد على الدنوّ منه لكثرة الرمى عليهم بالسهام من الجرخ و القوس و الأحجار من المجانيق، فأمر أن يبنى بالأخشاب و اللبن ما يمكن الرجال يمشون تحته إلى الخندق و لا يصل إليهم شيء من السهام و الأحجار، ففعل ذلك، فصاروا يمشون تحت السقائف و يلقون فى الخندق ما يطمّه، و مجانيق المسلمين مع ذلك ترمى الحصن ليلا و نهارا.

و أرسل من فيه من الفرنج إلى ملكهم و فرسانهم يستمدّونهم و يعرّفونهم عجزهم و ضعفهم عن حفظ الحصن، فاجتمعت الفرنج عن آخرها، و ساروا إلى نجدتهم عجلين، فلمّا بلغ الخبر بمسيرهم إلى صلاح الدين رحل عن الكرك إلى طريقهم ليلقاهم و يصافهم، و يعود بعد أن يهزمهم إلى الكرك، فقرب منهم و خيّم و نزل، و لم يمكنه الدنوّ منهم لخشونة الأرض و صعوبة المسلك إليهم و ضيقه، فأقام أيّاما ينتظر خروجهم من ذلك المكان ليتمكّن منهم، فلم يبرحوا منه خوفا على نفوسهم، فلمّا رأى ذلك رحل عنهم عدّة فراسخ، و جعل بإزائهم من يعلمه بمسيرهم، فساروا ليلا إلى الكرك، فلمّا علم صلاح الدين ذلك علم أنّه لا يتمكّن حينئذ و لا يبلغ غرضه، فسار إلى مدينة نابلس، و نهب كلّ ما على طريقه من البلاد، فلمّا وصل إلى نابلس

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٥٠٧

أحرقها و خرّبها و نهبها، و قتل فيها و أسر و سبى فأكثر، و سار عنها إلى سبسطية، و بها مشهد زكريا، عليه السلام، و بها كنيسة، و بها جماعة أسرى من المسلمين، فاستنقذهم، و رحل إلى جنين فنهبها و خرّبها، و عاد إلى دمشق و نهب ما على طريقه و خرّبه، و بثّ السرايا فى طريقه يمينا و شمالا يغنمون و يخرّبون، و وصل إلى دمشق.

ذكر ملك الملثّمين بجاية و عودها إلى أولاد عبد المؤمن

فى هذه السنة، فى شعبان، خرج علىّ بن إسحاق المعروف بابن غانية و هو من أعيان الملثّمين الذين كانوا ملوك المغرب، و هو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة، إلى بجاية فملكها، و سبب ذلك أنّه لمّا سمع بوفاة يوسف بن عبد المؤمن عمر أسطوله فكان عشرين قطعة و سار فى جموعه فأرسى فى ساحل بجاية، و خرجت خيله و رجاله من الشوانى فكانوا نحو مائتى فارس من الملثّمين و أربعة آلاف راجل، فدخل مدينة بجاية بغير قتال لأنّه اتّفق أنّ و اليها سار عنها قبل ذلك بأيّام إلى مرّاكش و لم يترك فيها جيشا و لا ممانعا لعدم عدوّ يحفظها منه، فجاء الملثّم و لم يكن فى حسابهم أنّه يحدّث نفسه بذلك، فأرسى بها و وافقه جماعة من بقايا دولة بنى حمّاد و صاروا معه فكثر جمعه بهم و قويت نفسه، فسمع خبره والى بجاية فعاد من طريقه و معه من الموحّدين ثلاثمائة فارس، فجمع من العرب و القبائل الذين فى تلك الجهات نحو ألف فارس، فسمع به الملثّم و بقربهم منه، فخرج إليهم و قد صار معه قدر ألف فارس، و تواقفوا ساعة فانضاف جميع الجموع التى كانت مع والى بجاية إلى الملثّم، فانهزم حينئذ والى بجاية و من معه من الموحّدين و ساروا إلى مرّاكش، و عاد الملثّم إلى بجاية فجمع جيشه و خرج إلى أعمال بجاية فأطاعه جميعها إلّا قسنطينة الهوى فحصرها إلى أن جاء

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٥٠٨

جيش من الموحّدين من مرّاكش فى صفر سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة إلى بجاية فى البرّ و البحر و كان بها يحيى و عبد اللّه أخوا علىّ بن إسحاق الملثّم، فخرجا منها هاربين و لحقا بأخيهما فرحل عن قسنطينة و سار إلى إفريقية. و كان سبب إرسال الجيش من مرّاكش أنّ والى بجاية وصل إلى يعقوب بن يوسف صاحب المغرب و عرّفه ما جرى ببجاية و استيلاء الملثّمين عليها و خوّفه عاقبة التوانى فجهّز العساكر فى البرّ عشرين ألف فارس و جهّز الأسطول فى البحر فى خلق كثير و استعادوها.

ذكر وفاة صاحب ماردين و ملك ولده

فى هذه السنة مات قطب الدين إيلغازى بن نجم الدين بن ألبى بن تمرتاش ابن إيلغازى بن أرتق صاحب ماردين، و ملك بعده [١]

ابنه حسام الدين بولق أرسلان و هو طفل و قام بتربيته و تدبير مملكته نظام الدين البقش مملوك أبيه، و كان شاه أرمن صاحب خلاط خال قطب الدين فحكم فى دولته، و هو رتّب البقش مع ولده، و كان البقش ديّنا خيّرا عادلا حسن السيرة حليما، فأحسن تربيته و تزوّج أمّه، فلمّا كبر الولد لم يمكّنه النظام من مملكته لخبط و هوج فيه، و كان لنظام الدين هذا مملوك اسمه لؤلؤ [۲] قد تحكّم فى دولته و حكم فيها فكان يحمل النظام على ما يفعله مع الولد، و لم يزل الأمر كذلك إلى أن مات الولد و له أخ أصغر منه لقبه قطب الدين فرتّبه النظام فى الملك و ليس له منه إلّا الاسم و الحكم إلى النظام و لؤلؤ، فبقى كذلك إلى سنة إحدى و ستمائة، فمرض النظام

---

[۱]- بعد.

[۲]- لؤلؤا.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۰۹

البقش فأتاه قطب الدين يعوده، فلمّا خرج من عنده خرج معه لؤلؤ و ضربه قطب الدين بسكّين معه فقتله ثمّ دخل إلى النظام و بيده السكّين فقتله أيضا و خرج وحده و معه غلام له و ألقى الرأسين إلى الأجناد و كانوا كلّهم قد أنشأهم النظام و لؤلؤ فأذعنوا له بالطاعة، فلمّا تمكّن أخرج من أراد و ترك من أراد و استولى على قلعة ماردين و أعمالها و قلعة البارعيّة و صور و هو إلى الآن حاكم فيها حازم فى أفعاله.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن شيخ الشيوخ إسماعيل بن شيخ الشيوخ أبى سعيد أحمد فى شعبان، و كان قد سار فى ديوان الخلافة رسولا إلى صلاح الدين و معه شهاب الدين بشير الخادم فى معنى الصلح بينه و بين عزّ الدين صاحب الموصل، فوصلا إلى دمشق و صلاح الدين يحصر الكرك، فأقاما إلى أن عاد فلم يستقرّ فى الصلح أمر و مرضا و طلبا العودة إلى العراق، فأشار عليهما صلاح الدين بالمقام إلى أن يصطلحا، فلم يفعلا و سارا فى الحرّ فمات بشير بالسحنة.

و مات صدر الدين بالرحبة، و دفن بمشهد البوق، و كان واحد زمانه، قد جمع بين رياسة الدين و الدنيا، و كان ملجأ لكلّ خائف، صالحا، كريما، حليما، و له مناقب كثيرة، و لم يستعمل فى مرضه هذا دواء توكّلا على اللَّه تعالى.

و فيها توفّى عبد اللطيف بن محمّد بن عبد اللطيف الخجندىّ الفقيه الشافعىّ، رئيس أصفهان، و كان موته بباب همذان و قد عاد من الحجّ، و له شعر فمنه:

بالحمى دار سقاها مدمعى‌يا سقى اللَّه الحمى من مربع

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۱۰ ليت شعرى و الأمانى ضلّةهل إلى وادى الغضى من مرجع

أذنت علوة للواشى بناما على علوة لو لم تسمع

أو تحرّت رشدا فيما وشى‌أو عفت عنى فما قلبى معى رحمه اللَّه، و رضى عنه و أرضاه.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۱۱

۵۸۱ ثم دخلت سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة

ذكر حصر صلاح الدين الموصل و رحيله عنها لوفاة شاه أرمن

فى هذه السنة حصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب الموصل مرّة ثانية، و كان مسيره من دمشق فى ذى القعدة من السنة الماضية،

فوصل إلى حلب، و أقام بها إلى أن خرجت السنة، و سار منها فعبر إلى أرض الجزيرة، فلمّا وصل حرّان قبض على مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين الّذى كان سبب ملكه الديار الجزريّة.

و سبب قبضه عليه أنّ مظفّر الدين كان يراسل صلاح الدين كلّ وقت، و يشير عليه بقصد الموصل، و يحسّن له ذلك و يقوّى طمعه، حتى إنّه بذل له، إذا سار إليها، خمسين ألف دينار، فلمّا وصل صلاح الدين إلى حرّان لم يف له بما بذل من المال، و أنكر ذلك، فقبض عليه، و وكّل به، ثمّ أطلقه، و أعاد إليه مدينتى حرّان و الرّها، و كان قد أخذهما منه، و إنّما أطلقه لأنّه خاف انحراف النّاس عنه بالبلاد الجزريّة، لأنّهم كلّهم علموا بما أعتمده مظفّر الدين معه من تمليكه البلاد فأطلقه.

و سار صلاح الدين عن حرّان فى ربيع الأوّل، فحضر عنده عساكر الحصن و دارا و معزّ الدين سنجر شاه، صاحب الجزيرة، و هو ابن أخى عزّ الدين صاحب الموصل، و كان قد فارق طاعة عمّه بعد قبض مجاهد الدين، و سار مع صلاح الدين إلى الموصل، فلمّا وصلوا إلى مدينة بلد سيّر أتابك

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥١٢

عزّ الدين والدته إلى صلاح الدين و معها ابنة عمّه نور الدين محمود بن زنكى و غيرهما من النساء، و جماعة من أعيان الدولة، يطلبون منه المصالحة، و بذلوا له الموافقة، و الإنجاد بالعساكر ليعود عنهم، و إنّما أرسلهنّ لأنّه و كلّ من عنده ظنّوا أنّهنّ إذا طلبن منه الشام أجابهنّ إلى ذلك، لا سيّما و معهنّ ابنة مخدومه و وليّ نعمته نور الدين، فلمّا وصلن إليه أنزلهنّ، و أحضر أصحابه و استشارهم فيما يفعله و يقوله، فأشار أكثرهم بإجابتهنّ إلى ما طلبن منه، و قال له الفقيه عيسى و عليّ بن أحمد المشطوب، و هما من بلد الهكّاريّة من أعمال الموصل: مثل الموصل لا يترك لامرأة، فإنّ عزّ الدين ما أرسلهنّ إلّا و قد عجز عن حفظ البلد.

و وافق ذلك هواه، فأعادهنّ خائبات، و اعتذر بأعذار غير مقبولة، و لم يكن إرسالهنّ عن ضعف و وهن، إنّما أرسلهنّ طلبا لدفع الشرّ بالتى هى أحسن. فلمّا عدن رحل صلاح الدين إلى الموصل و هو كالمتيقّن أنّه يملك البلد، و كان الأمر بخلاف ذلك، فلمّا قارب البلد نزل على فرسخ منه، و امتدّ عسكره فى تلك الصحراء بنواحى الحلّة المراقيّة، و كان يجرى بين العسكرين مناوشات بظاهر الباب العمادى، و كنت إذ ذاك بالموصل، و بذل العامّة نفوسهم غيظا و حنقا لردّه النساء، فرأى صلاح الدين ما لم يكن يحسبه، فندم على ردّه النساء ندامة الكسعى، حيث فاته حسن الذّكر و ملك البلد، و عاد على الذين أشاروا بردّهنّ باللوم و التوبيخ.

و جاءته كتب القاضى الفاضل و غيره ممّن ليس له هوى فى الموصل يقبّحون فعله و ينكرونه، و أتاه و هو على الموصل زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب إربل، فأنزله و معه أخوه مظفّر الدين كوكبرى و غيرهما من الأمراء بالجانب الشرقى من الموصل، و سيّر من المنزلة عليّ بن أحمد المشطوب الهكارىّ إلى قلعة الجديدة من بلد الهكّاريّة، فحصرها و اجتمع

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥١٣

عليه من الأكراد و الهكّاريّة كثير، و بقى هناك إلى أن رحل صلاح الدين عن الموصل.

و كان عامّة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من الجانب «١» الشرقىّ من العسكر و يعودون «٢»، و لمّا كان صلاح الدين يحاصر الموصل بلغ أتابك عزّ الدين صاحبها أنّ نائبة بالقلعة زلفندار يكاتبه، فمنعه من الصعود إلى القلعة و عاد «٣» يقتدى برأى مجاهد الدين، و كان قد أخرجه، كما ذكرناه، و يصدر عن رأيه، و ضبط «۴» الأمور، و أصلح ما كان فسد من الأحوال، حتى آل الأمر إلى الصلح، على ما نذكره إن شاء اللّه.

و حضر عند صلاح الدين إنسان بغدادىّ أقام بالموصل، ثمّ خرج إلى صلاح الدين، فأشار عليه بقطع دجلة عن الموصل إلى ناحية نينوى، و قال: إنّ دجلة إذا نقلت عن الموصل عطش أهلها فملكناها بغير قتال. فظنّ صلاح الدين أنّ قوله صدق [١]، فعزم على ذلك، حتى علم أنّه لا يمكن قطعه بالكلّيّة، فإنّ المدّة تطول، و التعب يكثر، و لا فائدة وراءه، و قبحه عنده أصحابه، فأعرض عنه «۵».

و أقام بمكانه من أوّل ربيع الآخر إلى أن قارب آخره، ثمّ رحل عنها إلى ميّافارقين. و كان سبب ذلك أنّ شاه أرمن، صاحب خلاط،

توفّى بها تاسع ربيع الآخر، فوصل الخبر بوفاته فى العشرين منه، فعزم على الرحيل إليها و تملّكها، حيث إنّ شاه أرمن لم يخلّف ولدا و لا أحدا من أهل بيته يملك بلاده بعده، و إنّما قد استولى عليها مملوك له اسمه بكتمر و لقبه سيف

---

[۱]- صدقا.

---

(۱) من بالجانبB

(۲) و يعودون إليهاB

(۳). و عاد إلى أصدائهB

(۴) عن رأى الّذى يسير به فضبطB

(۵) فأعرض عن إجابتهB

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۱۴

الدين، فاستشار صلاح الدين أمراءه و وزراءه، فاختلفوا، فأمّا من هواه بالموصل فيشير بالمقام و ملازمة الحصار لها، و أمّا من يكره أذى البيت الأتابكىّ فإنّه أشار بالرحيل، و قال: إنّ ولاية خلاط أكبر و أعظم، و هى سائبة لا حافظ لها، و هذه لها سلطان يحفظها و يذبّ عنها، و إذا «۱» ملكنا تلك سهل أمر هذه و غيرها، فتردّد فى أمره، فاتّفق أنّه جاءه كتب جماعة من أعيان خلاط، من أهلها و أمرائها، يستدعونه ليسلّموا إليه البلد، فسار عن الموصل، و كانت مكاتبة من كاتبه خديعة و مكرا، فإنّ شمس الدين البهلوان بن إيلدكز، صاحب أذربيجان و همذان و تلك المملكة، قد قصدهم ليأخذ البلاد منهم، و كان قبل ذلك قد زوّج شاه أرمن، على كبر سنّه، بنتا له ليجعل ذلك طريقا إلى ملك خلاط و أعمالها، فلمّا بلغهم مسيره إليهم كاتبوا صلاح الدين يستدعونه إليهم ليسلّموا البلد إليه ليدفعوا به البهلوان و يدفعوه بالبهلوان، و يبقى البلد بأيديهم، فسار صلاح الدين و سيّر فى مقدّمته ابن عمّه ناصر الدين محمّد بن شيركوه، و مظفّر الدين بن زين الدين و غيرهما، فساروا إلى خلاط، و نزلوا بطوانة بالقرب من خلاط، و سار صلاح الدين إلى ميّافارقين، و أمّا البهلوان فإنّه سار إلى خلاط، و نزل قريبا منها، و تردّدت رسل أهل خلاط بينهم و بينه و بين صلاح الدين، ثمّ إنّهم أصلحوا أمرهم مع البهلوان، و صاروا من حزبه و خطبوا له.

ذكر وفاة نور الدين صاحب الحصن

فى هذه السنة توفّى نور الدين محمّد بن قرا أرسلان بن داود، صاحب الحصن و آمد، لمّا كان صلاح الدين على الموصل، و خلّف ابنين، فملك

---

(۱). و إذا اتفق و ملكنا تلك أسهل من هذهB

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۱۵

الأكبر منهما و اسمه سقمان، و لقبه قطب الدين، و تولّى تدبير الأمور وزيره القوام بن سماقا الأسعردىّ.

و كان عماد الدين بن قرا أرسلان قد سيّره أخوه نور الدين فى عساكره إلى صلاح الدين، و هو يحاصر الموصل، و هو معه، فلمّا بلغه خبر وفاة أخيه سار ليملك البلاد بعده لصغر أولاده، فتعذّر عليه ذلك، فسار إلى خرت برت فملكها، و هى بيد أولاده إلى سنة عشرين و ستّمائة، و لمّا حصر صلاح الدين ميّافارقين حضر عنده ولد نور الدين فأقرّه على ملك أبيه، و من جملته آمد، و كانوا خافوا أن يأخذها منهم، فلم يفعل، و ردّهم إلى بلادهم، و شرط عليهم أن يراجعوه فيما يفعلونه، و يصدروا [۱] عن أمره و نهيه، و رتّب معه

أميرا لقبه صلاح الدين من أصحاب أبيه.

ذكر ملك صلاح الدين ميّافارقين

لمّا سار صلاح الدين إلى خلاط جعل طريقه على ميّافارقين مطمع ملكها، حيث كان صاحبه قطب الدين، صاحب ماردين، قد توفّى كما ذكرنا، و ملك بعده ابنه، و هو طفل، و كان حكمها إلى شاه أرمن، و عسكره فيها. فلمّا توفّى طمع فى أخذها، فلمّا نازلها رآها مشحونة بالرجال، و بها زوجة قطب الدين المتوفّى، و معها بنات لها منه، و هى أخت نور الدين محمّد، صاحب الحصن، فأقام صلاح الدين عليها يحصرها من أوّل جمادى الأولى.

و كان المقدّم على أجنادها أميرا اسمه يرنقش «۱»، و لقبه أسد الدين، و كان

---

[۱]- و يصدرون.

---

(۱). يرنقش teبرنقش iaraVcstairutpidocsubirtn r etnici

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۱۶

شجاعا شهما، يحفظ البلد، فأحسن إليه، و اشتدّ القتال عليه و نصبت المجانيق و العرّادات، فلم يصل صلاح الدين إلى ما يريد منها، فلمّا رأى ذلك عدل عن القوّة و الحرب إلى إعمال الحيلة، فراسل امرأة قطب الدين القيمة بالبلد يقول لها: إنّ أسد الدين يرنقش قد مال إلينا فى تسليم البلد و نحن نرعى حقّ أخيك نور الدين فيك بعد وفاته، و نريد [أن] يكون لك فى هذا الأمر نصيب، و أنا أزوّج بناتك بأولادى و تكون ميّافارقين و غيرها لك و بحكمك، و وضع من أرسل إلى أسد [۱] يعرّفه أنّ الخاتون قد مالت للمقاربة و الانقياد إلى السلطان، و أنّ من بخلاط قد كاتبوه ليسلّموا إليه، فخذ لنفسك.

و اتّفق أنّ رسولا وصله من خلاط، يبذلون له الطاعة، و قالوا له من الاستدعاء إليهم ما كانوا يقولونه، فأمر صلاح الدين الرسول، فدخل إلى ميّافارقين، و قال لأسد [۱]: أنت عمّن تقاتل، و أنا قد جئت فى تسليم خلاط إلى صلاح الدين! فسقط فى يده، و ضعفت نفسه، و أرسل يقترح أقطاعا و مالا، فأجيب إلى ذلك، و سلّم البلد سلخ جمادى الأولى، و عقد النّكاح لبعض أولاده على بعض بنات الخاتون، و أقرّ بيدها قلعة الهتّاخ لتكون فيها هى و بناتها.

ذكر عود صلاح الدين إلى بلد الموصل و الصلح بينه و بين أتابک عزّ الدّين

لمّا فرغ صلاح الدين من أمر ميّافارقين، و أحكم قواعدها، و قرّر إقطاعاتها و ولاياتها، أجمع على العود إلى الموصل، فسار نحوها، و جعل طريقه

---

[۱]- الأسد.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۱۷

على نصيبين، فوصل إلى كفر زمّار، و الزمان شتاء، فنزلها فى عساكره، و عزم على المقام بها و إقطاع جميع بلاد الموصل، و أخذ غلالها و دخلها، و إضعاف الموصل بذلك، إذ [۱] علم أنّه لا يمكنه التغلّب عليها، و كان نزوله فى شعبان، و أقام بها شعبان و رمضان، و تردّدت الرسل بينه و بين عزّ الدين، صاحب الموصل، و صار مجاهد الدين يراسل و يتقرّب، و كان قوله مقبولا عند سائر الملوك لما علموا من صحته.

فبينما الرّسل تتردّد فى الصلح، إذ مرض صلاح الدين، و سار من كفر زمّار عائدا إلى حرّان، فلحقه الرسل بالإجابة إلى ما طلب، فتقرّر الصلح، و حلف على ذلك، و كانت القاعدة أن يسلّم إليه عزّ الدين شهرزور و أعمالها، و ولاية القرابلىّ، و جميع ما وراء الزّاب من الأعمال، و أن يخطب له على منابر بلاده، و يضرب اسمه على السكّة، فلمّا حلف أرسل رسله فحلّف عزّ الدّين له، و تسلّموا البلاد التى استقرّت القاعدة على تسليمها.

و وصل صلاح الدين إلى حرّان، فأقام بها مريضا، و أمنت الدنيا، و سكنت الدهماء، و انحسمت مادة الفتن، و كان ذلك بتوصّل مجاهد الدين قايماز، رحمه اللّه.

و أمّا صلاح الدين فإنّه طال مرضه بحرّان، و كان عنده من أهله أخوه الملك العادل، و له حينئذ حلب، و ولده الملك العزيز عثمان، و اشتدّ مرضه حتى أيسوا من عافيته، فحلّف النّاس لأولاده، و جعل لكلّ منهم شيئا من البلاد معلوما، و جعل أخاه العادل وصيّا على الجميع، ثمّ إنّه عوفى و عاد إلى دمشق فى المحرّم سنة اثنتين و ثمانين و خمسمائة.

و لمّا كان مريضا بحرّان كان عنده ابن عمّه ناصر الدين محمّد بن شيركوه،

---

[۱]- إذا.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۱۸

و له من الأقطاع حمص و الرّحبة، فسار من عنده إلى حمص، فاجتاز بحلب و أحضر جماعة من أحداثها و أعطاهم مالا، و لما وصل إلى حمص راسل جماعة من الدمشقيّين و واعدهم على تسليم البلد إليه إذا مات صلاح الدين، و أقام بحمص ينتظر موته ليسير إلى دمشق فيملكها، فعوفى و بلغه الخبر على جهته، فلم يمض غير قليل حتى مات ابن شيركوه ليلة عيد الأضحى فإنّه شرب الخمر و أكثر منها، فأصبح ميّتا، فذكروا، و العهدة عليهم، أنّ صلاح الدين وضع عليه إنسانا يقال له النّاصح بن العميد، و هو من دمشق، فحضر عنده، و نادمه و سقاه سمّا، فلمّا أصبحوا من الغد لم يروا النّاصح، فسألوا عنه، فقيل: إنّه سار من ليلته إلى صلاح الدين، فكان هذا ممّا قوّى الظنّ. فلمّا توفّى أعطى أقطاعه لولده شيركوه، و عمره اثنتا [۱] عشرة سنة. و خلّف ناصر الدين من الأموال و الخيل و الآلات شيئا كثيرا، فحضر صلاح الدين فى حمص و استعرض تركته، و أخذ أكثرها و لم يترك إلّا ما لا خير فيه.

و بلغنى أنّ شيركوه بن ناصر الدين حضر عند صلاح الدين، بعد موت أبيه بسنة، فقال له: إلى أين بلغت من القرآن؟ فقال: إلى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً «۱» فعجب صلاح الدين و الحاضرون من ذكائه.

---

[۱]- اثنتى.

---

(۱). roC.۴، ۱۰

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۱۹

ذكر الفتنة بين التركمان و الأكراد بديار الجزيرة و الموصل

فى هذه السنة ابتدأت الفتنة بين التركمان و الأكراد بديار الجزيرة و الموصل و ديار بكر و خلاط و الشام و شهرزور و أذربيجان، و قتل فيها من الخلق ما لا يحصى، و دامت عدّة سنين، و تقطّعت الطرق، و نهبت الأموال، و أريقت الدماء.

و كان سببها أنّ امرأة من التركمان تزوّجت بإنسان تركمانىّ، و اجتازوا فى طريقهم بقلعة من الزوزان للأكراد، فجاء أهلها و طلبوا من

التركمان وليمة العرس، فامتنعوا من ذلك، و جرى بينهم كلام صاروا منه إلى القتال، فنزل صاحب تلك القلعة فأخذ الزوج فقتله، فهاجت الفتنة، و قام التركمان على ساق، و قتلوا جمعا كثيرا من الأكراد، و ثار الأكراد فقتلوا من التركمان أيضا كذلك، و تفاقم الشرّ و دام.

ثمّ إنّ مجاهد الدين قايماز، رحمه اللّه، جمع عنده جمعا من رؤساء الأكراد و التركمان، و أصلح بينهم، و أعطاهم الخلع و الثياب و غيرها «۱»، و أخرج عليهم مالا جمّا، فانقطعت الفتنة و كفى اللّه شرّها، و عاد النّاس إلى ما كانوا عليه من الطمأنينة و الأمان.

ذكر ملك الملثّمين و العرب إفريقية و عودها إلى الموحّدين

قد ذكرنا سنة ثمانين ملك عليّ بن إسحاق الملثّم «۲» بجاية، و إرسال يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن، صاحب المغرب، العساكر و استعادتها، فسار عليّ إلى

---

(۱) و أعطاهم مالا فانقطعتBو الثياب و الدواب و غيرهاA

(۲). اللثم ملك بجاية و دخلهاB

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۲۰

إفريقية، فلمّا وصل إليها اجتمع سليم و رياح و من هناك من العرب، و انضاف إليهم الترك الذين كانوا قد دخلوا من مصر «۱» مع قراقوش، و قد تقدّم ذكر وصوله إليها، و دخل أيضا من أتراك مصر مملوك لتقى الدين ابن أخى صلاح الدين، اسمه بوزابة، فكثر جمعهم، و قويت شوكتهم، فلمّا اجتمعوا بلغت عدّتهم مبلغا كثيرا، و كلّهم كاره لدولة الموحّدين، و اتّبعوا جميعهم عليّ ابن إسحاق الملثّم، لأنّه من بيت المملكة و الرئاسة القديمة، و انقادوا إليه، و لقّبوه بأمير المسلمين، و قصدوا بلاد إفريقية فملكوها جميعها شرقا و غربا إلّا مدينتى تونس و المهديّة، فإنّ الموحّدين أقاموا بهما، و حفظوهما [۱] على خوف و ضيق و شدّة، و انضاف إلى المفسد الملثّم كلّ مفسد فى تلك الأرض، و من يريد الفتنة و النّهب و الفساد و الشرّ، فخرّبوا البلاد و الحصون و القرى، و هتكوا الحرم، و قطعوا الأشجار.

و كان الوالى على إفريقية حينئذ عبد الواحد بن عبد اللّه الهنتاتىّ «۲» و هو بمدينة تونس، فأرسل إلى ملك المغرب يعقوب و هو بمرّاكش يعلمه الحال، و قصد الملثّم جزيرة باشرا «۳»، و هى بقرب تونس، تشتمل على قرى كثيرة، فنازلها و أحاط بها، فطلب أهلها منه الأمان، فأمّنهم، فلمّا دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من الأموال و الدوابّ و الغلّات، و سلبوا النّاس حتى أخذوا ثيابهم، و امتدّت الأيدى إلى النساء و الصبيان، و تركوهم هلكى، فقصدوا مدينة تونس، فأمّا الأقوياء فكانوا يخدمون و يعملون ما يقوم بقوتهم، و أمّا الضعفاء فكانوا يستعطون و يسألون النّاس، و دخل عليهم فصل الشتاء،

---

[۱]- بها و حفظوها.

---

(۱) مصر و غيرهاB

(۲) الهيثانىA. sB. p

(۳). جزيرة باشواB

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۲۱

فأهلكهم البرد، و وقع فيهم الوباء، فأحصى الموتى منهم فكانوا اثنى [۱] عشر ألفا، هذا من موضع واحد، فما الظنّ بالباقى؟

و لمّا استولى الملثّم على إفريقية قطع خطبة أولاد عبد المؤمن و خطب للإمام النّاصر لدين اللّه الخليفة العبّاسىّ، و أرسل إليه يطلب الخلع و الأعلام السود.

و قصد فى سنة اثنتين و ثمانين [و خمسمائة] مدينة قفصة فحصرها، فأخرج أهلها الموحّدين من عساكر ولد عبد المؤمن و سلّموها فى الملثّم، فرتّب فيها جندا من الملثّمين و الأتراك، و حصّنها بالرجال مع حصانتها فى البناء.

و أمّا يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فإنّه لمّا وصله الخبر اختار من عساكره عشرين ألف فارس من الموحّدين، و قصد قلّة العسكر لقلّة القوت فى البلاد، و لما جرى فيها من التخريب و الأذى، و سار فى صفر سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة، فوصل إلى مدينة تونس، و أرسل ستّة آلاف فارس مع ابن أخيه، فساروا إلى علىّ بن إسحاق الملثّم ليقاتلوه، و كان بقفصة، فوافوه، و كان مع الموحّدين جماعة من الترك، فخامروا عليهم، فانهزم الموحّدون، و قتل جماعة من مقدّميهم، و كان ذلك فى ربيع الأوّل سنة ثلاث و ثمانين.

فلمّا بلغ يعقوب الخبر أقام بمدينة تونس إلى نصف رجب من السنة، ثمّ خرج فيمن معه من العساكر يطلب الملثّم و الأتراك، فوصل إليهم، فالتقوا بالقرب من مدينة قابس، و اقتتلوا، فانهزم الملثّم و من معه، فأكثر الموحّدون القتل حتى كادوا يفنونهم، فلم ينج منهم إلّا القليل، فقصدوا البرّ، و رجع يعقوب من يومه إلى قابس ففتحها و أخذ منها أهل قراقوش و أولاده و حملهم إلى مرّاكش، و توجّه إلى مدينة قفصة فحصرها ثلاثة أشهر، و قطع أشجارها، و خرّب ما حولها، فأرسل إليه الترك الذين فيها يطلبون الأمان لأنفسهم و لأهل

---

[١]- اثنا.

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٥٢٢

البلد، فأجابهم إلى ذلك، و خرج الأتراك منها سالمين، و سيّر الأتراك إلى الثغور لما رأى من شجاعتهم و نكايتهم فى العدوّ، و تسلّم يعقوب البلد، و قتل من فيه من الملثّمين، و هدم أسواره، و ترك المدينة مثل قرية، و ظهر ما أنذر به المهدى بن تومرت، فإنّه قال إنّها تخرب أسوارها و تقطع أشجارها، و قد تقدّم ذكر ذلك، فلمّا فرغ يعقوب من أمر قفصة و استقامت إفريقية عاد إلى مرّاكش، و كان وصوله إليها سنة أربع و ثمانين و خمسمائة.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فارق الرضىّ أبو الخير إسماعيل القزوينى الفقيه الشافعىّ بغداد، و كان مدرّس النظاميّة بها، و عاد إلى قزوين، و درّس فيها بعده الشيخ أبو طالب المبارك صاحب ابن الخل، و كان من العلماء الصالحين.

و فيها كان بين أهل الكرخ ببغداد و بين أهل باب البصرة فتنة عظيمة جرح فيها كثير منهم و قتل، ثمّ أصلح النقيب الظاهر بينهم.

و فيها توفّى الفقيه مهذّب الدين عبد اللّه بن أسعد الموصلىّ، و كان عالما بمذهب الشافعىّ، و له نظم حسن و نثر أجاد فيه، و كان من محاسن الدنيا، و كانت وفاته بحمص.

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٥٢٣

٥٨٢ ثم دخلت سنة اثنتين و ثمانين و خمسمائة

ذكر نقل العادل من حلب و الملك العزيز إلى مصر و إخراج الأفضل من مصر إلى دمشق و إقطاعه إيّاها

فى هذه السنة أخرج صلاح الدين ولده الأفضل عليّا [١] من مصر إلى دمشق، و أقطعها له، و أخذ حلب من أخيه العادل، و سيّره مع

ولده العزيز عثمان إلى مصر، و جعله نائبا عنه، و استدعى تقيّ الدين منها.

و سبب ذلك أنّه كان قد استناب تقيّ الدين بمصر، كما ذكرناه، و جعل معه ولده الأكبر الأفضل عليّا [۱]، فأرسل تقيّ الدين يشكو من الأفضل، و يذكر أنّه قد عجز عن [۲] جباية الخراج معه لأنّه كان حليما كريما إذا أراد تقيّ الدين معاقبة أحد منعه، فأحضر ولده الأفضل، و قال لتقى الدين: لا تحتجّ فى الخراج و غيره بحجّة، و تغيّر عليه بذلك، و ظنّ أنّه يريد إخراج ولده الأفضل لينفرد بمصر حتى يملكها إذا مات صلاح الدين، فلمّا قوى هذا الخاطر عنده أحضر أخاه العادل من حلب و سيّره إلى مصر و معه ولده العزيز عثمان، و استدعى تقى الدين إلى الشام، فامتنع من الحضور، و جمع الأجناد و العساكر ليسير إلى المغرب، إلى مملوكه قراقوش، و كان قد استولى على جبال نفوسة

---

[۱]- علىّ.

[۲]- من.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۲۴

و برقة و غيرها، و قد كتب إليه يرغبه فى تلك [البلاد]، فتجهّز للمسير إليه، و استصحب معه أنجاد العسكر و أكثر منهم.

فلمّا سمع ذلك صلاح الدين ساءه، و علم أنّه إن أرسل إليه يمنعه لم يجبه، فأرسل إليه يقول له: أريد أن تحضر عندى لأودّعك، و أوصيك بما تفعله، فلمّا حضر عنده منعه، و زاد فى إقطاعه، فصار إقطاعه حماة، و منبج، و المعرّة، و كفر طاب، و ميّافارقين، و جبل جور، بجميع أعمالها، و كان تقى الدين قد سيّر فى مقدّمته مملوكه بوزابة، فاتّصل بقراقوش، و كان منهم ما ذكرناه سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة.

و قد بلغنى من خبير بأحوال صلاح الدين أنّه إنّما حمله على أخذ حلب من العادل و إعادة تقى الدين إلى الشام، أنّ صلاح الدين لمّا مرض بحرّان، على ما ذكرناه، أرجف بمصر أنّه قد مات، فجرى من تقى الدين حركات من يريد [أن] يستبدّ بالملك، فلمّا عوفى صلاح الدين بلغه ذلك، فأرسل الفقيه عيسى الهكّارىّ، و كان كبير القدر عنده، مطاعا فى الجند، إلى مصر، و أمره بإخراج تقى الدين و المقام بمصر، فسار مجدّا، فلم يشعر تقى الدين إلّا و قد دخل الفقيه عيسى إلى داره بالقاهرة، و أرسل إليه يأمره بالخروج منها، فطلب أن يمهل إلى أن يتجهز، فلم يفعل، و قال: تقيم خارج [المدينة] و تتجهّز.

فخرج و أظهر أنّه يريد الدخول إلى الغرب، فقال له: اذهب حيث شئت، فلمّا سمع صلاح الدين الخبر أرسل إليه يطلبه، فسار إلى الشام، فأحسن إليه، و لم يظهر له شيئا ممّا كان لأنّه كان حليما، كريما، صبورا، رحمه اللّه.

و أمّا أخذ حلب من العادل، فإنّ السبب فيه أنّه كان من جملة جندها أمير كبير اسمه سليمان بن جندر، بينه و بين صلاح الدين صحبة قديمة، قبل الملك، و كان صلاح الدين يعتمد عليه، و كان عاقلا ذا مكر و دهاء، فاتّفق أنّ الملك العادل لمّا كان بحلب لم يفعل معه ما كان يظنّه، و قدّم غيره عليه،

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۲۵

فتأثّر بذلك.

فلمّا مرض صلاح الدين، و عوفى، سار إلى الشام، فسايره يوما سليمان ابن جندر، فجرى حديث مرضه، فقال له سليمان: بأىّ رأى كنت تظنّ أنّك تمضى إلى الصيد فلا يخالفونك؟ باللّه ما تستحى يكون الطائر أهدى منك إلى المصلحة؟ قال: و كيف ذلك؟ و هو يضحك، قال: إذا أراد الطائر أن يعمل عشّا لفراخه قصد أعالى الشجر ليحمى فراخه، و أنت سلّمت الحصون إلى أهلك، و جعلت أولادك على الأرض. هذه حلب بيد أخيك، و حماة بيد تقى الدين، و حمص بيد ابن شير كوه، و ابنك العزيز مع تقى الدين بمصر يخرجه أىّ وقت أراد، و هذا ابنك الآخر مع أخيك فى خيمه يفعل به ما أراد. فقال له: صدقت، و اكتم هذا الأمر، ثمّ أخذ حلب من

أخيه، و أخرج تقى الدين من مصر، ثمّ أعطى أخاه العادل حرّان و الرّها و ميّافارقين ليخرجه من الشام و مصر، لتبقى لأولاده، فلم ينفعه ما فعل لمّا أراد اللَّه تعالى نقل الملك عن أولاده على ما نذكره.

ذكر وفاة البهلوان و ملك أخيه قزل

فى هذه السنة، فى أوّلها، توفّى البهلوان محمّد بن إيلدكز، صاحب بلد الجبل و الرّىّ و أصفهان و أذربيجان و أرّانيّة و غيرها من البلاد، و كان عادلا، حسن السيرة، عاقلا، حليما، ذا سياسة حسنة للملك، و كانت تلك البلاد فى أيّامه آمنة و الرعايا مطمئنّة، فلمّا مات جرى بأصفهان بين الشافعيّة و الحنفيّة من الحروب و القتل و الإحراق و النّهب ما يجلّ عن الوصف، و كان قاضى البلد رأس الحنفيّة، و ابن الخجندىّ رأس الشافعيّة، و كان بمدينة الرىّ

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٢٦

أيضا فتنة عظيمة بين السّنّة و الشيعة، و تفرّق أهلها، و قتل منهم، و خربت المدينة و غيرها من البلاد.

و لمّا مات البهلوان ملك أخوه قزل أرسلان و اسمه عثمان، و كان السلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمّد بن ملك شاه مع البهلوان، و الخطبة له فى البلاد بالسلطنة، و ليس له من الأمر شىء، و إنّما البلاد و الأمراء و الأموال بحكم البهلوان، فلمّا مات البهلوان خرج طغرل عن حكم قزل، و لحق به جماعة من الأمراء و الجند، فاستولى على بعض البلاد، و جرت بينه و بين قزل حروب نذكرها إن شاء اللَّه تعالى.

ذكر اختلاف الفرنج بالشام و انحياز القمّص صاحب طرابلس إلى صلاح الدين «١»

كان القمّص، صاحب طرابلس، و اسمه ريمند «٢» بن ريمند الصّنجيلىّ، قد تزوّج بالقومصة، صاحبة طبريّة، و انتقل إليها، و أقام عندها بطبريّة.

و مات ملك [١] الفرنج بالشام، و كان مجذوما، و أوصى بالملك إلى ابن أخت له، و كان صغيرا، فكفله القمص، و قام بسياسة الملك و تدبيره لأنّه لم يكن للفرنج ذلك الوقت أكبر منه شأنا، و لا أشجع و لا أجود رأيا منه، فطمع فى الملك بسبب هذا الصغير، فاتّفق أنّ الصغير توفّى، فانتقل الملك إلى أمّه، فبطل ما كان القمص يحدث نفسه [به].

---

[١]- الملك.

---

te .P .C(١)

(٢). و اسمه بيمندA

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٢٧

ثمّ إنّ هذه الملكة هويت رجلا من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه كى، فتزوّجته، و نقلت الملك إليه، و جعلت التّاج على رأسه، و أحضرت البطرك و القسوس و الرهبان، و الإسبتاريّة و الداويّة و الباروتيّة، و أعلمتهم أنّها قد ردّت الملك إليه، و أشهدتهم عليها بذلك، فأطاعوه، و دانوا له، فعظم ذلك على القمص، و سقط فى يديه، و طولب بحساب ما جبى من الأموال مدّة ولاية ذلك الصبىّ، فادّعى أنّه أنفقه عليه، و زاده ذلك نفورا، و جاهر بالمشاقة و المباينة، و راسل صلاح الدين، و انتمى إليه، و اعتضد به، و طلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنج، ففرح صلاح الدين و المسلمون بذلك، و وعده النصرة، و السعى له فى كلّ ما يريد، و ضمن له أنّه يجعله ملكا مستقلّا للفرنج قاطبة، و كان عنده جماعة من فرسان القمص أسرى فأطلقهم، فحلّ ذلك عنده أعظم محلّ، و

أظهر طاعة صلاح الدين، و وافقه على ما فعل جماعة من الفرنج، فاختلفت كلمتهم و تفرّق شملهم، و كان ذلك من أعظم الأسباب الموجبة لفتح بلادهم، و استنقاذ البيت المقدّس منهم، على ما نذكره إن شاء اللّه.

و سيّر صلاح الدين السرايا من ناحية طبريّة، فشنّت الغارات على بلاد الفرنج، و خرجت سالمة غانمة، فوهن الفرنج بذلك، و ضعفوا و تجرّأ المسلمون عليهم و طمعوا فيهم.

ذكر غدر البرنس أرناط

كان البرنس أرناط، صاحب الكرك، من أعظم الفرنج و أخبثهم، و أشدّهم عداوة للمسلمين، و أعظمهم ضررا عليهم، فلمّا رأى صلاح الدين ذلك منه قصده بالحصر مرّة بعد مرّة، و بالغارة على بلاده كرّة بعد أخرى،

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٢٨

فذلّ، و خضع، و طلب الصلح من صلاح الدين، فأجابه إلى ذلك، و هادنه و تحالفا، و تردّدت القوافل من الشام إلى مصر، و من مصر إلى الشام.

فلمّا كان هذه السنة اجتاز به قافلة عظيمة غزيرة الأموال، كثيرة الرجال، و معها جماعة صالحة من الأجناد، فغدر اللّعين بهم، و أخذهم عن آخرهم، و غنم أموالهم و دوابّهم و سلاحهم، و أودع السجون من أسره منهم، فأرسل إليه صلاح الدين يلومه، و يقبّح فعله و غدره، و يتهدّده إن لم يطلق الأسرى و الأموال، فلم يجب إلى ذلك، و أصرّ على الامتناع، فنذر صلاح الدين نذرا أن يقتله إن ظفر [به]، فكان ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

ذكر عدّة حوادث

كان المنجّمون قديما و حديثا قد حكموا أنّ هذه السنة التاسع و العشرين من جمادى الآخرة تجتمع الكواكب الخمسة فى برج الميزان، و يحدث باقترانها رياح شديدة، و تراب يهلك العباد و يخرّب البلاد، فلمّا دخلت هذه السّنة لم يكن لذلك صحّة، و لم يهبّ من الرياح شىء البتّة، حتى إنّ غلال [١] الحنطة و الشعير تأخّر نجازها لعدم الهواء [٢] الّذى يذرّى به الفلّاحون، فأكذب اللّه أحدوثة المنجّمين و أخزاهم.

و فيها توفّى عبد اللّه بن برّى بن عبد الجبّار بن برّى النحوىّ المصرىّ، و كان إماما فى النحو، رحمه اللّه تعالى.

---

[١]- الغلال.

[٢]- الهوى.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٢٩

٥٨٣ ثم دخلت سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة

اشارة

اتّفق أوّل هذه السنة يوم السبت، و هو يوم النوروز السلطانىّ، و رابع عشر آذار سنة ألف و أربع مائة و ثمان و تسعين إسكندريّة، و كان القمر و الشمس فى الحمل، و اتّفق أوّل سنة العرب، و أوّل سنة الفرس التى جدّدوها.

أخيرا، و أوّل سنة الروم «١»، و الشّمس و القمر فى أوّل البروج، و هذا «٢» يبعد وقوع مثله.

ذكر حصر صلاح الدين الكرك

فى هذه السنة كتب صلاح الدين إلى جميع البلاد يستنفر النّاس للجهاد، و كتب إلى الموصل و ديار الجزيرة و إربل و غيرها من بلاد الشرق، و إلى مصر و سائر بلاد الشام، يدعوهم إلى الجهاد، و يحثّهم عليه، و يأمرهم بالتجهّز له بغاية الإمكان. ثمّ خرج من دمشق، أواخر المحرّم، فى عسكرها الخاصّ، فسار إلى رأس الماء، و تلاحقت به العساكر الشاميّة، فلمّا اجتمعوا جعل عليهم ولده الملك الأفضل عليّا [۱] ليجتمع إليه من يرد إليه منها، و سار هو إلى بصرى، جريدة.

و كان سبب مسيره و قصده إليها أنّه أتته الأخبار أنّ البرنس أرناط،

---

[۱]- علىّ.

---

(۱) الروم و أول الأسبوعA

(۲). و هذا مماB

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۳۰

صاحب الكرك، يريد أن يقصد الحجّاج ليأخذهم من طريقهم، و أظهر أنّه إذا فرغ من أخذ الحجّاج يرجع إلى طريق العسكر المصرى يصدّهم عن الوصول إلى صلاح الدين، فسار إلى بصرى ليمنع البرنس أرناط من طلب الحجّاج، و يلزم بلده خوفا عليه.

و كان من الحجّاج جماعة من أقاربه منهم محمّد بن لاجين، و هو ابن أخت صلاح الدين، و غيره، فلمّا سمع أرناط بقرب صلاح الدين من بلده لم يفارقه، و انقطع عمّا طمع فيه، فوصل الحجّاج سالمين، فلمّا وصلوا و فرغ سرّه من جهتهم سار إلى الكرك فحصره و ضيّق عليه و انتظر وصول العسكر المصرىّ، فوصلوا إليه على الكرك، و بثّ سراياه من هناك على ولاية الكرك و الشّوبك و غيرهما، فنهبوا و خرّبوا و أحرقوا، و البرنس محصور لا يقدر على المنع عن بلده، و سائر الفرنج قد لزموا طرف بلادهم «۱»، خوفا من العسكر الّذى مع ولده الأفضل، فتمكّن من الحصر و النّهب و التحريق «۲» و التخريب، هذا فعل صلاح الدين.

ذكر الغارة على بلد عكّا

أرسل صلاح الدين إلى ولده الأفضل يأمره أن يرسل قطعة صالحة من الجيش إلى بلد عكّا ينهبونه و يخرّبونه، فسيّر مظفّر «۳» الدين كوكبرى بن زين الدين، و هو صاحب حرّان و الرّها، و أضاف إليه قايماز النجمىّ و دلدرم اليارقىّ، و هما من أكابر الأمراء، و غيرهما، فساروا ليلا، و صبّحوا

---

(۱) أطراف بلادهمB

(۲). النهب التحريقauqileriuqmoA

(۳). فسار مظفر.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۳۱

صفوريّة أواخر صفر، فخرج إليهم الفرنج فى جمع من الداويّة و الاسبتاريّة و غيرهما، فالتقوا هناك، و جرت بينهم حرب تشيب لها المفارق «۱» السود.

ثمّ أنزل اللّه تعالى نصره على المسلمين، فانهزم الفرنج، و قتل منهم جماعة، و أسر الباقون، و فيمن قتل مقدّم الاسبتاريّة، و كان من

فرسان الفرنج المشهورين، و له النكايات العظيمة فى المسلمين، و نهب المسلمون ما جاورهم من البلاد، و غنموا و سبوا، و عادوا سالمين، و كان عودهم على طبريّة، و بها القمّص، فلم ينكر ذلك، فكان فتحا كثيرا، فإنّ الداويّة و الاسبتاريّة هم جمرة الفرنج، و سيّرت البشائر إلى البلاد بذلك.

ذكر عود صلاح الدين إلى عسكره و دخوله إلى الفرنج

لمّا أتت صلاح الدين البشارة بهزيمة الاسبتاريّة و الداويّة، و قتل من قتل منهم، و أسر من أسر، عاد عن الكرك إلى العسكر الّذى مع ولده الملك الأفضل، و قد تلاحقت سائر الأمداد و العساكر، و اجتمع بهم، و ساروا جميعا، و عرض العسكر، فبلغت عدّتهم اثنى عشر ألف فارس ممّن له الأقطاع و الجامكيّة، سوى المتطوّعة، فعبّأ عسكره قلبا و جناحين، و ميمنة و ميسرة، و جالشيّة و ساقة، و عرف كلّ منهم موضعه و موقفه، و أمره بملازمته، و سار على تعبئة، فنزل بالأقحوانة بقرب طبريّة، و كان القمص قد انتمى إلى صلاح الدين، كما ذكرنا، و كتبه متّصلة إليه يعده النصرة، و يمنيه المعاضدة، و ما يعدهم الشيطان إلّا غرورا.

فلمّا رأى الفرنج اجتماع العساكر الإسلاميّة، و تصميم العزم على قصد بلادهم،

---

(١). لها الوليد و المفارق.A

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٣٢

أرسلوا إلى القمص البطرك و القسوس و الرهبان، و كثيرا من الفرسان، فأنكروا عليه انتماءه إلى صلاح الدين، و قالوا له: لا شكّ أنّك أسلمت، و إلّا لم تصبر على ما فعل المسلمون أمس بالفرنج، يقتّلون الداويّة و الاسبتاريّة، و يأسرونهم، و يجتازون بهم عليك، و أنت لا تنكر ذلك و لا تمنع عنه، و وافقهم على ذلك من عنده من عسكر طبريّة و طرابلس، و تهدّده البطرك أنّه يحرمه، و يفسخ نكاح زوجته، إلى غير ذلك من التهديد، فلمّا رأى القمص شدّة الأمر عليه خاف، فاعتذر و تنصّل و تاب، فقبلوا عذره، و غفروا زلّته، و طلبوا منه الموافقة على المسلمين، و المؤازرة على حفظ بلادهم، فأجابهم إلى المصالحة و الانضمام إليهم، و الاجتماع معهم، و سار معهم إلى ملك الفرنج، و اجتمعت كلمتهم بعد فرقتهم، و لم تغن عنهم من اللّه شيئا، و جمعوا فارسهم و راجلهم، ثمّ ساروا من عكّا إلى صفوريّة، و هم يقدّمون رجلا و يؤخّرون أخرى، قد ملئت قلوبهم رعبا.

ذكر فتح صلاح الدين طبريّة

لمّا اجتمع الفرنج و ساروا إلى صفوريّة، جمع صلاح الدين أمراءه و وزراءه و استشارهم، فأشار أكثرهم عليه بترك اللّقاء، و أن يضعف الفرنج بشنّ الغارات، و إخراب الولايات مرّة بعد مرّة، فقال له بعض أمرائه: الرأى عندى أنّنا نجوس بلادهم، و ننهب، و نخرّب، و نحرق، و نسبى، فإن وقف أحد من عسكر الفرنج بين أيدينا لقيناه، فإنّ النّاس بالمشرق يلعنوننا و يقولون ترك قتال الكفّار، و أقبل يريد قتال المسلمين، و الرأى أن نفعل فعلا نعذر فيه و نكفّ الألسنة عنّا، فقال صلاح الدين: الرأى عندى أن نلقى بجمع

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٣٣

المسلمين جميع الكفّار، فإنّ الأمور لا تجرى بحكم الإنسان، و لا نعلم قدر الباقى من أعمارنا، و لا ينبغى أن نفرّق هذا الجمع إلّا بعد الجدّ بالجهاد.

ثمّ رحل من الأقحوانة، اليوم الخامس من نزوله بها، و هو يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر، فسار حتى خلّف طبريّة وراء ظهره، و صعد جبلها، و تقدّم حتى قارب الفرنج، فلم ير منهم أحدا، و لا فارقوا خيامهم، فنزل و أمر العسكر بالنزول، فلمّا جنّه اللّيل جعل فى مقابل الفرنج من يمنعهم من القتال، و نزل جريدة إلى طبريّة و قاتلها، و نقب بعض أبراجها، و أخذ المدينة عنوة فى ليلة، و لجأ من بها

إلى القلعة التى لها، فامتنعوا بها، و فيها صاحبتها، و معها أولادها، فنهب المدينة و أحرقها.

فلمّا سمع الفرنج نزول صلاح الدين إلى طبريّة و ملكه المدينة، و أخذ ما فيها، و إحراقها، و إحراق ما تخلّف ممّا لا يحمل، اجتمعوا للمشورة، فأشار بعضهم بالتقدّم إلى المسلمين و قتالهم، و منعهم عن طبريّة، فقال القمص:

إنّ طبريّة لى و لزوجتى، و قد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل، و بقى القلعة، و فيها زوجتى، و قد رضيت أن يأخذ القلعة و زوجتى و ما لنا بها و يعود، فو اللّه لقد رأيت عساكر الإسلام قديما و حديثا ما رأيت مثل هذا العسكر الّذى مع صلاح الدين كثرة و قوّة، و إذا أخذ طبريّة لا يمكنه المقام بها، فمتى فارقها و عاد عنها أخذناها، و إن أقام بها لا يقدر على المقام بها إلّا بجميع عساكره، و لا يقدرون على الصبر طول الزمان عن أوطانهم و أهليهم، فيضطرّ إلى تركها، و نفتكّ من أسر منّا.

فقال له برنس أرناط، صاحب الكرك: قد أطلت فى التخويف من المسلمين، و لا شكّ أنّك تريدهم، و تميل إليهم، و إلّا ما كنت تقول هذا، و أمّا قولك: إنّهم كثيرون، فإنّ النّار لا يضرّها كثرة الحطب.

فقال: أنا واحد منكم إن تقدّمتم تقدّمت، و إن تأخّرتم تأخّرت،

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٣٤

و سترون ما يكون.

فقوى عزمهم على التقدّم إلى المسلمين و قتالهم، فرحلوا من معسكرهم الّذى لزموه، و قربوا من عساكر الإسلام، فلمّا سمع صلاح الدين بذلك عاد عن طبريّة إلى عسكره، و كان قريبا منه، و إنّما كان قصده بمحاصرة طبريّة أن يفارق الفرنج مكانهم ليتمكّن من قتالهم. و كان المسلمون قد نزلوا على الماء، و الزمان قيظ [١] شديد الحرّ، فوجد الفرنج العطش، و لم يتمكّنوا من الوصول إلى ذلك الماء من المسلمين، و كانوا قد أفنوا ما هناك من ماء الصهاريج و لم يتمكّنوا من الرجوع خوفا من المسلمين، فبقوا على حالهم إلى الغد، و هو يوم السبت، و قد أخذ العطش منهم.

و أمّا المسلمون فإنّهم طمعوا فيهم، و كانوا من قبل يخافونهم، فباتوا يحرّض بعضهم بعضا، و قد وجدوا ريح النصر و الظفر، و كلّما رأوا حال الفرنج خلاف عادتهم ممّا ركبهم من الخذلان، زاد طمعهم و جرأتهم، فأكثروا التكبير و التهليل طول ليلتهم، و رتّب السلطان تلك اللّيلة الجاليشيّة، و فرّق فيهم النشاب.

ذكر انهزام الفرنج بحطّين

أصبح صلاح الدين و المسلمون يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر، فركبوا و تقدّموا إلى الفرنج، فركب الفرنج، و دنا بعضهم من بعض، إلّا أنّ الفرنج قد اشتدّ بهم العطش و انخذلوا، فاقتتلوا، و اشتدّ القتال، و صبر الفريقان، و رمى جاليشيّة المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر،

---

[١] قيظا.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٣٥

فقتلوا من خيول الفرنج كثيرا. هذا القتال بينهم، و الفرنج قد جمعوا نفوسهم براجلهم و هم يقاتلون سائرين [١] نحو طبريّة، لعلّهم يردون الماء.

فلمّا علم صلاح الدين مقصدهم صدّهم عن مرادهم، و وقف بالعسكر فى وجوههم، و طاف بنفسه على المسلمين يحرّضهم، و يأمرهم بما يصلحهم، و ينهاهم عمّا يضرّهم، و النّاس يأتمرون لقوله، و يقفون عند نهيه، فحمل مملوك من مماليكه الصبيان حملة منكرة على صف الفرنج، فقاتل قتالا عجب منه النّاس. ثمّ تكاثر الفرنج عليه فقتلوه، فحين قتل حمل المسلمون حملة منكرة فضعضعوا الكفّار و

قتلوا [٢] منهم كثيرا. فلمّا رأى القمص شدّة الأمر علم أنّهم لا طاقة لهم بالمسلمين، فاتّفق هو و جماعته و حملوا على من يليهم، و كان المقدّم من المسلمين، فى تلك الناحية، تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين، فلمّا رأى حملة الفرنج حملة مكروب، علم أنّه لا سبيل إلى الوقوف فى وجوههم، فأمر أصحابه أن يفتحوا لهم طريقا يخرجون منه، ففعلوا، فخرج القمّص و أصحابه ثمّ التأم الصف.

و كان بعض المتطوّعة من المسلمين قد ألقى فى تلك الأرض نارا، و كان الحشيش كثيرا فاحترق، و كانت الريح على الفرنج، فحملت حرّ النّار و الدخان إليهم، فاجتمع عليهم العطش و حرّ الزّمان و حرّ النّار، و الدخان، و حرّ القتال، فلمّا انهزم القمص سقط فى أيديهم و كادوا يستسلمون، ثمّ علموا أنّهم لا ينجيهم من الموت إلّا الإقدام عليه، فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون [بها] المسلمين، على كثرتهم، عن مواقفهم لو لا لطف اللَّه بهم، إلّا أن الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون إلّا و قد قتل منهم، فوهنوا لذلك وهنا عظيما، فأحاط بهم المسلمون إحاطة الدائرة بقطرها، فارتفع من بقى من الفرنج إلى تلّ بناحية حطّين، و أرادوا

---

[١] سائرون.

[٢] و قتل.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٣۶

ان ينصبوا خيامهم، و يحموا نفوسهم به، فاشتدّ القتال عليهم من سائر الجهات، و منعوهم عمّا أرادوا، و لم يتمكّنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم، و أخذ المسلمون صليبهم الأعظم الّذى يسمّونه صليب الصلبوت، و يذكرون أن فيه قطعة من الخشبة التى صلب عليها المسيح، عليه السلام، بزعمهم، فكان أخذه عندهم من أعظم المصائب عليهم، و أيقنوا بعده بالقتل و الهلاك، هذا و القتل و الأسر يعملان فى فرسانهم و رجّالتهم، فبقى الملك على التلّ فى مقدار مائة و خمسين فارسا من الفرسان المشهورين و الشجعان المذكورين.

فحكى لى عن الملك الأفضل، ولد صلاح الدين، قال: كنت إلى جانب أبى فى ذلك المصافّ، و هو أوّل مصافّ شاهدته، فلمّا صار ملك الفرنج على التلّ فى تلك الجماعة حملوا حملة منكرة على من بإزائهم من المسلمين حتى ألحقوهم بوالدى. قال: فنظرت إليه، و قد علته كآبة، و اربدّ لونه، و أمسك بلحيته، و تقدّم، و هو يصيح: كذب الشيطان. قال: فعاد المسلمون على الفرنج، فرجعوا فصعدوا إلى التلّ، فلمّا رأيت الفرنج قد عادوا، و المسلمون يتبعونهم، صحت من فرحى: هزمناهم! فعاد الفرنج فحملوا حملة ثانية مثل الأولى حتى ألحقوا المسلمين بوالدى، و فعل مثل ما فعل أوّلا، و عطف المسلمون عليهم فألحقوهم بالتلّ، فصحت أنا أيضا: هزمناهم! فالتفت والدى إلىّ و قال: اسكت! ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة، قال:

فهو يقول لى، و إذا [١] الخيمة قد سقطت، فنزل السلطان و سجد شكرا للَّه تعالى، و بكى من فرحه.

و كان سبب سقوطها أنّ الفرنج لمّا حملوا تلك الحملات ازدادوا عطشا، و قد كانوا يرجون الخلاص فى بعض تلك الحملات ممّا هم فيه، فلمّا لم يجدوا

---

[١] و إذ.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٣٧

إلى الخلاص طريقا، نزلوا عن دوابّهم و جلسوا على الأرض، فصعد المسلمون إليهم، فألقوا خيمة الملك، و أسروهم على [١] بكرة أبيهم، و فيهم الملك و أخوه، و البرنس أرناط، صاحب الكرك، و لم يكن للفرنج أشدّ منه عداوة للمسلمين، و أسروا أيضا صاحب جبيل، و ابن هنفرى، و مقدّم الداويّة، و كان من أعظم الفرنج شأنا، و أسروا أيضا جماعة من الداويّة، و جماعة من الاسبتاريّة، و كثر القتل و الأسر فيهم، فكان من يرى القتلى لا يظنّ أنّهم أسروا واحدا، و من يرى الأسرى لا يظنّ أنّهم قتلوا أحدا، و ما أصيب الفرنج،

منذ خرجوا إلى الساحل، و هو سنة إحدى [٢] و تسعين و أربعمائة إلى الآن، بمثل [٣] هذه الوقعة.

فلمّا فرغ المسلمون منهم نزل صلاح الدين فى خيمته، و أحضر ملك الفرنج عنده، و برنس صاحب الكرك، و أجلس الملك إلى جانبه و قد أهلكه العطش، فسقاه ماء مثلوجا، فشرب، و أعطى فضله برنس صاحب الكرك، فشرب، فقال صلاح الدين: إنّ هذا الملعون لم يشرب الماء بإذنى فينال أمانى، ثمّ كلّم البرنس، و قرعه بذنوبه، و عدّد عليه غدراته، و قام إليه بنفسه فضرب رقبته و قال: كنت نذرت دفعتين أن أقتله إن ظفرت به: إحداهما لمّا أراد المسير إلى مكّة و المدينة، و الثانية لمّا أخذ القفل غدرا، فلمّا قتله و سحب و أخرج ارتعدت فرائص [۴] الملك، فسكّن جأشه و أمّنه.

و أمّا القمص، صاحب طرابلس، فإنّه لمّا نجا من المعركة، كما ذكرناه،

---

[١] عن.

[٢] أحد.

[٣] مثل.

[۴] قرائص.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٣٨

وصل إلى صور، ثمّ قصد طرابلس، و لم يلبث إلّا أيّاما قلائل حتى مات غيظا و حنقا ممّا جرى على الفرنج خاصّة، و على دين النصرانيّة عامّة.

ذكر عود صلاح الدين إلى طبريّة و ملك قلعتها مع المدينة

لمّا فرغ صلاح الدين من هزيمة الفرنج أقام بموضعه باقى يومه، و أصبح يوم الأحد، فعاد [١] إلى طبريّة و نازلها، فأرسلت صاحبتها تطلب الأمان لها و لأولادها و أصحابها و مالها، فأجابها إلى ذلك، فخرجت بالجميع، فوفى لها، فسارت آمنة، ثمّ أمر بالملك و جماعة من أعيان الأسرى فأرسلوا إلى دمشق، و أمر بمن أسر من الداويّة و الاسبتاريّة أن يجمعوا ليقتلهم.

ثمّ علم أنّ من عنده أسير لا يسمح به لما يرجو من فدائه، فبذل فى كلّ أسير من هذين الصنفين خمسين دينارا مصريّة، فأحضر عنده فى الحال مائتا [٢] أسير منهم، فأمر بهم فضربت أعناقهم، و إنّما خصّ هؤلاء بالقتل لأنّهم أشدّ شوكة من جميع الفرنج، فأراح النّاس من شرّهم، و كتب إلى نائبة بدمشق ليقتل من دخل البلد منهم سواء كان له أو لغيره، ففعل ذلك، و لقد اجترت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة، فرأيت الأرض ملأى من عظامهم تبين على البعد، منها المجتمع بعضه على بعض، و منها [٣] المفترق، هذا سوى ما جحفته السيول، و أخذته السباع فى تلك الآكام و الوهاد.

---

[١] عاد.

[٢] مائتى.

[٣] و فيها.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٣٩

ذكر فتح مدينة عكّا

لمّا فرغ صلاح الدين من طبريّة سار عنها يوم الثلاثاء و وصل إلى عكّا يوم الأربعاء، و قد صعد أهلها على سورها يظهرون الامتناع و

الحفظ، فعجب هو و النّاس من ذلك لأنّهم علموا أنّ عساكرهم من فارس و راجل بين قتيل و أسير، و أنّهم لم يسلم منهم إلّا القليل، إلّا أنّه نزل يومه، و ركب يوم الخميس، و قد صمّم على الزحف إلى البلد و قتاله، فبينما هو ينظر من أين يزحف و يقاتل إذ خرج كثير من أهلها يضرعون، و يطلبون الأمان، فأجابهم إلى ذلك، و أمّنهم على أنفسهم و أموالهم، و خيّرهم بين الإقامة و الظعن، فاختاروا الرحيل خوفا من المسلمين، و ساروا عنها متفرّقين، و حملوا ما أمكنهم حمله من أموالهم، و تركوا الباقى على حاله.

و دخل المسلمون إليها يوم الجمعة مستهلّ جمادى الأولى، و صلّوا بها الجمعة فى جامع كان للمسلمين قديما، ثمّ جعله الفرنج بيعة، ثمّ جعله صلاح الدين جامعا، و هذه الجمعة أوّل جمعة أقيمت بالساحل الشامىّ بعد أن ملكه الفرنج. و سلّم البلد إلى ولده الأفضل، و أعطى جميع ما كان فيه للداويّة من أقطاع و ضياع و غير ذلك للفقيه عيسى، و غنم المسلمون ما بقى ممّا لم يطق الفرنج حمله، و كان من كثرته يعجز الإحصاء عنه، فرأوا فيها من الذهب و الجوهر و السقلاط، و البندقى، و الشّكر، و السلاح، و غير ذلك من أنواع الأمتعة كثيرا، فإنّها كانت مقصدا للتجار الفرنج و الروم و غيرهم، من أقصى البلاد و أدناها، و كان كثير منها قد «۱» خزنه التجار، و سافروا عنه لكساده، فلم يكن له من ينقله، ففرّق صلاح الدين و ابنه الأفضل ذلك جميعه

---

(۱). قد خزن بها التجار أنواع الأمتعة و سافروا.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۴۰

على أصحابهما، و أكثر ذلك فعله الأفضل لأنّه كان مقيما بالبلد، و كانت شيمته فى الكرم معروفة. و أقام صلاح الدين بعكّا عدّة أيّام لإصلاح حالها، و تقرير قواعدها.

ذكر فتح مجدليابة

لمّا هزم صلاح الدين الفرنج أرسل إلى أخيه العادل بمصر يبشّره بذلك، و يأمره بالمسير إلى بلاد الفرنج من جهة مصر بمن بقى عنده من العسكر، و محاصرة ما يليه منها، فسارع إلى ذلك، و سار عن مصر فنازل حصن مجدليابة و حصره و غنم ما فيه. و ورد كتابه بذلك إلى صلاح الدين، و كانت بشارة كبيرة.

ذكر فتح عدّة حصون

فى مدّة مقام صلاح الدين بعكّا تفرّق عسكره إلى الناصرة، و قيساريّة، و حيفا، و صفوريّة، و معليا، و الشقيف، و الفولة، و غيرها من البلاد المجاورة لعكّا، فملكوها و نهبوها و أسروا رجالها، و سبوا نساءها و أطفالها، و قدموا من ذلك بما سدّ الفضاء، و سيّر تقى الدين فنزل على تبنين ليقطع الميرة عنها و عن صور، و سيّر حسام الدين عمر بن لاجين فى عسكر إلى نابلس فأتى سبسطية و بها قبر زكريا، فأخذه من أيدى النصارى و سلّمه إلى المسلمين، و وصل إلى نابلس فدخلها و حصر قلعتها و استنزل من فيها بالأمان، و تسلّم القلعة، و أقام أهل البلد به، و أقرّهم على أملاكهم

و أموالهم.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۴۱

ذكر فتح يافا

لمّا خرج العادل من مصر، و فتح مجدليابة، كما ذكرنا، و سار إلى مدينة يافا، و هى على الساحل، فحصرها و ملكها عنوة، و نهبها، و أسر الرجال، و سبى الحريم، و جرى على أهلها ما لم يجر على أحد من أهل تلك البلاد.

و كان عندى جارية من أهلها، و أنا بحلب، و معها طفل عمره نحو سنة، فسقط من يدها فانسلخ وجهه، فبكت عليه كثيرا، فسكّنتها و أعلمتها أنّه ليس بولدها ما يوجب البكاء، فقالت: ما له أبكى، إنّما أبكى لما جرى علينا. كان لى ستّة إخوة هلكوا جميعهم، و زوج و أختان لا أعلم ما كان منهم.

هذا من امرأة واحدة و الباقى بالنسبة. و رأيت بحلب امرأة فرنجيّة قد جاءت مع سيّدها إلى باب، فطرقه سيّدها، فخرج صاحب البيت فكلّمهما، ثمّ أخرج امرأة فرنجيّة، فحين رأتها الأخرى صاحتا و اعتنقتا، و هما تصرخان و تبكيان، و سقطتا إلى الأرض، ثمّ قعدتا تتحدّثان، و إذا هما أختان، و كان لهما عدّة من الأهل ليس لهما علم بأحد منهم.

ذكر فتح تبنين و صيدا و جبيل و بيروت

فأمّا تبنين، فقد ذكرنا إنفاذ صلاح الدين تقى الدين ابن أخيه إلى تبنين، فلمّا وصلها نازلها، و أقام عليها، فرأى حصرها لا يتمّ إلّا بوصول عمّه

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۴۲

صلاح الدين إليه، فأرسل إليه يعلمه الحال، و يحثّه على الوصول إليه، فرحل ثامن جمادى الأولى، و نزل عليه فى الحادى عشر منه [۱]، فحصرها، و ضايقها، و قاتلها بالزحف، و هى من القلاع المنيعة على جبل، فلمّا ضاق عليهم الأمر و اشتدّ الحصر أطلقوا من عندهم من أسرى المسلمين، و هم يزيدون على مائة رجل، فلمّا دخلوا العسكر أحضرهم صلاح الدين و كساهم، و أعطاهم نفقة، و سيّرهم إلى أهليهم.

و بقى الفرنج كذلك خمسة أيّام ثمّ أرسلوا يطلبون الأمان، فأمّنهم على أنفسهم فسلّموها إليه، و وفى لهم و سيّرهم إلى مأمنهم.

و أمّا صيدا فإنّ صلاح الدين لمّا فرغ من تبنين رحل عنها إلى صيدا، فاجتاز فى طريقه بصرفند فأخذها صفوا عفوا بغير قتال، و سار عنها إلى صيدا، و هى من مدن الساحل المعروفة، فلمّا سمع صاحبها بمسيره نحوه سار عنها و تركها فارغة من مانع و مدافع. فلمّا وصلها صلاح الدين تسلّمها ساعة وصوله و كان ملكها حادى عشر جمادى الأولى. و أمّا بيروت فهى من أحصن مدن الساحل و أنزهها و أطيبها. فلمّا فتح صلاح الدين صيدا سار عنها من يومه نحو بيروت و وصل إليها من الغد فرأى أهلها قد صعدوا على سورها و أظهروا القوّة و الجلد و العدّة و قاتلوا على سورها عدّة أيّام قتالا شديدا و اغترّوا بحصانة البلد، و ظنّوا أنّهم قادرون على حفظه، و زحف المسلمون إليهم مرّة بعد مرّة، فبينما الفرنج على السّور يقاتلون إذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة و غلبة زائدة، فأتاهم من أخبرهم أنّ البلد قد دخله المسلمون من الناحية الأخرى قهرا و غلبة، فأرسلوا ينظرون ما الخبر و إذا ليس له صحة، فأرادوا تسكين من به فلم يمكنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد، فلمّا خافوا على أنفسهم من

---

[۱]- حادى عشره.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۴۳

الاختلاف الواقع أرسلوا يطلبون الأمان، فأمّنهم على أنفسهم و أموالهم و تسلّمها فى التاسع و العشرين من جمادى الأولى من السنة فكان مدّة حصرها ثمانية أيّام.

و أمّا جبيل فإنّ صاحبها كان من جملة الأسرى الذين سيّروا إلى دمشق مع ملكهم فتحدّث مع نائب صلاح الدين بدمشق فى تسليم جبيل على شرط إطلاقه، فعرّف صلاح الدين بذلك، فأحضره مقيّدا عنده تحت الاستظهار و الاحتياط، و كان العسكر حينئذ على بيروت، فسلّم حصنه و أطلق أسرى المسلمين الذين به، و أطلقه صلاح الدين كما شرط له، و كان صاحب جبيل هذا من أعيان الفرنج و أصحاب الرأى و المكر و الشرّ به يضرب المثل بينهم، و كان للمسلمين منه عدوّ أزرق [۱]، و كان إطلاقه من الأسباب الموهنة

للمسلمين على ما يأتى بيانه.

ذكر خروج المركيش «۱» إلى صور

لمّا انهزم القمّص صاحب طرابلس من حطّين إلى مدينة صور أقام بها، و هى أعظم بلاد الساحل حصانة و أشدّها امتناعا على من رامها، فلمّا رأى السلطان قد ملك تبنين و صيدا و بيروت، خاف أن يقصد صلاح الدين صور و هى فارغة ممّن يقاتل فيها و يحميها و يمنعها فلا يقوى على حفظها، و تركها و سار إلى مدينة طرابلس فبقيت صور شاغرة لا مانع لها و لا عاصم من المسلمين، فلو بدأ بها صلاح الدين قبل تبنين و غيرها لأخذها بغير مشقّة، لكنّه استعظمها لحصانتها فأراد أن يفرّغ باله ممّا يجاورها من نواحيها ليسهل أخذها، فكان ذلك سبب حفظها و كان أمر اللّه قدرا مقدورا، و اتّفق أنّ إنسانا من الفرنج الذين داخل البحر يقال

---

[۱]- عدوّا أرزق.

---

(۱). المركيس.P .C

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۴۴

له المركيش «۱»، لعنه اللّه، خرج فى البحر بمال كثير للزيارة و التجارة، و لم يشعر بما كان من الفرنج فأرسى بعكّا، و قد رابه ما رأى من ترك عوائد الفرنج عند وصول المراكب من الفرنج و ضرب الأجراس و غير ذلك، و ما رأى أيضا من زى أهل البلد، فوقف و لم يدر ما الخبر، و كانت الريح قد ركدت، فأرسل الملك الأفضل إليه بعض أصحابه فى سفينة يبصر من هو و ما يريد، فأتاه القاصد فسأله المركيش «۲» عن الأخبار لما أنكره فأخبره بكسرة الفرنج و أخذ عكّا و غيرها، و أعلمه أنّ صور بيد الفرنج و عسقلان و غيرها، و حكى الأمر له على وجهه فلم يمكنه الحركة لعدم الريح، فردّ الرسول يطلب الأمان ليدخل البلد بما معه من متاع و مال، فأجيب إلى ذلك فردّده مرارا كلّ مرّة يطلب شيئا لم يطلبه فى المرّة الأولى، و هو يفعل ذلك انتظارا لهبوب الهواء ليسير به، فبينما هو فى مراجعاته إذ هبّت الريح فسار نحو صور، و سيّر الملك الأفضل الشوانى فى طلبه فلم يدركوه، فأتى صور و قد اجتمع بها من الفرنج خلق كثير لأنّ صلاح الدين كان كلّما فتح مدينة من عكّا و بيروت و غيرهما ممّا ذكرنا أعطى أهلها الأمان، فساروا كلّهم إلى صور و كثر الجمع بها إلّا أنّهم ليس لهم رأس يجمعهم، و لا مقدّم يقاتل بهم، و ليسوا أهل حرب، و هم عازمون على مراسلة صلاح الدين و طلب الأمان و تسليم البلد إليه، فأتاهم المركيش «۳» و هم على ذلك العزم، فردّهم عنه و قوّى نفوسهم و ضمن لهم حفظ المدينة و بذل ما معه من الأموال و شرط عليهم أن تكون المدينة و أعمالها له دون غيره، فأجابوه إلى ذلك، فأخذ أيمانهم عليه و أقام عندهم و دبّر أحوالهم، و كان من شياطين الإنس حسن التدبير و الحفظ، و له شجاعة عظيمة، و شرع فى تحصينها فجدّد حفر خنادقها و عمل أسوارها، و زاد فى حصانتها و اتّفق من بها على الحفظ و القتال دونها.

(۱- ۲- ۳). المركيس.P .C

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۴۵

ذكر فتح عسقلان و ما يجاورها

لمّا ملك صلاح الدين بيروت و جبيل و غيرهما، كان أمر عسقلان و القدس أهمّ عنده من غيرهما لأسباب منها أنّهما على طريق مصر، يقطع بينهما و بين الشام.

و كان يختار أن تتّصل الولايات له ليسهل خروج العسكر منها و دخولهم إليها، و لما فى فتح القدس من الذكر الجميل و الصيت العظيم، إلى غير ذلك من الأغراض، فسار عن بيروت نحو عسقلان، و اجتمع بأخيه العادل و من معه من عساكر مصر، و نازلوها يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة، و كان صلاح الدين قد أحضر ملك الفرنج و مقدّم الداويّة إليه من دمشق، و قال لهما:

إن سلّمتما البلاد إلىّ فلكما الأمان، فأرسلا إلى من بعسقلان من الفرنج يأمرانهم بتسليم البلد، فلم يسمعوا أمرهما و ردّوا عليهما أقبح ردّ و جبهوهما بما يسوءهما.

فلمّا رأى السلطان ذلك جدّ فى قتال المدينة و نصب المجانيق عليها، و زحف مرّة بعد أخرى، و تقدّم النقّابون إلى السور، فنالوا من باشورته شيئا. هذا و ملكهم يكرّر المراسلات إليهم بالتسليم، و يشير عليهم، و يعدهم أنّه إذا أطلق من الأسر أضرم البلاد على المسلمين نارا، و استنجد بالفرنج من البحر، و أجلب الخيل و الرّجل إليهم من أقاصى بلاد الفرنج و أدانيها، و هم لا يجيبون إلى ما يقول و لا يسمعون ما يشير به.

و لمّا رأوا أنّهم كلّ يوم يزدادون ضعفا و وهنا، و إذا قتل منهم الرجل لا يجدون له عوضا، و لا لهم نجدة ينتظرونها، راسلوا ملكهم المأسور فى تسليم البلد على شروط اقترحوها، فأجابهم صلاح الدين إليها، و كانوا قتلوا فى الحصار أميرا كبيرا من المهرانيّة، فخافوا عند مفارقة البلد أن عشيرته يقتلون منهم

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥۴۶

بثأره، فاحتاطوا فيما اشترطوا لأنفسهم، فأجيبوا إلى ذلك جميعه، و سلّموا المدينة سلخ جمادى الآخرة من السنة، و كانت مدّة الحصار أربعة عشر يوما، و سيّرهم صلاح الدين و نساءهم و أموالهم و أولادهم إلى بيت المقدس، و وفى لهم بالأمان.

ذكر فتح البلاد و الحصون المجاورة لعسقلان

لمّا فتح صلاح الدين عسقلان أقام بظاهرها، و بثّ السرايا فى أطراف البلاد المجاورة لها، ففتحوا الرّملة، و الدّاروم، و غزّة، و مشهد إبراهيم الخليل، عليه السلام، و يبنى، و بيت لحم، و بيت جبريل، و النطرون، و كلّ ما كان للداويّة.

ذكر فتح البيت المقدّس

لمّا فرغ صلاح الدين من أمر عسقلان و ما يجاورها من البلاد، على ما تقدّم، و كان قد أرسل إلى مصر أخرج الأسطول الّذى بها فى جمع من المقاتلة، و مقدّمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب، و هو معروف بالشجاعة، و الشهامة، و يمن النقيبة، فأقاموا فى البحر يقطعون الطريق على الفرنج، كلّما رأوا لهم مركبا غنموه، و شانيا أخذوه، فحين وصل الأسطول و خلا سرّه من تلك الناحية سار عن عسقلان إلى البيت المقدّس، و كان به البطرك المعظّم عندهم، و هو أعظم شأنا من ملكهم، و به أيضا باليان بن بيرزان، صاحب الرملة، و كانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك، و به أيضا من خلص من فرسانهم

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥۴٧

من حطّين، و قد جمعوا و حشدوا، و اجتمع أهل تلك النواحى، عسقلان و غيرها، فاجتمع به كثير من الخلق، كلّهم يرى الموت أيسر عليه من أن يملك المسلمون البيت المقدّس و يأخذوه منهم، و يرى أنّ بذل نفسه و ماله و أولاده بعض ما يجب عليه من حفظه، و حصنوه تلك الأيّام بما وجدوا إليه سبيلا، و صعدوا على سوره بحدّهم و حديدهم، مجمعين على حفظه و الذّبّ عنه بجهدهم و طاقتهم، مظهرين العزم على المناضلة دونه بحسب استطاعتهم، و نصبوا المجانيق على أسواره ليمنعوا من يريد الدنوّ منه و النزول عليه.

و لمّا قرب صلاح الدين منه تقدّم أمير فى جماعة من أصحابه، غير محتاط و لا حذر، فلقيه جمع من الفرنج قد خرجوا من القدس ليكونوا يزكا، فقاتلوه و قاتلهم، فقتلوه و قتلوا جماعة ممّن معه، فأهمّ المسلمين قتله، و فجعوا بفقده، و ساروا حتى نزلوا على القدس

منتصف رجب، فلمّا نزلوا عليه رأى المسلمون على سوره من الرجال ما هالهم [۱]، و سمعوا لأهله من الجلبة [۲] و الضجيج من وسط المدينة ما استدلّوا به على كثرة الجمع، و بقى صلاح الدين خمسة أيّام يطوف حول المدينة لينظر من أين يقاتله، لأنّه فى غاية الحصانة و الامتناع، فلم يجد عليه موضع قتال إلّا من جهة الشمال، نحو باب عمودا، و كنيسة صهيون، فانتقل إلى هذه الناحية فى العشرين من رجب و نزلها، و نصب تلك اللّيلة المجانيق، فأصبح من الغد و قد فرغ من نصبها، و رمى بها.

و نصب الفرنج على سور البلد مجانيق و رموا بها، و قوتلوا أشدّ قتال رآه أحد من النّاس، كلّ واحد من الفريقين يرى ذلك دينا، و حتما واجبا، فلا يحتاج فيه إلى باعث سلطانىّ بل كانوا يمنعون و لا يمتنعون و يزجرون و لا ينزجرون.

و كان خيّالة الفرنج كلّ يوم يخرجون إلى ظاهر البلد يقاتلون و يبارزون،

---

[۱]- أهالهم.

[۲]- الغلبة.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۴۸

فيقتل من الفريقين، و ممّن استشهد من المسلمين الأمير عزّ الدين عيسى ابن مالك، و هو من أكابر الأمراء، و كان أبوه صاحب قلعة جعبر، و كان يصطلى القتال بنفسه كلّ يوم، فقتل إلى رحمة اللّه تعالى، و كان محبوبا إلى الخاصّ و العام، فلمّا رأى المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك، و أخذ من قلوبهم، فحملوا حملة رجل واحد، فأزالوا الفرنج عن مواقفهم، فأدخلوهم بلدهم، و وصل [۱] المسلمون إلى الخندق، فجاوزه و التصقوا إلى السور فنقبوه، و زحف الرماة يحمونهم، و المجانيق توالى الرمى لتكشف الفرنج عن الأسوار ليتمكّن المسلمون من النقب، فلمّا نقبوه حشوه بما جرت به العادة.

فلمّا رأى الفرنج شدّة قتال المسلمين، و تحكّم المجانيق بالرمى المدارك، و تمكّن النقّابين من النقب، و أنّهم قد أشرفوا على الهلاك، اجتمع مقدّموهم يتشاورون فيما يأتون و يذرون، فاتّفق رأيهم على طلب الأمان، و تسليم البيت المقدّس إلى صلاح الدين، فأرسلوا جماعة من كبرائهم و أعيانهم فى طلب الأمان، فلمّا ذكروا ذلك للسلطان امتنع من إجابتهم، و قال: لا أفعل بكم إلّا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه سنة إحدى و تسعين و أربعمائة، من القتل و السبى و جزاء السيّئة بمثلها. فلمّا رجع الرسل خائبين محرومين، أرسل باليان بن بيرزان و طلب الأمان لنفسه ليحضر عند صلاح الدين فى هذا الأمر و تحريره، فأجيب إلى ذلك، و حضر عنده، و رغب فى الأمان، و سأل فيه، فلم يجبه إلى ذلك، و استعطفه فلم يعطف عليه، و استرحمه فلم يرحمه.

فلمّا أيس من ذلك قال له: أيّها السلطان اعلم أنّنا فى هذه المدينة فى خلق كثير لا يعلمهم إلّا اللّه تعالى، و إنّما يفترون عن القتال رجاء الأمان، ظنّا منهم أنّك تجيبهم إليه كما أجبت غيرهم، و هم يكرهون الموت و يرغبون فى الحياة، فإذا رأينا أنّ الموت لا بدّ منه، فو اللّه لنقتلنّ أبناءنا و نساءنا و نحرق

---

[۱]- و وصلوا.

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۴۹

أموالنا و أمتعتنا، و لا نترككم تغنمون منها دينارا واحدا و لا درهما، و لا تسبون و تأسرون رجلا و لا امرأة، و إذا فرغنا من ذلك أخرجنا الصخرة و المسجد الأقصى و غيرهما من المواضع، ثمّ نقتل من عندنا من أسارى المسلمين، و هم خمسة آلاف أسير، و لا نترك لنا دابّة و لا حيوانا إلّا قتلناه ثمّ خرجنا إليكم كلّنا فقاتلناكم قتال من يريد [أن] يحمى دمه و نفسه، و حينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله، و نموت أعزاء أو نظفر كراما.

فاستشار صلاح الدين أصحابه، فأجمعوا على إجابتهم إلى الأمان، و أن لا يخرجوا و يحملوا على ركوب ما لا يدرى عاقبة الأمر فيه

عن أىّ شىء تنجلى، و نحسب أنّهم أسارى بأيدينا، فنبيعهم نفوسهم بما يستقرّ بيننا و بينهم، فأجاب صلاح الدين حينئذ إلى بذل الأمان للفرنج، فاستقرّ أن يزن الرجل عشرة دنانير يستوى فيه الغنى و الفقير، و يزن الطفل من الذكور و البنات دينارين، و تزن المرأة خمسة دنانير، فمن أدّى ذلك إلى أربعين يوما فقد نجا، و من انقضت الأربعون يوما عنه و لم يؤدّ ما عليه فقد صار مملوكا، فبذل باليان بن بيرزان عن الفقراء ثلاثين ألف دينار، فأجيب إلى ذلك.

و سلّمت المدينة يوم الجمعة السابع و العشرين من رجب، و كان يوما مشهودا، و رفعت الأعلام الإسلاميّة على أسوارها، و رتّب صلاح الدين على أبواب البلد، فى كلّ باب، أمينا من الأمراء ليأخذوا من أهله ما استقرّ عليهم، فاستعملوا الخيانة، و لم يؤدّوا فيه أمانة، و اقتسم الأمناء الأموال، و تفرّقت أيدى سبا، و لو أدّيت فيه الأمانة لملأ الخزائن، و عمّ النّاس، فإنّه كان فيه على الضبط ستّون [۱] ألف رجل ما بين فارس و راجل سوى من يتبعهم من النساء و الولدان، و لا يعجب السامع من ذلك، فإنّ البلد كبير، و اجتمع إليه من تلك النواحى من عسقلان و غيرها، و الداروم، و الرملة،

---

[۱]- ستّين.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۵۰

و غزّة، و غيرها من القرى، بحيث امتلأت الطرق و الكنائس، و كان الإنسان لا يقدر أن يمشى.

و من الدليل على كثرة الخلق أنّ أكثرهم وزن ما استقرّ من القطيعة، و أطلق باليان بن بيرزان ثمانية عشر ألف رجل وزن عنهم ثلاثين ألف دينار، و بقى بعد هذا جميعه من لم يكن معه ما يعطى، و أخذ أسيرا ستّة عشر ألف آدمى ما بين رجل و امرأة و صبى، هذا بالضبط و اليقين.

ثمّ إنّ جماعة من الأمراء ادّعى كلّ واحد منهم أنّ جماعة من رعيّة إقطاعه مقيمون بالبيت المقدّس، فيطلقهم و يأخذ هو قطيعتهم، و كان جماعة من الأمراء يلبسون الفرنج زىّ الجند المسلمين، و يخرجونهم، و يأخذون منهم قطيعة قرّروها، و استوهب جماعة من صلاح الدين عددا من الفرنج، فوهبهم لهم، فأخذوا قطيعتهم، و بالجملة فلم يصل إلى خزائنه إلّا القليل.

و كان بالقدس بعض نساء الملوك من الروم قد ترهّبت و أقامت به، و معها من الحشم و العبيد و الجوارى [۱] خلق كثير، و لها من الأموال و الجواهر النفيسة شىء عظيم، فطلبت الأمان لنفسها و من معها، فأمّنها و سيّرها.

و كذلك أيضا أطلق ملكة القدس التى كان زوجها الّذى أسره صلاح الدين قد ملك الفرنج بسببها، و نيابة عنها كان يقوم بالملك، و أطلق مالها و حشمها، و استأذنته فى المصير إلى زوجها، و كان حينئذ محبوسا بقلعة نابلس، فأذن لها، فأتته و أقامت عنده.

و أتته أيضا امرأة للبرنس أرناط صاحب الكرك، و هو الّذى قتله صلاح الدين بيده يوم المصافّ بحطّين، فشفعت فى ولد لها مأسور، فقال لها صلاح الدين: إن سلّمت الكرك أطلقته، فسارت إلى الكرك، فلم يسمع منها

---

[۱] و الجوار.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۵۱

الفرنج الذين فيه، و لم يسلّموه، فلم يطلق ولدها، و لكنه أطلق مالها و من تبعها.

و خرج البطرك الكبير الّذى للفرنج، و معه من أموال البيع منها: الصخرة و الأقصى، و قمامة و غيرها، ما لا يعلمه إلّا اللّه تعالى، و كان له من المال مثل ذلك، فلم يعرض له صلاح الدين، فقيل له ليأخذ ما معه يقوّى به المسلمين، فقال: لا أغدر به، و لم يأخذ منه غير عشرة دنانير، و سيّر الجميع و معهم من يحميهم إلى مدينة صور.

و كان على رأس قبّة الصخرة صليب كبير مذهّب. فلمّا دخل المسلمون البلد يوم الجمعة تسلّق جماعة منهم إلى أعلى القبّة ليقلعوا [۱]

الصليب، فلمّا فعلوا و سقط صاح النّاس كلّهم صوتا واحدا من البلد و من ظاهره المسلمون و الفرنج: أمّا المسلمون فكبّروا فرحا، و أمّا الفرنج فصاحوا تفجّعا و توجّعا، فسمع النّاس ضجّة كادت الأرض أن تميد بهم لعظمها و شدّتها.

فلمّا ملك البلد و فارقه الكفّار أمر صلاح الدين بإعادة الأبنية إلى حالها القديم، فإنّ الداويّة بنوا غربىّ الأقصى أبنية ليسكنوها، و عملوا فيها ما يحتاجون إليه من هرى و مستراح و غير ذلك، و أدخلوا بعض الأقصى فى أبنيتهم فأعيد إلى الأوّل، و أمر بتطهير المسجد و الصخرة من الأقذار و الأنجاس، ففعل ذلك أجمع.

و لمّا كان الجمعة الأخرى، رابع شعبان، صلّى المسلمون فيه الجمعة، و معهم صلاح الدين، و صلّى فى قبّة الصخرة، و كان الخطيب و الإمام محيى الدين بن الزكى، قاضى دمشق، ثمّ رتّب فيه صلاح الدين خطيبا و إماما برسم الصلوات الخمس، و أمر أن يعمل له منبر، فقيل له: إنّ نور الدين محمودا كان قد عمل بحلب منبرا أمر الصنّاع بالمبالغة فى تحسينه و إتقانه، و قال: هذا

---

[١]- ليقلعون

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٥٥٢

قد عملناه لينصب بالبيت المقدّس، فعمله النجّارون فى عدّة سنين لم يعمل فى الإسلام مثله، فأمر بإحضاره، فحمل من حلب و نصب بالقدس، و كان بين عمل المنبر و حمله ما يزيد على عشرين سنة، و كان هذا من كرامات نور الدين و حسن مقاصده، رحمه اللّه.

و لمّا فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدّم بعمارة المسجد الأقصى و استنفاد الوسع فى تحسينه و ترصيفه، و تدقيق نقوشه، فأحضروا من الرخام الّذى لا يوجد مثله، و من الفصّ المذهّب القسطنطينىّ و غير ذلك ممّا يحتاجون إليه، قد ادّخر على طول السنين، فشرعوا فى عمارته، و محوا ما كان فى تلك الأبنية من الصور، و كان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة و غيّبوها، فأمر «١» بكشفها.

و كان سبب تغطيتها بالفرش أنّ القسيسين باعوا كثيرا منها للفرنج الواردين إليهم من داخل البحر للزيارة، فكانوا يشترونه بوزنه ذهبا رجاء بركتها، و كان أحدهم إذ دخل إلى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة، و يجعل فى مذبحها، فخاف بعض ملوكهم أن تفنى، فأمر بها ففرش فوقها حفظا لها، فلمّا كشفت نقل إليها صلاح الدين المصاحف الحسنة، و الربعات الجيّدة، و رتّب القرّاء، و أدرّ عليهم الوظائف الكثيرة، فعاد الإسلام هناك غضّا طريّا، و هذه المكرمة من فتح البيت المقدّس لم يفعلها بعد عمر بن الخطّاب، رضى اللّه عنه، غير صلاح الدين، رحمه اللّه، و كفاه ذلك فخرا و شرفا.

و أمّا الفرنج من أهله فإنّهم أقاموا، و شرعوا فى بيع ما لا يمكنهم حمله من أمتعتهم و ذخائرهم و أموالهم، و ما لا يطيقون حمله، و باعوا ذلك بأرخص الثمن، فاشتراه التجار من أهل العسكر، و اشتراه النصارى من أهل القدس الذين ليسوا من الفرنج، فإنّهم طلبوا من صلاح الدين أن يمكنهم من المقام فى

---

(١)- الصخرة و غطوها فأمر.A

الكامل فى التاريخ، ج١١، ص: ٥٥٣

مساكنهم و يأخذ منهم الجزية، فأجابهم إلى ذلك، فاشتروا حينئذ من أموال الفرنج، و ترك الفرنج أيضا أشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها من الأسرّة و الصناديق و البيّتات، و غير ذلك، و تركوا أيضا من الرخام الّذى لا يوجد مثله، من الأساطين و الألواح و الفصّ و غيره، شيئا كثيرا، ثمّ ساروا.

ذكر رحيل صلاح الدين إلى صور و محاصرتها

لمّا فتح صلاح الدين البيت المقدّس أقام بظاهره إلى الخامس و العشرين من شعبان يرتّب أمور البلد و أحواله، و تقدّم بعمل الرّبط و

المدارس، فجعل دار الاسبتار مدرسة للشافعيّة، و هى فى غاية ما يكون من الحسن، فلمّا فرغ من أمر البلد سار إلى مدينة صور، و كانت قد اجتمع فيها من الفرنج عالم كثير، و قد صار المركيش «۱» صاحبها و الحاكم فيها، و قد ساسهم أحسن سياسة، و بالغ فى تحصين البلد، و وصل صلاح الدين إلى عكّا، و أقام بها أيّاما، فلمّا سمع المركيش «۲» بوصوله إليها جدّ فى عمل سور صور و خنادقها و تعميقها، و وصلها من البحر إلى البحر من الجانب الآخر، فصارت المدينة كالجزيرة فى وسط الماء لا يمكن الوصول إليها و لا الدنوّ منها.

ثمّ رحل صلاح الدين من عكّا، فوصل إلى صور تاسع شهر رمضان، فنزل على نهر قريب [من] البلد بحيث يراه، حتى اجتمع النّاس و تلاحقوا، و سار فى الثانى و العشرين من رمضان، فنزل على تلّ يقارب سور البلد، بحيث يرى القتال، و قسم القتال على العسكر كلّ جمع منهم له وقت معلوم يقاتلون فيه،

(۱- ۲). المركيس.C. P

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۵۴

بحيث يتصل القتال على أهل البلد، على أنّ الموضع الّذى يقاتلون فيه قريب المسافة، يكفيه الجماعة اليسيرة من أهل البلد لحفظه، و عليه الخنادق التى قد وصلت من البحر إلى البحر، فلا يكاد الطير يطير عليها، فإنّ المدينة كالكفّ فى البحر، و الساعد متّصل بالبرّ و البحر من جانبى الساعد، و القتال إنّما هو فى الساعد، فزحف المسلمون مرّة «۱» بالمجانيق، و العرّادات، و الجروخ، و الدبّابات، و كان أهل صلاح الدين يتناوبون القتال مثل: ولده الأفضل، و ولده الظاهر غازى، و أخيه العادل بن أيّوب، و ابن أخيه تقى الدين، و كذلك سائر الأمراء.

و كان للفرنج شوان و حرّاقات يركبون فيها فى البحر، و يقفون من جانبى الموضع الّذى يقاتل المسلمون منه أهل البلد، فيرمون المسلمين من جانبهم بالجروخ، و يقاتلونهم. و كان ذلك يعظم عليهم، لأنّ أهل البلد يقاتلونهم من بين أيديهم، و أصحاب الشوانى يقاتلونهم من جانبيهم، فكانت سهامهم تنفذ من أحد الجانبين إلى الجانب الآخر لضيق الموضع، فكثرت الجراحات فى المسلمين و القتل، و لم يتمكّنوا من الدنوّ إلى البلد، فأرسل صلاح الدين إلى الشوانى التى جاءته من مصر، و هى عشر قطع، و كانت بعكّا، فأحضرها برجالها و مقاتلتها و عدّتها، و كانت فى البحر تمنع شوانى أهل صور من الخروج إلى قتال المسلمين، فتمكّن المسلمون حينئذ من القرب من البلد، و من قتاله، فقاتلوه برّا و بحرا و ضايقوه حتى كادوا يظفرون، فجاءت الأقدار بما لم يكن فى الحساب، و ذلك أنّ خمس قطع من شوانى المسلمين باتت، فى بعض تلك اللّيالى، مقابل ميناء صور ليمنعوا من الخروج منه و الدخول إليه، فباتوا ليلتهم يحرسون، و كان مقدّمهم عبد السلام المغربى الموصوف بالحذق فى صناعته و شجاعته، فلمّا كان وقت السّحر أمنوا فناموا، فما شعروا إلّا بشوانى الفرنج قد نازلتهم

---

(۱). المسلمون إليها غير مرة.B

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۵۵

و ضايقتهم، فأوقعت بهم، فقتلوا من أرادوا قتله، و أخذوا الباقين بمراكبهم، و أدخلوهم ميناء صور، و المسلمون فى البرّ ينظرون إليهم، و رمى جماعة من المسلمين أنفسهم من الشوانى فى البحر، فمنهم من سبح فنجا، و منهم من غرق.

و تقدّم السلطان إلى الشوانى الباقية بالمسير إلى بيروت لعدم انتفاعه بها لقلّتها، فسارت، فتبعها شوانى الفرنج، فحين رأى من فى شوانى المسلمين الفرنج مجدّين فى طلبهم ألقوا نفوسهم فى شوانيهم إلى البرّ فنجوا و تركوها، فأخذها صلاح الدين، و نقضها و عاد إلى مقاتلة صور فى البرّ، و كان ذلك قليل الجدوى لضيق المجال.

و فى بعض الأيّام خرج الفرنج فقاتلوا المسلمين من وراء خنادقهم، فاشتدّ القتال بين الفريقين، و دام إلى آخر النهار، كان خروجهم قبل العصر، و أسر منهم فارس كبير مشهور، بعد أن كثر القتال و القتل عليه من الفريقين، لمّا سقط، فلمّا أسر قتل، و بقوا كذلك عدّة أيّام.

ذكر الرحيل عن صور إلى عكّا و تفريق العساكر

لمّا رأى صلاح الدين أنّ أمر صور يطول رحل عنها، و هذه كانت عادته، متى ثبت البلد بين يديه ضجر منه و من حصاره فرحل عنه. و كان هذه السنة لم يطل مقامه على مدينة بل فتح الجميع فى الأيّام القريبة، كما ذكرناه، بغير تعب و لا مشقّة. فلمّا رأى هو و أصحابه شدّة أمر صور ملّوها، و طلبوا الانتقال عنها، و لم يكن لأحد ذنب فى أمرها غير صلاح الدين، فإنّه هو جهّز إليها جنود الفرنج، و أمدّها بالرجال و الأموال من أهل عكّا و عسقلان و القدس و غير ذلك، كما سبق ذكره، كان يعطيهم الأمان و يرسلهم إلى صور،

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۵۶

فصار فيها من سلم من فرسان الفرنج بالساحل، بأموالهم و أموال التجار و غيرهم، فحفظوا المدينة و راسلوا الفرنج داخل البحر يستمدّونهم، فأجابوهم بالتلبية لدعوتهم، و وعدوهم بالنصرة، و أمروهم بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يحتمون بها «۱» و يلجئون إليها، فزادهم ذلك حرصا على حفظها و الذبّ عنها.

و سنذكر إن شاء اللَّه ما صار إليه الأمر بعد ذلك ليعلم أن الملك لا ينبغى أن يترك الحزم، و إن ساعدته الأقدار، فلأن يعجز حازما خير له من أن يظفر مفرطا، مضيعا للحزم، و أعذر له عند النّاس.

و لمّا أراد الرحيل استشار أمراءه، فاختلفوا، فجماعة يقولون: الرأى أن نرحل، فقد جرح الرجال، و قتلوا، و ملّوا، و فنيت النفقات، و هذا الشتاء قد حضر، و الشوط بطين، فنريح و نستريح فى هذا البرد، فإذا جاء الربيع اجتمعنا و عاودناها و غيرها. و كان هذا قول الأغنياء منهم، و كأنّهم خافوا أنّ السلطان يقترض منهم ما ينفقه فى العسكر إذا أقام لخلوّ الخزائن و بيوت الأموال من الدرهم و الدينار، فإنّه كان يخرج كلّ ما حمل إليه منها. و قالت الطائفة الأخرى: الرأى أن نصابر البلد و نضايقه، فهو الّذى يعتمدون عليه من حصونهم، و متى أخذناه منهم انقطع طمع من داخل البحر من هذا الجانب و أخذنا باقى البلاد صفوا عفوا.

فبقى صلاح الدين متردّدا بين الرحيل و الإقامة، فلمّا رأى من يرى الرحيل إقامته أخلّ بما ردّ إليه من المحاربة و الرمى بالمنجنيق، و اعتذروا بجراح رجالهم، و أنّهم قد أرسلوا بعضهم ليحضروا نفقاتهم و العلوفات لدوابّهم و الأقوات لهم، إلى غير ذلك من الأعذار، فصاروا مقيمين بغير قتال، فاضطرّ إلى الرحيل، فرحل عنها آخر شوّال، و كان أوّل كانون الأوّل، إلى عكّا،

---

(۱). يجتمعون بها.A

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۵۷

فأذن للعساكر جميعها بالعود إلى أوطانهم و الاستراحة فى الشتاء، و العود فى الربيع، فعادت عساكر الشرق و الموصل و غيرها، و عساكر الشام، و عساكر مصر، و بقى حلقته الخاص مقيما [۱] بعكّا، فنزل بقلعتها، و ردّ أمر البلد إلى عزّ الدين جورديك، و هو من أكابر المماليك النوريّة، جمع الديانة و الشجاعة و حسن السيرة.

ذكر فتح هونين

لمّا فتح صلاح الدين تبنين امتنع من بهونين من تسليمها، و هى من أحصن القلاع و أمنعها [۲]، فلم ير التعريج عليها و لا الاشتغال بمحاصرتها، بل سيّر إليها جماعة من العسكر و الأمراء فحصروها، و منعوا من حمل الميرة إليها، و اشتغل بما تقدّم ذكره من فتح

عسقلان و البيت المقدّس و غير ذلك، فلمّا كان يحاصر مدينة صور أرسل من فيها يطلبون الأمان، فأمّنهم، فسلّموا، و نزلوا منها فوفى لهم بأمانهم.

ذكر حصر صفد و كوكب و الكرك

لمّا سار صلاح الدين إلى عسقلان جعل على قلعة كوكب، و هى مطلّة على الأردن، من يحصرها، و يحفظ الطريق للمجتازين لئلّا ينزل من به من الفرنج يقطعونه، و سيّر طائفة أخرى من العسكر أيضا إلى قلعة صفد فحصروها،

---

[١]- مقيم.

[٢]- و أمنع.

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٥٨

و هى مطلّة على مدينة طبريّة.

و كان حصن كوكب للإسبتار، و حصن صفد للداويّة، و هما قريبان من حطّين، موضع المصافّ، فلجأ إليها جمع ممّن سلم من الداويّة و الإسبتار فحموهما، فلمّا حصرهما المسلمون استراح النّاس من شرّ من فيهما، و اتّصلت الطرق حتى كان يسير فيها المنفرد فلا يخاف.

و كان مقدّم الجماعة الذين يحصرون قلعة كوكب أميرا يقال له سيف الدين، و هو أخو جاولى الأسدىّ، و كان شهما شجاعا، يرجع إلى دين و عبادة، فأقام عليه إلى آخر شوّال، و كان أصحابه يحرسون نوبا مرتبة، فلمّا كان آخر ليلة من شوّال غفل الّذى كانت نوبته [١] فى الحراسة، و كان قد صلى ورده من اللّيل إلى السّحر، و كانت ليلة كثيرة الرعد و البرق، و الريح و المطر، فلم يشعر المسلمون و هم نازلون إلّا و الفرنج قد خالطوهم بالسيوف، و وضعوا السلاح فيهم، فقتلوهم أجمعين، و أخذوا ما كان عندهم من طعام و سلاح و غيره و عادوا إلى قلعتهم، فقووا بذلك قوّة عظيمة أمكنتهم أن يحفظوا قلعتهم إلى أن أخذت أواخر سنة أربع و ثمانين [و خمسمائة]، على ما سنذكره إن شاء اللّه.

و أتى الخبر إلى صلاح الدين بذلك، عند رحيله عن صور، فعظم «١» ذلك عليه، مضافا إلى ما ناله من أخذ شوانيه و من فيها، و رحيله عن صور، ثمّ رتّب على حصن كوكب «٢» الأمير قايماز النجمىّ فى جماعة أخرى من الأجناد، فحصروها.

---

[١]- الذين كانت نوبتهم.

---

(١). V. qs صور daeuqsu فعظم A. mo .aedni

(٢). صور: C. P .vte ٠۴٧ .spU

الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص: ٥٥٩

ذكر الفتنة بعرفات و قتل ابن المقدّم

فى هذه السنة، يوم عرفة، قتل شمس الدين محمّد بن عبد الملك المعروف بابن المقدّم بعرفات، و هو أكبر الأمراء الصلاحيّة، و قد تقدّم من ذكره ما فيه كفاية.

و سبب قتله أنّه لمّا فتح المسلمون البيت المقدّس طلب إذنا من صلاح الدين ليحجّ و يحرم من القدس، و يجمع فى سنّه بين الجهاد و الحجّ و زيارة الخليل، عليه السلام، و ما [١] بالشام من مشاهد الأنبياء، و بين زيارة رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلّم، أجمعين، فأذن له.

و كان قد اجتمع تلك السنة من الحجّاج بالشام الخلق العظيم من البلاد: العراق، و الموصل، و ديار بكر، و الجزيرة، و خلاط، و بلاد الروم و مصر و غيرها، ليجمعوا بين زيارة البيت المقدّس و مكّة، فجعل ابن المقدّم أميرا عليهم فساروا حتى وصلوا إلى عرفات سالمين، و وقفوا فى تلك المشاعر، و أدّوا الواجب و السنّة.

فلمّا كان عشيّة عرفة تجهّز هو و أصحابه ليسيروا من عرفات، فأمر بضرب كوساته التى هى أمارة الرحيل، فضربها أصحابه، فأرسل إليه أمير الحاجّ العراقىّ، و هو مجير الدين طاش تكين، ينهاه عن الإفاضة من عرفات قبله، و يأمره بكفّ أصحابه عن ضرب كوساته، فأرسل إليه: إنّى ليس لى معك تعلّق، أنت أمير الحاجّ العراقىّ، و أنا أمير الحاجّ الشامىّ، و كلّ منّا يفعل ما يراه و يختاره، و سار و لم يقف، و لم يسمع قوله، فلمّا رأى طاش تكين إصراره على مخالفته ركب فى أصحابه و أجناده، و تبعه من غوغاء الحاجّ العراقىّ و بطّاطيهم، و طمّاعتهم، العالم الكثير، و الجمّ الغفير، و قصدوا

---

[۱]- و من.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۶۰

حاجّ الشام مهوّلين عليهم، فلمّا قربوا منهم خرج الأمر من الضبط، و عجزوا عن تلافيه، فهجم طمّاعة العراق على حاجّ الشام و فتكوا فيهم، و قتلوا جماعة و نهبت أموالهم و سبيت جماعة من نسائهم، إلّا أنّهنّ رددن عليهم، و جرح ابن المقدّم عدّة جراحات، و كان يكفّ أصحابه عن [۱] القتال، و لو أذن لهم لانتصف منهم و زاد، لكنّه راقب اللَّه تعالى، و حرمة المكان و اليوم، فلمّا أثخن بالجراحات أخذه طاش تكين إلى خيمته، و أنزله عنده ليمرّضه و يستدرك الفارط فى حقّه، و ساروا تلك اللّيلة من عرفات، فلمّا كان الغد مات بمنى، و دفن بمقبرة المعلّى، و رزق الشهادة بعد الجهاد، و شهود فتح البيت المقدّس، رحمه اللَّه تعالى.

ذكر قوّة السلطان طغرل على قزل

فى هذه السنة قوى أمر السلطان طغرل، و كثر جمعه، و ملك كثيرا من البلاد، فأرسل قزل إلى الخليفة يستنجده، و يخوّفه من طغرل، و يبذل من نفسه الطاعة و التصرف على ما يختارونه، و أرسل طغرل رسولا إلى بغداد يقول:

أريد أن يتقدّم الديوان بعمارة [دار] السلطنة لأسكنها إذا وصلت، فأكرم رسول قزل و وعده بالنجدة، و ردّ رسول السلطان طغرل بغير جواب، و أمر الخليفة بنقض دار السلطنة، فهدمت إلى الأرض و عفّى أثرها.

---

[۱]- من.

الكامل فى التاريخ، ج۱۱، ص: ۵۶۱

ذكر ملك شرستى «۱» من الهند و غيرها و انهزام المسلمين بعدها

فى آخر هذه السنة سار شهاب الدين الغورىّ، ملك غزنة، إلى بلاد الهند، و قصد بلاد أجمير «۲»، و تعرّف بولاية السوالك، و اسم ملكهم كولة، و كان شجاعا شهما، فلمّا دخل المسلمون بلاده ملكوا مدينة تبرندة «۳»، و هى حصن منيع عامر، و ملكوا شرستى «۴»، و ملكوا كوّة رام «۵».

فلمّا سمع ملكهم جمع العساكر فأكثر، و سار إلى المسلمين، فالتقوا، و قامت الحرب على ساق، و كان مع الهند أربعة عشر فيلا، فلمّا اشتدّت الحرب انهزمت ميمنة المسلمين و ميسرتهم، فقال لشهاب الدين بعض خواصّه:

قد انكسرت الميمنة و الميسرة، فانج بنفسك لا يهلك المسلمون، فأخذ شهاب الدين الرمح و حمل على الهنود، فوصل إلى الفيلة،

فطعن فيلاـ منها فى كتفه، و جرح الفيل لا ينـدمل، فلمّا وصل شـهاب الـدين إلى الفيلـة زرقه بعض الهنود بحربـة، فوقعت الحربـة فى ساعـده، فنفذت الحربة من الجانب «۶» الآخر، فوقع حينئـذ إلى الأرض، فقاتل عليه أصـحابه ليخلصوه، و حرصت الهنود على أخذه، و كان عنـده حرب لم يسـمع بمثلها، و أخذه أصـحابه فركّبوه فرسه و عادوا به منهزمين، فلم يتبعهم الهنود، فلمّا أبعدوا عن موضع الوقعة بمقدار فرسخ أغمى على شـهاب الدين من كثرة خروج الدم، فحمله الرجال على أكتافهم فى محفّة اليد أربعة و عشـرين فرسـخا، فلمّا وصل إلى لهاوور أخذ الأمراء الغوريّة، و هم الذين انهزموا و لم يثبتوا، و علّق على كلّ واحد منهم.

(۱- ۴). سرستى: C. P. te۷۴۰

(۲). حمير:sUاحمير: C. P. te۷۴۰

(۳). تبرنده: C. P. te۷۴۰

(۵). اكوه دام: ۷۴۰ اكوم رام.C. P

(۶). فنفذت إلى الجانب.A

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۶۲

عليق شـعير، و قال: أنتم دوابّ ما أنتم أمراء! و سار إلى غزنـة، و أمر بعضـهم فمشـى إليها ماشـيا، فلمّا وصل إلى غزنة أقام بها ليستريح النّاس، و نذكر ما فعله بملك الهند الّذى هزمه سنة ثمان و ثمانين [و خمسمائة] إن شاء اللَّه تعالى.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السـنة، فى ربيع الأوّل، قتل مجد الدين أبو الفضل بن الصاحب، و هو أسـتاذ دار الخليفة، أمر الخليفة بقتله، و كان متحكّما فى الدولـة، ليس للخليفـة معه حكم، و كـان هـو القيّم بالبيعـة له، و ظهر له أموال عظيمـة، أخـذ جميعهـا، و كـان حسن السـيرة عفيفـا عن الأموال، و كان الّذى سعى به إنسان من أصحابه و صنائعه، يقال له عبيد اللَّه بن يونس، فسعى به إلى الخليفة، و قبّح آثاره، فقبض عليه و قتله.

و فيها، فى ربيع الآخر، وقع حريق فى الحظائر ببغـداد، و احترقت أحطاب كثيرة، و سـببه أنّ فقيها بالمدرسـة النظاميّة كان يطبـخ طعاما يأكله، فغفل عن النّار و الطبيخ، فعلقت النّار و اتّصلت إلى الحظائر، فاحترقت جميعها، و احترق درب السلسلة و غيره ممّا يجاوره.

و فيها، فى شوّال، استوزر الخليفة الناصر لدين اللَّه أبا المظفّر عبيد اللَّه ابن يونس، و لقّبه جلال الدين، و مشى أرباب الدولة فى ركابه، حتى قاضى القضاة، و كان ابن يونس من شهوده، و كان يمشى و يقول: لعن اللَّه طول العمر.

و فيها، فى المحرّم، توفّى عبـد المغيث بن زهير الحرّىّ ببغـداد، و كان من أعيان الحنابلـة، قد سـمع الحديث الكثير، و صـنّف كتابا فى فضائل يزيد

الكامل فى التاريخ، ج ۱۱، ص: ۵۶۳

ابن معاوية أتى فيه بالعجائب، و قد ردّ عليه أبو الفرج بن الجوزىّ، و كان بينهما عداوة.

و فيهـا توفّى قاضـى القضاة أبو الحسن بن الـدامغانىّ، و ولى قضاء القضاء للمقتفى بعـد موت الزينبىّ، ثمّ للمسـتنجد باللَّه، ثمّ عزل، ثمّ أعيد إلى المستضىء بأمر اللَّه.

و فيها توفّى الوزير جلال الـدين أبو الحسن علىّ بن جمال الدّين أبى جعفر محمّد بن أبى منصور وزير صاحب الموصل، و هو الجواد ابن الجواد، و قـد ذكرنا من أخباره و أخبار أبيه ما يعلم به محلّهما، و حمل إلى مدينة النبىّ، صـلّى اللَّه عليه و سـلّم، فدفن بها عند أبيه علىّ بن خطاب بن ظفر الشيخ الصالـح من جزيرة ابن عمر، و كان من الأولياء أرباب الكرامات، و صـحبته أنا مـدّة، فلم أر مثله حسـن

خلق و سمت و كرم و عبادة، رحمه اللّه.

و فيها ولدت امرأة من سواد بغداد بنتا لها أسنان.

و فيها توفّى نصر بن فتيان بن مطر أبو الفتح بن المنّى الفقيه الحنبلىّ، لم يكن لهم مثله، رحمه اللّه.

تم المجلد الحادى عشر

الكامل فى التاريخ، ج۱۲، ص: ۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹